سطو بمروحية

رواية تستند إلى أحداث حقيقية

يوناس بونيير

ترجمة حنان المسعودي

سطو بمروحية

رواية تستند إلى أحداث حقيقية

يوناس بونيير

ترجمتها عن الإنجليزية حنان المسعودي

دار جامعة حمد بن خليفة للنشر
HAMAD BIN KHALIFA UNIVERSITY PRESS

الطبعة العربية الأولى عام ٢٠١٨

دار جامعة حمد بن خليفة للنشر
صندوق بريد ٥٨٢٥
الدوحة، دولة قطر

www.hbkupress.com

The Helicopter Heist
First published in English by Simon and Schuster, 2017.
Text Copyright © Jonas Bonnier, 2017

حقوق الترجمة © حنان المسعودي، ٢٠١٨
الحقوق الفكرية للمؤلف محفوظة

جميع الحقوق محفوظة.
لا يجوز استخدام أو إعادة طباعة أي جزء من هذا الكتاب بأي طريقة بدون الحصول على الموافقة الخطية من الناشر باستثناء في حالة الاقتباسات المختصرة التي تتضمن في الدراسات النقدية أو المراجعات.

الترقيم الدولي: ٩٧٨٩٩٢٧١٢٩١٣١

مكتبة قطر الوطنية بيانات الفهرسة – أثناء – النشر (فان)

بونير، يوناس، 1963- مؤلف.

[The helicopter heist]. Arabic

سطو بمروحية : رواية تستند إلى أحداث حقيقية / تأليف يوناس بونير ؛ ترجمها عن الإنجليزية حنان المسعودي. – الطبعة العربية الأولى.

الدوحة : دار جامعة حمد بن خليفة للنشر ، 2018.

صفحة ؛ سم

تدمك : 978-9927-129-13-1

ترجمة لكتاب: .The Helicopter heist

1. جرائم السرقة -- القصص الإنجليزية -- مترجمات إلى العربية. أ. المسعودي، حنان ، مترجم. ب. العنوان.

PT9876.12 .O66 H4513125 2018

839.7374– dc23

2018 26847520

«عملية سطوٍ مقتبسة من الأفلام، اللصوص ينزلون من مروحية، ومبالغ ضخمة من النقود، والتفافة مذهلة في الحبكة تجعل أي كاتب بوليسي فخورًا بها».

سي بي إس

«السطو بالمروحية أمرٌ سويدي بحق».

ذا سان

«إنه استثنائي... سطو قُبيل الفجر أذهل الشرطة».

نيويورك تايمز

«جريمة سطو ستستحوذ على خيال مُنتجي هوليوود، لكن حتى داني أوشن - على الرغم من شخصيته التي أداها جورج كلوني في ثلاثة أفلام - لم يفكر في استخدام مروحية».

ذا تايمز

«مع تزويق سينمائي مُميَّز، أنزل اللصوص المُقنَّعون مروحية على سطح مستودع للنقود في السويد قُبيل الفجر».

ذا أسوشيتد برس

«جريمةٌ ذات أسلوب هوليوودي في مستودع نقود سويدي».

ذا جارديان

«في مشاهد مقتبسة مباشرةً من فيلم إثارة هوليوودي، استخدم اللصوص مروحيةً اليوم للقيام بجريمة استثنائية في مستودع للنقود في ستوكهولم».

ديلي ميل

«اللصوص في السويد يستحوذون على ملايين الدولارات. إنها عملية سطو مع القنابل والمروحيات، وبراعة أفلام بوند».

ديلي نيوز

اختيرت من قِبل مجلة تايم كواحدة من أكثر عشر جرائم سطو إثارةً في العالم.

وُلِد يوناس بونيير عام 1963 ، وهو روائي وكاتب سيناريو وصحافي ، ورئيس مجموعة بونيير منذ عام 2008 وحتى عام 2014. يعيش يوناس بونيير مع زوجته وطفليه في ميامي.

تستند هذه الرواية إلى وقائع حقيقية.

احترامًا للمعنيين بالأمر ، فقد غُيِّرت بعض الأماكن والأسماء ، وأُضيف بعض الأحداثِ أو حُذف بعضها ، في تلك الحالات فإن أي تشابه مع الواقع هو من قبيل المصادفة ، وفي كل الحالات الأخرى فإن أي تشابه مع الواقع هو أمر مُتعمَّد.

كانون الأول 2008

1

محنيَّ الظهر، متوكئًا على عصاه، خرج الرجل العجوز من الغابة إلى الطريق الذي لم يكُن سوى ممر مكسوٍّ بزوج من آثار العجلات الناتئة. يرتدي حذاءً مطاطيًّا أسود ابتاعه من «كوب فوروم» في هاندين قبل عدة أسابيع، ومعطفًا مَطريًّا بُنيًّا داكنًا ابتاعه من «تيمبو» في فالت أوفرشتن منذ أواسط السبعينيات. والرجل لم يُتقن شراء الملابس قَطُّ.

لا تزال الأرض جرداء، والصقيع يقبض على الأشجار والأَجَمات بقبضة من حديد، واليوم بارد بالفعل، وربما يصل الثلج هذا المساء.

في تلك الغابات المُتجلدة، حيث اللون الأخضر الداكن لأوراق الأشجار الإبرية هو أكثر الألوان تألقًا في تلك اللوحة الرمادية البُنية القاتمة، ظهر الرجل يتقدَّمه كلبٌ أسود، لابرادور ريتريفر. تشمَّم الكلبُ صاحبه ثم أحنى أنفه إلى الأرض وركض عبر الطريق. وبعد عدة أمتار جاءت ثلاثة كلاب سوداء أخرى تركض من الغابات، كلها بالحجم نفسه، وتنتمي إلى الفصيلة عينها. عبرت الطريق، ثم اختفت في الأَجَمات على الجانب الآخر. تبعها الرجل العجوز، وقد تمكَّن من سماع المجموعة الأخرى من خلفه، ثلاث إناث وكلب ذكر، وهي تتجول جيئة وذهابًا عبر الأغصان المتجمدة لنبات التوت الأزرق وأحراش السرخس.

إنها في طريقها إلى المنزل.

يقطن الرجل في كوخ أحمر داكن إلى الجنوب من لاندفياردن، في منتصف المسافة بين نيناسهامن وستوكهولم تقريبًا. يتمكن أثناء الشتاء من رؤية جزيرة مسكو عبر الغابة الكثيفة خارج شباك مطبخه. تبعد بوابته بضع مئات من الأمتار فقط عن حافة المياه، حيث توفرت لكلابه عدة مواضع للهو بالماء أثناء الربيع والصيف. وتُعرف فصيلة لابرادور بأنها ذات أصابع متصلة بغشاء رقيق، يمكنها استعادة الأشياء من المياه.

تعيش الكلاب الثمانية البالغة مع الرجل في كوخه الرئيسي، بينما خُصصت الأكواخ الخارجية لمجاميع الجِرَاء، حيث يُناسل فصيلة اللابرادور منذ عشرين عامًا، وكثيرًا ما فضَّل الكلاب على البشر، ولهذا السبب تحديدًا أقام في كوخ في قلب الغابة، حيث لا

يوجد تزويد رئيسي بالماء أو الطاقة الكهربائية التي يُعتمَد عليها. تُرِكَ الرجل لنفسه، واحتفظ جيرانه بمسافة كافية تفصلهم عنه، وأقربهم إليه يعيش في المباني الحديثة التي أُنشئت على مسافة عشرين كيلومترًا إلى الجنوب.

في السنوات القليلة الأولى دأب الرجل على الذهاب بنفسه للقاء المشترين، لكنه سرعان ما كان يفقد أعصابه حين تسأله النساء العجائز البدينات عن الكلاب، وهل تحتاج إلى الكثير من التمرين، بينما الأطفال المدللون الصغار يقومون بجر آذان الجِرَاء، فيصرخ في النساء، ويضرب الأطفال على أيديهم المُلطخة بالمخاط.

لم يُقدِّر له الرَّب أن يكون بائعًا قَطُّ، وقد حظي في الوقت الراهن بمساعدة أناسٍ من أَوْجار كلاب أخرى، يقومون بعرض الجراء والكلاب الصغيرة له، ويهتمون بالجانب التجاري من الأمور، ويستأثرون بالفضل الذي لم يكن يأبه به.

عاد إلى منزله من جولته الصباحية والساعة تشير إلى قُبيل التاسعة. يتكون كوخه من ثلاث غرف ومطبخ، ولأن الكلاب غالبًا ما تعود حاملةً معها نصف الغابة إلى المنزل، والرجل يعاني من مشكلة في ظهره منذ عدة أعوام، فلم تكُن هناك ضرورة للتنظيف.

لم يكن الرجل يسمح للكلاب بالمكوث في المطبخ، مما يعني أنه المكان الوحيد الذي يحظى بنوع من التنظيم.

أدار آلة صُنع القهوة.

كان ينتظر صحبة.

عرفهم بشكل جيد وكافٍ، مما جعله مطمئنًّا إلى مجيئهم عندما يطلبهم. افترض أنهم يخشونه، وليسوا هم الوحيدين في ذلك.

وُلِد ميشال معلوف في منزل مسيحي في لبنان، بينما وُلِد سامي فرحان في منزل مُسلم في العراق.

انتقل الاثنان أطفالًا إلى السويد برفقة عائلتيهما، وارتادا المدارس في ضواحي ستوكهولم، والتقى بهما الرجل العجوز بضع مرَّات في مناسبات مختلفة، وتأثر بهما كثيرًا.

أظهرا نفسيهما على مَر الأعوام كمحترفَين يُعتمد عليهما، ويعود ذلك بشكل جزئي إلى

حقيقة أنهما لم يلمسا العقاقير قَطُّ ، لا للاستخدام الشخصي ولا للاتجار. يعرف الجميع أنك إذا رغبت في التعامل مع ميشال معلوف أو سامي فرحان ، فليس بإمكانك أن تعبث بالعقاقير في الوقت نفسه.

على الرغم من هذا ، لم تتقاطع طُرق معلوف وفرحان إلا بشكل عابر ، ليس قبل الآن ، مع أنهما لم يدركا ذلك حتى هذه اللحظة.

وصل سامي فرحان أولًا.

رآه الرجل العجوز قادمًا عبر الممر المُمتد من الطريق الرئيسي. توقفت الحافلة من فسترهانكه إلى ناي‌ناس عند الموقع 73 ، ولم يكن الكوخ يبعد بأكثر من عشر دقائق داخل الغابة.

مرَّت سنوات منذ أن تبارى سامي على الحلبة ، لكنه لا يزال يتحرك كملاكم ، فعلى الرغم من جسده الضخم الثقيل فهو ينتقل على قدميه بسرعة وخفة. استغرق أقل من دقيقة كي يصل من البوابة إلى المنزل. يرتدي معطفًا صوفيًّا رماديًّا قصيرًا ، بدا ملائمًا لمنطقة نيتورغيت في يوم ربيعي دافئ ، وحذاءً رياضيًّا أبيض.

أذِن له الرجل بالدخول. كانت الكلاب السوداء الثمانية متحمسة جدًّا لزيارته غير المتوقَّعة ، حتى إنها عند اندفاعها كادت توقع الملاكم أرضًا. وكان من الواضح أن معلوف لم يكن على متن الحافلة نفسها ، وهذا يعني أنه يجب عليهما الانتظار لخمس وثلاثين دقيقة أخرى ، فذلك هو الوقت الفاصل بين حافلة وأخرى. التقط الرجل العجوز مفتاح المنزل الخارجي من خُطَّاف خلف الباب ، وذهبا معًا إلى الباحة في الخارج.

سأله الرجل العجوز: «سامي ، كيف حال أخويك ؟».

«لماذا تسأل ؟».

«التقيت أخاك الأكبر منذ فترة ، ولكن مضى وقت طويل منذ رأيت الأصغر».

«حسنًا».

«هل الأمور على ما يُرام ؟».

«إذا كنت مُهتمًّا ، يمكنك أن تدعوه وتسأله بنفسك».

أومأ الرجل العجوز برأسه ونظر إلى الأرض، وعلى شفتيه ابتسامة رضا. إنها حساسية سامي المُفرطة عند تعلُّق الأمر بأخويه، كما اعتادها دومًا.

في الباحة بين المنزلين الخارجيين كان للرجل العجوز قبو أرضي بُني منذ الخمسينيات، صُفَّت الأحجار فيه بعضها فوق بعض على الطراز القديم، وقد غطت الطحالب سقفه، وبدا البناء بعد مرور بضعة عقود فقط في قِدم الغابة المحيطة به.

توقَّف الرجل ومعه سامي عند القبو لجلب الطعام للجِراء، والتفَّت الكلاب الثمانية حولهما. احتفظ في قبوه بطعام الكلاب وورق المطبخ والحمَّام وأي شيء آخر لا يتسع له مخزن المؤن في المنزل، وكان القبو أكبر كثيرًا مما يبدو عليه وهو يستند إلى الصخور وراءه.

في الظلمة الحالكة في أقصى المساحة الخلفية، احتفظ الرجل العجوز بقرابة خمسين صندوقًا أو أكثر، مكدَّسةً بعضها فوق بعض، وكلٌّ منها محشو بالأوراق المصرفية المُرتبة داخل أكياس بلاستيكية، وبجوارها بيانات عن كل حساب، مجموعها الكلي ضخم ومثير للدهشة.

يُرجَّح أن تكون تلك النقود على حافة التعفن في ذلك القبو البارد الرطب، لكن الرجل العجوز لم يَبدُ قلِقًا من ذلك، ففي النهاية ليس هناك شيء محدد يرغب في إنفاقها عليه.

طلب الرجل من سامي أن يحمل طعام الكلاب، ثم ذهبا بصمت لإطعام الجراء الجائعة دومًا.

اختفى الرجل العجوز في غرفة نومه في الطابق العلوي بعد عودتهما إلى المنزل الرئيسي، بينما جلس سامي في المطبخ مُتطلعًا إلى الماء وهو ينساب خلال مرشح القهوة لمدة عشر دقائق كاملة. كثيرًا ما وجد صعوبة في البقاء ساكنًا، وبدون أن يفكر في الأمر بدأ ينقر الأرض بقدمه بنفاد صبر، وبإيقاع ثابت، وبطريقة عنيفة، إلى درجة أن ساقه انتفضت برُمتها.

أمعن النظر خارج النافذة، فرأى ميشال معلوف مُقبلًا عبر الغابة، وسمع أيضًا صوت

خطوات على السلالم يعود إلى الرجل العجوز الهابط إلى الأسفل.

كان ميشال معلوف أقصر قامة من سامي ، وقد اعتاد المشي وكتفاه منحنيتان بشكل طفيف ، ومع هذا يتحرك بسرعة وعزم. ظهرَ معلوف مرتديًا حذاءً ملائمًا للغابة ، ويبدو أنه يتجمَّد بردًا.

فتح الرجل العجوز الباب فانحسر وجه ميشال عن ابتسامة متميزة ، كاشفًا عن صفين من أسنان بدت لامعة مقارنةً بذقنه الأسود الأنيق.

قال: «مرحبًا».

مد معلوف يده متناسيًا أن الرجل العجوز لا يصافح الآخرين مطلقًا ، بسبب تلك الكلاب والفوضى المحيطة بالمكان ، مما جعله لا يشعر بالإحراج وقتئذ.

قال الرجل العجوز: «وصلَ سامي».

رد معلوف: «سامي ؟ سامي ذاك ؟».

فارقته ابتسامته ، وتلعثم وتجهَّم وجهه ، ومرر يده ببطء على لحيته ، بينما ظهر سامي عند مدخل المطبخ.

قال الملاكم: «يا لها من مفاجأة».

رد معلوف: «نعم ، نعم».

قال الرجل العجوز وهو يشقُّ طريقه خلال حشد الكلاب في الرواق: «إنه الوقت المناسب لبعض القهوة».

جلسوا حول طاولة مطبخ متهالكة. لف سامي ومعلوف أيديهما حول كوبي القهوة الساخنين ، وهما يتعجبان من رجل يعيش في مكان بارد كهذا. بدأ أحد الكلاب في النباح خارج المطبخ ، ولم يمر وقت طويل قبل أن تنضم إليه جماعته من الكلاب ، فأسكت الرجل العجوز كلابه بأمر مقتضب بدون أن يرفع صوته.

حدَّق سامي ومعلوف أحدهما في وجه الآخر.

شاركا الكلاب احترامها للرجل العجوز ، وعلى الرغم من هذا لم يدَّعيا أنهما يعرفانه أو يحبَّانه. لم يكن العجوز من الأشخاص الذين تشعر بالتعاطف معهم ، ومع ذلك يأتيان

إليه كلما اتصل بهما. ولمَ لا وهو يمتلك أفكارًا مثيرة غالبًا.

قال الرجل عندما طالباه برفع درجة الحرارة: «أنتما لا ترتديان ملابس كافية».

تراجع سامي عن إخباره بضرورة شراء مدافئ تعمل بالبطارية في هذه الأيام إذا كانت مشكلته هي افتقار الكوخ إلى الكهرباء.

استدرك الرجل العجوز: «لديَّ اقتراح، أو ربما تساؤل».

أصغى سامي ومعلوف، وهما يجلسان متجاورين، والفرق بينهما واضح؛ فنظرة سامي منفتحة ومشجعة ومتلهفة لسماع العبارة التالية، حيث بدا الأمر مُشوِّقًا، بينما جلس معلوف مولِّيًا وجهه إلى الجهة الأخرى، متوترًا وغير مكترث، وتائهًا، وعندما التقت عيناه مباشرة بعيني الرجل العجوز وجده يطالعه بفضول المراقب الحذر.

قال الرجل العجوز: «هناك بناية في فاستبيرغا المألوفة لكما، بناية تحتوي على كميات كبيرة من النقود، وقد لاحت فرصة ما...».

زمجرت الكلاب، وبدأت في اللعب، وبدا لاحقًا أنها تقفز فوق الأثاث في الغرفة المجاورة، لكن اللعبة انتهت قبل أن يتفوَّه الرجل العجوز بكلمة واحدة.

أكمل الرجل العجوز: «أعرف امرأة يُمكنها أن تساعدنا. هناك فرصةٌ على الأقل، فهي تبحث عن رفقة، وقد سُجِّلتْ في تلك المواقع. تعرفان ذلك النوع من البشر الذي يُمكنه صُنع المواعيد».

هزَّ سامي ومعلوف رأسيهما عند سماع «صُنع المواعيد»، وأوشكا على السخرية من اختياره لتلك الكلمات، لكن مع الرجل العجوز ليس هناك مزاح، أنت معه تُبقي فمكَ مُغلقًا وتستمع فقط.

شربا قهوتهما الثقيلة شديدة المرارة، وانتظرا منه أن يواصل.

«لهذا السبب طلبتكما هنا».

وتابع بعد توقُّف قصير: «ظننتُ أن الأمر يهمُّكما، وربما ترغبان في لقاء الفتاة. إنها في عُمركما. اخرجا معها وتناولا العشاء. يمكن أن تقولا إنكما حصلتما على بياناتها من الموقع».

حدَّق سامي ومعلوف أحدهما في وجه الآخر، إذ لم يكن أيٌّ منهما يفتقر إلى وجود النساء في حياته.

قال سامي: «مع الأسف، لا أعتقد أني أستطيع فعل ذلك. سأُرزق بطفل، أنت تعرف ذلك؟».

أومأ الرجل العجوز: «نعم، أعرف. وقريبًا جدًّا، أليس كذلك؟ لا يصح أن يبقى ابنك وحيدًا، ماذا كان اسمه؟ جون؟ ألم تقُم بتعميده حتى الآن؟».

قال سامي بدون أن يُجيب عن السؤال الخاص بالتعميد: «لا يمكنني مواعدة فتاة».

ثم أكمل وهو يُحرِّك قدميه في محاولة لتدفئتهما: «ولا حتى التظاهر بذلك. تعرف ما أقصده. فضلًا عن أني لن أقوم بهذا النوع من الأمور بعد اليوم. لديَّ شيءٌ آخر أمضي فيه... أنت تعرف».

أومأ الرجل العجوز ولم يتغيَّر انطباعه المرسوم على وجهه، وبدا الأمر كأنه لم يسمع اعتراض سامي.

تساءل: «ما رأيك يا ميشال؟».

قال معلوف: «نعم. أجل. أعني... أستطيع مواعدة أي واحدة. أعني تلك الفتاة... لكنْ هناك مركز للشرطة على بُعد مائتي متر من ذلك المكان في فاستبيرغا. إنها لن تستطيع تغيير هذا، هل يُمكنها؟».

لم يُجبه الرجل.

أكمل معلوف وهو وجلٌ من مخالفة الرجل العجوز من جهة، وراغبٌ في توضيح شكوكه من جهة أخرى: «كلا كلا. و... نعم... لديهم حراسٌ في الاستقبال طوال اليوم وطوال الأسبوع، ومئات الكاميرات أيضًا. إنه أحد أكثر الأقبية أمانًا في أوروبا، لكن... ربما هي تعرف كل ذلك».

لم يبدُ على الرجل العجوز أنه أدرك المزحة.

قال: «التقِ بها».

ثم استدار نحو سامي: «استمع إليها، ربما تقول شيئًا مهمًّا».

سحب سامي ياقة معطفه وبدا في حاجة إلى بعض الهواء، ثم ردَّ بأدب كأنه عرض عليه بسكويتة أخرى: «كلا. شكرًا. الأمور جيدة بالنسبة إليَّ».

تطلَّع الرجل إليه بلا انطباع على وجهه، ثم استدار نحو معلوف: «ميشال؟».

«نعم. أو...».

ثم غيَّر رأيه: «لا أدري».

قال الرجل العجوز: «إذا اصطحبتها إلى العشاء في الخارج فسوف أدفع فاتورة الحساب. وحتى إذا انتهى الأمر إلى شيء آخر فسأُساعدك.. ماديًّا بالطبع».

أومأ معلوف: «بالتأكيد، بالتأكيد. كلا، كلا».

«كلا؟».

أشار معلوف إشارة مبهمة يصعب تفسيرها، إذ لم يُرِد أن يبدو رافضًا للأمر. ونظر إلى سامي الذي هزَّ رأسه بشكل حاسم وهو يفرك يديه معًا التماسًا للدفء. كان كلاهما يُكِن احترامًا عظيمًا للرجل أسوة بكلابه، ولكن في هذه المرَّة يبدو أنه تعلَّق بقشة.

قال الرجل العجوز وهو ينهض بجوار الطاولة: «هل يخيبُ ظني هنا؟ هذا يُخيِّب ظني».

اجتاح الصمت الثقيل أرجاء المطبخ، وشعر الضيفان بعدم الراحة.

أخرج الرجل قصاصة ورقية من جيبه وأعطاها إلى معلوف: «تستطيع على الأقل أن تأخذ هذه. إنها بيانات الفتاة وكيفية الاتصال بها إذا غيَّرتَ رأيك».

قال معلوف وهو يأخذ القصاصة ويدسها في جيب سترته: «لن تعرف إطلاقًا. لن تتمكن من ذلك».

أضاف الرجل: «أظن أنكما تستطيعان تحقيق شيء ما بالفعل.. شيء مثير.. إذا عملتما معًا».

كانون الثاني - أيار 2009

2

سار ميشال معلوف على طول الضفة حديثة البناء بالقرب من نهر هورنسبيرغ ، مرتديًا معطفًا أسود خفيفًا فوق بدلة غامقة اللون ، ومنتعلًا حذاءً أملس النعل غير ملائم للأرض المتجمدة ، مما جعل قدميه تزلان عن الطريق بين الحين والحين ، وحاملًا حقيبة أوراق سوداء بإحدى يديه ، ساعدته كثقلٍ في الحفاظ على توازنه عندما انعطف نازلًا في اتجاه القناة على الجانب الآخر من جسر إيكيلوند.

وصل مبكرًا. لم يكن الاجتماع ليبدأ قبل الثانية ، مما يعني أنه لا يزال لديه عشرون دقيقة لتبديدها. أوقف سيارته «السيات إيبزا» ذات المقاعد الرمادية الفاتحة أمام مدخل مكاتب «م4أ» ، وتلك السيارة هي الأكثر تواضعًا من بين السيارات التي قادها من قبل ، ولو كان في موقف سيارات واسع ومر بجوارها لتجاوزها غير عابئ ، لكنه فضَّل ألَّا يقوم بلفت الانتباه إليه ، وكأن سيارة «سيات إيبزا» صُممت لهذا الغرض تمامًا ، ومع هذا لم يكن يطيق الانتظار بداخلها لنصف ساعة.

لم يسبق له أن كان قريبًا إلى هذه الدرجة.

ولم يكن مشيه السريع ذاك رغبةً في استجماع شجاعته ، بقدر ما كان نتيجةً لفرط الشعور بالإثارة.

عاد الطقس البارد بعد ليلةِ رأس سنة دافئة ، لكن القناة الضيقة كانت لا تزال سالكة ، وربما حرصت المدينة على إبقاء كل قنواتها خالية من الثلج. لم يعرف معلوف أي شيء بخصوص ستادشاغين ، فهو ليس من الأحياء القريبة منه.

وُلد ميشال معلوف في لبنان ، وهربت عائلته من الحرب الأهلية الدامية في البلاد وهو في السادسة ، وشقت طريقها نحو إيطاليا عبر الساحل ، لكنَّ وجهة والده الأخيرة كانت واضحة سلفًا. كانوا سيذهبون إلى إسكندنافيا ، ذلك الفردوس الأرضي. لماذا أو كيف توصَّل والده إلى الاعتقاد بأن تلك البلدان الشمالية هي الحل لكل مشكلاتهم ؟ لم يكن ميشال الصغير يعرف ذلك ، ولم ينشأ على سؤال والده. استمرت رحلتهم من إيطاليا نحو الشمال ، وقد استبدلت بالألوان البراقة والشتاء الدافئ المتوسطي نورلاند الجادة

الباردة. كانت ذكريات ميشال الأخيرة عنها هي التجمد بردًا باستمرار. وبعد عامهم الأول في السويد، في شمال البلاد تقريبًا، عند منتصف المسافة بين أوسترسوند وأرفيدسجور، ضاق والد ميشال ذرعًا من السكون والظلمة والغابات، فأمر العائلة بحزم أمتعتها القليلة مرَّة أخرى. ما زال الحلم السويدي قائمًا، لكن العيش بالقرب من الدائرة القطبية أمر متطرف جدًّا. كان ميشال في الثامنة عندما توقفت سيارة «الفان» الخاصة بنقل الأغراض في الخارج. قامت العائلة بمدِّ جذورها في ضواحي ستوكهولم في فيتجا بدلًا من ذلك، وهو مكان مرتبط بالجرائم والفقر والمشكلات الاجتماعية. وهناك وَجدت عائلة ميشال الأمان المنشود، ووجدت الإيجابيات أكثر بكثير من السلبيات التي يمكن تجاهلها. ولا تزال العائلة تعيش هناك حتى يومنا هذا.

عند طرف جسر أيسينغليدين قفل ميشال عائدًا، وكانت الحشائش على حافتي الطريق مُغطاة بطبقة رقيقة من الجليد، مما جعل المياه الرمادية القاتمة أكثر إشراقًا.

من بين كل أحياء ستوكهولم كانت ستادشاغين الأقل تميزًا، حيث عُرفت تلك المقاطعة بأنها منطقة صناعية منذ الخمسينيات، وخلت من أي ميزة إضافية سوى توفير بعض الأمتار المربعة زهيدة الثمن وأرصفة الميناء المتاحة. أدرك السياسيون ومصممو المدينة في الوقت الحالي فقط أن الموقع المهم لهذه الأرض الصناعية والتجارية الكئيبة ما كان يجب تجاهله، وعقدوا العزم اليوم على تحويل هذه المنطقة إلى مكان خلَّاب للسكن.

شعر ميشال عند عودته في اتجاه ساحل هورنسبيرغ، ورؤيته لعلامات العمران التي تعثرت بسبب البرودة، بارتياح مألوف لعدم عيشه وسط ستوكهولم.

أحب فيتجا، ولم يشعر يومًا برغبة في القدوم إلى المدينة، بل على العكس من ذلك، شعر دومًا برغبة في الهروب منها.

نظر إلى ساعته، عشر دقائق حتى الثانية.

أخذ معلوف نفسًا عميقًا.

جلست امرأة مُسنة، ذات شعر أشقر مصفَّف بعناية، ونظارة سوداء الإطار، في

مكتب الاستقبال، وعلى الحائط خلفها لمعت شارة «م 4 أ» مثل أيقونة مقدسة غرضها أن ينحني أمامها جميع الموظفين في كل مرَّة يأتون فيها إلى مكاتبهم.

رمقت المرأة معلوف بنظرة صارمة وهو يصعد السلالم من الشارع.

عدَّل ربطة عنقه بشكل لاشعوري، ودفع شعره الطويل بسرعة خلف أذنيه، ومرر يده على لحيته المشذبة، ثم ابتسم ابتسامة واسعة: «لديَّ اجتماع مع أنديرس ميلد عند الثانية».

لم تتهاوَ المرأة أمام سحره، وأومأت على مضض، وطلبت منه أن ينتظر في الجانب الأيمن من غرفة الاستقبال ريثما تتصل بسكرتيرة ميلد.

لم تكن الأريكة الصغيرة مريحة كما تبدو، وبعدما جلس معلوف عليها تذكَّر كم كان يمقت ارتداء البدلة الرسمية، بتصميمها المعاصر الذي جعلها ضيقة عند كتفيه. اشترى ربطة عنق ذات لون أحمر داكن في اليوم السابق، واستغرق عشرين دقيقة في الإخفاق المتكرر كي يصل إلى عقدة جيدة. كيف يُفترض أن يشعر الشخص بالنجاح مع وجود تلك الأُنشوطة حول عنقه؟

انحنى معلوف إلى الأمام، وأمعن النظر في رواق المكاتب.

كان أنديرس ميلد ينتظر المدير التنفيذي ورئيس مجلس إدارة «م4أ» في السويد، وقد ساعد زوران ميلكوفيتش صديقه معلوف للوصول إلى هذا اللقاء. ظهرت سكرتيرة ميلد في الممر متجهةً نحو معلوف، فأدرك كيف استطاع ميلكوفيتش مساعدته. بدت السكرتيرة شابة جميلة جدًّا، فنهض معلوف ليصافحها، متشبثًا بيد حقيبته السوداء بقوة.

قالت وهي تقوده نحو غرفة اجتماعات واسعة تُطل على أسطح البنايات المجاورة وأعالي الأشجار الموجودة بجوار القناة في الأسفل: «هل أُحضِر لك شيئًا؟ ماء، قهوة؟».

قال معلوف: «بالتأكيد. هذا جيد. شكرًا».

سحب معلوف كرسيًّا من حول طاولة مستطيلة، ووضع حقيبته على كرسي مجاور.

تساءلت الفتاة وهي لا تعرف إن كان ضيفها أجاب بنعم أو لا بخصوص اقتراح القهوة: «هل ستحتاج إلى جهاز العرض؟».

لم يفهم مقصدها في بادئ الأمر.

أوضحت: «من أجل التقديم. ستُقدِّم عرضًا لأنديرس، أليس كذلك؟».

هزَّ معلوف رأسه موافقًا: «بلى، بلى... لكني اليوم لستُ في حاجة إلى جهاز عرض».

ثم قال وهو يربتُ على حقيبته مع ابتسامة: «هذه هي آلة العرض».

أومأت غير مكترثة بما عناه، ثم غادرته تاركةً الباب مفتوحًا لاستدعاء رئيسها، وتحمَّس معلوف جدًّا للبقاء جالسًا.

أجرى معلوف كثيرًا من الأبحاث مع زوران ميلكوفيتش، وعلما أن شركة «م ف 4» هي أكبر شركة أمنية في العالم، حيث تعمل في 125 بلدًا، وهي واحدة من أكبر القطاعات الخاصة بما يزيد على 600000 موظف. ويمكن تتبع الأصل المتواضع لتلك الشركة بالعودة إلى كوبنهاغن حينما كانت الألعاب النارية تضيء سماء الليل احتفالًا بفجر القرن العشرين، حيث وُلدت وقتئذ شركة صغيرة تستأجر الحراس الليليين، وبعد عدة عقود أُطلق على الشركة اسم «مجموعة فالك 4»، وكانت في حاجة إلى بعض الوقت لكي يتزايد نموها فعليًّا.

أوضح زوران ميلكوفيتش لمعلوف: «يتمحور كل شيء حول النقود. أعني أنك يمكن أن تعيش سنة بعد أخرى بغير أن يحدث لك شيء حقيقي... أنت لم تُدر شركة أمنية من قبل؟ بدون موارد لن تتمكن من الوصول إلى أي مكان».

بعد مرور وقت قصير على بداية القرن الجديد أولى بعض الرأسماليين المجازفين اهتمامهم فجأة للعمل في المجال الأمني، حيث فتحوا خزائنهم، ولوَّحوا وهدَّدوا بسياطهم، وغيَّروا اسم الشركة إلى «مجموعة 4 الأمنية»، واندفعوا في خطة موسعة للاستحواذ في السويد، ثم تهاوت شركة «أباب» التي تمتلكها الولاية أمام الشركة الإنجليزية النامية. راودت الذكريات ميلكوفيتش وقتئذ، فأخبر معلوف بقصة طويلة عديمة الجدوى عن دأبه في خداع حراس «أباب» في المنطقة الصناعية.

نمت «مجموعة 4 الأمنية» أو «م4أ» بسرعة متزايدة بعد تغييرات الأسهم في بورصة لندن، ثم انفصلت أخيرًا إلى قسمي عمل مختلفين: «م4أ» للقسم الأمني وتتعامل مع

المراقبة، و«م4أ» للقسم المادي وتقوم بتأمين نقل الممتلكات الثمينة.

لم يترك أنديرس ميلد، المسؤول عن القسم المادي ل.«م4أ» في السويد، ضيفه ميشال معلوف منتظرًا لأكثر من دقيقة أو دقيقتين في غرفة الاجتماعات.

كان ميلد أزرق العينين، متوسط الطول، وبدت رقبته نحيلة جدًّا لكي تحمل رأسه، يرتدي بدلة رمادية متألقة، وقميصًا أزرق فاتحًا فُتحت أزراره عند الرقبة. تحرك بحيوية حول طاولة الاجتماعات، وصافح معلوف، ثم أشار في اتجاه الرجل الأكبر سنًّا الذي حضر من ورائه واختار البقاء على الطرف الآخر من الطاولة.

قدَّم أنديرس ميلد زميله: «هذا ريك ألمانزا، المسؤول عن نشاطنا في أوروبا، وهو رئيسي، وقد أخبرته بخصوص اجتماعنا، فرأى أنه من الأفضل أن يطير من لندن كي ينضم إلينا. هل يناسبك أن نكمل حديثنا باللغة الإنجليزية؟».

أومأ ميشال مبتسمًا.

هل هذا صحيح؟ ماذا قال لهم زوران بالتحديد؟ لم يكن أنديرس ميلد يعرف شيئًا عن معلوف الذي لم يستخدم كُنيته الحقيقية عندما حجز ذلك الموعد كي يتجنب أي مشكلات مع غوغل. هل يطير الأشخاص حقًّا من لندن لأسباب واهية كتلك؟ هل هذا فخ؟

كان الشك هو كل ما يحتاج إليه ميشال معلوف بالفعل، فخفَّف قلبه المتوثب من سرعته، واسترخت أعصابه، وشحذ هذا التحدي الجديد تركيزه. وتلك هي الطريقة التي يعمل بها.

بدا متوترًا بشدة قبل عرض المهمة، لكنه لم يبدُ كذلك مطلقًا حين شرع في عرضها. أومأ برأسه ثم صافح ريك ألمانزا بحماس من فوق الطاولة.

«الإنجليزية. لا توجد مشكلة. تشرفتُ بلقائك حقًّا».

عاد أنديرس ميلد إلى جوار رئيسه في الجهة الأخرى من الطاولة.

سأل معلوف نفسه هل يتحرك في اتجاه اللوح الأبيض، لكنه قرر عكس ذلك، ولم يبدُ أنه سيقوم برسم شيء ما.

حدَّق إلى ياقة سترة ميلد ، حيث توجد شارة تحمل شعار «م4أ» ، وقد اعتاد ميشال على سرقة سيارات النقل المؤمَّنة التي تحمل تلك الشارة نفسها منذ بدايات مراهقته.

هل يدرك الرجلان أنهما سمحا لأحد أشهر اللصوص في السويد بالدخول إلى غرفة الاجتماعات الخاصة بأكبر شركة أمنية في العالم؟

3

ربط سامي فرحان حذاءه عند المدخل في الخارج، وارتدى معطفه السميك داكن الاخضرار فوق قميصه الصيفي، وكان على وشك أن يخطو نحو بهو السلم عندما سمع جون يستيقظ.

توقف عند المدخل، وتلمَّس بأصابعه مقبض الباب مُصغيًا بتركيز. لقد وضعا المهد في غرفة نومهما بجوار النافذة، وأغلق هو الباب بحذر كي يتجنب إيقاظ الصبي أو كارين. كانت الساعة السادسة صباحًا، ووقف ساكنًا عندما انقطعت الهمهمة للحظة، لكنه سمع بعدها صوت قرقرة متوقعة يتزايد تدريجيًّا.

كان الطفل يصحو بالتأكيد.

أغلق سامي الباب الأمامي بهدوء، وشقَّ طريقه عائدًا بسرعة عبر الردهة نحو غرفة النوم وهو لا يزال مرتديًا معطفه وحذاءه. كانت كارين نائمة، لكنها استدارت بشكل قلِق في السرير المزدوج الكبير. سبق أن استيقظت مرَّتين أو ثلاث مرَّات أثناء الليلة الماضية، ولم يكن متأكدًا من ذلك. رفع سامي الجسد الصغير من المهد، وحمله على سترته الناعمة وهو يؤرجحه ويهدهده، لكن محاولاته كلها باءت بالفشل، حيث كان جون جائعًا ولن تسكته الأرجحة.

غمغمت كارين عبر وسادتها: «كم الساعة الآن؟».

أنزل سامي الرضيع بحذر إلى السرير بجوارها، وتسببت رائحة حليب صدرها في ولولة جون، فسحبت كارين الأغطية جانبًا مظهرةً بطنها المستدير الممتلئ، عارضةً ثديها لطفلها الجائع.

تساءلت وهي لا تزال تجهل الوقت: «إلى أين تذهب في هذا الوقت المبكر؟».

تعرَّق سامي تحت معطفه السميك، ووقف تائهًا في وسط غرفة النوم، منتفضًا بتوتر كأنه لا يزال يحمل الرضيع، ولم يستطع تحويل عينيه عنهما: المرأة الحامل بثديها المكشوف، والطفل الصغير الذي يرتشف طعامه. إنها عائلته.

امتلأت الغرفة برائحة الأجساد.

تساءلت: «هل ستذهب إلى المدرسة ؟».

نخرَ سامي ، وكان يمكن تفسير ذلك بأنه تأكيد حتى لو لم يكن كذلك.

«كم الساعة الآن ؟».

«إنها السادسة وخمس دقائق».

تمكَّنت كارين في الدقيقة نفسها من فتح عينيها ، وأدارت رأسها ، فرأت الساعة الرقمية على الطاولة إلى جوار السرير ، وكان محقًّا.

السادسة وخمس دقائق.

«هل شرعوا في تقديم المحاضرات عند الفجر أو شيء من هذا القبيل ؟».

ابتسمت بينما عيناها لا تزالان مغلقتين وكان الرضيع قد ارتوى.

سُجِّل سامي في الفصل الدراسي الثاني في مدرسة كريستينبيرغ للطهو. لطالما أجاد الطهو ، لكنه سيقوم الآن بتعلم الحرفة من البداية. لقد وعدها. عندما أصبحت حاملًا للمرَّة الأولى وجَّهت إليه إنذارًا أخيرًا ، بطريقتها الواضحة المعتادة. أوضحت أنه لو ظل والد طفلها معرضًا لخطر الذهاب إلى السجن فإنها ستجد أحدًا غيره يكون لديه طموح مختلف في هذه الحياة ، فإما أن يتوقف عن قضاء أيامه في التخطيط لسرقة ما أو لاقتحام آخر ، وإما سيتوجب عليه أن يختفي مباشرة قبل أن يتعلق عاطفيًّا بالرضيع ، وهكذا.

لم يكن هناك شك عند سامي ، وبدا أنه مستعد لفعل أي شيء من أجل كارين ، ولهذا السبب تقدَّم إلى كريستينبيرغ ، وقرر أخيرًا أن يحظى بعمل حقيقي.

أجابها وهو يزوِّق الحقيقة: «سوف يذهب الصف بأكمله إلى فارتهامن للقاء القوارب القادمة المحملة بثمار البحر».

تحدث كالمعتاد بمساعدة ذراعيه ويديه ، وأشار في اتجاه فارتهامن ، وكيف تتحرك القوارب في الميناء ، وعبَّر بإشارة ما عن أحد أنواع ثمار البحر.

همست كارين مع ابتسامة: «اذهب. ربما نعود إلى النوم مجددًا».

أومأ برأسه ناقرًا الأرض بقدمه كأنه يواكب نغمة مزدوجة الإيقاع ، لكنه لم يتحرك ، وكان جون يمتص طعامه بصخب.

أحست كارين بتردده ، ففتحت عينيها ونظرت إليه وهو يقف أمامها مرتديًا ملابسه كاملة ، وابتسمت: «أنت وسيمٌ جدًّا. لا تقف هناك ثم تبدو وسيمًا لدرجة لا تحتمل. اذهب».

اصطنع الابتسام وأومأ ثانيةً ، ثم حرر نفسه من ذلك السحر باستدارة مفاجئة ، وتوجه عائدًا نحو الردهة ، وركض نازلًا على السلالم غير المنتظمة في مبناهم القديم في هوغبيرغسغاتان.

تركت آلاف الساعات على تلك الحلبة أثناء سنوات مراهقته بصمتها عليه ، فطار على السلالم بالفعل.

عندما خرج إلى هواء شباط (فبراير) البارد سمح لنفسه أن يشعر بالفخر. وأثناء نقاشاتهم ولقاءاتهم في الخريف الماضي احتفظ بهذا الشعور لنفسه. كان هناك الكثير من النهايات الفاشلة التي لم يرغب في التحدث بشأنها بإسهاب ، لكنه الآن يجرؤ أخيرًا على الاعتقاد بأن ذلك قد يحدث.

هرول سامي في الشارع ، ولم يكن وِركه يُزعجه بدرجة كبيرة ، لكنه لا يزال مصممًا على المضي في إجراء العملية التي تحدَّد موعدها في آذار (مارس). أخذ الثلج الذي تساقط أثناء الليل في التلاشي مع تقدُّم اليوم ، وعندما استدار عند زاوية كاتارينا فاسترا كيركوغاتان بدت الأشجار العارية في باحة الكنيسة أشبه بالخطوط البيانية السوداء على السماء الرمادية الداكنة. لن تُشرق الشمس إلا بعد ساعات.

اقتضت الخطة أن يرجع إلى كارين عند الغداء بعد توقف سريع بالقرب من سيستِمبولاغيت لشراء زجاجة كبيرة من المويت للاحتفال.

وصل إلى السيارة ، وجلس خلف المقود تعلو وجهه ابتسامة. ذكَّر نفسه: بدون كارين وجون ، لم يكن ليصل إلى هذا قَطُّ. لم يكن حتى ليحاول.

قاد سيارته نحو كاتارينا فاغين ، وهو يفكر في كل النصائح التحذيرية التي قدَّمها له عبر السنوات عزَّابٌ سابقون يشعرون بالمرارة ويشتاقون إلى حياتهم الهانئة ، هؤلاء الذين يعرفون جيدًا أن وجود أطفال يعني ألَّا نوم في البداية ، ثم لا جنس ، ثم لا حياة.

أوشك أن يقول إنهم محقون بشكل جزئي ، لأنه ينام بصورة سيئة ، ولم تكن حياته الجنسية شيئًا يمكن أن يفخر به ، لكن جون كان معجزة تفوق كل ذلك.

التغيير صعب دائمًا ، فالناس يبقون في العمل نفسه عامًا بعد آخر لأنهم لا يجرؤون على تجربة شيء جديد ، ويتسكعون مع أصدقاء طفولتهم الذين كبروا بعيدًا عنهم لأنه يسهل عليهم التواصل معهم بدلًا من إيجاد شخص جديد. كانت طفولة سامي عبارة عن رحلة طويلة من الاكتشاف في ضواحي ستوكهولم الجنوبية. لم يكن يعرف إن كان قد امتلك عشرين أو أربعين عنوانًا سابقًا ، ولكن الأمر لا يهم ، ففي أيامه لم يكن التمييز العنصري كما هو عليه الآن. في ذلك الوقت كان الناس يتجمعون معًا: المسلمون ، والمسيحيون ، واليهود ، والأتراك ، والعراقيون واليوغسلافيون. تعلَّم أن ينسجم مع الجميع ، ووجد سهولة في أن يتحدث ويكون صديقًا لكلٍّ من الفنلنديين المهاجرين واللاجئين الأفارقة. أضحى مثل الحرباء ، وأُجبر على أن يتعلم التكيُّف بسرعة مع الأوضاع الجديدة ، وكان ذلك مما استفاد منه الآن. كثيرًا ما فكر في الأمر مسبقًا ، ولكن في هذا الوقت أصبح ذلك حقيقة مؤكدة من أجل كارين والأطفال الذين وُلدوا والذين لم يولدوا بعد. سيترك حياة الإجرام خلف ظهره ، وسينزع جلده ، ولن يقوم بمحو آلاف الأسماء من قائمة معارفه لكنه سيضيف أسماءً جديدة عوضًا عنها.

لم تكن تلك الطريقة الأسهل لفعل ذلك ، لكنها كانت طريقته الخاصة.

قاد سامي فرحان عبر سكيبسبورن وبلاسيهولمين. كانت صبيحة الثلاثاء ، وحركة المرور في وسط ستوكهولم لا تزال خفيفة. على سطح الماء تمكَّن من رؤية «آف تشابمان» ؛ القارب الشراعي الذي تحول إلى نُزُل للشباب ، بهيكله الأبيض المتألق الذي يقبع بهدوء فوق الماء ذي اللون الأسود الذي يشبه الحبر.

خرج سامي في مزاج جيد ، وما اعتبره حذرًا اعتبره الآخرون حاجة إلى الهيمنة. سيذهب بالفعل إلى فارتهامن ، لكن وحده ، بدون رفقة زملائه من كريستينبيرغ. انتهت بالنسبة إليه تلك الساعات خلف مقعد المدرسة ، ولن يكون هناك مزيد من المحاضرات عن الطهو ، ولن يكون باستطاعته أن يمنح عائلته الحياة التي تستحقها عن طريق تقطيع

الخيار من أجل البوفيه البارد، أو صناعة صلصة بيرنيز من أجل الفيليه المتبل. ذلك الصباح هو اليوم الأول في حياتهم الجديدة، وكالمعتاد فإن الحظ هو ما وهبه هذه الفرصة. لم يكن من السهل عليه إيجاد النقود، فركن إلى كل شيء تمكّن منه: النقود التي سحبها من حسابه، وبعض الممولين الذين استعان بهم، وهم إخوته أولًا وغالبًا، الذين سخروا منه، وشكُّوا فيه، وسموه «بائع السمك»، لكنهم وافقوا على الاستثمار معه كالكثير من أصدقائه ومعارفه، وعم كارين الذي اشترك معه أيضًا، دون أن تعلم هي شيئًا عن الأمر. أموال نظيفة تُستثمر في مشروع ما.

استفاقت نايبروبلان في الوقت الذي وصل فيه، وكان هناك أشخاصٌ يمشون من ستراندفاغين نحو هامنغاتان، ومن بلاسيهولمين إلى أوستيرمالم. لم تكن أحياء ستوكهولم الراقية تروق لسامي الساكن في سوديرمالم، فضلًا عن أن حياة الضواحي تبدو واضحة في مركز المدينة أكثر من مكانه الذي يعيش فيه، وقد مضى عليه وقت طويل وهو يعيش تلك الحياة.

وُلِدت كارين فلودين وترعرعت في المناطق حول نيتورغيت، حيث المدارس هناك من أفضل مدارس المدينة. إنها سوديرمالم حيث سيكبر أطفاله.

أحب سامي كارين منذ وقت طويل، وقد آمن دومًا بأن هناك حبًّا حقيقيًّا واحدًا في انتظار كل إنسان، وبأنه كان محظوظًا حين التقى بحبه وهو في سن المراهقة.

في الوقت الذي تحوَّلت فيه كارين من كونها هوسه غير المسؤول صعب المنال، إلى حبيبته الحقيقية، تعاظم حبه لها إلى درجة لم يكن يتخيلها، واستحالت الأحلام المُبهمة أخيرًا إلى واقع ملموس.

أثارت ضيقه أنابيب معجون الأسنان المطوية، والصحون القذرة، والملابس الداخلية المجعدة على أرض الحمَّام، ولم تكن قَطُّ جزءًا من خيالاته، لكنه لم يكن يتصور كيف تبدو رائحة بشرتها عند منطقة البطن في الصباح، وكيف تلتمع عيناها عندما تراه، وكيف تمسك يديه عندما يخبرها بحكاية ما، حيث تتمسك بهما بثبات، وتنظر بعمق إلى رُوحه كاشفةً أشياء عنه لم يكن هو يدركها في نفسه. وعندما أضافت إلى كل ذلك حملها في

وقت مبكر ، وأصبحت والدة طفله ، تعرَّض حبه إلى تحول آخر ، فأصبح أكثر وضوحًا. كان يفكر في ماهية شعوره لو فقدها ، وظل هذا هاجسه القلِق الدائم ، لكنه لم يعُد يتصور الحياة بلا كارين ، فهذه الفكرة مؤلمة جدًّا.

لهذا خرج سامي فرحان بسيارته في ذلك الصباح القاتم من شُباط (فبراير)، مُتجهًا عبر ستراندفاغين نحو حياته الجديدة.

4

رفع ميشال معلوف الحقيبة السوداء إلى مستوى الطاولة ، وقال بالإنجليزية: «هذه هي».

حدَّق المدير أنديرس ميلد والرئيس ريك ألمانزا نحو الحقيبة بريبة.

تساءل ميلد: «حقيبتك ؟ لكن... أعتقد أنني أخطأت في فهم شيء ما. ظننتُ أن هذا الاجتماع بخصوص تنظيم انسيابية انتشارنا في السويد».

ابتسم معلوف للرجلين ، ولمعت أسنانه فائقة البياض تحت لحيته الداكنة: «بالضبط ، بالضبط. ليست هناك طريقة أفضل لوصف الأمر.. انتشارنا في السويد».

تساءل ميلد: «ماذا تقصد ؟».

«أعني ربما... بما أننا نتحدث باللغة الإنجليزية الآن على أية حال فقد يكون هذا ذا فائدة في مكان آخر وليس فقط في السويد».

أفضل طريقة للتعامل مع الخداع هو الاعتراف به.

ما زال معلوف غير متأكد إن كان الرجل الإنجليزي هو نفسه أم لا ، ففكرة أن الرئيس حلَّق فقط كي يراه بدت له منافية للعقل.

بقي الرجل العجوز صامتًا ، وشعر معلوف أنه مرَاقب أكثر من كونه مستجوَبًا.

أكمل معلوف: «دعني أحدثكَ عن حقيبتي».

سبق أن أخبر معلوف سكرتيرة ميلد بأنه سافر من مالمو من أجل الاجتماع في ستوكهولم.

«كانت على الأرض تحت مقعد الطائرة بالأمس ، ووضعتها بجواري على المقعد في هذا الصباح وأنا أقود إلى هنا. ولهذا... حسنًا... كم من الأشخاص برأيكم قد انتبهوا إليها ؟».

بدا ذلك سؤالًا بلاغيًّا ، وبدت الحقيبة السوداء على الطاولة مغمورة كالغرفة التي يجلسون فيها. لم تكن زهيدة ولا ثمينة القيمة ، كما أنها افتقرت إلى التصميم بشكل كبير ، وبدت من بعيد مصنوعة من الجلد ، لكن النظرة القريبة إليها توحي أنها من البلاستيك الخشن.

بدأ الرجل الإنجليزي الذي أدرك أين يقودهم معلوف: «هل تقول؟».

ابتسم معلوف واتسعت ابتسامته: «نعم، نعم. هذه الحقيبة ليست تقليدية، إنها مؤمَّنة أكثر من أي حقيبة أمنية أخرى في السوق، وتحوي الكثير».

حاول أن يمنع خيلاءه من التحول إلى غرور، لكن الحقيقة أن معلوف نفسه كان مندهشًا من الحقيبة التي تقبع على الطاولة أمامه.

بدا أن أنديرس ميلد أدرك القصد من وراء اجتماع اليوم، وسبب وجود معلوف هناك، فتململ في كرسيه بضيق، وأطلق تنهيدة قصيرة. حاول كثيرون أن يبيعوا حقائب أمنية إلى شركة «م4أ»، مثل شركة سويدية من شمال البلاد في سكيليفتي، كانت متطورة جدًّا ولديها العديد من الزبائن عبر القارات. تأكد معلوف أن تلك الشركة كغيرها جاهدت للحصول على موعد، وأنه من غير زوران ميلكوفيتش الذي واعد سكرتيرة المدير لبقيت تلك الأبواب مغلقة دونه.

تأخر الأمر جدًّا بالنسبة إلى ميلد كي يفعل شيئًا بهذا الشأن، حيث كانت حقيبة معلوف على الطاولة بالفعل.

تساءل ميلد وقد بدا مُشكِّكًا في الأمر: «هل يمكن أن تكون كبيرة جدًّا من الداخل؟».

بدون ضجة إضافية، ومع حماس مُعدٍ، بدأ معلوف عرضه المفصَّل حول التجهيزات المخفية في الحقيبة.

تستخدم «م4أ» منذ سنوات حقائب أمنية زرقاء اللون تُنتج في جنوب ألمانيا، وكان أحد معارف زوران ميلكوفيتش الصربيين على رأس مصنع من تلك المصانع السرية، وهناك وُلدت هذه الفكرة. كانت الحقائب الألمانية كبيرة وضخمة، مما يحتم على الحراس أن يستخدموا عربات صغيرة كي يقوموا بتحريكها أو نقلها، ومن المستحيل أن يقوم الشخص بأخذ أو وضع النقود فيها بدون إثارة الانتباه إليه. وكنتيجة لهذا وللضرورة قاموا بتحويل تلك الحقائب الزرقاء الضخمة إلى مراكز تجسُّس متنقلة، فهي تحتوي فضلًا عن نظام تتبعِ المواقع الذي يصل إلى محيط مائة كيلومتر، على كاميرات أمنية مزروعة فيها، ومسجل صوت خفي، مما يعني أنها ستقوم بتسجيل وتوثيق كل شيء يقوله أو يفعله

اللص المفترض.

علم الكثيرون من أصدقاء معلوف بهذه الحقيقة من خلال المحاكمات، حيث يُقدِّم فيها النائب العام إلى المحكمة الدليل الذي لا يمكن إنكاره.

وطبقًا لما قاله ميلكوفيتش فإن ميزة الحقيبة العظمى هي قفلها المؤمَّن جدًّا، حيث إنه من المستحيل أن يتم فتحه بالمفاتيح التقليدية، ولا بمفكات البراغي، ولا العتلات، والقوة الكبيرة لن تجدي معه أيضًا، ولا يمكن للعديد من اللصوص معدومي الخبرة أو الهواة الانتهازيين فتح ذلك القفل، وحتى اللصوص المحترفون الذين يحاولون فتح الحقيبة الزرقاء في الورشة ويتعاملون معها من خلال معدات قوية يفشلون أيضًا. تُشكِّل الحقيبة فخًّا سريًّا، ويمكن أن تنفجر إذا فُتحت بصورة خاطئة بسبب تفجير أنابيب الصبغة، فتتلوث النقود، وملابس اللص في بعض الأحيان، أثناء هذه العملية.

أصبح ممكنًا للحقيبة السوداء التي يعرضها ميشال معلوف على الفرع الأوروبي لشركة «م4أ» في عصر ذلك اليوم من شُباط (فبراير) بستوكهولم، أن تفتخر بوجود المميزات نفسها الخاصة بالحقيبة الزرقاء، وبسبب أن تلك الشركة من سكيليفتي لم تحصل على براءة اختراع لمنتجهم، فقد استعارت منها حقيبة معلوف كثيرًا من المواصفات.

فضلًا عن ذلك، احتوت حقيبة معلوف السوداء على تحسينين جوهريين، فكانت أوسع من الحقائب الزرقاء، وجرى فيها اختزال المميزات الأمنية والتقنية وتخزينها في القعر لترك المجال للنفائس التي تحتاج إلى نقل. وانتهى الأمر إلى حقيبة خفيفة متفردة بالمقارنة مع الوحوش المستخدمة الآن.

قال ميلد بعد أن سمح لنفسه بالاقتناع بالفكرة: «مذهل».

وافقه معلوف: «نعم، نعم. نحن... إن صناعتها تتم في سلوفينيا، وهذا هو السبب وراء سعرها...».

نظر معلوف في أعين الرجلين مباشرة. لم يتحدثا عن الأسعار بعد، ولم يسأل الرجلان، ولم يرغب معلوف في أن يكشف الأمر حتى يتأكد من أنهما اقتنعا بالعرض. كان متفائلًا بشكل حذر بسبب القوة التي كانا يهزان بها رأسيهما أثناء عرضه. لم يكن سبر

أغوار الرجل الإنجليزي أمرًا سهلًا ، لكنه في النهاية سمح بأن تتسرب منه ابتسامة سريعة.

تنحنح الرجل الأكبر سنًّا ، ثم تحدث إلى أنديرس ميلد: «هذه مفاجأة حقًّا».

كانت إنجليزية ألمانزا مشابهة للَّكنة التي نشأ معلوف وهو يستمع إليها على التلفاز في نهاية السبعينيات ، حيث كانت البرامج مستوحاة من القلاع الإنجليزية والمزارع الريفية مع رجال بملابس خضراء من قماش التويد ، وهم يقومون باصطياد الثعالب في نهاية الأسبوع ويوظفون جيشًا من الخدم.

استدار الرجل الإنجليزي نحو معلوف موضحًا: «أنا في السويد لحضور مؤتمر ، ولن أسافر إلى الوطن قبل مساء الغد. سألني أنديرس عن رغبتي في الانضمام إليه في هذا الاجتماع ، فأجبت بالموافقة ، لأنه لم يكن لديَّ شيءٌ عاجل أفعله ، وأنا مسرور لأنني فعلتُ ذلك».

حاول معلوف أن يلجم ابتسامة رضا ، لكنه تمكَّن من ذلك بشكل جزئي فقط ، ثم داعب لحيته ونظر بفخر إلى حقيبته المؤمَّنة السوداء كأنها قامت بعمل جيد للتوِّ.

أكمل ألمانزا: «من الطبيعي أن يكون هناك العديد من الأسئلة التي يتوجب علينا العودة إليها ، من بينها الإجراءات الأمنية في مصانع سلوفينيا».

رد معلوف: «بالتأكيد».

«بعد ذلك ، هناك سؤال عن الحقوق الحصرية».

أومأ معلوف: «الحقوق الحصرية.. لو قدَّمت «م4أ» طلبًا ، فلن يتمكن أحد منافسيكم من شراء منتجنا بكل تأكيد».

وجَّه لهما معلوف ابتسامة واسعة ، فأومأ الرجل الإنجليزي برضا.

أدرك معلوف أن السعر أمر ثانوي بشكل واضح في هذه الصفقة ، لأنهما لم يسألا عنه إلى الآن. وقد ذهب إلى الاجتماع وفي نيته أن يطلب عشرين ألف كورونور مقابل الحقيبة الواحدة ، لكنه أدرك الآن أنه من السهل عليه أن يقول ثلاثين ولن يحدث فرق على الإطلاق. تجرأ على التفكير بصعوبة في كمية النقود التي يعنيها ذلك في السوق السويدية ، ثم تخيل لو كانوا يتحدثون عن أوروبا كلها.

طبقًا لزوران ميلكوفيتش فإن كل حقيبة تُكلِّف خمسة آلاف كورونور لإنتاجها، وعدد الحقائب التي تُستعمل في السوق السويدية في حدود عشرة آلاف، وهذا الرقم يسبب الدوار بلا شك.

أضاف ألمانزا ببرود: «يجب أن يكون هناك نقاش في لندن، وأكاد أجزم بأن حماسي سينتقل إلى زملائي هناك».

رفع حاجبه في إشارة إلى الثقة، وحتى يوضح أن هذا مجرد إجراء شكلي، أومأ أنديرس ميلد بالموافقة.

«هل ستتمكن من السفر إلى لندن لإعادة تقديم هذا العرض؟».

ابتسم معلوف وجلس: «بالطبع، بالطبع. أعطني بضع ساعات فقط وسأكون هناك».

بدا ألمانزا راضيًا.

عندما نزل ميشال معلوف وعائلته في أرلاندا قبل ثلاثين عامًا بالضبط، مزَّق جواز سفره اللبناني وألقاه في مقعد الحمَّام قبل أن يصلوا إلى نقطة الجوازات. وذلك ما كان عليه فعله وقتها، وتلك هي النصيحة التي قدَّمها إليه أقاربه الموجودون في السويد؛ فبدون جواز سفر يُعامل اللاجئون على أنهم «بلا هوية»، مما يقلل من إمكانية إعادتهم. فإلى أين سيعودون؟ في ذلك الصباح الباكر في حُجرة الحمَّام في المطار وُلد الشيء الذي سيندم عليه معلوف وعائلته طوال السنوات التالية، فقد سُمح لهم بالبقاء في السويد، لكن حصولهم على جواز سفر سويدي دون امتلاكهم لجواز أجنبي لاستبداله معه أضحى أمرًا مستحيلًا، وأثناء الوقت الذي انتظره معلوف كي يصبح المستحيل ممكنًا جرى اعتقاله للمرَّة الأولى.

ترتب على ذلك الاعتقال إعادته إلى نهاية الصف، وكان الشيء نفسه يتكرر مرَّة تلو الأخرى. وأصبح ميشال معلوف الآن في الثامنة والثلاثين، لكنه لا يمتلك جواز سفر، لا لبنانيًّا ولا سويديًّا. وبما أن إنجلترا كانت خارج نطاق الشينغن فلا توجد طريقة يمكنه من خلالها القيام بتلك الرحلة إلى لندن، وسيضطر إلى إرسال شخص آخر، ولم تكن تلك مشكلة كبيرة، فربما يستطيع ميلكوفيتش الذهاب.

وقف ريك ألمانزا ، وفعل ميلد الشيء نفسه.

قال الرجل الإنجليزي: «شكرًا جزيلًا ميشال. إنه من دواعي سروري أن أتعامل معك».

وقف ميشال مشوشًا وشاعرًا بالدوار ، ثم صافح الرجلين على الطرف الآخر من الطاولة.

ولمَ لا وقد كسب للتوِّ نقودًا أكثر مما حلم به دائمًا ، ملايين ، بل عشرات الملايين.

«شكرًا. بالنسبة إلى السعر... والنوعية وموعد التسليم ؟».

ضحك ألمانزا ، ثم قال: «لدينا الكثير من الوقت للعودة إليك في هذا الشأن ، فالعقد مع حقائبنا الأمنية الحالية لن ينتهي قبل 2024 ، وهذا سيمنحنا خمسة عشر عامًا للتفاوض».

تلاشت ابتسامة معلوف. هل سمعه جيدًا ؟ هل أساء الفهم ؟

أوضح أنديرس ميلد باللغة السويدية: «أنا على يقين أنك ستتفهم الأمر. لا يمكننا القيام بالكثير ما دمنا مقيدين بالعقد الحالي ، لكننا نخطط للمستقبل في «م4أ» ، وآمل أن تفعل الشيء نفسه».

2024 ؟

هل كانا يجرَّانه من ساقيه ؟

5

استدار سامي فرحان يسارًا إلى تيغيلودسفاغِن ، وقاد سيارته عبر سكة القطار في اتجاه المكاتب والمستودعات في فريهامن. تشير الساعة إلى السادسة والنصف صباحًا ، وما زالت السماء داكنة ، وقد قادته التوقعات إلى النقر على المقود بأصابعه.

بالمقارنة مع المدينة الداخلية النائمة ، كان الميناء خلية نحل في نشاطه ، وسيارات «الفان» والشاحنات تتحرك ذهابًا وإيابًا تحت وهج الكشافات المتألقة التي عوَّضت مصابيح الشوارع. كانت الرافعات في الخارج ترفع الحاويات من السفن ، وفكرة أن صندوقًا معدنيًّا مثل ذاك يمكنه أن يُشكِّل نقطة البداية في حياة سامي الجديدة جعلته يزداد حماسًا.

يقع مكتب حسن كايا في ماغاسين 9 بالناحية القصية من صفِّ المباني ، وقد أوقف سامي سيارته بجوار رصيف التحميل ، فخلال نصف ساعة فقط سيصل القارب.

لم يستطع منع نفسه من المجيء ليراه بأم عينيه ، ووافق على لقاء إبراهيم بولوت الذي استدرجه إلى هذا المشروع على رصيف الميناء ، ولا ريب أنها ستكون لحظة جديرة بالتذكُّر.

قبل أربعة أشهر دخل سامي إلى مكتب حسن كايا الصغير الفوضوي من خلال رواق ضيق خالٍ من النوافذ في الطابق الثاني.

أخذ إبراهيم بولوت على عاتقه القيام بمهمة التعارف. كان سامي قد تلاكم مع بولوت في نادٍ يُدعى «لينيا» أثناء مراهقته. لم يمضيا سوى شهرين معًا ، لكنهما كانا كافيين لمد أواصر الصداقة بينهما. استمرا في لقاءاتهما من حين إلى آخر على مرِّ السنوات ، حتى قاما ببعض الأعمال معًا في بداية عام 2000. ومنذ ذلك الوقت وبولوت منشغل بفعل ما ينوي سامي فعله الآن. لقد غيَّر من توجهاته ، إذ ترك التركي حياته الإجرامية خلفه وأصبح يدير الآن تجارة ناجحة لاستيراد الزهور في آرستا. ومن خلال عمله في الاستيراد تعرَّف على حسن كايا في الخريف الماضي ، في الوقت نفسه الذي شرع فيه كايا في افتتاح شركة جديدة. وكانت دعوة سامي للمشاركة في الأمر سببها بشكل أساسي وجوده في السيارة مع

بولوت عندما اتصل به كايا للتحدث عن خططه.

بعد عدة أيام كانا قد التقيا في مكتب كايا في ماغاسين 9، وكانت الغرفة تعبق برائحة الرطوبة، وتكتظ بالأوراق والمستندات. جلس سامي على كرسي خشبي وأصغى إلى كايا وهو يشرح الخطة.

دخل كايا هذه اللعبة منذ فترة طويلة كما قال، وكان يقوم باستيراد ثمار البحر الطازجة والمجمدة منذ منتصف التسعينيات، لكنه الآن بصدد تغيير سياسته، حيث استسلم في معركته ضد الشركات المحتكرة إيكا وآكسفود، ولهذا فهو يحتاج إلى شركاء جُدد.

تتم معظم عمليات صيد القريدس وبلح البحر في البحر الشمالي، لكنك إذا ذهبت إلى أبعد من ذلك، نحو الأعلى إلى المحيط القطبي تحديدًا، فإن نوعية ثمار البحر تكون أفضل بكثير. ويرجع سبب قلة مَن يقومون بذلك إلى أن رحلة العودة إلى السويد تستغرق وقتًا طويلًا، لأن البحار جامحة جدًّا. لكن حسن كايا استطاع أن يجد قبطانًا يقوم بتجميد ثمار البحر بمجرد تحميلها على متن القارب، ثم يقوم بتوصيل منتجات ذات نوعية متميزة وبسعر معقول، وبإضافة السعر الذي سيضعونه كبائعي جملة فإنهم سيجنون النقود بشكل هائل.

كتب كايا الخطة في عُجالة على منديل ورقي استلَّه من علبة كارتونية قديمة كان التقطها من مطعم للمأكولات الصينية الجاهزة في فالهالافاغين، ثم أخذ سامي تلك المخططات معه كي يقوم بحساب كمية النقود التي سيجنونها من عملية الاستيراد.

أوضح كايا: «سنؤسس شركة. أنت وأنا وإبراهيم. يحتاج قبطاني إلى تحديث حجرات التجميد على متن القارب، وهذا بدوره يحتاج إلى رأس مال. وعد إبراهيم أن يساهم بعشرة ملايين، وأنا سأساهم بالمثل، بكم يمكنك المساهمة؟».

شعر سامي بارتباك متزايد بعد ذلك اللقاء، إذ لم يكن يمتلك هذا الكم من النقود، فقام بسحب كل رصيده المصرفي، ووافق أشقاؤه على مضض وأقرضوه معظم مدخراتهم، واستطاع أن يُقنع بعض أصدقائه وعم كارين بالمساهمة في الأمر، وتمكَّن في النهاية من

تدبير خمسة ملايين، وبهذا سوف يمتلك عشرين بالمائة من شركة الاستيراد حديثة الإنشاء.

أخبر كارين عن المشروع، لكنه لم يتطرق إلى المبلغ الذي سيقامر به، وعلى الرغم من كل شيء كانت المخاطر شيئًا تعايش معه سامي طيلة حياته.

عندما ركض لصعود مجموعتي السلالم في ماغاسين 9، كي يتبادل بعض الكلمات مع حسن كايا في ذلك الصباح البارد من شُباط، لم يُفاجأ حين رأى باب المكتب المتواضع مغلقًا. لقد نصحه كايا بألا يذهب إلى الخارج لانتظار القارب. لم يكن تفريغ حاوية مليئة بالقريدس المتجمد حدثًا مثيرًا بالنسبة إلى شخص قام بذلك عدة مرَّات من قبل.

لكن سامي لم يكن كذلك.

ركض بسرعة عبر السلالم خارجًا من المبنى. كانت مياه بحر البلطيق لا تزال أكثر دفئًا ببضع درجات من هواء الصباح المتجمد. حط الضباب على الخليج وأحواض السفن، وأصبح وجهه رطبًا وهو يجتاز الشارع. كانت الساعة تشير إلى السابعة إلا عشر دقائق، وقد ابتسم حين شاهد سيارة إبراهيم بولوت «المرسيدس» البيضاء تركن في نهاية الرصيف.

ترجل تاجر الجملة الناجح من سيارته عندما اقترب منه سامي، وحيَّا كلٌّ منهما الآخر.

قال بولوت مع ضحكة مبحوحة، بينما كان بخار الماء المتكثف يغادر فمه، كأنه يضحك عبر فقاعة: «إنه الوقت الملائم لكسب بعض النقود اللعينة».

ثم تساءل وهو يتطلَّع جانبًا: «أين القارب؟».

هزَّ سامي رأسه، وأشار بشكل عشوائي نحو مدخل الميناء: «لستُ أعلم. أنت مَن يعرف هذه الأمور. هل القوارب مثل الطائرات؟ هل تصل في وقت محدد؟ أم كيف يجري الأمر؟».

تساءل بولوت: «متى كانت آخر مرَّة وصلت فيها طائرة في الوقت المحدد؟ هل رأيت الشاحنات؟».

كان حسن كايا قد أراهم مخططًا للشاحنات التي ستكون مُزينة بشعار الشركة. يجب

أن تكون هنا كي ينقلوا الحمولة ، لكن لم يكن لها أثر. ظل سامي يقفز صعودًا ونزولًا في مكانه كطفل يرغب في أجوبة سريعة على أسئلته.

أشارت الساعة إلى السابعة ، وكان الصديقان قد تحدثا عن الأطفال ، وعن مستودعات أسترا ، وكم من الأموال سيجنيان من ثمار البحر المتجمدة ، كل هذا في محاولة منهما للبقاء دافئين بأفضل طريقة ممكنة. ظل سامي يتطلَّع بشكل ثابت نحو البلطيق وهو يأمل أن يلمح القارب ، لكن لم يكن هناك قارب ولا شاحنات.

في السابعة والنصف لم يعد سامي قادرًا على إخفاء حنقه أكثر من ذلك. طلب من بولوت أن ينتظر بجانب «المرسيدس» بينما سيذهب هو لمحادثة مجموعة من الرجال المنشغلين بتفريغ البضائع.

لم يكن سامي فرحان شخصًا يترك الأمور للمصادفة.

أثناء الشهرين المنصرمين بعد استثماره في المشروع ، وجَّه إلى حسن كايا آلاف الأسئلة ، وكان كايا يجيب عنها بصبر ، ويعود الفضل في هذا إلى معرفته بأن القارب الذي كانا في انتظاره قد أبحر تحت العلم الإستوني ، وقد علم أيضًا كيف كان تصميمه ، وأين من المفترض أن يرسو ، لكن لم يتمكن أحد من العاملين في الميناء في ذلك الصباح من إعطائه فكرة بسيطة عما حدث.

في الثامنة إلا ربعًا ، اتصل سامي بحسن كايا. رن الهاتف لكن لا جواب ، ولم تتحول المكالمة إلى المجيب الآلي.

قال سامي حين عاد إلى بولوت والسيارة: «هذا لا يعجبني. أنت تعرف ما أعنيه ؟ هذا لا يبدو جيدًا».

ثم ضرب صدره على سترته الرثة.

ابتسم بولوت وهو ينحني فوق سيارته «المرسيدس» والسيجارة في يده: «أنت تعاني من رهاب الشك فقط.. كالعادة».

«إنها ليست نقودي وحدي. هل تدرك هذا ؟ إن الآخرين يتوقعون أشياء ، من كل الاتجاهات».

أشار بولوت: «لقد ذكرتَ ذلك عدة مرَّات.. مائة مرَّة ربما».

ضرب سامي فخذه ثم رأسه بقنوط: «إذن، أين القارب بحق الجحيم؟».

اقترح بولوت، وكانت تصرفات صديقه قد بدأت تثير توتره: «ألا يمكنك أن تجلس وتنتظر فقط؟».

صعدا إلى «المرسيدس»، وأدار بولوت المحرك كي يعمل جهاز التدفئة. حدَّقا بصمت إلى مدخل الميناء الفارغ، وسامي لا يزال يضرب بيديه على فخذيه، وعلى لوحة العدادات وباب السيارة. وبعد بضع دقائق لم يتمكن من احتمال الأمر أكثر من ذلك: «سأذهب لأرى إن كان قد وصل إلى المكتب».

أومأ إبراهيم بولوت الذي بدأ يتساءل هو الآخر في نفسه عما حدث.

عندما عاد سامي إلى الرواق في ماغاسين 9، وجد أن معظم الأبواب لا تزال مغلقة. دق على باب كايا بلطف في البداية، ثم دق بصورة عنيفة، لكن بلا جدوى.

أخرج هاتفه، وحاول الاتصال بالرقم الذي كثيرًا ما أجاب عليه مستورد ثمار البحر في الماضي، لكن لم يجبه أحد مرَّة أخرى.

تفحص سامي الباب المغلق وهاتفه لا يزال يضغط على أذنه. كانت لبعض المكاتب في الرواق أبواب معدنية، لكن هذا الباب كان من الخشب. أعاد هاتفه إلى جيبه، وحاول أن يدفع الباب بكتفه، فتحرك الباب قليلًا، وأعطاه هذا دفعة لأن يحاول مجددًا بقوة أكبر هذه المرَّة.

فُتح الباب أخيرًا بعد المحاولة الخامسة، وانكسر إطاره محدثًا جلبة عالية، ووجد سامي نفسه فجأة وسط المكتب الصغير الذي زاره عدة مرَّات من قبل.

كان المكتب فارغًا. حتى المنضدة لم يعد لها وجود.

تدفقت دماؤه بقوة إلى صدغيه.

لن يكون هناك قارب. لن تكون هناك شاحنات.

تجوَّل سامي في الغرفة مثل نمر في قفص صغير. لقد خدعهما ذلك الوغد.

كان إبراهيم بولوت لا يزال منتظرًا في سيارته.

فتح سامي الباب بعنف: «لقد رحل! خدعنا الوغد! هل تفهم ما أقول؟ لقد رحل! المكتب فارغ، وهاتفه مغلق. اللعنة. اللعنة. اللعنة. سنذهب إلى مسكن ذلك الوضيع حالًا».

اختفى الدم من وجه بولوت: «ماذا تقول بحق الجحيم؟».

«خدعنا. ليس هناك قارب لعين. سنذهب الآن إلى ذلك الوغد ونستعيد نقودنا».

قال بولوت: «لكني.. لا أعرف أين يسكن».

لم يستطع سامي تصديق ذلك.

قال بولوت: «في مكان ما.. في غوتينبيرغ أعتقد.. أو لاندسكرونا.. أو في مكان ما على الساحل الغربي اللعين».

«قلت إنك تعرفه؟».

«نعم، لكن بحق الجحيم.. أنا أعرفه، عملنا معًا بضع مرَّات لكن ليس إلى الدرجة التي أعرف فيها أين يسكن. إنه يقيم مع قريدساته اللعينة في مكان ما. ذلك كل ما أعرفه».

كان سامي يفكر في النقود، وفي كارين، وفي بطنها المنتفخ، وفي الطريقة التي أرضعت بها جون. كان يفكر في أخيه الأكبر الذي أسماه «سيد القريدس»، وضحك.

فكر كيف أنه في خلال بضع دقائق انتقل من كونه رجل أعمال ناجحًا في مجال الاستيراد إلى طاهٍ مُتدرب مُثقل بالديون لديه ماضٍ إجرامي.

صرخ وهو يضرب بيديه على سقف السيارة الألمانية: «اللعنة، اللعنة، اللعنة...».

6

لم يكن الأمر حيث يجب أن يكون.

كانت الموسيقى تصدح من مكبرات صوت غير مرئية، مرتفعة إلى الدرجة التي لا تتمكن فيها من سماع صوت لهاثها. غنت كاتي بيري، أنت ساخن حين تكون باردًا، أنت نعم حين تكون لا.

لماذا؟ تساءلت أليكساندرا سفينسون وهي تراقب الصورة المنعكسة على المرآة للمدرب المفعم بالطاقة وهو يقوم بمجموعة من القفزات السريعة. هل من الممكن أن تختصر حياتها في أغنية بوب طولها ثلاث دقائق؟ لم ترغب في تخمين ذلك. أنت في الداخل ثم أنت في الخارج. لكن ذلك لم يكن خطأها، وعليها أن تتذكر هذا، للمرَّة الأولى لم يكن ذلك خطأها، إن إعطاءه تحذيرًا كان أمرًا صائبًا، لن يتمكن من الاحتفاظ بكعكته والتهامها في الوقت نفسه.

في مساء ذاك الخميس، كان هناك ما يقرب من عشرين شخصًا يتمرنون في فريسكيس وسفيتيس في رينغين. وقد توجهت أليكساندرا إلى هناك مباشرة بعد العمل، وكان ثمة رجلان فقط في الغرفة، أحدهما منحرف والآخر يائس. لم يكن أيٌّ منهما مرشحًا مناسبًا.

رفع الركبتين.

دوران الذراعين.

تحضر أليكساندرا سفينسون إلى قاعة التمرين مرَّتين في الأسبوع، وقد أجادت كل التمرينات، لكنه لم يكن مكانًا ملائمًا يمكنها أن تلتقي فيه بشخص يشاركها حياتها.

في الصف أمامها وإلى اليمين كانت لينا هول.

راقبت أليكساندرا صديقتها في المرآة. تمتلك لينا جسدًا أشبه بالساعة الرملية، تقوم بطلب نوع من المعجنات في كل مرَّة تتوقفان فيها لشرب القهوة بعد التمرين، ثم تلتهمه في قضمتين بلا تنفس ولا تفكير في الأمر، وعلى الرغم من هذا فما زالت رُكبتا لينا ترتفعان أعلى من رُكبتي المدرب، ولا يبدو أنها تتعرق أبدًا.

كانت الحياة غير عادلة بحق ، ولينا هول خير مثال على ذلك.

لم تكن لينا وأليكساندرا صديقتين حقًّا ، فلم يمضِ على تعارفهما وقت طويل ، لكن لينا كانت من ذلك النوع من الأشخاص الذي يُعجب به الجميع حتى لو قابلوها للتوِّ. عندما جلست المرأتان في منزل الإسبريسو من أجل قهوتهما ، والمعجنات ، تحدثت أليكساندرا عن العمل ولينا عن الملابس. قامتا بإرساء قواعد لنفسيهما. روت أليكساندرا قصة جديدة عن مديرها في العمل كلود تافيرنييه ، وقضت لينا نصف ساعة لتصف فستانًا شاهدته على الإنترنت ورغبت في شرائه على الرغم من ثمنه الباهظ جدًّا ، وأنها لم تجربه.

تساءلت: «عليَّ أن أفعل هذا. أليس كذلك ؟».

أجابت أليكساندرا: «لا أشتري الكثير من الملابس».

كانت تتطلع إلى الوقت في هاتفها على فترات منتظمة ، لم تكن في عجلة للعودة إلى شقتها في هامار بي سيوستاد ، كل ما خططت له هو التوقف عند المتجر في جادة هامار بي وشراء العشاء. حدَّقت أليكساندرا بلهفة إلى معجنات لينا ، وعقدت العزم على إضافة لوح شوكولاتة بالنعناع من ليندت إلى سلتها. احتاجت إلى شيء تواسي به نفسها وهي تشاهد التلفاز في ذلك المساء.

علمت أليكساندرا أنه ليس عليها الاستمرار بالتفكير في ذلك الرجل الذي قد لا تلتقيه مرَّة أخرى. أدركت أن فقدانه لا يُشكل خسارة كبيرة ، فقد كان مجرد علاج وهمي.

لكنها لم تتمكن من فعل ذلك.

كانت تمتلكُ القدرة على الوقوع في الحب مقترنًا بالأمل ، وقد أحبت الحب ذاته ، وكان الهدف الحقيقي لمشاعرها تلك غير ذي أهمية إطلاقًا ، ليس في بداية الأمر ولكن فيما بعد. غالبًا ما يضرب الواقع ضربته ، فالرجل الذي يستلقي إلى جوارها في الفراش سيتحول من ساحر وسيم سبَّب لها العزلة ، إلى خنزير يشخر ويتحدث عن نفسه وفمه مليء بطعام الإفطار.

لكنها على الرغم من كل شيء ، لم تُخلق لحياةِ العزوبية.

تنهدت.

تساءلت لينا: «ما الأمر؟».

قالت أليكساندرا: «لا شيء».

«سمعتِ ما كنت أقوله، أليس كذلك؟».

لم تكن أليكساندرا تستمع في الحقيقة، وعندما أومأت بالإيجاب تمنَّت بشدة ألَّا يكون هناك سؤال قد فاتها.

أنهت لينا فطيرتها، وطلبت الفاتورة، ثم سألت: «سأراكِ يوم الثلاثاء؟».

أومأت أليكساندرا. كان من الممتع أن تذهب إلى صالة التمرين لتجد لينا هناك في انتظارها، ولكنْ مرَّتان في الأسبوع أمر كثير.

«ربما تمكنَّا من الانضمام إلى صفوف اليوغا أيضًا، هل تلقيتِ الدعوة؟».

«أية دعوة؟».

«هل كان ذلك بالأمس؟ كلا، بل في عطلة نهاية الأسبوع. كلا، انتظري لقد كانت مجموعة على الفيسبوك».

هزَّت أليكساندرا كتفيها بلامبالاة. استخدمت الفيسبوك فيما مضى، وعندما رأت أن هناك الكثيرات ممن يُدعَيْن «أليكساندرا سفينسون»، وأن كل من تواصل معها كان يقصد شخصية أخرى، فضَّلت عدم المشاركة من الأساس.

أجابت: «كلا. لم أرها».

«بدت منطقية تمامًا، أربع حصص مقابل مائتي كورونور، أو شيء من هذا القبيل. هل سنذهب؟».

بدأت لينا تتحدث بحماس عن مجموعات اليوغا، ووجدت أليكساندرا أفكارها تنجرف بعيدًا مرَّة أخرى.

قالت والدتها قبل أن تموت بمرض السرطان في يوم مشؤوم من تشرين الثاني قبل سبعة أعوام، إن الحياة مثل حفلة قديمة، يمكنك أن تبقي فيها جالسة إلى جوار الشراب حتى تبلغي حد الثمالة الذي يُجبرك على الذهاب إلى الحمَّام للتقيؤ، أو يمكنك التسلل إلى المنزل بعد العشاء لإدراكك أن كل الموجودين حمقى، ربما تتمكنين من خوض

حوار عميق مع شخص مكتئب يظن نفسه فنانًا ، أو تتمكنين من قضاء الليلة في الرقص. إن الحياة هي ما تصنعينه منها ، لكن من النادر أن تتحسن الأمور أكثر.

نشأت أليكساندرا مع والدتها ، هما الاثنتان فقط. مرت أربعة أشهر فقط بين التشخيص والموت ، وعلى الرغم من مرور سبعة أعوام فإن أليكساندرا تتمكن من رؤيتها في خيالها.

افتقدتها بشكل لا يمكن للكلمات أن تصفه.

عند السابعة كانت في المنزل ، وبعد ساعة تناولت العشاء ، ثم اغتسلت وارتدت رداء النوم ، وجلست على الأريكة مع لوح الشوكولاتة. كان التلفاز يعرض فيلمًا عن محامية تحارب المافيا. ما زالت أليكساندرا تفكر في أن تكون محامية ، فكثيرًا ما أحبت القوانين.

على الرغم من قلقها لأنها وحيدة ، فإنها راضية عن عملها بالقدر نفسه. كانت تعمل في «م4أ» في فاستبيرغا ، وهو مكان ضخم وعالمي أشعرها بالارتياح. افترضت أنها ستجد شيئًا آخر ذات يوم ، ربما في وسط المدينة ، لكنها لم تكن في عجلة من أمرها ، فهي في الرابعة والعشرين فقط وما زالت الحياة أمامها.

احتاجت في بداية الأمر إلى لقاء شخص ما. كانت هناك أوقات تعود فيها إلى المنزل مع أي شخص من العمل ، تطهو له العشاء ، وتدلك كتفيه ، لتتجنب فقط مواجهة الوحدة التي تنتظرها.

مرت أوقات كانت تستيقظ فيها ليلًا وحيدة في فراشها ، تتكور كالجنين وتحتضن وسادتها ، وأوقات ترغب في صباحها أن تصرخ كي تكسر الصمت الذي يلف مطبخها الفوضوي في هاماربي سيوستاد.

7

كانت العاشرة صباحًا عندما قام سامي فرحان بدفع عربة الطفل إلى المصعد. في الأشهر الستة الأولى كانا يتركانها أمام الباب، لكنها سُرقت قبل عدة أسابيع. أصبحت العربة الجديدة التي اشترتها كارين من أموال التأمين تتبعهما إلى الشقة منذ ذلك الحين. تساءل سامي وهو يلعن في سره داخل المصعد المكتظ: ماذا حدث لعقل شخص يقوم بسرقة عربة طفل؟

في الشارع الخارجي كان الضوء براقًا بشكل غير متوقَّع. مشى ببطء عبر سكانغاتان، وقد أخلد طفله إلى النوم قبل أن يصل إلى قمة التل.

استدار سامي نحو فيتابيرغسباركين دافعًا العربة أمامه إلى أعلى المنحدر في اتجاه كنيسة صوفيا. تمكن من رؤية ظل رجل في سترة سوداء ينتظره عند مدخل بيت الرب. كان رأسه حليقًا، ومع ندبة واسعة تلتف حوله بدا كأن هالته سقطت عليه ووسمته مدى الحياة.

توماس ماندل.

بدأ ماندل بعدما حيَّا أحدهما الآخر: «أعمال لعينة.. لعينة حقًّا».

تنهد سامي. عرفت المدينة كلها بما حدث. لم تكن لديه أدنى فكرة عن سبب انتشار الخبر، وهو لم يبدأ الأمر لكن الوقت أصبح متأخرًا جدًّا الآن لعمل شيء حيال ذلك. علم الجميع أنه خُدع من قِبل التركي اللعين الذي يبدو كأنه تبخر في الهواء، وعلموا أن تلك التجارة مع ثمار البحر قد تلاشت مع مياه الصرف.

هزَّ سامي كتفيه بلامبالاة، وهو لا يزال يدفع العربة أمامه كالجرافة، وماندل يجاري خطواته. لم يقل الرجل الإستوني المتشح بالسواد كلمة بخصوص عربة الطفل، فقد وجد أنها طريقة جيدة لخداع الشرطة.

افترضا أن الشرطة تراقب كل ما يفعله سامي بشكل منتظم، وكل من يلتقي به، خصوصًا الآن بعد أن علم الجميع أنه بحاجة إلى النقود.

مشى الرجلان نحو متنزه نيتورغيت.

تساءل ماندل: «هل فكرت في الأمر؟».

أومأ سامي، ثم قال: «لستُ متأكدًا. لستُ متأكدًا حقًّا. أتعرف ذلك؟ لديَّ آلاف الأسئلة أو على الأقل مئات منها».

رد ماندل بحذر: «اسأل، لكنني لا أمتلك كل الأجوبة بعد، وما زلت أعمل على الأمر».

«أخبرني عن البوابات ثانيةً؟ إنها تُغلق عندما يُفعَّل جهاز الإنذار، أليس كذلك؟ كم يبلغ عدد الحراس؟».

أجاب ماندل: «ستة عشر حارسًا في الموقع ليلًا».

«هذا يعني أن ستة عشر شخصًا سيقومون بطلب الدعم، هل تعرف ذلك؟ لو اتصل كل حارس منهم بالدعم وحضرت سيارة واحدة لكل حارس، فهذا الأمر سيكون أشبه بمئات الخنازير، كم نمتلك من الوقت؟».

كان ذلك سؤالًا جيدًا. يتوقف اقتحام مضمار تابي على السرعة، حيث تُحفظ النقود في غرفة مغلقة، بينما ينتظر الحراس مَن يأتي لنقلها عند منتصف الليل. لن يُمثِّل الدخول إلى الغرفة مشكلة كبيرة، لكن الخروج منها بعد ذلك هو ما يحتاج إلى حل.

بينما كان ماندل يشرح خطته، انعطف يمينًا نحو مالمغاردسفاغن، وسامي ينصت بدقة ويطرح الأسئلة.

مرَّت عشرة أيام منذ أن وقف سامي على رصيف الميناء في فارتاهامن منتظرًا قارب القريدس الذي لم يصل. وعندما عاد إلى المنزل في ذلك الصباح لم تكن معه الشمبانيا التي خطط لها، وكان قنوطه أكبر من أن يخفيه، ووجد كارين مستيقظة تتناول بعض المشمش المجفف اللزج من الكيس مباشرة في المطبخ. كانت الجدران الخارجية لمبناهم في هوغبيرغسغاتان مشققة، والتيار الهوائي البارد ينساب على الأرض، وكارين ترتدي ثوب نوم طويلًا أبيض من الصوف مربوطًا بإحكام حول جسدها، أهداه سامي إليها في أعياد الميلاد.

تساءلت: «هل تعتقد أنني بدينة الآن؟».

تكلَّف الابتسام وهزَّ رأسه نافيًا، ثم قال: «اعتدت على ذلك».

لم يخلع معطفه.

«ماذا؟ هل تناولت المشمش في حملي السابق؟».

«أجل».

لم تستطع كارين السيطرة على شهيتها للمشمش في تلك المرَّة أيضًا. كانت في الشهر السابع من الحمل الجديد، والطفل سيولد في نيسان، مما يعني عامًا واحدًا فقط بين الطفلين.

قالت: «يجب أن يكون هناك قانون بخصوص إنجاب الأطفال على فترات متقاربة».

تطلَّعت بغضب إلى المشمش، بعد كل كيس كانت تُجبر على قضاء ساعة في الحمَّام. كثيرًا ما طلبت منه أن يمنعها من تناول المزيد، لكنه كان يرى عينيها النهمتين وهي تتطلع إلى الكيس فلا يتمكن من حمل نفسه على قول شيء.

تساءلت: «لماذا لا أحظى بشهية مفتوحة لشيء صحي؟ بعض الأشخاص لا يرغبون إلا في البروكلي».

لم يُجب سامي، وعند ذلك فقط نظرت إليه كارين متسائلة: «ما الأمر؟ ماذا حدث؟».

كانت نبرتها العطوف قد تلاشت، وحلَّ تغضن قلق على جبينها، ونظرة تفتقر تمامًا إلى التعاطف.

وقع سامي في حب كارين وهو في الخامسة عشرة فقط من عمره. كانت بعيدة المنال. لم تكن لديه أدنى فكرة كيف انتهيا معًا في الصف نفسه. كارين من المدينة وهو من الضواحي، هي من الطبقة المتوسطة وهو من طبقة أدنى. مرَّت أشهر قبل أن يجرؤ على التحدث إليها، ومرَّت فترة أطول قبل أن يتشجَّع على أن يطلب منها الخروج معه. كان سامي وإخوته يتحدثون دائمًا بكل صراحة عن الفتيات، لكنه لم يجرؤ على قول كلمة بخصوص كارين، فقد خشي أن يقوم إخوته بالتقرب منها قبل أن يتمكن من القيام بخطوته الأولى.

كان في السابعة عشرة عندما اجتمعا معًا أخيرًا لعدة أشهر. لم تكن تجربته أكثر مما يُتوقع في فيلم أمريكي للمراهقين. في ذلك الوقت بدت كل أغنية على المذياع كأنها

كُتبت له ولكارين. ذات مساء أخبرها عن شيء قام بفعله، سطو ما، أو شيء من هذا القبيل، كان يتبجح فقط، حيث شعر بالقوة والنضج، وقد فعل ذلك الشيء مع أخيه الأكبر، لكنه الآن لا يتمكن من تذكُّر ما سرقاه. قطعت كارين علاقتها به بعد دقائق. لقد تسبب في عكس ما تمناه، وكانت أسبابها واضحة: إنها لا ترغب في أن تكون أبدًا مع مجرم.

استلزم الأمر بضع سنوات حتى تمكَّن من استرجاعها. تكرر ذلك النمط عدة مرَّات منذ ذلك الحين، قبل أن توافق على إنجاب الطفل، وقد وعدها للمرَّة الأخيرة أنه دفن حياته القديمة. كان لديهما مستقبل معًا، حياة لا يتوجب فيها أن تقلق من مداهمة الشرطة ذات يوم لأخذه، ثم احتجازه ورمي المفتاح بعيدًا. وكونها صدقته فهذا خير دليل على حبها، لكن إيمانها تعرَّض للاختبار عدة مرَّات، وعبوسها الآن علامة واضحة على أن الموقف مماثل.

حكى سامي ما حدث، وأنه قد تعرض للاحتيال، وأن القريدس المجمد كان مجرد كذبة.

تنفست كارين الصعداء، ثم واسته: «الأعمال غالبًا ما تتم تسويتها».

لم يكن يعلم من أين أتت بصلابتها تلك.

عندما أخبر إخوته في ذلك المساء بما حدث، كان رد فعلهم مختلفًا جدًّا، صرخوا وشتموا وقضوا أربعًا وعشرين ساعة في البحث عن حسن كايا، لكن التركي بدا وكأنه اختفى تحت الأرض، أو ربما كان محتجزًا مع أموالهم في جبال طوروس، فلم يجدوا له أثرًا. عندما أدرك الإخوة ذلك تنهدوا وشتموا قليلًا، ثم أخبروا سامي بأن عليه ألا يشعر بالذنب هكذا، لقد استثمروا في تلك التجارة معًا، وتم الاحتيال على ثلاثتهم معًا، هذا ما حدث، والخطأ لم يكن خطأهم، بل خطأ حسن كايا، ولو ظهر ذلك الوغد مرَّة أخرى فسوف...

أخبر أصدقاءه الذين استثمروا معه واحدًا تلو الآخر. وعندما انتشرت الأخبار ردد سامي الشيء نفسه مرارًا وتكرارًا: سيتدبر الأمر، وسيُعيد إليهم نقودهم، ووعدهم باستثمار

جيد، ووعدهم بالفوائد، وبأنهم سيحصلون عليها، ليس بالتربح من ثمار البحر ولكن بطريقة ما.

قال الشيء نفسه لكل من التقى به، وللأشخاص الذين اعتبروا دفاعه نوعًا من الضعف أو الإحساس بالذنب.

لا تزال الخطة تمضي قدمًا، ولكي يقوم بدور الأب فسوف يترك حياة الإجرام خلفه.

الاختلاف الوحيد أنه يحتاج إلى عمل كبير واحد فقط، يُمكِّنه من الوقوف على قدميه مجددًا، وكلما عجَّل في ذلك كان أفضل.

قال سامي في لقائه مع ماندل: «أعلم كيف يبدو الأمر».

سمع أن الإستوني يخطط لشيء ما: «أنت تعرف ما أعنيه. ليس لأني لا أعرف كيف يبدو الأمر. أعني عملًا واحدًا أخيرًا، وسواء أكان ذلك العمل يعود إليك أو إلى شخص آخر فإن ذلك يعتمد على مجريات الأمور».

توقف سامي كالميت.

سأل توماس ماندل باضطراب: «ماذا؟».

«هدوء».

كان سامي ساكنًا بشكل تام، ينصت بثبات، وفعل ماندل مثله، ولم يتمكن من سماع شيء.

«هل هم الخنازير؟».

انحنى سامي على عربة الطفل، ورفع جون من تحت طبقات من البطاطين والأغطية، وما بدأ بشهقة هادئة انتهى إلى البكاء، وهذا يحدث أحيانًا عندما يستيقظ من نوم عميق. افترض سامي أن الأحلام هي التي أخافته.

صرخ ماندل مذهولًا: «ما هذا بحق الجحيم؟ هل هذا طفلٌ حقيقي؟».

«أأنت غبي أم ماذا؟».

«اعتقدتُ أن العربة مجرد خدعة».

«خدعة؟».

«لخداع الخنازير».

قال سامي للإستوني وهو يهدهد الطفل بين يديه حتى سكن وعاد إلى النوم: «أنت مريض».

ضرب ماندل رأسه.

قال سامي وهو يعيد الطفل برفق إلى العربة: «لا تقلق. إنه لن يشي بنا».

أدار ماندل عينيه. انعطفا نحو المتنزه، وعندما مشيا تحدث ماندل عن الفريق، وكيف يخططون لاقتسام النقود.

قال سامي: «أنا بحاجة إلى ستة ملايين. يمكنك تقسيمها بأي طريقة تشاء، ولكن تلك هي حصتي الأدنى، هل تعي ذلك؟ إن لم تتمكن من ضمان ذلك فأنا منسحب».

طمأنه ماندل: «سيكون هناك أكثر.. أكثر بكثير».

بدا الظل الضخم للكنيسة قاتمًا مقارنةً بالسماء الزرقاء المتألقة، عندما صعدا جاهدين للرجوع من التل.

أوضح توماس ماندل: «إن النقطة... إنها ثلاث دقائق فقط حتى نادي القوارب، لن يُصدِّق أحد أننا سنركب الأحصنة في طريقنا إلى هناك. لو تمكنَّا من الوصول إلى القارب فسنكون عمليًّا في المنزل، ستكون الشرطة في فاكسهولم ونحن في بيرغسهامرا في أقل من عشر دقائق، لن يستطيعوا اللحاق بنا أثناء هذا الوقت، ونحن سنكون بعيدين جدًّا عن نقطة البداية».

تساءل سامي: «تقول إننا يجب علينا أن نصل إلى نادي القوارب على الأحصنة؟ لا أعرف، لم يسبق لي أن امتطيت حصانًا من قبل».

كلما أطال التمعن في الأمر خامره شعورٌ بأنها ستكون فكرة بسيطة، لكنها تبدو على العكس من ذلك.

أجاب ماندل: «إنها احتمالية».

«تعرف أن مضمار تابي يعج براكبي الأحصنة، لن نتمكن من الهرب منهم، إنهم محترفون».

كرر ماندل: «أقول إنها مجرد احتمالية فقط. قد تكون فكرة سيئة ، ولكن لو كنت على حصان فبإمكانك النزول من المضمار نحو نادي القوارب بدون أن توقفك سيارة للشرطة أو نقطة تفتيش».

هزَّ سامي رأسه ، ثم قال: «لا أدري. اقتنعتُ بالباقي ، لكن عليك التفكير في طريقة أخرى للهرب».

«سوف أعمل على هذا».

8

انتظر ميشال معلوف في مطعم ماكدونالدز بهالوندا ليدفع قيمة وجبته الكبيرة ، فخرجت مع النقود قصاصة ورقية مجعدة ومبهمة تحمل اسم أليكساندرا سفينسون ورقم هاتفها. لم يتذكر وقتئذ من أين أتت ، فقد مرَّت خمسة أسابيع على لقاء الرجل صاحب الكلاب. كان ينتظر البيرغر بالجبنة الخاص به وهو يدوِّر تلك القصاصة في يده ، ثم انتبه بعدها إلى عنوان موقع المواعدة ، فنشَّط هذا من ذاكرته.

أخذ صينيته ، وجلس بمحاذاة إحدى النوافذ وهو ينظر إلى الخارج حيث أحد فروع باوهاوس. لم يستخدم أي موقع للمواعدة بنفسه قَطُّ ، إذ لم يسبق له أن عانى من مشكلة في مقابلة النساء ، لكنه افترض أن ذلك ربما يلائم بعض الأشخاص. أمسك بالورقة ، وشرب بعض الكوكاكولا مستعملًا المصاصة.

هل يجب عليه الاتصال بها ؟

بعد الاجتماع في «م4أ» قام معلوف بإلقاء الحقيبة السوداء في سيارته ، وغادر منقبض الصدر ، مستنزَفًا عاطفيًّا ، مُنهك القوى ، منتقلًا خلال بضع دقائق قصيرة من الإيمان بكونه سيكسب الملايين إلى إدراك أن لديه خمسة عشر عامًا من المفاوضات والنقاشات القادمة. كانت تلك صفعة حقيقية.

بدا أنه كان ضحية لمزحة رخيصة ، وكأن المديرَين سمحا له عمدًا بإساءة فهم الوضع ، ثم زادا الضغط عليه بسبب عقدهما ذاك.

قاد معلوف سيارته مباشرة من ستادسهاغن إلى أبلاندسغاتان ليخبر زوران ميلكوفيتش بما حدث. لم يكن معلوف من مُحبي القيادة ، وكانت قيادة السيارة أمرًا محبطًا وقت الغضب ، أي توقف مفاجئ بدا سلسًا ، وبدت السرعة المتزايدة لا تؤثر عليه البتة ، بل على العكس تمامًا كان لها تأثير مهدئ. فعند وصوله إلى مقهى موبيل كان الجزء الأكبر من غضبه قد تلاشى.

وجد ميلكوفيتش في انتظاره على إحدى الطاولات ، والجزء العلوي النحيف من جسده يبدو كعصا فوق تلك الطاولة. طلب كأسًا من الماء الفاتر ، كانت الثالثة والنصف

عصرًا، والمكان خالٍ إلا من العاملين فيه. اقتربت منه نادلة جديدة لم يرها معلوف من قبل وسألته عما يريده.

قال ميلكوفيتش عندما عادت الفتاة ذات التنورة الضيقة إلى المطبخ لجلب كوب من القهوة: «لقد أعطيتها عملًا كي أختبر قدرتي على الاحتمال فقط».

مضت سنوات منذ أن توقف معلوف عن الاستغراب من تصرفات زوران ميلكوفيتش تجاه النساء. وعوضًا عن ذلك أخبره بالتفصيل عن الاجتماع الذي عاد منه توًّا.

قال ميلكوفيتش بحماسه المعتاد: «ممتاز. لقد قدَّمت نفسك. إنهم يعرفون مَن أنت وماذا تعرض عليهم. ليس هناك أفضل من ذلك».

ضحك معلوف: «نعم، نعم. أقصد كلا. ليس بإمكانهم شراء الحقائب».

قال ميلكوفيتش مع ابتسامة: «انسَ ذلك. إنها البدايةُ فقط. إنْ تطور هذا الأمر فسيكون لدينا الكثير من النقود».

وجد معلوف نفسه بعد عدة دقائق مُجبَرًا على التقاط عدوى الحماس من صديقه. كان الرجلان متفائلين بشكل جذري، ولو اختلفت الأمور قليلًا فربما لم يستطيعا التقدم حتى هذه النقطة.

وضع معلوف القصاصة الورقية على الصينية، ولم تغادرها عيناه وهو يُخرِج شطيرة البيرغر بالجبنة من علبتها.

ربما كان ميلكوفيتش محقًّا، وكل شيء يسير وفق المخطط. يبدو الأمر غير صائب، ولكن أي ضرر قد يسببه الاتصال بها؟ ألم يقل الرجل صاحب الكلاب إن أليكساندرا سفينسون فتاة حسنة المظهر؟

أمسك معلوف هاتفه.

دعاها إلى مطعم يُدعى «تيراميسو».

اتفقا على اللقاء في السابعة من يوم الجمعة. يعلم معلوف جيدًا أنه وصل مبكرًا، وكان ينتظر على الرصيف عند أبلاندسغاتان عندما رنَّ جرس كنيسة أدولف فريدريكس معلنًا الوقت. ارتدى معلوف قلنسوته كي يقي نفسه من الصقيع، فالشتاء الوليد يمسك

العاصمة بقبضة متراخية. لا شك أن الأحذية الطويلة ستكون أفضل أنواع الأحذية لذلك الوقت من السنة. لمح امرأة تتجه نحوه من متنزه تيغنيرلونديين بعد عشر دقائق ، فعرف على الفور أنها هي.

ارتدت أليكساندرا سفينسون حذاء مطاطيًّا عمليًّا مزودًا بالفرو في أعلاه ، ومعطفًا طويلًا باهت الزرقة. أثناء وصفها لنفسها ، ذلك الذي وجده معلوف في موقع المواعدة ، كتبت أنها ترغب في إسباغ الترف على الحياة. تأكد معلوف أن الفراء على حذائها ومعطفها هو جزء مما عنته.

تمكَّن من رؤيتها بوضوح أكثر عندما مرَّت تحت أضواء الشارع عند تقاطع كاماكارغاتن. سبق أن كتبت على الإنترنت أن العمر البيولوجي عديم القيمة. بدا معلوف أقرب إلى الثلاثينيات من الأربعينيات ، وكان شديد الحذر دائمًا وهو يخمِّن أعمار الآخرين ، لكنه سيخمِّن بأن أليكساندرا في الخامسة والعشرين تقريبًا.

كانت امرأة شقراء الشعر ، زرقاء العينين ، ذات وجنتين مستديرتين ، وذقن بارز ، وفم أحمر صغير ، وشفتين ممتلئتين كأنهما تستعدان للتقبيل. قفزت نحوه بضع قفزات بسعادة ، ثم منحته عناقًا عفويًّا.

أخبرتها تجاربها المسبقة أن الرجال الذين تتعرف إليهم عبر الإنترنت لا يظهرون عادة في الواقع!

ذهبا إلى المطعم ، وجلسا على طاولة منعزلة ، وقضيا لحظات في قراءة القائمة ، وعندما عاد النادل كي يُدوِّن طلباتهما قال إن الطاهي يرغب في مفاجأتهما.

«أعدكما ، لن تخيب ظنونكما».

نظرت أليكساندرا إلى ميشال نظرة تساؤل ، ومع ابتسامة ثم ضحكة سريعة ، أوضح لها أنه يعرف مالك المطعم.

كان زوران ميلكوفيتش يمتلك عدة أماكن في أبلاندسغاتان.

قضيا ليلة لا يمكن وصفها إلا بأنها جيدة. قرر معلوف عدم سؤالها عن فاستبيرغا أو «م4أ» ، ولو رغبت في التحدث عن خزائن النقود فسوف يصغي إليها. تحدثت بصراحة عن

نفسها وعن حياتها ، ترعرعت في ناكا ، ودرست الاقتصاد في جامعة ستوكهولم ، ثم تركتها قبل أن تتخرج كي تبدأ في العمل ، حيث رغبت في دخل مالي منتظم يُشعرها بالأمان ، تستأجر شقة في هاماربي سيوستاد ، وقد قالت بضع كلمات عن شركة النقل الآمن التي تعمل لديها منذ سنتين ، وأنها تروق لها.

اعترفت: «معظم أجوري أُنفقها على الأزهار».

«الأزهار ؟».

قالت أليكساندرا سفينسون: «أُحب الأزهار. هل هناك شيء أفضل من أن تصل إلى المنزل فتجد أزهارًا ذات رائحة أشبه بالورد أو الخزامى على الطاولة ؟».

قال معلوف: «حقًّا».

«لديَّ حديقة أعشاب صغيرة في مطبخي أيضًا ، ليست شيئًا مميزًا ، الحبق ، إكليل الجبل أو الكزبرة ، ثم هناك شرفتي التي لا أعرف ماذا كنت سأفعل بدونها».

قال معلوف: «كلا».

«في هذا الوقت من العام ، كل الذي تتمكَّن من فعله حقًّا هو التخطيط للمستقبل. لديَّ أزهار إبرة الراعي في أوعية داخل القبو ، وعندما يصبح الجو أكثر دفئًا سأجلبها إلى هنا وأضعها في شرفتي ثانيةً ، ليست لديَّ فكرة إن كان باستطاعتها البقاء على قيد الحياة في الشتاء ، لكن يبدو أنها كذلك».

ابتسم معلوف: «نعم ، نعم».

تحوَّلت أليكساندرا إلى الجدية على حين غِرة ، ونظرت مباشرة في عينيه البُنيتين ، ثم قالت: «من السهل جدًّا التحدث إليك. أعتقد ذلك حقًّا».

أجابها وهو يبتسم كاشفًا عن بريق أسنانه: «فعلًا. أنا... أعتقد ذلك أيضًا».

«نخبك ميشال».

رفعت كأسها ، وارتشفا النبيذ الأحمر معًا.

طلبا زجاجة أخرى.

استمرت أليكساندرا سفينسون ، لم تكن بحاجة إلى تشجيع ، كانت تنظر بجدية إلى

آرائه وأفكاره، ومرَّت الأمسية دون أن يتطلَّب الأمر سوى إبداء بعض الاهتمام، وهو ما كان ميشال مستعدًّا لإعطائه لها.

عادا إلى شقة ميشال معلوف عبر ستوكهولم، وكانت رطبة وفارغة ومظلمة. لم يحظَ بالوقت لصناعة كوبين من الشاي قبل أن تقوم هي بتثبيته إلى أحد الجدران ولسانها في فمه. كان أقصر منها قليلًا، اندهش من قوتها، حيث ألقته أرضًا في غرفة المعيشة والتقطت البطانية من فوق الأريكة التي صنعتها والدة معلوف، وبهذا لن يكونا عاريين على الأرض الخشبية.

بعد ممارسة الحب المحمومة وغير المتوقعة التي لم يخلعا فيها ملابسهما تقريبًا، جلسا يدخنان على طاولة المطبخ من علبة سجائر المارلبورو الموجودة في خزانة التوابل فوق المدفأة، ثم غادرا إلى غرفة النوم لممارسة الحب مجددًا وبعقلانية أكثر هذه المرَّة.

لم يرغب معلوف بعد ذلك في شيء سوى النوم. كانت الرابعة صباحًا، وقد أصابه التعب الشديد من كثرة النبيذ والأحاديث، وعندما كان على حافة السقوط في نوم عميق على وسادته الناعمة، بدأت هي في الحديث عن البناية في فاستبيرغا.

أجبر نفسه على الاستيقاظ.

بعد عدة دقائق فقط، أدرك لماذا اقترح عليه العجوز في الغابة أن يقابل أليكساندرا سفينسون.

9

تحدَّث كانت داخل المصعد وهم في طريقهم إلى أعلى داخل البناية الثالثة من بنايات هوتورغيت الخمس وسط ستوكهولم ، قائلًا: «ربما من الأفضل أن ينتظر ذوو الزي الرسمي في الخارج».

بلغ بيورن كانت ، مدير مكتب المدعي العام ، الستين من عمره ، وهو من أكثر المدعين الجنائيين تمرسًا في السويد. كان تجوله كشخص عادي في شوارع العاصمة ، بدلًا من جلوسه خلف مكتب ما ، أمرًا غير تقليدي تمامًا. المرَّة الأخيرة التي اشترك فيها في عملية إلقاء قبض كانت خلال السبعينيات.

فكرت كارولاين ثورن بينها وبين نفسها.

بدت بدلة المدعي العام المُجعدة ذات اللون البُني الداكن في هذا اليوم أكثر تجعدًا من المعتاد.

تساءلت: «هل ترغبُ في بقائهم في الخارج ؟ لماذا ؟».

أجاب بيورن: «كلا. إنه فقط... ليس هذا أمرًا معتادًا ، أنا أعني ليست هناك ضرورة لإحراج الرجل. لست أدري أي نوع من الاجتماعات هو فيه الآن...».

قالت ثورن حيث التي فاجأها ذلك: «إحراج ؟ نحن هنا كي نُلقي القبض عليه ، ربما هذا شيء سيجده محرجًا ؟».

كانت مندهشة حقًّا. على الرغم من كونها في نصف عمر بيورن فقد عملت قائدةً لفريق العمليات مع مكتب التحقيقات الجنائية في قسم الشرطة الوطنية لمدة أربع سنوات ، وخلال هذه الفترة حظيت بالعديد من الصفقات مع مكتب المدعي العام. لم تكن ترى في بيورن سوى رجل كفء ، موضوعي وحازم.

تطلعت إليه الآن وهو يقف إلى جوارها في المصعد المعتم الذي تعطل أحد مصابيحه. كان جسد كارولاين نحيلًا مشدودًا طويل القامة ، وملامحها صارمة ، وشعرها أشقر مربوطًا بطريقة عشوائية على هيئة ذيل فرس ، والغرض منه هو تقليل الإزعاج الذي قد يُسببه لها.

تساءلت: «هل هذا سبب وجودك هنا ؟ كي تتأكد بأنني لن أقوم بإحراج المتهم ؟».

عملا على هذه التحريات مع الإنتربول منذ شهرين تقريبًا. لم يعد هناك شك الآن في أن هينريك نيلسون بشعره الكثيف الرمادي المسرَّح إلى الوراء واسمراره النضر، الذي يجلس الآن في اجتماع في الطابق الثامن عشر من ناطحة السحاب تلك، لم يكن أكثر من متهرب من الضرائب. كانت ثورن مقتنعة بأن يدي الرجل ملطختان بالدماء على الرغم من حرصه على أن تكون تلك الدماء نقاطًا قليلة فقط. كان مجرمًا وسيُساق حتمًا إلى العدالة.

بدا بيورن أثناء التحقيقات أقل اقتناعًا بمدى نشاط نيلسون مقارنةً بكارولاين، لكنه متهم بالعديد من الجرائم المالية، هذا ما يتفقان عليه.

قال بيورن وهو يقاوم النظر إلى عينيها: «أعلم أنكِ ترين أن الأمر لا علاقة له بالموضوع كارولاين، ولكنكِ تعلمين أنه يصطاد طائر الدراج مع الوزير».

قالت ثورن بلا تفكير: «هذا لا يُشكل فرقًا».

كان معهما في المصعد ضابطا شرطة يرتديان بزتيهما الرسميتين، وقد جلبتهما ثورن معها، فظلا يحدِّقان إلى الأرض ويتظاهران بأنهما لا يسمعان الكلام الجاري من حولهما.

غمغم بيورن وهو يعلم أن جانبه البراغماتي ذاك لن يكون مفهومًا عند قائدة فريق العمليات، الشابة الساذجة نوعًا ما: «كل ما أقوله إن علينا القيام بالأمر بهدوء».

يُصاب بعض ضباط الشرطة بالإحباط بعد الأسبوع الأول من العمل، بينما يكون آخرون أكثر مرونة. كون ثورن قد احتفظت بثقتها في زميلها طوال هذه الفترة، على الرغم من كل ما علمته، يعدُّ إنجازًا في حد ذاته، وكان بيورن يحترمها كثيرًا لهذا، لكنه يعرف أيضًا أنه لو استرشد بالبوصلة الأخلاقية فليس هناك ضرر في أن يتصرف بمرونة.

رنَّ جرس المصعد وفُتح بابه.

خطا الموظفون الحكوميون خارجه، وتحركوا بسرعة عبر الرواق نحو قاعة الاجتماعات والمؤتمرات في الناحية الجنوبية من المبنى. كان الرواق قديمًا مثل أروقة مراكز الشرطة. فكرت ثورن في تلك الرائحة التي تملأ المكان وتشبه رائحة مواد التنظيف.

تساءلت: «هل أنت متأكد من أن هذا هو الطريق الصحيح؟».

أجاب بيورن: «كنتُ هنا من قبل».

لم تسأله كارولاين السؤال التالي المتوقع، فقد خشيت أن يكون بيورن عضوًا آخر في فريق صيد الوزير، ولو سألته فسيكون مجبرًا على الاعتراف بذلك، ورأت أنه من الأفضل ألَّا تعرف.

وصلوا إلى باب مغطى بلوح زجاجي، كان يمكنهم سماع أصوات من الجانب الآخر.

طرق بيورن الباب، ثم قال لضابطي الشرطة: «ابقيا هنا».

هز الضابطان رأسيهما موافقين.

تنهدت كارولاين.

تقدما داخل الغرفة.

كانت الغرفة أصغر مما توقعتها ثورن، وستائرها مسدلة، تحجب ما كان سيبدو منظرًا رائعًا للعاصمة، مع دار البلدية وحتى ريدارفياردين في مرمى البصر. رأت خمسة رجال يجلسون حول طاولة الاجتماعات المستديرة، يرتدون بزات داكنة، وقمصانًا بيضاء، وأربطة عنق، والمدير هينريك نيلسون، الذي تبحث عنه الشرطة، يقوم بتقديم عرض ما وهو يقف بمحاذاة لوح أبيض، وقد استدار نحوهما.

تفاجأ برؤيته: «بيورن؟».

أجاب بيورن: «مرحبًا هينريك».

هزَّ هينريك رأسه باضطراب، ثم قال: «ماذا تفعل هنا؟ أنا... بيورن هل يمكنك الانتظار في مكتبي وسوف آتيك عندما أنهي الأمر هنا، خمس عشرة أو عشرون دقيقة ربما. أنا... مشغول نوعًا ما... كما ترى».

أشار نحو الرجال الملتفين حول الطاولة، الذين بدت عليهم الدهشة وهم يتطلعون إلى المدعي العام ومرافقته الحسناء.

تردد بيورن: «كلا. أخشى ألا يكون الأمر بهذه السهولة هينريك... يمكنني التوضيح إذا أعطيتني بضع دقائق... يمكنني أن...».

أشار المدعي العام نحو الرواق.

قال المتهم مع ابتسامة متصنعة: «بضع دقائق ؟ الآن ؟ كما قلتُ لك بيورن ، أنا أُجري نوعًا من التقديم المنظم ، أحتاج حقًّا إلى إنهائه».

استدار نحو الرجال حول الطاولة باحثًا عن الدعم ، لكنهم لم ينطقوا بكلمة.

قال بيورن وهو يحاول استجماع شجاعته: «أنا آسف هينريك ، لكن لا يمكن تأجيل هذا».

قال نيلسون بنبرة حادة متوترة هذه المرَّة: «سأقول لك للمرَّة الأخيرة.. أرجو أن تذهب إلى مكتبي وتنتظرني هناك وسآتيك عندما أفرغ من هذا».

أما كارولاين ثورن التي كانت تقف حتى هذه اللحظة خلف المدعي العام ، فقد نفد صبرها من ذلك الجدال العقيم ، وحاولت إعادة المدعي العام إلى الطريق الصحيح بواسطة إشارات جسدها. لكنها تقدَّمت الآن إلى الأمام قائلة بصوت مرتفع: «هينريك نيلسون أنت مقبوضٌ عليك ، ستأتي معنا إلى مركز الشرطة حيث سنقوم هناك بإجراء تحقيق أولي».

فغر نيلسون فاهُ مندهشًا ، ثم هزَّ رأسه وقد هربت منه الكلمات: «إن هذا من أكثر الأمور سخافة و...».

قال بيورن وهو يحاول أن يخفف من افتقار ثورن إلى اللياقة: «هينريك ، يتوجب علينا حقًّا أن...».

صاح نيلسون الذي استعاد رباطة جأشه فجأة: «اخرجا. إن محاميَّ سوف...».

لم تستطع ثورن سماع المزيد.

من أين أتت الأصفاد؟ لم يستطع المدعي العام تفسير ذلك لاحقًا. تجاوزته ثورن ولفَّت إحدى الحلقتين حول رسغ هينريك نيلسون. حدث الأمر بسرعة ، حتى إن المدير لم يكن لديه وقت كافٍ لإدراك ما يحدث ، ثم قامت كارولاين ثورن بلف الحلقة الأخرى من الأصفاد حول رسغ بيورن كانت.

نظرت إلى الصديقين بابتسامة واسعة ، ثم قالت: «سأعود إلى مركز الشرطة الآن ، وأينما أذهب فالمفتاح سيكون معي. هل ترغبان في القدوم لزيارتنا هناك ؟».

غادرت الغرفة، ومشت نحو المصعد والضابطين المنتظرين، ثم قالت: «سيأتي الآخران الآن، سننتظرهما هنا».

10

اختار ميشال معلوف ملعب كرة القدم في فيتيا كمكان للقاء. كانت ساحات كرة القدم مكانًا محتملًا للقاءات ، مثل أي مكان مفتوح آخر ، حيث يمكنك التأكد من عدم وجود مَن يسترق السمع من خلف الأحراش.

قال معلوف إنه اتبع إرشادات الرجل صاحب الكلاب ، وكان هذا مما يتوجب على سامي سماعه بأذنيه ، لكنه لم يقل شيئًا آخر.

وقف سامي فرحان في الظل في المتنزه خلف موقف السيارات في فيتيا. كانت الأضواء تنطفئ تباعًا في نوافذ البرج الضخم أعلى التل ، وهو مُجمَّع للشقق السكنية بُني كجزء من برنامج المحافظة للإسكان الشعبي خلال الخمسينيات والستينيات. كان سامي يتذكر دائمًا في كل مرَّة يعود فيها إلى تلك المناطق: بريدانغ ، بوتكيركا ، أو فليمينغسبيرغ ، لماذا انتقل إلى سوديرمالم. هناك في الخارج يقبع ماضيه وليس مستقبله.

كانت العاشرة والنصف مساءً ، وعلى الرغم من ارتدائه كنزتين تحت معطفه فإن ملابسه لم تكن تقيه من البرد. سينتهي شهر شباط قريبًا ومع ذلك ما زالت درجات الحرارة في انخفاض مستمر. قال ميشال معلوف إنه سيكون هناك في العاشرة والربع. وصل سامي كالعادة في الوقت المحدد ، وهو ينتظر الآن منذ نصف ساعة. كان نفاد صبره أسوأ من البرد ، وقد ورث هذا من والده كما كانت والدته تقول دائمًا. لا شك أن جولة سريعة من الركض حول المتنزه كافية لتدفئته وإنهاء توتره ، لكن مَن يدري ربما كانت هناك أعين ترصده من ذلك البرج في الأعلى.

بعد خمس دقائق أخرى ، توقفت سيارة «سيات» رمادية في موقف السيارات ، فتنفس سامي الصعداء. كان يرغب في العودة إلى المنزل قبل منتصف الليل ، حيث شكَّت كارين في أمره عندما أخبرها أنه يتوجب عليه المساعدة في تحضير البوفيه البارد للَّيلة الثانية على التوالي. لم يكن يكذب في أنه يعمل لأوقات إضافية في مطعم عمه في ليليهولمن ، وكانت النقود التي يحضرها خير دليل على ذلك.

كان أجره من البوفيه البارد يكفيه بالكاد لدفع إيجار الشقة ، وثمن حفاظات الأطفال ، والعصيدة. ولا شك أن جهود كارين هي التي تُبقي العائلة معًا على الصعيدين المادي والعاطفي.

توقفت السيارة «السيات» المدهشة بجوار سيارة «أودي» عند طرف الموقف. تعرَّف سامي مباشرة على الشكل القصير المكتنز الخاص بمعلوف عندما تحرك حول السيارة وفتح باب الراكب الأمامي. ترجلت امرأة من السيارة ترتدي سترة بيضاء فخمة وقبعة بيضاء مرقطة. لم يتمكن سامي من معرفة المزيد من النقطة التي يقف فيها.

أظهر نفسه بتقدمه خطوة واحدة نحو الأمام خارج الظل ، فلوَّح له معلوف. وبعد عدة دقائق كانا وجهًا لوجه.

قام معلوف بتقديم أحدهما إلى الآخر: «أليكساندرا هذا هو سامي ، سامي هذه أليكساندرا سفينسون».

خلع سامي قفازه وصافح أليكساندرا ، بينما تنظر هي بعيدًا. لو كان هناك ضوء كافٍ لتأكد لمعلوف أنها تتضرج خجلًا.

قال معلوف كأنهما التقيا مصادفة: «حسنًا ، هل ستستطيع تحمُّل رفقتنا لبعض الوقت ؟».

أومأ سامي بابتسامة مصطنعة ، ثم قال: «يا للمصادفة! أنتما الاثنان هنا.. أنتَ في طريقك عائدًا إلى المنزل ميشال ؟».

أجاب معلوف دون أي سخرية على الإطلاق: «نعم ، نعم. لأجل بعض الشاي الدافئ مع العسل».

ضحكت أليكساندرا كأنه ألقى بطُرفة ، حتى لا يظن أحد أنها صدَّقت حكاية الشاي والعسل تلك.

يعلم سامي أن عائلة معلوف مدت جذورها في فيتيا ، ثم تركت تلك الجذور تنتشر في ضواحي السويد. لكن سامي لم يكن يشعر بالانتماء إلى أي مكان أو حي ، حتى سوديرمالم.

بدأوا في التحرك ، وقادهم معلوف عبر ملعب كرة القدم الغارق الآن في العتمة. كان الصقيع يتكسَّر مُصدرًا صوتًا رقيقًا تحت أحذيتهم. لم تنطق أليكساندرا بأي كلمة ، وانتظر سامي أن يبدأ ميشال الحوار. تساقطت أضواء الطريق السريع على الملعب في شكل خيوط رقيقة ، وعندما مروا خلال أحدها حظي سامي بفرصة كي يُنعم النظر إلى أليكساندرا سفينسون.

وجد أنها جميلة أكثر من المتوقَّع. كانت ظلال رموشها الطويلة تتكسَّر على وجنتيها المستديرتين اللتين اكتسبتا لونًا أحمر في هواء الليل البارد. وأخبره الألق في عينيها أنها مخمورة قليلًا. لكنها لم تكن حمقاء قَطُّ.

دوَّن سامي تلك الملاحظة في ذهنه.

بدأ معلوف: «نعم. حسنًا. كنا في المدينة بغرض تناول العشاء في مكان ما في كونغسهولمن. حسنًا ، هل تعلمين أن سامي كان طاهيًا ؟».

تساءلت أليكساندرا باهتمام: «أنت طاهٍ ؟ أنا أُحب الطعام والطهو ، لكني لستُ جيدة فيه نوعًا ما. لن أتمكن أبدًا من الذهاب إلى «كام داين وذ مي» أو إلى أي مكان من هذا القبيل ، أو ربما يمكنني ذلك. أنا أُجيد صناعة الشوكولاتة موس».

أضاف معلوف مع أن ما يشير إليه لم يكن واضحًا: «صحيح».

«أنا أحب الخبز».

بدت أليكساندرا متحمسة جدًّا: «حقًّا ؟».

«البسكويت غالبًا».

توقفت ونظرت إليه باستغراب.

واصل سامي: «نعم. البسكويت المحشو بتوت العليق والعصي الفنلندية. أنتِ تعرفين».

بدا جادًّا ، ولكن فكرة وقوف هذا الرجل القوي الضخم بالقرب من صينية الخبز وهو يقوم بإضافة مربى التوت إلى قطع البسكويت بدت أمرًا غير مألوف. ضحكت ضحكة بسيطة كي تريه أنها أدركت مقصده.

«أين تعمل ؟».

أخبرها سامي باسم المطعم في ليليهولمن ، ثم تساءل: «ماذا عنكِ ؟ ما عملكِ ؟».

قالت: «أنا أحصي النقود» ، ثم ضحكت ثانيةً.

بدا معلوف متأثرًا ، فقد تمكَّن سامي من طرح الموضوع بشكل أسرع بكثير مما فعل هو.

«تحصين النقود ؟».

«أعمل في م4أ». ثم أوضحت بشكل غير ضروري: «إنها شركة للنقل الآمن ، نحن نجمع النقود من المحلات ، أو شيئًا من هذا القبيل».

قال سامي مترنمًا: «مدهش! هل يعجبكِ ذلك ؟».

«إنه أمر جيد ، لكن الساعات نوعًا ما... عليكَ أن تعمل ليلًا ليومين في الأسبوع ، ثم يضيع اليوم التالي حيث تستيقظ متأخرًا عند المساء ، ولا تتمكن من الإخلاد إلى النوم في تلك الليلة لأنك غير متعب. إنه أمر صعب حقًّا».

قال سامي: «أمرٌ مشابهٌ لكونكَ طاهيًا».

بدا صوتها حماسيًّا عندما أدركت أن لديها شيئًا مشتركًا مع غريب ما: «لم أفكر في ذلك قَطُّ».

توقف معلوف عند موقع الهدف ، والنسيم المنعش يهب عبر الملعب المفتوح حاملًا معه أبخرة الإرهاق والرعدة الباردة التي تلسع جلودهم.

أدار الثلاثة ظهورهم للهواء ووجوههم نحو الباحة دون تفكير مسبق. لم يتمكنوا من سماع شيء سوى صوت السيارات القليلة التي تمرُّ على الطريق السريع والذي يبدو مثل أزيز بعيد.

ضغط سامي بقوة على الثلج الذي يغطي الأعشاب مثل بطانية بيضاء رقيقة.

قال معلوف: «نعم ، نعم. إنه لأمرٌ صعبٌ أن يتوجب عليكِ الذهاب إلى فاستبيرغا كل يوم».

يريد معلوف أن يعيدها إلى الموضوع الرئيسي ، وكانت أليكساندرا شخصية تستجيب

بسرعة لتلك الإيحاءات.

وافقت على كلامه: «نعم. ذلك هو الأمر. إنه صعبٌ جدًّا. أعني فاستبيرغا. ما ذلك المكان حقًّا؟ لقد استأجرتُ في هامارِبي سيوستاد حتى أتمكن من الذهاب مباشرة عبر أسترا، لكن عند المساء وفي الليل فالأمر أشبه بالسفر إلى خارج البلاد. القطارات، المترو، الحافلات. تقدمتُ للحصول على عمل في «لوغنيت» في المدرسة المجاورة حيث أقيم، لكني لم أحظَ به. كان هناك ما يقرب من ألف شخص تقدموا للحصول عليه».

مزح سامي وهو يلكزُ ميشال: «يمكنكِ أن تسألي صديقكِ الجديد عن وسيلة مواصلات. إنه يعمل في الليل أيضًا في بعض الأحيان».

قالت أليكساندرا باستغراب: «صديقي الجديد؟». ثم أدركت أن سامي يقصد معلوف: «نعم. أعني.. لا أعرف».

لم يستمتع معلوف بالمزحة، لكنه شجَّعها وقال بلُطف: «قلتِ إنكِ لا تمتلكين أفضل الزملاء أيضًا».

أجابت أليكساندرا على الرغم من نبرة التردد التي ظهرت في صوتها: «كلا، هذا مؤكد».

كان معلوف قلقًا. هل بدأتْ تُدرك أن الوضع غريب؟ لقد أُخذتْ إلى ملعب كرة قدم بارد في فيتيا للتحدث بلا جدوى عن عملها مع شخص غريب عنها تمامًا. لكنه يعول على رغبتها في أن تبدو قوية أكثر من قلقها حول الأمر.

أجابت: «كلا، ليس الأمر كأنني سأختار التواصل معهم خارج العمل، لكني على يقين أن الأمر محبط دومًا، بالإضافة إلى أني لا أعتزم البقاء هناك وإحصاء النقود طوال حياتي».

قال سامي: «كلا. تبدين ذكية. يُمكنكِ أن تعملي ما تشائين».

سانده معلوف: «نعم، نعم».

«أنا أتجمد ميشال. ألا يمكننا...؟».

وعدها: «سنذهب. ولكن بما أننا نتحدث عن عملك...».

استدار نحو سامي: «عندما أخبرتني أليكساندرا عن فاستبيرغا في المرَّة الماضية قلتُ

إن الأمر... يبدو غير مريح أحيانًا. هناك أشخاص يخططون لسرقة ذلك المكان غالبًا».

أومأت أليكساندرا: «من الصعب أن يقوموا بسرقتنا».

قال معلوف: «نعم، نعم، ولكن هل ما زال ذلك ممكنًا؟».

كان حذرًا من إظهار أي تردد أثناء حديثه كي لا يبدو الأمر متعمدًا.

أكمل: «لأن لديكِ فكرة».

ضحكت، وتطلعت حولها، وكأن أحدًا ما يصغي إليها، ولكن الملعب كان مهجورًا في تلك الليلة المظلمة ولو اقترب منهم أي شخص فسيكون بإمكانهم رؤيته من على مسافة ميل كامل.

قالت: «إنها ليست فكرتي تمامًا. كلٌّ منا يتحدث عن أشياء من هذا القبيل أثناء فترة الاستراحة. أنت تعلم أن الأشخاص الذين يعملون في القبو يظنون أنهم متميزون جدًّا، وأنه من المستحيل الدخول إلى هناك، ولكن هناك أيضًا البقية منا ممن يعملون في إحصاء النقود. نحن نتساءل: لماذا قد يرغب أي شخص في الدخول إلى القبو، هناك تقريبًا آلاف الأبواب والأقفال والكاميرات؟ ولكن في الأعلى.. لدينا مئات الملايين، ولا توجد بالقرب منا أي عناصر أمنية».

قال سامي: «لا أفهم».

أوضحت أليكساندرا: «لو كنتَ لصًّا فلا تحاول الدخول من القبو، بل توجَّه إلى السطح. عليك أن تفتح فتحة فقط وعندها ستكون في قسمنا».

«فتحة في السطح؟».

أومأ معلوف وهو يحاول التحكم في حماسه: «نعم. إن قسم أليكساندرا يقع في الطابق العلوي».

كرر سامي في محاولة للفهم: «إذن يتوجب عليك الدخول من السطح؟».

أكدت أليكساندرا: «بكل سهولة».

ضحك معلوف: «نعم».

كان ذلك بالتأكيد هو ما فكَّر فيه لعدة سنوات أو أكثر مما يتذكر. حاول ميشال

معلوف إيجاد طريقة يصل بها إلى النقود في فاستبيرغا. لا يوجد مكان آخر في السويد يحتفظ بتلك الكمية من النقود كهذا المكان، ولكن بدا الأمر مستحيلًا، لأن تدابيرهم الأمنية أسطورية، ثم استحال الأمر ليبدو بهذه السهولة.

تحت السقف مباشرة توجد غرفة خالية من الحراس ملأى بمئات الملايين من النقود.

توقف الثلاثة صامتين لدقيقة أو اثنتين.

تذمرت أليكساندرا: «قدماي تتجمدان يا ميشال!».

وضع ذراعه حولها كي يمنحها بعضًا من الدفء الذي يستشعره في داخله، وقال: «نعم، نعم. دعينا نذهب الآن».

خطوا في اتجاه منحدر مغطى بالأعشاب حيث يمكنهم السير في طريق مختصر عبر أحد الأنفاق.

كرر سامي وهو يومئ لنفسه: «من خلال السطح؟ حسنًا. أراكَ لاحقًا ميشال، من الجيد أن التقيتكِ أليكساندرا».

ثم اختفى معلوف وصديقته في العتمة.

11

بدأت آلام المخاض مع كارين في المنزل في هوغبيرغسغاتان في الثاني من نيسان.

لم تكن هذه المرَّة كالمرَّة الأولى.

في حملها الأول ذهب سامي وكارين إلى المستشفى باكرًا ، لم يجدا غرفة شاغرة ، وكان عليهما الانتظار في رواق قسم الولادة لمدة ست ساعات ، من الثانية صباحًا وحتى الثامنة. وعندما تحركت الأمور أخيرًا احتاجت كارين إلى اثنتي عشرة ساعة أخرى. سقط سامي نائمًا على السرير في غرفتهما بعد الظهر ، بينما كارين تتجول حوله في محاولة للتغلب على ألمها.

يعلم أن النوم هو وسيلة الجسم للتصرف تجاه أمر لا يمكن تدبره ، لكنه شعر بالخجل حين استيقظ ، لأنه قريب بجسده بدرجة كبيرة من الشخص الذي يحبه ، ومع هذا كان غائبًا وعديم النفع. كان أمرًا مريعًا ، ولم يتمكن من تخفيف ألم كارين أو مشاركتها إياه ، ولهذا كان الهروب إلى النوم خياره الوحيد.

كلما طالت فترة مخاضها ازداد التوتر ، وبدأت أعين الممرضات تتساءل ، وأخذن يتهامسن حول إجراء عملية قيصرية ، لكن فجأة حانت الولادة المنتظرة ، فوُلِد جون في ذلك المساء.

المرَّة الثانية كانت مختلفة.

عندما وصلا إلى المستشفى كانت انقباضاتها متقاربة جدًّا ، حتى إن الممرضات والقابلات أخذنها مباشرة إلى غرفة الولادة ، وبعد ساعة واحدة فقط وُلِد أخٌ لجون الصغير ، وبعد ساعتين كان سامي قد عاد إلى المنزل في هوغبيرغسغاتان.

أثناء الشهر الذي تلا ذلك عاشت عائلة فرحان - سامي وكارين وجون والرضيع - كأنهم محتجزون في شرنقة ، حيث احتُجزوا هم وسكان ستوكهولم تحت غطاء رمادي من المطر المستمر. مرت أيام لم يُغادرا فيها فراشهما ، وأيام لم يُغيرا فيها ملابسهما مع الرضيع وشقيقه الذي سيبلغ العام قريبًا. كان الطفلان بحاجة إلى القرب والدفء والطعام والعناية. لم يبدُ الأمر ملائمًا لو تركا أحد الصبيين مع جليسة أطفال أو حتى مع والدة

كارين أو سامي.

مع نهاية نيسان، وبحلول أيار (مايو) شعر الوالدان بأن عزلتهما بدأت تتبدد، فتناوبا على مغادرة الشقة وإعادة التواصل مع العائلة والأصدقاء، مستعيدين هويتهما المتميزة عن كونهما مجرد والدة أو والد.

كان في انتظار كارين ربيع مبكر، وسماء زرقاء، ورياح خفيفة، وأصدقاء مخلصون، وجدّات متشوقات. وكان في انتظار سامي ديون لن تقوم بدفع نفسها أثناء شهر غيابه كوالد.

وعلى رأس ذلك عدد كبير من مكالمات ميشال معلوف التي لم يُرَدَّ عليها.

مرَّ التخطيط للأعمال بعدة مراحل، وعليك أن تترك الأبواب مفتوحة لأنك لن تعرف أبدًا ماذا سيحدث. كانت الأمور تميل تدريجيًّا نحو كفة العمل في فاستبيرغا، على الرغم من أن سامي لم يكن يرغب في صرف نظره عن خطة مضمار تابي للسباقات. آخر شيء وعد به قبل أن يدخل إلى سديم الطفل الجديد هو أن يحاول التحقق من قصة أليكساندرا سفينسون.

بدت فكرة الدخول بصورة مباشرة من خلال السطح إلى الغرفة التي يقومون فيها بإحصاء النقود في الطابق السادس جيدة جدًّا، إن كانت حقيقية. فكر سامي: هل اختلقتْ كل ذلك كي تؤثر فيهما؟ كان يعرف طريقة واحدة للتأكد من الأمر، ولهذا ففي يوم ما من بداية أيار ذهب إلى صالة «برو» الرياضية في هوغبيرغسغاتان للقاء إزرا راي.

صرخ إزرا في الصالة الرياضية: «هنا».

تخطَّت الساعةُ العاشرةَ بقليل في صباح السبت. وعلى الرغم من أن الوقت مبكر نسبيًّا فقد كان المكان مكتظًّا، فالاهتمام بالتمارين يصل ذروته غالبًا عندما يأتي الربيع، وفكرة ملابس السباحة تُرعب الناس وتعيدهم إلى التدرب على الدراجات والسلالم.

لوَّح سامي بيده، وتوجَّه نحو زاوية الأثقال الحُرَّة حيث بدا إزرا مشغولًا. تعرف على تلك الرائحة المميزة للصالة الرياضية؛ رائحة العرق والمعدن، وموانع التعرق ومواد التنظيف.

صرخ إزرا من بعيد: «يا للرب! أنت تبدو مزريًا».

استدار الأشخاص من حولهم بصورة عفوية كي يروا هذا الذي يبدو مزريًا. شعر سامي أن أعينهم تجول بلا رحمة على كنزته الخفيفة، وتكتشف كمية الشحوم الزائدة التي اكتسبها حول معدته في فصل الشتاء.

واجه سامي مشكلة في العودة إلى التمارين أثناء السنوات الماضية، حيث ربط بين ذلك النوع من العقاب وبين الحياة الروتينية في السجن، وعندما خرج كان رفع الأثقال آخر شيء يرغب في فعله.

قال لصديقه: «ماذا عنك إذن؟ أنت هزيل جدًّا كسمكة شوكية، وتحتاج إلى إضافة بعض الوزن على هاتين الذراعين».

كان إزرا يستخدم الأثقال، فأسقطها مباشرة على اللباد مصدرًا صوتًا مدويًا. ومع رأسه الحليق، وعظام وجهه المرتفعة، ووجنتيه الغائرتين، وأنفه المكسور، وجسده العضلي المشدود، لم يشعر إزرا بالحرج من أن يتصرف باهتياج.

صرخ: «أنت ماذا؟ أنت ماذا؟».

سكنت الصالة الرياضية سكون الموت.

ضمَّ إزرا قبضتيه واتخذ وضعية الملاكمة التقليدية، ففغر المحيطون أفواههم من فرطِ الدهشة وحدَّقوا إليهما. لم يبدد سامي الوقت وحاكَى وضعية صديقه.

«حسنًا أيها الوغد، سأريك كم أنا هزيل».

بعد ثانية واحدة انفجر إزرا في الضحك.

لم يجد المتفرجون المتعطشون للإثارة خيارًا آخر سوى صرف انتباههم والعودة إلى أنفسهم.

قال إزرا وهو يعود إلى التقاط الأثقال لاستكمال تدريبه: «أتكلم بجدية يا سامي. تبدو كأنك خسرت بعضًا من لياقتك».

أومأ سامي. لم يكن هناك مجال لإنكار ذلك.

التقى الرجلان أول مرَّة أثناء فترة مراهقتهما، كانا يتمرنان معًا من وقت إلى آخر، وقد

بدت الملاكمة عند إزرا راي أمرًا تقليديًّا جدًّا ، ومنتظمًا جدًّا. بدأ بالكاراتيه والجيوجتسو ، لكنه عانى مشكلة في أخذ تلك الانحناءات والتأملات بصورة جدية ، فعندما يحتدم القتال الفعلي تبدو الرياضة كأنها صُنعت له شخصيًا ، ربما أصبح كبيرًا جدًّا عليها الآن ، لكن ما دام مستمرًّا بالفوز في النزالات فإن سنه لم تكن مشكلة. أثناء السنوات العشر الأخيرة تدرب إزرا راي لينال بطولة ما تلو أخرى ، وذلك السبت من أيار لم يكن استثناءً.

في تلك الأيام نادرًا ما انتهى في القمة ، لكنه لم يكن الأخير أيضًا.

قال: «سأفرغ قريبًا ، عندها سنتمكن من شرب مخفوق البروتين اللذيذ وسنتحدث بجدية».

قال إزرا راي بعد عدة دقائق وقد انضم إلى سامي عند المشرب البسيط في الطرف الآخر من الغرفة: «تحدثتُ إلى شقيقتي».

كان مخفوق البروتين والشوكولاتة البيضاء بالفراولة في انتظاره.

«لم أخبرها تمامًا بماهية الأمر ، لكني سألتها كيف نحصل على مخططات البنايات ، وهل ستتمكن من تدبير ذلك الأمر. قالت إن عليك الذهاب إلى مكتب تخطيط المدينة فقط».

تعمل كاتينكا شقيقة إزرا في شركة تصاميم ، وكانت الشخص الذي فكر فيه سامي عندما وعد معلوف بأن يتأكد من قصة أليكساندرا سفينسون.

«مكتب تخطيط المدينة ؟».

«تأكدتُ أنه يمكن لأي شخص الذهاب إلى هناك ، فليس بالضرورة أن تكون مهندسًا معماريًّا. إنه في فليمينغاتان ، ذلك مكانك يا سامي». ضحك إزرا: «بجوار مركز الشرطة والسجن».

لم يبتسم سامي ، وقال: «جيد. ذلك هو الأمر على أية حال».

شرب إزرا بعضًا من المخفوق ، وترك شاربيه ملوثين بالبروتين الوردي الشاحب ، وبطريقة ما وافق ذلك مظهره الجامح.

«اللعنة! هذا جيد».

أجاب سامي: «لا أدري. فالذهاب إلى مكتب تخطيط المدينة والسؤال عن مخططات أكبر مستودع أموال في المدينة لا يبدو في الحقيقة أمرًا ذكيًّا. تعرف ما أقصده؟».

كان يجلس على كرسي المشرب وساقه تهتز صعودًا ونزولًا.

«قالت كاتينكا إن الأمر يجري هكذا. ألا يمكنك الجلوس ساكنًا؟».

أجاب سامي بينما تهتز ساقه بشكل منتظم: «لكنه مستودع النقود!».

«نعم. لا بد أنها كانت تمزح، لن يعطونا تلك المخططات. ليست لديَّ فكرة. هل يمكنك المحاولة؟».

صرخ سامي: «أنت مجنون؟».

ضحك إزرا وهو يشرب الجزء الأخير المتبقي في كأسه تاركًا بقعة من الفراولة على أرنبة أنفه: «أنت تعرف هذا. يمكنني أن أجرب ذلك لو أحببت».

افتعل سامي ابتسامة وهزَّ رأسه. لقد ضرب إزرا راي على رأسه عدة مرَّات.

في صبيحة يوم الاثنين أوقفا سيارتهما في شيليغاتان. انتظر سامي في السيارة كنوع من الدعم المعنوي، بينما مشى إزرا أسفل التل نحو فليمينغاتان ومكتب تخطيط المدينة.

عبر الشارع بطريقته الغريبة المعتادة. لم تكن ذراعاه تتحركان إلى جانبه فقط، بل كانتا أشبه بريشتي مروحية. كان إزرا يمتلك ساقين منحنيتين بشدة منذ طفولته، مما يعني أن كل خطوة نحو الأمام كأنها تمايل نحو اليمين واليسار.

هرول عبر السلالم نحو البناية القرميدية الضخمة، واستخدم لوحة الإعلانات عند المدخل كي يستدل على مكان مكتب تخطيط المدينة. كانت الساعة قبيل الحادية عشرة، ولم يلتقِ بأي شخص آخر في طريقه خلال الرواق الذي انتهى أخيرًا بباب زجاجي جميل.

رنَّ الجرس. أصدر الباب أزيزًا خافتًا ثم فُتح، ودلف إزرا إلى الداخل.

توجَّه بدون أدنى تردد نحو الرجل العجوز الجالس خلف منضدة الاستقبال، ثم قال بمرح: «مرحبًا. أرغب في الاطلاع على مخططات بناية في فاستبيرغا.. عند زقاق

فاستبيرغا».

تفحَّص الرجل بدقة ذلك الشاب المقاتل ذا البنطال الجينز الممزق والسترة الجلدية السوداء والابتسامة العريضة، ثم أومأ برأسه وكتب العنوان على حاسوبه.

قال دون أن يرفع نظره: «أها. أنت تعني فريتين 7 ملك جورج شيرمان عند زاوية ممر فاستبيرغا وفريتينبورغسغاتان 32؟».

أجاب إزرا وليس لديه أدنى فكرة عما يقصده الرجل العجوز: «بالتحديد».

كان الرجل يقرأ من الشاشة.

«آخر مرَّة طلب فيها أحد رؤية هذه المخططات كانت في تشرين الأول عام 1979».

هزَّ إزرا كتفيه لامباليًا. يبدو أن الرجل كان يقرأ بصوت مرتفع من بعض الملاحظات الأرشيفية.

أكمل وهو يشير إلى غرفة صغيرة مليئة بالكراسي والطاولات: «هلَّا ذهبتَ إلى هناك. سآتيك بكل شيء نمتلكه، هل تعرف القواعد؟».

لم يجرؤ إزرا على الإجابة بنعم، وقد دفع تردده الرجل العجوز إلى الإيضاح: «ستتمكن من دراسة مخططات الموقع، ويمكنك أن تقوم بالتقاط الصور لو رغبتَ في ذلك، ولكن النسخ الأصلية لن تغادر هذه البناية. مفهوم؟».

أومأ إزرا راي موافقًا.

قال الرجل العجوز وهو يشير لزائره نحو الغرفة الجانبية: «حسنًا إذن».

ثم غادر غرفة الاستقبال نازلًا إلى قبو يُستخدم كأرشيف للبحث عن تلك المخططات - كما افترض إزرا.

لم يكن إزرا راي متفاجئًا على الإطلاق، فقد أوضحت له شقيقته الكبرى أن الأمر سيكون هكذا، ولم تكن مخطئة.

استغرق الأمر عشرين دقيقة قبل أن يعود الرجل العجوز ومعه كومة كبيرة من الأوراق ألقاها على الطاولة أمام زائره الشاب، ثم قال: «هذا كل ما لدينا. استمتع به».

نظر إزرا نحو الرزمة، وتصفحها بعشوائية، وأدرك أن فهم تلك الخطوط والأرقام

يتطلب معرفة يفتقر إليها.

تظاهر أنه منهمك في تفحص إحدى النسخ الأصلية الزرقاء، ثم قال: «شكرًا».

لكن الرجل العجوز كان في طريقه نحو ردهة الاستقبال، ولم يكن لديه أدنى اهتمام بما سيفعله إزرا بتلك المخططات.

مكث إزرا في تلك الغرفة الصغيرة قرابة الساعة، ثم أتى الزائر الثاني، وجرى نقاش قصير عند الاستقبال هذه المرَّة أيضًا، وبعدها نهض الرجل العجوز ليختفي في أرشيفه.

عند ذلك قام إزرا راي بطي المخططات العائدة إلى فريتين 7 تحت إبطه، وتهادى بثقة خارجِ مكتب تخطيط المدينة.

كان سامي ينتظر في السيارة، وقد ازداد توتره شيئًا فشيئًا لعدم قدرته على العودة إلى كارين في الثانية عشرة كما وعدها. وفجأة رأى رجلًا مجنونًا يركض نزولًا من شيليغاتان وفوق ذراعيه أوراق كثيرة. ومن النافذة المفتوحة سمع صوت راي الظافر: «لقد فعلتُها! أترى أيها الأحمق اللعين؟ لقد فعلتُها!».

غالبًا ما تعتبر ليدينغو ، وبصورة مغلوطة ، واحدة من ضواحي ستوكهولم المرفهة ، ولكن الحقيقة كانت أكثر تعقيدًا من ذلك.

أثناء عصر الفايكنغ ، سنة 1000 تقريبًا ، انتشرت الزراعة في هذه الجزيرة ، وبعد مئات السنين عندما أصبح المجتمع الزراعي التقليدي أقل فاعلية ونُثرت بذور الثورة الصناعية في ضواحي العاصمة ، بقيت ليدينغو منعزلة وقديمة الطراز. ويعود ذلك إلى سوء التواصل ، حيث كان الرابط الوحيد مع الأرض جسرًا خشبيًّا بُنِيَ في بداية عام 1800 بين لارسبيرغ وكاكناس في ديورغاردن. ومنذ ذلك الوقت ليس هناك بديل عنه سوى التجديف عبر الماء. لم تتطور تلك الجزيرة ، وبدلًا من ذلك شرع سكان ستوكهولم الأغنياء في بناء بيوتهم الصيفية هناك ، وهي منازل فخمة إلى جوار الماء على طول الساحل. ولم تدخل الصناعة ذلك المكان حتى بضع سنوات قبل القرن العشرين ، إلى أن أنشأ فيه غوستاف دالين شركة لبناء الطباخات الغازية.

افتُتح الجسر العصري الأول في ليدينغو بعد أعوام من انتهاء الحرب العالمية الأولى ، وفي الوقت الذي انتهى فيه الجسر الثاني كان سياسيو البلد قد قرروا تحويل تلك المنازل إلى مجتمع معاصر. خططوا وبنوا مناطق جديدة مع بنايات عملية للشقق في رودبودا وكابالا ولارسبيرغ. وعكست تلك اللمسات الأخيرة على الضاحية جو المدينة الكبيرة. تمكنتْ آثار مزارع وحقول المجتمع الريفي ، ومنازل التجار الجميلة منذ 1800 ، وكذلك بعض المناطق الصناعية والمصانع الرائعة المبنية بالطابوق ، من البقاء على قيد الحياة أثناء العصر التالي الذي تشوَّه فيه كل شيء.

ليدينغو اليوم بعيدة جدًّا عن كونها مقاطعة غنية متناسقة ، لأن أعضاء الهيئة المحلية تخلوا عن فكرة تطويرها ، فبقيت كما هي دون تغيير أسوة بأي مكان آخر.

كان هيرسبي واحدًا من أحياء ليدينغو ، وسُمي بهذا منذ عصر الفايكنغ ، ولكن ساحة الخردة المجاورة لفاسافاغين لم تُذكر في التاريخ بتاتًا. كان سفيني غوستافسون يُقدِّم حلًّا لسكان المدينة المكتظة الذين يجهلون ما يفعلونه بسيارة لا تستحق الإصلاح ، مقابل

زوجين من فئة العشرين كورونور أو ربما مائة.

قام غوستافسون بسحب المركبات الصدئة إلى الزاوية خلف البناية الخشبية الصغيرة التي يستعملها كمكتب له، وأحاط ساحة الخردة بجدار مرتفع ذي أسلاك شائكة في أعلاه. كان يكوِّم هياكل السيارات أحدها فوق الآخر باستخدام رافعة ثابتة، بينما يبيع قطع غيارها النادرة التي تساوي الواحدة منها أكثر مما دُفع في السيارة نفسها.

كوَّنت أكوام السيارات ممرات ضيقة، وعند نهاية أحدها كانت تقبع حاوية كبيرة في منتصف الطريق نحو الغابة، يبدو من الخارج معدنها الأخضر المُشقق صدئًا وغير متناسق. ولكن عندما فتح زوران ميلكوفيتش الباب في إحدى جهاتها دخل مباشرة إلى ورشة حديثة، جدرانها الداخلية مكسوة بصفائح الألمنيوم تحت طبقة من الفولاذ، وسقفها عازل للصوت.

كان ميلكوفيتش شريك سفيني غوستافسون وممولِه المالي، لكن لم يكن أحدٌ يعرف ذلك، فهذا ما أراده ميلكوفيتش. كان خلف العديد من الأعمال الأخرى وبالطريقة نفسها: شركة للتنظيف، بعض المطاعم، مجموعة من صالونات التجميل، شركة بناء في تالين، وأخرى في مونتينيغرو، وغيرها الكثير.

وُلِد اليوغسلافي الطويل النحيل في لوند في أقصى جنوب السويد قبل أربعين عامًا تقريبًا. أغلق خلفه باب الحاوية، فرفع الأشخاص الستة الذين يعملون في الداخل نظرهم إليه من مواقع عملهم، يرتدي كلٌّ منهم سترة مضادة للرصاص فوق ملابسه، ولديهم جميعًا خُوَذ مع أقنعة واقية.

بدا الأمر كأنهم في فيلم خيال علمي، وقد جُلبت تلك التجهيزات من باوهاوس.

وجههم ميلكوفيتش: «كلا كلا. استمروا في العمل. استمروا في العمل».

تقبع على كل طاولة من الطاولات الست حقيبة أمنية زرقاء، سُرقت حديثًا من مركبة نقل مصفحة أو من حارس ما، وبدون الرمز السري الصحيح أو المفتاح فإن أنبوبة الصبغة ستنفجر لو حاول أحدهم فتح الحقيبة بالقوة. كان ميلكوفيتش يدفع المال للمهندسين الشبان الستة كي يجدوا طريقة لفتح الحقائب بدون تفعيل المُفجر. وزَّع الشبان طُرق فتح

الحقائب فيما بينهم، فاستخدم أحدهم شعلة اللحام في محاولة لفتح الحقيبة، واستخدم الثاني منشارًا دائريًّا صغيرًا، وحاول الثالث انتزاع القفل، بينما حاول الرابع اقتحام الحقيبة من قعرها، ولدى كلٍّ منهم كاميرا رقمية مثبتة على حامل ثلاثي القوائم خلفه بالضبط، تقوم بتصوير كل حركة من حركاته. كان الشيء الوحيد المشترك بين هؤلاء الستة هو عدم تحقيق أي تقدم خلال أسابيع.

لم يعد زوران ميلكوفيتش يتذكَّر عدد الحقائب التي ضحى بها أثناء بحثه المستمر عن طريقة لفتحها بدون استثارة جهاز التفجير. مشى ببطء إلى جانب كل شاب من هؤلاء الشبان، وتبادل معهم بضع كلمات. كان ميلكوفيتش يجد التحدث إلى أحد الشبان الذين يبلغ عمر الواحد منهم تسعة عشر عامًا كالتحدث إلى وزير البناء والعمران في مونتينيغرو. هذا ما كان الأمر عليه دائمًا.

قال لفتاة في العشرينيات تنشغل في استخدام شعلة اللحام كي تصنع حفرة صغيرة في الزاوية اليُمنى أسفل الحقيبة: «جيد. جيد».

مدَّ ميلكوفيتش يده الطويلة إلى الأمام، ثم رسم بتأنٍ أنيق نمطًا معينًا في الهواء فوق الحقيبة، قائلًا: «هكذا يكون الأمر. هذا صحيح. إنه أشبه برسم لوحة، تحريك الشعلة أمامًا وإلى الخلف مثل مونيه أو مانيه. لديَّ معرفة شخصية بمدير المتحف في ليون، إنه مهووس بضربات الفرشاة، لقد ملأ حديقته بالرمل ثم اشترى جرافة خاصة دقيقة الأسنان كي يتمكن من سحبها على الرمل و...».

«زوران!».

كان هذا مساعد سفيني غوستافسون، وهو ميكانيكي محترف، دسَّ رأسه عبر الباب مقاطعًا ميلكوفيتش.

استدار اليوغسلافي في مكانه منزعجًا: «نعم؟».

«لديك زائر. معلوف هنا».

أومأ ميلكوفيتش: «حسنًا. سأكمل الحكاية لاحقًا. استمري في العمل، وتذكري أننا لسنا في عجلة، لم نكن يومًا في عجلة، لا شيء جيدًا سيتأتى من ذلك».

قوبل تصريحه بنوعٍ من الامتنان. وصل زوران إلى منتصف الطريق عبر متاهة الخردة، متوجهًا إلى مكتب غوستافسون، وفي أثناء ذلك سمع صوت انفجار كبير، صوتٌ مألوف جدًّا على أسماعه حتى إنه لم يقفز. انفجرت حقيبة ثانية إذن، وسيتوجب عليهم إحراق رزمة أخرى من الأوراق الملونة. حاولوا تنظيف الأوراق من الصبغة بكل طريقة ممكنة، لكن لم يُجدِ تسخينها أو وضعها في الغسالة مع الكلور أو دعكها باليد نفعًا، ولا يزال اللون كما هو. إنه أمر لا يمكن تحقيقه ببساطة.

انحنى ميلكوفيتش كي يتجنب ارتطام رأسه بالباب وهو يدلف إلى المبنى من الباب الخلفي. كان ميشال معلوف ينتظر على كرسي في المطبخ خلف مكتب سفيني غوستافسون، وكان سفيني في الخارجِ في ذلك الوقت، وهو أمر يحرص عليه معلوف دائمًا عندما يكون لديهم.

قال ميلكوفيتش: «قدح من الماء الفاتر من فضلك».

«ماذا؟».

«لا أرغب في أي شيء آخر».

حدَّق معلوف في صديقه الطويل بدهشة عندما جلس إلى الطاولة، وقال: «ماء؟ ترغب في أن أجلب لك ماءً؟».

أومأ ميلكوفيتش إيماءة حث بها معلوف على إحضار الماء.

ضحك معلوف وهزَّ رأسه: «نعم، نعم».

ثم قال وهو ينهض واقفًا: «حسنًا. إنه ماؤك الفاتر».

ذهب معلوف وملأ كأسًا من ماء الحوض ثم عاد إلى الطاولة واضعًا الكأس أمام زوران ميلكوفيتش الذي أومأ مستحسنًا.

تعارف الرجلان منذ فترة طويلة، ولكن علاقتهما تحددت دائمًا بكون ميلكوفيتش هو قائد الملعب، فكان معلوف يتسكع أثناء سنوات المدرسة، بينما كان زوران ميلكوفيتش النموذج الأعلى الوحيد لمعلوف الذي لا يلعب كرة القدم. وعندما تعلَّم ميلكوفيتش كيف يُنفق نقوده في ذلك الوقت - كانت خزانته مملوءة بالثياب من ماركة أرماني ولم يكن

يغادر المنزل في مساء الجمعة بدون بطاقته الأمريكان إكسبريس - ساعد معلوف على معرفة أهدافه الخاصة في الحياة.

قال معلوف الشاب بينما يضحك ميلكوفيتش: «سوف أصبح مليونيرًا».

رد: «المليون هو ما أجنيه أنا في شهر واحد».

«من خلال السطح ؟».

أوضح معلوف مع ابتسامة. «نعم ، نعم. من خلال السطح».

كانت الثانية والنصف عصرًا. ما زالت هناك كومةٌ من الصحون والأكواب في الحوض منذ أشهر ، فلم يكن سفيني غوستافسون من النوع المُنظم ، وقد بذل معلوف وميلكوفيتش قصارى جهدهما للتظاهر بأنَّ المصرف المعطوب في الحمَّام لا يبعث رائحة كريهة. إنهما لا يُجريان هذا النوع من الحوارات إلا وهما يتجولان في الخارج ، ولكن لأن السماء أمطرت فجأة لم يرغب أيٌّ منهما في أن يبتل. كانا يتحدثان عن الأموال التي سيجنيانها من الحقائب الأمنية السوداء عندما ذكر معلوف أليكساندرا سفينسون.

قال ميلكوفيتش: «أنت تتحدث عن حلم قديم. لقد كنت تحوم حول فاستبيرغا منذ سنوات».

ابتسم معلوف موافقًا.

قال ميلكوفيتش: «حسنًا. ولكن كيف سيتسنى لك الدخول من السطح بحق الجحيم ؟».

«لا بد من طريقة ما».

سخر ميلكوفيتش: «الأحذية الطائرة ، أو تلك ، ما اسمها ؟ حقيبة نفاثة مثل مراسم افتتاح الأولمبياد ، هل هذا هو ما تخطط له ؟».

ضحك معلوف: «نعم ، نعم. مثل الأولمبياد تمامًا.. كلَّا».

«ربما يمكنك استخدام إحدى الرافعات المسماة «جامعة الكرز». لديَّ صديقٌ يعمل في شركة موناكو ، إنه يقوم بتنظيف النوافذ ، أنت تعلم أن هناك ثلاثين طابقًا حيث يوجد أعلى شبابيك موناكو ، كان يرسل الأشخاص نحو الأسفل بواسطة صندوق ، إنه كبير

بالقدر الكافي ليتسع إلى خمسة أو ستة أشخاص، وقد جلست فيه ذات مرَّة أثناء سباق الفورميولا 1، على ارتفاع خمسة عشر طابقًا مباشرة فوق المضمار، وكانت السيارات تمر تحت أقدامنا، وكنا نحتسي الصودا، وقد فقدت إحدى الفتيات صندلها، وأوشكتُ على التغوط، تعرف بالطبع، فالصندل وقع بصورة مباشرة فوق المضمار.. يا إلهي».

«جامعة الكرز! هل هي مُثبتة إلى شاحنة؟».

أجاب ميلكوفيتش: «إنها مثبتة إلى السيارات الخاصة بها».

فكر معلوف بصوت مرتفع قائلًا: «نعم. رافعة أمام البناية. رافعة يمكننا إحضارها إلى هناك ليلًا».

أخذ ميلكوفيتش رشفة من كأس الماء على الطاولة، ثم قال متأملًا: «قد ينجح ذلك. قد ينجح. فالحصول على رافعة لن يكون أمرًا صعبًا...».

«أو منطاد يُحلِّق بالهواء الساخن؟».

«هل أنت جاد؟».

«مروحية؟».

«هل هناك مكان على السطح لتهبط عليه المروحية؟ هل حلَّقت في مروحية من قبل يا ميشال؟ إن صوتها صاخب».

«كلَّا، ولكن يمكنك الهرب باستخدام المروحية أيضًا».

قال ميلكوفيتش: «أنا أُفضِّل الرافعة».

أومأ معلوف وقطَّب جبينه: «ربما تكون الرافعة أمرًا مقبولًا، ولكن كيف سنتمكن من الهرب؟».

سمعا صوت الباب الخارجي وهو يُفتح ويُغلق. عاد غوستافسون من رحلته. نهض معلوف واقفًا حيث حان وقت الرحيل.

قال: «حسنًا. فكِّر في الأمر».

قال ميلكوفيتش: «رافعة؟ سوف أفكر في ذلك».

«كيف تجري الأمور في الحاوية هناك؟ وهل ستكون هناك نتيجة قريبًا أم لا؟».

استدار ميلكوفيتش مستدركًا: «خذ الأمور ببساطة». ثم قال بنبرة خيلاء: «سوف ينجح الأمر».

«هل تعتقد هذا؟».

«أنت لا ترغب في الانتظار لخمسة عشر عامًا؟ أنا لا أرغب في الانتظار لخمسة عشر عامًا، ولهذا فسوف ينجح الأمر، لأنه يجب أن يكون كذلك».

قال معلوف: «نعم، نعم».

قال ميلكوفيتش: «لديَّ أمر. طلبتُ شيئًا من فرنسا سيصل الأسبوع المقبل، شيئًا مجنونًا، لكني سأحل المشكلة، لن أخبرك كم كلفني ذلك».

سمعا صوت انفجار أتى من بعيد من ناحية الحاوية، فنهض ميلكوفيتش قائلًا: «سأخبرهم بأن يتوقفوا». ثم قال وهو يبدو منزعجًا: «لا أرغب في إيجاد حقائب أخرى. سوف أتدبر الأمر أخيرًا في الأسبوع المقبل».

قطَّب معلوف حاجبيه، ثم تساءل بينما كان ميلكوفيتش في طريقه إلى الخارج: «ما ذلك الشيء؟».

خفت حدة المطر، لكنه لا يزال يتساقط.

قال اليوغسلافي: «سوف ترى. اعلم فقط أن ذلك سيجعلك غنيًّا».

13

جلس جاك كلوغر في مطعم واساهوف في دالاغاتان منتظرًا باسر باليك. كانت الثانية عشرة والنصف على الرغم من أنهما اتفقا على اللقاء في الثانية عشرة. اعتاد باليك أن يتأخر دومًا عن الغداء. لم يهتم كلوغر لأنه لم يكن على عجلة من أمره. على الطاولة المجاورة له تتناول سيدتان سلطة القريدس ، وخمَّن كلوغر أنهما في الثلاثينيات من عمريهما ، وأنهما تعملان في المستشفى في آخر الشارع. كلتاهما شقراوان أنيقتا الملبس. لم يستطع جاك منع نفسه من الابتسام لهما ، ومنح إحداهما إيماءة ودية. قالت الجالسة بمحاذاته شيئًا باللغة السويدية لم يتمكن كلوغر من فهمه ، ولكن التعبير المرتسم على وجهها كان واضحًا لديه.

لم تكن مسرورة.

قال: «أنا آسف! لكن في بلدي تكساس لا أحد يتكلم السويدية». ثم ابتسم ثانيةً مظهرًا أسنانه التي قام بتبييضها مؤخرًا بأموال الجيش الأمريكي.

كان ذلك ينجح دائمًا. لهجته الأمريكية كانت أشبه بالماستركي الذي يتمكن من فتح كل الأبواب. حلت ابتسامة خجلى محل التوتر البادي على المرأة ، وبعد بضع دقائق كان الثلاثة يجلسون ويتحادثون معًا. لا يوجد شيءٌ آخر يفضله سكان هذه المدينة أكثر من التحدث باللغة الإنجليزية مع رجل من تكساس. كان كلوغر يرتدي ملابس أشبه بملابس رعاة البقر مع قميص ضيق مُزين بالمربعات وحذاء تقليدي ، تلك الملابس لم يكن يرتديها قَطُّ وهو في تكساس.

سألهما: «لو كان لديَّ يومان فقط في المدينة ، فما الذي تقترحان عليَّ فعله ؟».

لم يكن جاك كلوغر شخصًا ينتمي إلى المدينة ، وفي اللحظة التي يفتح فيها فمه ويقول أي شيء بلكنته الجنوبية الواضحة يُعرف مباشرة أنه أمريكي ، ولهذا فهو شخصٌ يعتقد أن السويد وستوكهولم صغيرتان وريفيتان.

وهذا شيء بعيد تمامًا عن الحقيقة.

مقارنة مع غولدزبورو في تكساس فإن ستوكهولم مدينة غريبة مليئة بالمخاطر

والمغريات، والمغريات على الأخص، فهناك نساء جميلات في كل مكان، في المتنزهات، وفي الشوارع، وفي المطاعم، والمعجزة الحقيقية أنهن جميعًا يرغبن في التحدث إليه من بين الأشخاص الآخرين. أما في الوطن تكساس فكان مجرد واحد من الشبان قويي البنية الذين يلعبون كرة القدم الأمريكية، وله ذقن مربع مثل قالب صُنع الكعك.

أصبح في إسكندنافيا غريبًا ومميزًا. في الماضي كان يتمتع بثقة قليلة بالنفس فيما يتعلق بالجنس الآخر، لأنه لم يكن متحدثًا لبقًا، وكان من السهل عليه أن يقاتل من أجل الدفاع عن آرائه بدلًا من الدفاع عنها بواسطة الكلمات. كان ذلك شيئًا ورثه عن والده، ولم يكن ثمة واحد من أشقائه سريع البديهة أيضًا.

في أوروبا والسويد خصوصًا، لا أحد يسمي جاك كلوغر بالأحمق، هنا يُعد حاجز اللغة وسيلة دفاع طبيعية على الرغم من أن الجميع يشاهدون الأفلام الأمريكية، ولا أحد يدرك أن مفرداته كانت محدودة جدًّا مثل تعليمه.

قال وهو يلفظ اسم المنطقة بلكنته الثقيلة: «غاملا ستان؟ ماذا تقولين؟ أظن أنني بحاجة إلى دليل. هل إحداكما مهتمة بالأمر أيتها السيدتان؟».

ضحكتا. كان بإمكانه رؤية أن كلتيهما مستعدتان لاصطحابه في جولة داخل شوارع المدينة الضيقة وممراتها المائية.

حدَّق كلوغر في ساعته، إنها الواحدة إلا ربعًا، أين باليك؟

في مدينة غولدزبورو في تكساس بضع مئات من الأشخاص فقط، وهي تقع إلى الجنوب من أبيلين التي كانت موطنًا لمئات الآلاف من المواطنين، وهي تقع على بُعد بضع ساعات إلى الغرب من دالاس. كان كلوغر في طريقه للعودة إلى هناك منذ سنوات، لكنه دائمًا ما يجد أعذارًا جديدة حتى لا ينفذ خطته تلك.

لم يكن انعطافه إلى ستوكهولم مخططًا له، لكنه تدبَّر البقاء هناك بطريقة ما.

اعتقد دومًا أن السويد هو البلد الذي يصنعون فيه الشوكولاتة والساعات، لكنه أدرك الآن أنه خلط بينه وبين سويسرا. لم تكن الجغرافيا واحدة من مواده المفضلة في

المدرسة ، وفي حقيقة الأمر لم تكن لديه أي مواد مفضلة على الإطلاق.

كان ترتيبه الثالث بين خمسة أطفال ، ولم يكن على تواصل مع أشقائه ، لكنه يعتقد أن أخته الكبرى والوحيدة لا تزال تعيش في المنزل. ترك كلوغر المدرسة الثانوية كي يلتحق بالجيش. حدث هذا عقب بدء الحرب في أفغانستان مباشرة ، ومنذ ذلك الوقت لم يلتقِ والديه.

لم يكن الانضمام إلى الجيش قرارًا نابعًا من روحه الوطنية على الرغم من أن إحساسه الوطني قد تنامى أثناء خدمته. كانت تلك طريقته للهروب من المنزل والحصول على عمل وتأمين صحي وتجنب التفكير فيما سيفعله في حياته.

لم يكن جاك كلوغر يفكر في الأشياء على نحو كبير ، ولم يرغب في التفكير في الحرب أو في أفغانستان ، وقد تعب من الأفلام التي تدور حول رامبو والجنود المحنكين القادمين من الحرب وهم مشبعون بالندم وأعصابهم منهارة. فهؤلاء لا يتمكنون من النوم ليلًا ، وقد بدأوا في شرب الخمر وتدخين المخدرات ، وخسروا أعمالهم التي تنتظرهم ، وسيقومون لاحقًا بالجري بجانب طوابير السيارات عند مخارج الطرق السريعة حاملين لافتات كُتبت بخط اليد تُلخص عودتهم من الحرب وحاجتهم إلى النقود. كان جاك كلوغر أفضل من ذلك. لم يكن عاجزًا ، ولم يكن ضحية ، ولن ينساق إلى الجنون ويقوم بقتل نفسه ، أو تأسره ذكريات الأشخاص الذين تمزقوا إلى أشلاء ، أو الأطفال الذين فقدوا سيقانهم. إنه قوي ، ويمكنه التحكم في أفكاره ، وإبعاد أي شيء عن ذهنه ، وتحويل تفكيره نحو أشياء جميلة وسهلة ومرحة بدلًا من ذلك.

يتسلل الشك إليه عندما تنخفض مقاومته لدقيقة أو دقيقتين في بعض الأحيان ، فيبدو كأنه مشوَّش ، ويحدث ذلك دومًا بدون إنذار مسبق ، في وسط محادثة ما ، أو عند نقطة الدفع في السوبر ماركت ، أو على الغداء ، أو وهو بصدد التحدث عن عمل ، أو وهو يحاول استمالة امرأتين في مطعم وقت الغداء كما يحدث الآن.

فقد تركيزه فجأة. لم يعلم أين كان ، أو ماذا كان يفعل هناك.

كلما تمكنت منه لحظات الضياع تلك ، أحجم عن شراء تذكرة للعودة إلى الوطن ،

غولدزبورو تكساس.

كان على وشك أن يسأل السيدة ذات الشفتين الممتلئتين ، عما ستفعله في المساء ، وهل ترغب في الذهاب إلى مطعم من اختياره ، عندما ظهر باليك عند الباب.

أنهى كلوغر حواره مع السيدتين بسرعة عندما رآه ، ونهض لتحية صديقه. غادرت السيدتان بعد عدة دقائق ، غير أن ذات الشفتين الممتلئتين تركت رقم هاتفها على منديل ورقي على الطاولة ، فتركه كلوغر هناك.

ما أكثر أرقام الهواتف في ستوكهولم!

14

اندهش ميشال معلوف من افتقار أليكساندرا سفينسون إلى الحياء تجاه عريها الشخصي. غادرت الفراش لا يغطيها شيء، وذهبت إلى الحمَّام تاركة الباب مفتوحًا، وعندما انتهت ضخت الماء، ثم أكملت وهي عارية إلى المطبخ حيث أدارت آلة صنع القهوة أولًا ثم شرعت في تقطيع البرتقال.

إنه الصباح المبكر من يوم الأحد في منتصف أيار.

قضت أليكساندرا ليلتها عند معلوف، وقد أصبح ذلك عادة لديها. إنها المرَّة الثالثة خلال أسبوعين. بدا مسكن معلوف كالقلعة لديها، مقارنةً مع الحياة التي كانت تعيشها في شقة صغيرة مع أثاث شخص آخر.

لم تُسدل الستائر بشكل كامل، وكان يمكنه الإحساس بدفء الشمس على بشرته. استفاق ببطء وهو مستلقٍ في فراشه الوثير على صوت أليكساندرا في المطبخ. كانت هناك عقدة من التوتر في معدته وهو يعرف تمامًا لماذا.

إنه يستمتع بهذا كثيرًا.

استدار معلوف ببطء على ظهره ورأسه على الوسادة، ثم فتح عينيه فوجد الشمس تلتمع على مرآة الحائط. لماذا بدت غرفة نومه مريحة هكذا؟ تطلَّع حوله، وأدرك أن ذلك بسبب الوسائد التي جلبتها أليكساندرا من شقتها، والشراشف المخططة الجديدة التي اشترتها، والمراهم وقناني العطور على الطاولة، والملابس التي نثرتها هنا وهناك وتعبق برائحة الأنثى.

لم يمس معلوف هاتفه الموجود على المنضدة بجوار السرير، وتلك هي ميزة صباحات الأحد.

أدرك أن عليه النهوض على الرغم من رغبته الشديدة في العودة إلى الفراش بعد الإفطار، مع أليكساندرا بالطبع، وابتسم لتلك الفكرة. لم تكن لديه علاقة مناسبة حتى الآن على الرغم من أنه عرف بعض النساء اللاتي... كن يتلهفن لذلك، ولو لم يقاوم بقوة فمن المرجح أن ينتهي به الأمر مع أليكساندرا سفينسون. بدا من الجيد أن تعرف مع من

ستقضي ليلتك ، فهذا أفضل من إعطاء مفاتيح شقتك لعدة نساء في الوقت نفسه. يعلم أن ذلك ليس سببًا جيدًا بما فيه الكفاية كي ينتقل للعيش مع أحد ما ، لكن ما زالت تلك الفكرة تغريه بذلك.

تُمثل عاطفة ميشال معلوف نقطة ضعفه أحيانًا ، فعندما يمنحه أحد ما الحب ، فمن الأسهل عليه عادة ألا يعترض ، لكنه حاول أن يُبقي أليكساندرا سفينسون في متناول يده. كان يتركها تبيت عنده لأسباب مهنية ، وعليه أن يحتفظ بذلك جليًّا في ذهنه.

نهض من الفراش ، وبعد الزيارة الإجبارية للحمَّام ارتدى القميص والسروال اللذين ارتداهما أمس. لم يكن مرتاحًا لجسده العاري كما تفعل هي.

وجدها عند طاولة المطبخ ، تقف وظهرها إلى الباب وهي تعصر البرتقال بكلتا يديها ، ومؤخرتها المستديرة تهتز مع ارتجاف جسدها.

ضحك بهدوء ، ثم سأل: «هل يمكنني المساعدة ؟».

أجابت دون أن تستدير: «تصرفٌ رجولي جدًّا يا ميشال ، لكني أعتقد أن بإمكاني تجهيز بعض العصير بدون مساعدتك ، يمكنك أن تُخرج أكواب القهوة لو رغبت. هل ترغب في أي شيء آخر ؟ هل أقوم بتحميص بعض الخبز ؟».

«كلا. لا تقلقي».

كانت القهوة وعصير البرتقال إفطارًا ممتازًا. تتحرك أليكساندرا في مطبخه كأنها في بيتها ، وقد قامت حتى بتغيير ترتيب الأثاث. أخرج كوبين وكأسين ووضعهما على الطاولة ، ولم يستطع منع نفسه من التحديق في ثدييها الصغيرين وهو يقوم بذلك.

ابتسمت عندما لاحظت ذلك ، وقالت: «توقف».

حاول لكنه لم يستطع منع نفسه.

عندما اتصل سامي بميشال ليخبره أنه حصل على مخططات البناية في فاستبيرغا لم يصدقه في البداية. بدا الأمر غير قابل للتصديق. كيف يمكن أن تذهب فقط إلى مكتب المحافظة وتأخذ المخططات التفصيلية لبناية في القطاع الخاص تُستثمر فيها مئات الملايين لتوفير الحماية ؟

التقيا في مقهى يقع في زقاق البولنغ في هيرون سيتي. غطى الصوت المدوي لتدحرج الكرات والاصطدامات العرضية بين حين وآخر على الصوت القادم من علبة الموسيقى. ابتاع كلٌّ منهما كوبًا من القهوة، وكان معلوف مشدودًا إلى حزمة الأوراق التي أحضرها سامي داخل كيس بلاستيكي ابتاعه من السوبر ماركت. لقد قام في الحقيقة بسرقتها.

قال معلوف: «أليس في هذا الأمر تنبيه ما... كالإعلان بأننا نخطط لشيء ما؟».

قال سامي: «هل تعلم متى كانت آخر مرَّة طلب فيها شخص رؤيتها؟».

هزَّ معلوف رأسه. لم يكن لديه أدنى فكرة. بدأت ساق سامي تتأرجح بنفاد صبر تحت الطاولة.

«المرَّة الأخيرة كانت في تشرين الأول 1979، والتي قبلها كانت في 1970. تلك المعلومات تكون مصاحبة لها في بطاقة مكتبة أو شيء من هذا القبيل».

قال معلوف على الرغم من أنه لم يقم باستعارة كتاب من المكتبة سابقًا: «نعم نعم».

«لو سأل شخصٌ عن تلك المخططات كل ثلاثين عامًا فليست هناك مخاطرة كبيرة في استعارتها لعدة أشهر. أليس كذلك؟».

أجاب معلوف وهو يفتش في كومة الأوراق ليدرك جيدًا لماذا لا يهتم بها أحد: «بلى بلى. بالتأكيد».

بدت المخططات كالطلاسم، وكان من المستحيل معرفة إن كان مبنى فريتين 7 هو نفسه مستودع «م4أ» للنقود.

قال سامي: «إنها أشبه بصورة للموجات فوق الصوتية. هل تعرف ما أعنيه؟ لو لم تكن هناك ممرضة تدلُّك على الجنين في بطن أمه فلا يمكنك القول إن هذا هو الجنين. أعرف هذا لأن كاتينكا أوضحت لي ذلك، لقد التقيتَ بكاتينكا أليس كذلك؟».

أكد معلوف: «بلى، بلى».

كان قد التقى إزرا راي وشقيقته بضع مرَّات بدون أن يتمكن من التعرف عليهما حقيقة.

«وهل هذه... حقًّا البناية؟».

«ألم أخبرك أنني متأكد؟ أنا متأكدٌ من ذلك».

أومأ معلوف: «نعم، نعم. ما هذا إذن؟».

أشار بصورة عشوائية إلى نقطة على أحد المخططات. كان من المستحيل الجزم بأن ما أشار إليه هو الجدار الداخلي أم الخارجي، وهل المربع المجاور هو بهو المصعد أم قناة للتهوية، أو حتى في أي طابق كان ذلك.

أجاب سامي وهو يشعر بالضيق: «لست أدري بحق الجحيم! يجب علينا أن نتعلم ذلك. هل تعرف ما أعنيه؟ يجب علينا أن نسأل كاتينكا. الأهم أننا أصبحنا نمتلك المخططات، وبهذا سنتمكن من التحقق مما قالته الفتاة».

ابتسم معلوف بصورة مشجعة، وقال: «نعم، نعم. إنه أمرٌ مذهل. لقد تمكنتَ من الذهاب إلى هناك والحصول عليها!».

وافقه سامي: «أمرٌ لا يُصدق».

لم يلاحظ أن معلوف غير متأكد إن كانت تلك البناية هي مستودع النقود.

سألها: «هل ستعملين هذه الليلة؟».

جلسا إلى طاولة المطبخ، وقد ارتدت أليكساندرا ثوبًا منزليًّا كي لا تشوش حبيبها. كان ثوبًا من الحرير وجدته موضوعًا في خزانة معلوف. يجب عليه أن يحمل نفسه على التركيز على حوارهما بدلًا من خفض بصره واستراق النظر إلى بشرتها العارية التي تظهر من ذلك الأخدود الذي يُفتح في كل مرَّة ترفع فيها كأسها إلى شفتيها.

أجابت: «نعم. أحاول أن أنظم وقتي في أيار كي لا أضطر إلى لقاء كلود، وعلى الرغم من كل ما أفعله فهو يعاود الظهور على أية حال. أعني أن الأمر لا يهم، فلن يجرؤ على فعل شيء، لكني لا أعرف، إنه خبيثٌ. أن تكون المفضَّل هو عملٌ شاق، أنت تعرف، أي شخص آخر كان سيشعر بالانزعاج. لقد حظيت بذلك وكنت سأنزعج أيضًا لو لم أكن أنا».

ضحك معلوف وأومأ مساندًا وهو يتناول رشفة من قهوته. كان المطبخ يعبق برائحة القرفة، وهو شيءٌ يحدث فقط حين تكون أليكساندرا هناك. لم يعرف لماذا، ربما كان ذلك هو عطرها.

تساءلت: «لقد فهمت، أليس كذلك؟».

ثم أكملت دون انتظار إجابة: «يظن كلود تافيرنييه نفسه أفضل مدير في العالم. أكمل عدة دورات في الإدارة، وأخبرني بكل شيء بخصوصها، وكيف يجب أن يتصرف المدير الجيد. كان يعمد إلى استخدام مرادفات ودودة عندما يتحدث إلى أي شخص حول تطور عمله أو شيء ما، ويعدني على وجه الخصوص بوظيفة مرموقة. أعرف ما يفكر فيه. إذا حضر الفريق بأكمله فهناك أربعة عشر شخصًا منا يعملون ليلًا، وهذا يحدث فقط يومي الثلاثاء والخميس، فأي نوع من الوظائف ستكون تلك؟».

تساءل معلوف: «نعم، نعم. هل هناك المزيد من العمل أيام الثلاثاء والخميس أو شيء من هذا القبيل؟».

أكدت أليكساندرا: «نعم. نحن نستلم معظم النقود في تلك الأوقات، لكني أعني المناوبة الصباحية ليوم الجمعة، فليس هناك أكثر من سبعة أو ثمانية أشخاص. إذن هذه هي الوظيفة التي يتحدث عنها كلود. هل يرغب في أن أكون مديرة لثلاثة أشخاص ويكون هو مديرًا للأربعة الآخرين؟».

ضحكت وضحك معلوف أيضًا.

«الأمر أشبه بتقسيم مهنة واحدة على اثنين».

«نعم، نعم».

تنهدت أليكساندرا وهي تغيّر الموضوع: «لا أرغب في العودة إلى المنزل. سيكون يومًا جميلًا لو رغبت، يمكننا أن نحظى بنزهة في الهواء الطلق».

تزايدت معرفة ميشال معلوف بمستودع النقود في فاستبيرغا بهذه الطريقة. في كل مرَّة يرى فيها أليكساندرا كانت تُفصح عن شيء ما يبدو مفيدًا. في ذلك الصباح فقط علم أن عليه أن يضرب ضربته في الصباح التالي ليوم الثلاثاء أو الخميس.

كانت طريقة ملتوية حقًّا للتخطيط لعمل ما، لكن هكذا كان يجري الأمر تحديدًا.

انزلق رداء أليكساندرا وفُتح عندما استدارت كي تُغلق النافذة. لم يتمكن من مقاومة الرغبة فانحنى نحوها مداعبًا بأصابعه حلمتها الصغيرة التي انتصبت مباشرة للمسته.

قالت وهي ترتعش: «أوه. يمكننا إلغاء النزهة وفعل شيء آخر».

كان وصف أليكساندرا سفينسون لقسم إحصاء النقود هو ما أقنع ميشال معلوف أخيرًا بأن إزرا راي قام بسرقة المخططات الصحيحة من مكتب تخطيط المدينة. لقد وصفتْ الغرفة الكبيرة في الطابق السادس عدة مرّات بأنها تشبه الموزة. ما كانت تحاول قوله هو أن المكتب المفتوح الذي تعمل فيه أشبه إلى حد ما بقوس منحنٍ دقيق عند قمة البناية.

في عصر ذلك اليوم الذي عاد فيه معلوف إلى المنزل من هيرون سيتي مع نسخ المخططات التي أعطاها له سامي، قام بنثرها على الأرض في أنحاء شقته، وبدأ يتفحصها بطريقة منظمة، وبعد ساعة تقريبًا وجد الغرفة التي تحدثت عنها أليكساندرا، حيث كان ذلك الشكل المنحني هو الوحيد الذي يطابق الوصف في المبنى كله.

أصبح قسم إحصاء النقود في الطابق السادس هو المفتاح لفهم الخريطة، وباستخدام تلك الغرفة كنقطة بداية استطاع معلوف أن يُنجز الكثير أثناء الأيام القليلة التالية.

ما جعل تلك المخططات صعبة على الإدراك هو ذلك الدهليز الكبير المفتوح الذي يمر خلال البناية، حيث كانت هناك قبة زجاجية على السطح بشكل هرمي حاد، وتحت تلك القبة يبدأ ذلك الفراغ الكبير، وبقية الطوابق بُنيت حول ذلك المربع الخالي في الوسط.

لم يقلقه أنه غير واثق من شكل الطوابق السفلى من البناية. لقد وجد ما يُفترض أن يكون القبو، وهو دهليز بين شاقولين، ولكن لم تكن هناك طريقة لاقتحامه، ليس فقط لأن أليكساندرا تحدثت عن نظام حمايته الأسطوري، ولكن لأن ميشال وجد صديقًا لصديقه، هو طارق ميال، أكد على قصص أليكساندرا بخبرته. عمل ميال حارسًا حين كانت شركة النقل المؤمن تُعرف باسم «فالك»، وفي ذلك الوقت بُني القبو في فاستبيرغا، وقد انتشرت شائعات بأن خبراء من المصرف السويدي المركزي ذهبوا إلى هناك قبل أن يشرعوا في تطوير نظامهم الأمني. كان ذلك القبو أحد أكثر الأماكن تكلفة في إسكندنافيا، ولو كنت تمتلك جيشًا صغيرًا فربما بإمكانك اقتحام المكان وبغير ذلك لا تفكر بالمحاولة.

كان معلوف يتصل بسامي في كل ليلة، ليخبره عن التقدم الذي أحرزه. كان الوالد

المُتعب متحمسًا أكثر من كونه مفيدًا.

قال معلوف: «حسنًا. سينجح الأمر. ماذا تعتقد؟».

أجاب سامي: «نعم. كما قلت تمامًا، يمكنك الذهاب من خلال السطح. سيستغرق الأمر من خمس إلى عشر دقائق، ليس أكثر من ذلك».

كانت هناك قاعدة عامة تقول إنه لو تطلَّب الأمر أكثر من خمس عشرة دقيقة للدخول والخروج من مصرف أو مكتب بريد، فإن الشرطة سيتوفر لها الوقت الكافي للوصول، ولكن خمس أو عشر دقائق تبدو جيدة.

قال سامي: «حسنًا. ولكن كيف يمكننا الوصول إلى السطح في أول الأمر بحق الجحيم؟ وكيف يمكننا النزول ثانيةً؟».

15

لم يكن الأمر مشابهًا لما في الأفلام.

لم يذهب سامي فرحان إلى مضمار للسباق من قبل ، لكنه شاهد مئات الأفلام الهوليودية المليئة بالأشخاص الذين يعقدون صفقات مشبوهة وهم يتمشون حول المضمار أو وهم يشجعون المفضَّلين لديهم من على المنصة.

في الطريق إلى الداخل ، كان هناك كثير من الإسطبلات والحدائق يفوق ما توقعه ، ولكن عندما وصلا إلى البناية الرئيسية لم يستطع إخفاء خيبة أمله ، حيث لم يكن أحد حولهما تقريبًا ، وكان المكان كله بحاجة إلى الترميم. لقد رأى منظرًا كئيبًا مهجورًا.

تساءل سامي: «أين الجميع ؟!».

أجاب توماس ماندل: «في المنزل ، أمام حواسيبهم. لقد قاموا ببناء هذه المدرجات قبل أن تُتاح المقامرة عبر الإنترنت ، تصوروا أن آلاف الأشخاص سيأتون إلى السباقات ، وربما عشرات الآلاف ، لكنك ستكون محظوظًا الآن لو رأيت بضع مئات منهم».

بدا الأمر غير قابل للتصديق. لو شاهدت التلفاز صباحًا في السويد فستبدو الفروسية والسباقات التقليدية أحد اهتمامات الوطن العظمى! كم مرَّة شاهد فيها سامي فتيات جميلات يحملن مكبرًا للصوت ويسألن رجالًا قصار القامة يرتدون ملابس ملونة عن كون المضمار مزدحمًا أم لا ؟ أين كل كاميرات التلفاز اليوم ؟

ذهبا إلى المطعم ، واستغرق الأمر من سامي لحظات كي يدرك أن المطعم هو حلبة سباق تابي. لم يكن هناك شيء آخر للمتفرجين.

طلب كلٌّ منهما سلطة طماطم من النادل العجوز المتعب ، ثم قال سامي: «لست أدري ، لو كان فارغًا هكذا فبالتأكيد لن تكون به نقود. هل تفهم ما أعنيه ؟».

قال ماندل: «كلا. لا يوجد أثناء أيام السنة بأكملها ، لن تحصل على أكثر من بعض الفكة ، ولهذا السبب فإنهم قللوا عدد الحراس الأمنيين وتخلصوا من الشرطة. لديهم فقط في هذه الأيام كاميرات مراقبة حول المضمار والحدائق المحيطة به. إنهم ليسوا قلقين من قيام أي شخص بسرقة النقود. إنهم قلقون فقط من قيام شخص ما بالعبث مع الأحصنة».

أومأ سامي موافقًا. كان يعرف أشخاصًا حصلوا على أموال كثيرة من سباق الفروسية، أناسًا ترعرع معهم، وآخرين أيضًا، وأشخاصًا من فرق البوب، نصف مشاهير ومافيا.

قال سامي: «حسنًا. أخبرني إذًا بالخطة الثانية».

«سباق ديانا استثناء. إنه مثل سباق يوبيل نادي الجوكي. في بداية الصيف عادةً أستطيع التخمين بأنه ستتوفر هناك حوالي عشرة ملايين نقدًا وربما أكثر، ومع هذا فلا شرطة ولا حراس أيضًا».

كرر سامي: «عشرة ملايين؟».

شعر بخيبة الأمل. حين تُخطط لعمل ما فالناس لديهم القدرة على المبالغة. حاول توماس ماندل تسويق تلك الفرصة، ومن الواضح أنه يبالغ في الأمر، مما يعني أن الملايين العشرة لن تكون سوى خمسة تقريبًا، وستُقسم بين عدة أشخاص.

وافقه ماندل: «إنه ليس بالكثير. ومقارنةً مع الخطورة فهو مبلغ ضئيل من النقود، لكنه قليل الخطورة أيضًا».

«هل النزول إلى نادي القوارب فوق الأحصنة يُعد مخاطرة صغيرة؟ هذه ليست مخاطرة صغيرة».

أجاب ماندل وهو يبدو منزعجًا: «أخبرتك أن فكرة الأحصنة هي واحدة من عدة أفكار. انسَ الأمر، سوف أفكر في شيء آخر».

وصلت السَّلطة، وتأكد سامي أن المطعم في مضمار تابي لن يكون له أي مستقبل لامع.

لم يتوصل ماندل، على الرغم من مرور عدة أسابيع، إلى شيء أفضل من امتطائهم الأحصنة ومعهم النقود كأنهم مجموعة من رعاة البقر.

اتصل سامي بميشال معلوف في ذلك المساء، واتفقا على اللقاء في سكارهولمن في اليوم التالي. اعتقد أن باستطاعته التسلل بضع ساعات قبل موعد الغداء، ولكن كارين استيقظت وهي تعاني من صداع الشقيقة، ولم يكن لديه خيار آخر سوى أن يأخذ الرضيع معه. لم يقررا اسمه بعد، لكن الأمر استغرق بعض الوقت في المرَّة السابقة أيضًا. تنفست

كارين الصعداء حين غادرا، فهذا يعني أن بإمكانها إسدال الستائر في غرفة النوم، وإحاطة نفسها بالظلمة، وهي الطريقة الوحيدة للتخلص من الألم. وقد اعتنت والدتها بجون.

ترك سامي عربة الطفل في المنزل، إذ كان من المستحيل التنقل بها داخل المترو. وبالطفل الذي يرتدي ملابس ثقيلة بين ذراعيه - على الرغم من أنه شهر أيار فإن درجة الحرارة لم ترتفع إلى أكثر من عشر درجات - مشى نحو سلوسين، ثم استقل الخط الأحمر نحو سكارهولمن. لم يعرف سامي ما الذي يمكن للطفل أن يراه من خلال النافذة المعتمة لقطار الأنفاق، لكنه كان أمرًا مذهلًا بالقدر الكافي كي يبقيه مشدودًا طوال الطريق. وعندما وصلا أخيرًا كان التعب قد تمكن منه، حتى إنه نام لأكثر من ساعة، ولم يستغرق اللقاء مع معلوف كل ذلك الوقت.

التقيا بالخارج عند فوت لوكر.

استلقى الطفل كطرد على كتف والده، وقام سامي بتحية معلوف بيده اليمنى بسهولة.

ضحك معلوف وأومأ: «هل هو على قيد الحياة أم ماذا؟».

قال سامي: «يمكنك قول ذلك».

ضحك معلوف ثانيةً: «نعم، نعم. لكن أنت تعلم... لم يبقَ باتشينو على قيد الحياة».

قاطعه سامي: «لستُ آل باتشينو».

رد معلوف موافقًا: «كلا، كلا. لستَ آل باتشينو حتى في هذه الأيام».

تمشيا. كان الوقت قُبيل الغداء من يوم الخميس، ولم يكن مركز التسوق يقدم أي تخفيضات في ذلك اليوم، ومع ذلك كان هناك عدد كافٍ من الأشخاص ساعد على عدم لفت الانتباه إلى الزوج غير المتجانس: اللبناني القصير، والعراقي الضخم مع الطفل على كتفه. قام سامي بنزعِ الطبقات الخارجية من ملابس الطفل كأنه يقشر موزة، فأصبحت متدلية عند قدميه.

قال: «كنتُ أفكر».

أومأ معلوف. وجب عليه ذلك، فهو لا يعرف هل بإمكانه أن يُسمي تلك خطة. إن

الأمر أشبه بقطع اللغز المبعثرة في ذهنه ، تنتظر جمعها معًا.

«نعم».

سأل سامي: «هل تعرف كم النقود التي نتحدث بشأنها ؟».

«نعم ، نعم. أكثر من نقود أي مصرف في السويد. هل ترغب في معرفة الرقم بالتحديد ؟».

«تقريبًا».

خمَّن معلوف: «نصف بليون».

أومأ سامي شاردًا وهو يربت على مؤخرة الطفل. بدا الأمر كأنه يفكر. ليست هناك مقارنة مع عمل مضمار تابي.

تساءل: «كيف سنمضي قُدمًا ؟».

أجاب معلوف: «الخطوة الأولى هي إيجاد مروحية».

إذا انتهى الأمر إلى العمل على فاستبيرغا فسوف يحتاجان إلى مروحية.

كانت هناك عدة طرق للوصول إلى السطح ، ولكن لا توجد غير طريقة منطقية واحدة للنزول منه: منذ حديثه مع ميلكوفيتش وهو يجمع معلومات عن الرافعة ، لكنه محا تلك الفكرة من عقله. تعلَّم كيفية استخدام معدات التسلُّق ، كالمسامير والحبال ، وكان الأمر معقدًا جدًّا. بعض الحلول الأنيقة كاستخدام المنطاد أو الطائرة الشراعية تبدو مثيرة في الأفلام ، لكنها غير منطقية على أرض الواقع. الحقيبة النفاثة من ناحية أخرى ، تلك الآلة الصغيرة الطائرة التي تُربط إلى الظهر كانت احتمالية مطروحة أيضًا ، لكن إذا كان بمقدورهم شراء اثنتين من تلك الحقائب النفاثة فهذا يعني أنهم ليسوا بحاجة إلى سرقة مستودع نقود بكل تأكيد.

كلا. يجب أن تكون مروحية ، وبدونها يجب نسيان الفكرة برمتها.

قال سامي: «حسنًا. مروحية».

أكملا طريقهما في مركز التسوق. أتقن الرجلان على مرِّ الأعوام فنَّ التحرك. يعلمان كيف يمشيان ببطء بدون أن يلفتا الانتباه إليهما ، يتوقفان بعد كل ثلاثة متاجر ويحدِّقان

بشرود إلى المعاطف الخريفية، وسماعات الأذن، والدراجات، والأرائك. وقد مكنتهما هذه الطريقة في اللقاء من التحدث بحرية وعدم القلق من أن يسمعهما أحد.

أكمل سامي: «لست أدري. هل تعرف أحدًا يمتلك مروحية؟ من الذي يمتلك طائرة مروحية متوقفة في مرآبه؟».

أجاب معلوف: «هناك. هذا أسهل من الحصول على قارب».

جادله سامي: «هذا أكثر صعوبة، فضلًا عن أنه يمكن لأي شخص أن يقود قاربًا. يمكنني أن أقود قاربًا، يمكنك أن تقود قاربًا. تعرف ما أعنيه. لا يستطيع أيٌّ منا قيادة مروحية. يمكن أن نسرق واحدة، لكننا لا نستطيع التحليق بها».

كان الطفل على كتفه يستيقظ ببطء. افترض سامي أن معلوف لن يرتاح لجلوسهما مع قنينة للرضاعة، ولهذا شرع في المشي مرَّة أخرى. هدهد سامي الطفل أثناء مشيه آملًا أن يعود إلى النوم. بعد العملية التي أجراها في وركه في آذار لا يزال يجد صعوبة في التحرك بمرونة.

قال معلوف: «نعم، نعم. يجب علينا أن نجد أحدًا ما، خيارًا ما».

قال سامي: «لا أعرف. هل تعرف أحدًا؟».

قال معلوف بحزم غير متوقَّع: «لا أعرف أحدًا». ثم ضحك ضحكة قصيرة: «أو ربما أعرف أحدًا يمكنه أن يدبر لنا شيئًا».

«صديقك تول؟».

ابتسم معلوف: «نعم، نعم».

«لا أدري. يبدو الأمر صعبًا. والفتاة...؟».

«أليكساندرا؟».

«هل أنت واثقٌ منها تمامًا الآن؟».

«بالتأكيد».

«لا أعرف لماذا تخبرك بالكثير! أنت تعرف. ربما تقصد استدراجك في الأمر؟».

أجاب معلوف: «كلا. نحن نتحدث... كما تعلم. لا أسألها. إنها تتحدث فقط».

قال سامي بشك: «حسنًا. ربما. ماذا سنفعل إذًا بعد الهبوط بالمروحية فوق السطح؟».

أومأ معلوف مبتسمًا: «ستكون لدينا خمس دقائق، هناك مركز للشرطة على بُعد بنايتين، وربما عشر دقائق على الأكثر. سنُفجر فتحة في السقف، يجب أن نجد أحدًا يمكنه تفجير تلك الفتحة، وتحتها ستكون الغرفة التي تعمل فيها أليكساندرا، غرفة إحصاء النقود، إنها تسميها أسماء مختلفة، إنهم يتسلمون في أيام الثلاثاء والخميس بضع مئات من الملايين نقدًا».

توقفا خارج متجر لبيع الأدوات المستعملة، وتفحصا الأغراض الغريبة عبر النافذة، ولا يزال سامي يهتز بلطف كي يُبقي الطفل نائمًا.

أكمل معلوف: «نقودٌ في أكياس... ثم نعود إلى السطح باستخدام سلم ما، ثم نحلِّق مبتعدين».

تساءل سامي: «وماذا عن مروحيات الشرطة؟ أين ستكون؟ تعرف ما أعنيه. ماذا لو صعدنا إلى السطح فوجدنا دوامة من مروحيات الشرطة تنتظرنا في الأعلى؟».

قال معلوف: «نعم، نعم. كلا. يجب علينا التأكد من أن مروحيات الشرطة لن تُحلِّق أبدًا».

«كيف سنتأكد من ذلك؟».

ضحك معلوف بثقة: «سنفكر في شيء ما».

أومأ سامي، ثم هزَّ رأسه. شعر أن الجسد الصغير على كتفه بدأ يتشنج وهي مقدمة لاحتجاج صاخب لا يمكن إيقافه إلا إذا أعطاه شيئًا يمصه.

حاول سامي أن يستجمع أفكاره: «الذي تقوله هو.. يجب علينا أن نجد مروحية وطيارًا، ثم ننسف طريقنا خلال السطح، وننزل بواسطة سلم ما كي نلتقط النقود، وكل هذا سيستغرق عشر دقائق على الأكثر، وفي الوقت نفسه يجب التأكد من أن مروحيات الشرطة لن تتمكن من الطيران؟».

قال معلوف: «بالتأكيد، بالتأكيد».

ذلك كان ما تصوره تقريبًا.

تساءل سامي: «إنه يبدو... تعلم كيف يبدو ؟ أليس كذلك ؟ تعرف ما أقصده ؟».

ضحك معلوف بزهو هذه المرَّة ، فقد اعتقد أن الخطة زاخرة بالاحتمالات والتحديات والعظمة.

فكر سامي: ما بال الناس أصبحوا مجانين ؟! أحصنة ومروحيات!

ودَّع صديقه سريعًا ، ثم أكمل طريقه إلى الإسبريسو هاوس حيث يمكنه أن يطلب من المستخدمين تسخين قنينة الحليب من أجل الرضيع.

فكر مع ابتسامة ساخرة: يبدو الأمر جنونيًّا! مئات الملايين ؟!

أيار - حزيران

يجلس زوران ميلكوفيتش ، الذي يسميه أصدقاؤه «تول» أحيانًا ، في مقهى موبيل في أبلاندسغاتان. يقع المطعم على مرمى حجر فقط من المبنى الذي يقطن فيه. استقرت كأس الماء الفاتر التي طلبها على الطاولة أمامه. وعلى الرغم من أن المكان فارغ تقريبًا فإنه اختار طاولة بعيدة في الزاوية بحيث لا يكون مرئيًّا من الشارع.

كان يتحدث إلى شخص ما في مونتينيغرو على الهاتف. بدا غاضبًا مستخدمًا يده اليسرى لرسم قوس في الهواء بينما تتدفق منه الكلمات ، وتمسك يده اليمنى بكأس الماء بإحكام. كان زوران ميلكوفيتش متحدثًا محترفًا ، يتكلم كما يتنفس ، ولم يكن يسمح للُّغة أو الاعتراضات أو الحقيقة أن تقف في طريقه. الكلمات هي التي أخذته إلى القمة.

اشترى ميلكوفيتش على مدار أعوام كل الأماكن التي رغب في زيارتها في أبلاندسغاتان ، إلى اليمين من مبناه ، نزولًا نحو نورا بانتورغيت. انتهى الأمر بامتلاكه العديد من المطاعم والأماكن ، من بينها مقهى موبيل وتيراميسو وصالون تجميل حيث يرتاح بالجلوس على كراسي العناية بالقدمين والأظافر ، كما شارك أيضًا كممول في متجر لتأطير اللوحات ومتجر لبيع السلع المستعملة.

وُلِد زوران ميلكوفيتش في لوند ، لكنه لم يحظَ بالوقت كي يتعلم المشي هناك ، فقد حملت سيارة النقل العائلة إلى العاصمة. وهو في ستوكهولم اشترى آل ميلكوفيتش منزل بيني أندرسون القديم في تومبا ، وذلك قبل السبعينيات ببضع سنوات. وكما تصاعدت شعبية المالك القديم للمنزل ومجموعته للبوب ، تصاعدت أهمية منزله أيضًا.

بعد بضع سنوات على نجاح فرقة «أبا» في أغنيتها واترلو حدث الطلاق بين والدي زوران ، فانتقل هو وأخوه الأكبر للعيش مع والدتهما في هالوندا ، وبعدها في نورسبورغ. وفي الوقت الذي دخل فيه زوران المدرسة كان قد سكن في ستة عناوين مختلفة.

بعد طرده من مدرسته الأولى قبيل أعياد الميلاد ، ومدرسته الثانية في المرحلة الثانية ، قرر والدا زوران إرساله إلى مونتينيغرو ، حيث الانضباط واحترام الأكبر سنًّا من أساسيات النظام التربوي هناك. كان زوران في التاسعة ، وعلى الرغم من هذا فإن آمالهما

بأن يستطيع النظام المدرسي القاسي ترويضه قد استحالت إلى خيبة في باحة اللعب في اليوم الأول. جرَّب زوران مذاق الفاكهة المحرمة ، ولن يسهل عليه الاكتفاء منها مهما تقدَّم في السن. إنها القدرة على التلاعب وقوة الاستفزاز. أدرك أنه يمكنه جعل الآخرين يفعلون كل ما يرغب به ، بلا مقابل تقريبًا ، فيكفي قليل من التملق والإطراء أو مجرد ابتسامة ، وفي أحيان أخرى يستخدم التهديد بالعنف كوسيلة للإقناع. تفاعل الأشخاص مع ذلك بطرق مختلفة ، وكان اكتشافه للطريقة الناجحة مع كل فرد في صفه يمثل تحديًا عمل عليه أيامًا وأسابيع وربما شهورًا ، حتى امتلك زمامهم جميعًا.

لكن في الوقت نفسه تقريبًا تقرَّر طرده من المدرسة ، سواء أكانت نورسبورغ أم بودغوريكا ، فلا فرق.

أفضل شيء جناه من قضاء سنتين مع أخيه الأكبر وجديه لوالدته في مونتينيغرو ، أنه تعلَّم لغة جديدة ، بالإضافة إلى تكوين صداقات استمرت طوال حياته. عاد إلى السويد ، ثم أكمل تعليمه في فيتيا ، وفي ذلك الوقت بدا أن المدرسة هي التي تأقلمت مع زوران ميلكوفيتش وليس العكس.

ظلت والدته تلوم النظام التربوي على المهنة التي اختارها ولدها. لكنَّ الوالدين اللذين ماتا على الشيوعية شعرا بالمرارة أكثر عند رؤية ولدهما يكبر ليصبح رأسماليًّا متكاملًا.

كانت النقود هي حُب زوران ميلكوفيتش الأول والأعظم.

وهو الحب الذي لن يتلاشى أبدًا.

قامت النادلة الجديدة بتغيير محطة الإذاعة ، ثم رفعت الصوت بحذر ، فأشار إليها ميلكوفيتش لتخفض الصوت ثانيةً. كان يعمل بعد الغداء ، بينما زبائن المساء الذين سيقضون وقتهم في مداعبة أقداح الجعة لم يصلوا بعد.

أنهى ميلكوفيتش مكالمته مع مونتينيغرو للتو ، ثم رنَّ هاتفه مجددًا. هذا ما اعتاد عليه ، سيل لا ينتهي من المكالمات الهاتفية.

«معك سفيني غوستافسون من ساحة الخردة في ليدينغو. لقد وصل إليك شيء ما ، شيء مراوغ لعين ، كبير كالجحيم. هل نحاول تجميعه ؟ هل ثمة مخططات أو شيء من

هذا القبيل معه؟».

غمر ميلكوفيتش شعور الفرح أخيرًا.

قال على الهاتف وهو منقطع الأنفاس: «نعم، نعم. قوموا بتجميعه. ضعوه في الحاوية. اتركوا أي شيء آخر وقوموا بتجميع ذلك الوغد. سأكون عندكم بعد خمس عشرة دقيقة».

بدون كلمة أخرى، وقف على قدميه، مرتطمًا بالطاولة، مُسقطًا كأس الماء الذي سال على حافة الطاولة ثم إلى الأرض، لكنه لم يلحظ ذلك.

يمكنه أخيرًا التغلب على تلك الحقائب الأمنية اللعينة.

يمكنه أن يشمَّ رائحة النقود.

لم تكن الفكرة مبتكرة أو صعبة، وكانت كالعادة وسيلة سببت له المشكلات. انعطف ميلكوفيتش نحو اليمين عند متنزه تيغنيرلوندين عبر سفيفاغين عندما استحالت الإشارة إلى اللون الأحمر. كان يقود سيارة «بي إم دبليو» استعارها من صديق يدين له بالنقود، وهي سيارة سريعة صُنعت للألمان ذوي السيقان الطويلة، إذ لم تُصمم «الفيراري» ولا «المازيراتي» للأشخاص الذين يتجاوز طولهم المترين.

تقتضي الخطة تصوير كيفية كسر إحدى حقائب «م4أ» بدون التسبب في انفجار أنابيب الصبغة، ومع بعض المعالجة وقليل من الموسيقى الرائعة ثم تحميل الفيلم على اليوتيوب. سيتمكن جميع اللصوص في أوروبا وأنحاء العالم من رؤيته، مما يعني أن شركة «م4أ» ستضطر إلى التخلص من تلك الحقائب الزرقاء خلال ساعات قليلة في وجود العقد الملزم أو في عدم وجوده، وعندها سيتمكن من العودة إلى مكتب الشركة الأمنية الرئيسي وتذكيرهم بوجود حقيبة أخرى أفضل يمكنهم طلبها لأن أسرار الحقيبة الزرقاء أصبحت مكشوفة.

إذا أحسن ميلكوفيتش حساب تكلفة الإنتاج والتوزيع بالإضافة إلى ضرائب العمل، فإن الشركة، ومع عقد احتكاري لبيع الحقائب الأمنية إلى «م4أ»، ستحقق أرباحًا في حدود المليون أثناء السنة الأولى فقط، وبعد ذلك يمكنهم الحفاظ على مستوى ثابت من الأرباح يصل إلى بضعة ملايين.

أسرعت سيارة البي إم دبليو فوق جسر ليدينغو.

ركن السيارة بشكل عشوائي خارج ساحة الخردة ، وركض بساقيه الطويلتين إلى خلف المبنى ، وعبرَ متاهة مقبرة السيارات نحو الحاوية. كان هناك ثلاثة رجال في الداخل يقومون بتفحص التحفة التي أُرسلت إليهم من فرنسا ، وقد تمكنوا من ترتيب أجزائها بشكل مستقيم مستعينين بالإرشادات المرفقة.

أمرهم ميلكوفيتش: «تحركوا. تحركوا».

كانت الآلة تستحق التعظيم.

إنها المقصلة.

ما الذي يمكنه أن يكون فرنسيًّا أكثر منها ؟ مقصلة مع نصل من التيتانيوم ، حادة إلى الدرجة التي تستطيع بها قطع شعرة أو قطعة قرميد أو حقيبة فولاذية.

ليس هذا فقط ، فالشفرات - التي توجد منها اثنتان - لا تعتمد على الجاذبية في عملها وحسب ، حيث لجأ صُناعها إلى مساعدة الطبيعة ، عن طريق تركيبها على عمودين فولاذيين مع محرك صاروخي قاذف على كل ركن. كانت رحلة الشفرات القصيرة تجاه هدفها أشبه بالانفجار. سبق أن شاهد ميلكوفيتش عمل هذه الآلة عدة مرَّات ، وكانت قوتها لا تُصدق.

طلب زوران ميلكوفيتش من مبتكري تلك المقصلة المذهلة أن يقوموا بتركيب شفرتين من التيتانيوم تهبطان نزولًا على صفيحة مستطيلة ، وكان مقاس تلك الصفيحة مماثلًا لمقاس الحقيبة الأمنية الزرقاء ، وأقل سبعة ملليمترات من أحد الجوانب ، بما يعني أن المقصلة ستتمكن من فصل أنابيب الصبغة عن الحقيبة بحركة واحدة رائعة ونظيفة.

تنهد بسعادة كطفل صغير وهو يتطلع إلى الآلة الفريدة: «إنها جميلة».

تساءل سفيني غوستافسون: «ما هذا بحق الجحيم ؟».

أرسل ميلكوفيتش غوستافسون ورجاله إلى الخارج. سيصل المهندسان الشابان قريبًا ، اثنان ممن عملوا في الحاوية غالبًا ، وبنى ميلكوفيتش ثقة خاصة معهما أثناء الأشهر القليلة الماضية.

تحرك حول المقصلة ، مأخوذًا بشفراتها الحادة القاطعة ، وتكوينها الفولاذي المتألق. تمتع زوران بعبقريته الخاصة.

اتضح أثناء المساء أنهم بحاجة إلى المزيد من الأسلاك والتوصيلات قبل أن يعمل كل شيء كما يجب. عملوا حتى التاسعة مساءً تحت لمعان الأضواء السقفية الساطعة في الحاوية ، وعندها أصبحوا مستعدين أخيرًا لوضع إحدى الحقائب الزرقاء على المقصلة لإجراء الاختبار الحقيقي الأول.

أُديرت كاميرات الفيديو الست المثبتة على الحوامل ثلاثية الأرجل كي تصور المقصلة من ست زوايا مختلفة. ستلتقط اللحظة التي تتحرر فيها حقيبة «م4أ» الزرقاء من حوافها ، وعندئذ سيؤمَّن مستقبل ميلكوفيتش المادي.

بدت فكرة بيع الحقائب السوداء إلى الشركة الأمنية من خلال شركة جديدة تقوم بتقديم تقارير سنوية لمكتب تسجيل براءة الاختراع ، فكرةً واعدة لميلكوفيتش. ستكون الأرباح من الضخامة بحيث يتشاركها هو ومعلوف مع الولاية ، حيث إن الأشخاص الأثرياء فقط هم من يتمكنون من فعل ذلك.

تنقَّل ميلكوفيتش حول الغرفة ، وقام بتشغيل الكاميرات الست يدويًّا ، ثم خطا بضع خطوات في اتجاه الباب ، وأشار برأسه بوقار ، فقام أحد مساعديه بوضع الحقيبة على الصفيحة ، ثم أشار ميلكوفيتش ثانيةً فقام المساعد الآخر بالضغط على الزر.

تفجَّرت المقصلة بالحياة.

تهاوت شفرات التيتانيوم الحادة بسرعة صاروخية على الحقيبة المصفحة ، ولكن بدا لِعين ميلكوفيتش أن كل شيء يجري بالسرعة البطيئة. شاهد الشفرتين تتزحلقان نزولًا من الجانبين بينما كانت الكاميرات تلتقط كل عُشر من الثانية.

ضغط التيتانيوم بقوة على حافات الحقيبة ، وشقَّ طريقه نحو الجزء الفولاذي منها.

قطب ميلكوفيتش جبينه.

ثم توقفتْ.

توقَّف كل شيء.

شيءٌ ما يحول دون استمرار المعركة.

بعد ثانية واحدة فقط سمعوا صوت انفجار أنابيب الصبغة داخل الحقيبة.

قفز ميلكوفيتش ومساعداه عند سماعهم ذلك الصوت المألوف.

إنها خيبة الأمل الصادمة. بدا أن الزمن توقف.

«ما هذا بحق الجحيم؟».

كان الشابان في طريقهما لمغادرة الحاوية قبل أن يتسنى لميلكوفيتش قول كلمة أخرى. أدركا أن تلك اللامبالاة الهادئة التي يبديها الرجل الطويل، وذلك السيل من اللعنات الذي كان يسلِّيهم، يخفيان شيئًا آخر، شيئًا قاسيًا ومظلمًا.

لم يكونوا مستعدين للبقاء ومشاهدة ذلك.

غمغم ميلكوفيتش بهدوء دون أن ينتبه إلى وقوفه وحيدًا تحت شريط المصابيح الساطعة: «اللعنة!».

تجسدت أمامه الماكينة باهظة الثمن والمحطمة، مثل حلم كلفه شهورًا من وقته ومئات الآلاف من نقوده ثم ثبت أنه بلا قيمة على الإطلاق.

انتهى كل شيء!

عاشت فكرة أن تحل الحقائب السوداء من سلوفينيا محل الحقائب الأمنية الزرقاء لمدة خمسة أعوام، لكنها ماتت في تلك الليلة فقط. حاول أن يقوم بإحصاء تكلفة هذا المشروع، لكن الأرقام تزايدت بسرعة إلى درجة أجبرته معها على الاستسلام. كان الأمر محبطًا جدًّا.

ربما يمكنه بيع الحاوية إلى غوستافسون، وكذلك ساحة الخردة؟

ربما يساوي التيتانيوم في الشفرات شيئًا لو انتزع من الآلة؟

تهاوى ميلكوفيتش على أحد كراسي العمل الستة، ثم تناول هاتفه من جيبه الداخلي وطلب رقم ميشال معلوف.

أجابه معلوف في الحال.

سأل ميلكوفيتش: «هل قلت إنك بحاجة إلى المساعدة؟».

جاءه صوت معلوف على الطرف الآخر من الخط: «نعم، نعم. إنه بخصوص ذلك الأمر الذي تحدثنا عنه في آخر مرَّة... التحليق في الهواء».

فكر ميلكوفيتش لدقيقة. كثيرًا ما اعتاد على ألغاز من هذا القبيل، فمن غير الممكن التحدث بصراحة عبر الهاتف. وبعد عدة لحظات أدرك ما قصده معلوف.

مستودع النقود في فاستبيرغا.. المروحية.

«أتذكر ذلك بالتأكيد».

تساءل معلوف: «هل تعرف شخصًا يمتلك... إحدى تلك الماكينات؟».

أجاب ميلكوفيتش: «اعتبر الأمر منتهيًا».

أعاد الهاتف مرَّة أخرى إلى جيبه. وجد لنفسه مشروعًا جديدًا، ولكن كيف يمكنه الحصول على مروحية؟

وقف كارستين هانسن عند الباب المفتوح وسأل: «هل ستُغلق أنت نيكلاس؟».

وبدون أن ينتظر جواب نيكلاس نوردغرين ترك الباب يُصفق من خلفه.

استكمل نوردغرين اللحام، وقد اعتاد على غلق الباب وتفعيل جهاز الإنذار، فهو يقوم بعمل أكثر بعد مغادرة الآخرين. وعمل الكهربائي يُعد عملًا مرنًا، ويُفضل كارستين الذي يمتلك المكان الحضور والانصراف باكرًا، وقد اعتقد نوردغرين أن هذا أمر جيد، فبدلًا من البقاء وتصفح الإنترنت سيعود الرجل إلى المنزل والعائلة.

يعود سبب بقاء نيكلاس لفترة أطول في المساء إلى أن شريكته أنيكا سكوت قلما تعود إلى المنزل قبل السابعة، مما يعني أنه يمكنه العمل لعدة ساعات إضافية قبل أن يغادر في نهاية اليوم. كان يتقبّل عدم حصوله بشكل كامل على مقابل مادي لتلك الساعات الإضافية يُضاف إلى أجره الشهري، فهو يُقدِّر من ناحية أخرى أن لديه عملًا ثابتًا. لكن الشركة تتكون من أربعة موظفين فقط، ولو لم يكن هناك كثير من العمل فلا يمكن توقُّع أرباح إضافية، بغض النظر عن عدد ساعات العمل.

بدأ الأمر بمهمة إصلاح بسيطة لعدد من الدوائر الكهربائية في مُحضِّرة طعام من طراز الستينيات، لكن نوردغرين قام بتفكيك ذلك الجهاز كليًا، إذ لم يستطع منع نفسه من فعل ذلك. جلب الناس إليه كل أنواع الأجهزة الغريبة كي يقوم بإصلاحها، وفي تسع مرَّات من أصل عشر كان الأجدر به أن يقول لهم كلا منذ البداية، لكن نيكلاس يهوى إصلاح الأدوات القديمة. الخلاطات الحديثة مثلًا لا تتمكن من منافسة نوعية الخلاطات القديمة، ومجرد عجينة سميكة نوعًا ما يمكنها تدمير الصمامات الكهربائية، وقطعة المكسرات القوية قد تتسبب في قطع التيار الكهربائي في عموم المنزل، لكن مُحضرة الطعام الضخمة القديمة المفككة أمامه الآن تستطيع طحن الفخار من دون أن ترتفع حرارتها.

بدا واضحًا أنه يتوجب على نيكلاس البقاء لعدة ساعات إضافية كي يصلح ماكينة كتلك.

في السادسة والنصف استقل الحافلة إلى المنزل. توقف عند السوبر ماركت في طريقه لشراء طعام العشاء. يبدو أن السماء الرمادية لا تضع في حسبانها أن التقويم يشير إلى شهر أيار. وقف نوردغرين تحت مظلة كي يحتمي من المطر الذي ينهمر منذ صباح الأمس. يرتدي سترة عسكرية اشتراها من محلات «إتش أند إم» في الخريف الماضي، وحذاءً وجده في موسم التخفيضات في «ناتوركومبانييت»، ويحمل حقيبة العمل في إحدى يديه. أنزل قلنسوته الزرقاء الداكنة على رأسه. لن يعرفه بعد ذلك أي شخص يراه في الحافلة.

يُعد نيكلاس نوردغرين في العالم الخارجي رجلًا مغمورًا. سيعبر أمام الكاميرا التي تقوم بالتقاط الصور العشوائية لأخبار المساء في المترو بدون أن يحظى بأي اهتمام. كان مجرد شخص عادي، محض حلم مُبلَّل.

تزوَّج والدا نيكلاس نوردغرين منذ أربعين عامًا، وتُعد قصة حبهما إحدى الأساطير التي غالبًا ما تُسرد في العائلة. عمل لارس نوردغرين في شركة إنشاءات في ذلك الوقت، وسافر إلى بولندا كي يقوم ببناء الشقق، وهناك قابل إيوا، التي ستصبح لاحقًا والدة نيكلاس، وبعد عام من العيش بالقرب من كراكوف انتقل الزوجان إلى السويد، حيث اشتريا منزلًا صغيرًا في فاربي غارد، وفيه ترعرع نيكلاس.

في الوقت الذي بدأ فيه نيكلاس المرحلة الثانوية كانت العائلة قد انتقلت إلى سكارهولمن، وهو مكانٌ لم تتمكن شقيقة نيكلاس التي تكبره بثلاث سنوات من التأقلم معه. عانى في المدرسة باحتجاج صامت، والطريقة التي تدبر بها المعلمون والمنهج الدراسي أن ينتزعوا من هذا الشاب الفضولي تعطشه إلى المعرفة كانت أشبه بالمعجزة. فكر نيكلاس، لقد حظي بالكاد ببعض الوقت كي يبدأ الدراسة في بوتكيركا عندما انتقل والداه مجددًا، وهذه المرَّة نحو الشمال إلى سولنا. انتقلت شقيقته معهم ووجدت لنفسها شقة في سونديبيرغ حيث تعيش إلى يومنا هذا، بينما حظي نيكلاس بالفرصة كي يطير بعيدًا عن العش.

مثل الكثيرين في عمره، خاض العديد من المغامرات في هذا العالم، وبدت السنوات

التي قضاها في آسيا وأوروبا اليوم ، كحلم شخص آخر ، وعندما عاد إلى السويد انتهى به الأمر في ليدينغو. كان ذلك وليد المصادفة مثل كل شيء آخر في حياته.

ترجَّل نيكلاس نوردغرين من الحافلة في لارسبيرغ ، ومشى بتكاسل نحو الجنوب على الأرصفة الفارغة. بُنيت مباني الشقق المغمورة التي تنتصب فوق الصخور في أواخر الستينيات ، مع طموح بالجمال وتقليص للنفقات مشابه لما حدث في الضواحي سيئة الصيت في تينستا وأكالا. في ذلك المساء كانت كل النوافذ تقريبًا تُشع بالطمأنينة ، وبدت المناظر عبر نورا ديورغاردن جميلة بشكل استثنائي في ذلك الغروب الوليد. يُعد البرج الضخم المغمور بالنسبة إلى نوردغرين مثاليًّا ، إذ لم يكن شخصًا يحب إثارة الاهتمام ، أو يحب أن يكون محور التركيز ، أو يعتقد أن الحياة تتمحور حول جمع الأصدقاء والمعارف.

كان هناك وقت بعد عودته من آسيا مباشرة ، حاول فيه تقمص دور شخص تسهل رؤيته والاستماع إليه ، وبذل جهدًا كي يُصبح شخصًا يُشار إليه بالبنان ويتحدث عنه الآخرون.

لكنه لم يجنِ خيرًا من كل ذلك.

في مدخل بنايته أدخل نوردغرين الرمز الأمني وفتح الباب بكتفه. كانت الشوارع الخالية ، والبنايات المغمورة ، وظلال المداخن الرفيعة ، والمصانع ، هي بالضبط كل ما يصبو إليه.

عادت أنيكا إلى المنزل بعد السابعة ، فوجدت نوردغرين قد حضَّر العشاء. لم يكن طاهيًا محترفًا. عندما يطهو الرجال فغالبًا ما يواجهون مشكلة تجنب تتبيل طعامهم بهرمون التيستوستيرون. لكن نوردغرين كان يطبخ كل يوم. طهى بعض الجزر المقطع مع البصل والثوم ، وأضاف نصف مَرْطبان من عصير الطماطم الجاهز كي يجعل صلصة البولونيز أكثر طراوة.

سمع الباب الأمامي يُفتح أثناء تقليب الصلصة. خلعت أنيكا معطفها في الرواق ، ثم ذهبت إلى غرفة النوم وغيَّرت ملابسها. أعادت الثوب الرمادي - الذي ارتدته طوال اليوم

في شركة المحاسبة حيث تعمل - إلى حمالة الثياب، وارتدت بنطال جينز وكنزة صوفية بدلًا منه. جاءت إلى المطبخ وأعطته عناقًا سريعًا، ثم أخذت تُقطِّع القليل من جبنة البارميزان، بينما يقوم نيكلاس بتصفية الباستا من الماء الحار.

تساءلت: «هل كان يومًا جيدًا؟».

«نعم. وأنتِ؟».

هزَّت كتفيها لامبالية، ثم قالت: «سيُعرض فيلم «أريج المرأة» هذه الليلة على التلفاز».

«على أية قناة؟».

«الرابعة».

أجاب بلا اهتمام: «مممممم».

لا يدري إن كان يمكنه تحمُّل الإصغاء إلى بينغت ماغنوسون وهو يُلقي نشرة الأخبار كل نصف ساعة خلال الفيلم.

قالت أنيكا: «أعتقد أنني سأشاهده».

أومأ موافقًا كي يحافظ على الهدوء. سيجلس إلى جوارها ويبدأ في مشاهدة الفيلم، لكنه يعلم كما تعلم هي أنه سيختفي في غرفة هواياته عندما تبدأ نشرة الأخبار، وربما لا يعود بعد عودة عرض الفيلم.

تساءلت بشك عندما جلسا إلى طاولة المطبخ وشرعا في تناول الطعام: «هل تعمل على شيء مميز؟».

قال: «نعم».

لم يكن نيكلاس نوردغرين يحظى بسمعة أنه متحدث لبق.

مرَّ المساء كالمعتاد. استغلت أنيكا الفاصل الإعلاني كي تستعد للفراش، واختفى نيكلاس قبل أن تعود إلى غرفة الجلوس لمتابعة الفيلم وهي ترتدي رداء نومها. تهاوت على الأريكة مع تنهيدة ارتياح، وعندما بدأ جفناها يُغلقان عند أول فاصل إعلاني أدركت أنها لن تتمكن من استكمال مشاهدة الفيلم هذه الليلة أيضًا.

ارتبطت الجاذبية التي شعَّت من نيكلاس عندما قابل أنيكا لأول مرَّة بغموضه. كالكثيرين، أدهشها التناقض بين ماضيه الإجرامي واستقامته الخالصة حاليًّا، لكن الأشياء التي جذبتها سابقًا تتركها الآن باردة المشاعر. لم يدَّعِ أنه شخص آخر، وبدا الأمر مفاجأة لها. وعلى الرغم من أنه لا يتوجب عليها ذلك، وكإشارة امتنان، سمحت أنيكا لنيكلاس بأن يستولي على الغرفة المجاورة لغرفة المعيشة، ويحوِّلها إلى مكان لممارسة هواياته.

كيف كان يجمع كل هذه الأشياء؟ كان ذلك أمرًا يتجاوز إدراكها. كان شخصًا منظمًا جدًّا، ولكن من المستحيل أن يقوم بتنظيم تلك الفوضى التي تزداد بشكل مطَّرد. بدا الأمر كأنه يجذب الأدوات إليه، أدوات من كل نوع: أنابيب خشبية ومطاطية، هواتف قديمة، مُحضرات طعام مُعطلة، جبال من الصواميل والصواعق. أدرك كل شخص من أصدقائهما أنه بدلًا من رمي خلاطه أو مذياعه القديم، يمكنه إعطاؤه إلى نوردغرين، وسيُقدر لهم ذلك.

تنامت أكوام الخردة في غرفة هواياته.

كانت الساعة تشير إلى الثانية عشرة والنصف عندما أدرك نوردغرين أنه يحتاج إلى مفك براغي ذي مقبض قصير كي يُنهي ذلك العمل الليلي، وهو تثبيت ساعة في سيارة تحكُّم عن بُعد، لكنه احتفظ بالمفك في القبو مع بعض الأدوات الأخرى في الأسبوع الماضي. هل كانت هذه إشارة بأنه يجب عليه إيقاف العمل لهذه الليلة؟

نظر إلى السيارة على طاولته، إنها «أوبل» تقريبًا. كانت بالية زرقاء اللون، ولا يعلم كيف وصلت إليه. خاطب نفسه بأنه سينام بشكل أفضل لو أنهى عمله في هذه الليلة بدلًا من تركه للغد. ولهذا نهض وفتح باب الغرفة ثم تسلل بصمت إلى الرواق متجاوزًا أنيكا التي غفت أمام التلفاز.

وجد مفك البراغي حيث تركه في علبة المعدات، وعندما همَّ بإطفاء المصباح لفت نظره وجود جسم أسود على الأرض تحت الرفوف. ظن لبرهة أنه جرذ، ثم أدرك ماهيته. إنه الحجر البركاني. عاد مجددًا، وانحنى والتقطه، كان جافًّا مليئًا بالثقوب، والسبب

الذي جعله يضعه في حقيبة ظهره من قبل أنه بلا وزن تقريبًا.

بحثت عيناه عن الصندوق البُني القاتم حيث كان الحجر، فوجده عند الجدار تحت مجموعة صناديق أخرى، ولهذا السبب تحديدًا، تذكَّر لماذا لم يقم بإعادة الحجر إلى مكانه.

نظر نوردغرين في ساعته.

عقد العزم على أن يتجاوز كسله، فلن يستغرق الأمر سوى دقيقتين لتنحية الصناديق الأخرى جانبًا، ولكن لم يكن الجهد الجسدي هو المشكلة، إنه يعلم ما سيحدث إذا فتح الباب على ماضيه مجددًا. في تلك الليلة بالتحديد سمح لذلك أن يحدث.

في الصندوق البُني، حيث من المفترض أن يقبع الحجر البركاني الأسود، كانت هناك أربعة ألبومات صور، ولوح تزلج، وكيس من العجلات الاحتياطية، وزوج من الدواليب التي لم تُستخدم مطلقًا، ودواستان من ماركة «بي إم إكس» طلبهما ذات مرَّة من ألمانيا، وقنينة من سائل خاص للعناية بلوح الركمجة، وإلى جوارها صندوق صغير يحتوي على قفازات ونظارات وسرج استخدمه من قبل في تايلند.

نظر إلى هذه البقايا المنعزلة من حياة منسية، فوجد نفسه متسمِّرًا في مكانه، والصندوق المفتوح على الأرض أمامه.

ماذا حدث؟

لماذا تخلى عن زلاجته، ولوح الركمجة، ودراجته؟

لماذا استبدل بذلك النوع من الحياة المثيرة، آخر قاتمًا ومهشَّمًا؟

جلس على الأرض الحجرية الباردة، ووضع رأسه بين ركبتيه. ذكَّر نفسه: إن حياته الآن تجري بين إصلاحه لسيارة التحكُّم عن بُعد، ومُحضرة الطعام من طراز الستينيات، والأيام تمر ثم تستحيل إلى أسابيع وشهور.

مرَّت ستة أشهر منذ أن أُطلق سراحه من السجن. ما الذي فعله بحريته؟ يستيقظ تحت سماء داكنة كالقار، ويرتدي ملابسه، ويتناول إفطاره، ويذهب إلى العمل، ثم يعود إلى المنزل حيث يعمُّ الظلام ثانيةً فوق ليدينغو! هذه ليست حياة، إنها مجرد

وسيلة لتمضية الوقت فقط.

حدَّق نوردغرين في الصندوق ثم أغلق عينيه. كانت تلك ذكريات حياة بدأها ذات مرَّة: الأمواج التي تزبد وترعد على شواطئ بالي، والطريقة التي يتوتر بها جسده عندما يصل الماء إلى صدره ويده على لوح الركمجة، ونظرته إلى الأفق كي يلتقط الموجة التي تستحق أن يجدف إليها، والظل المثير لقمة ماتَرهورن، والهواء الرقيق الصافي، والطريقة التي تتفحص بها عيناه السبيل الأمثل لتسلُّق الجبل بينما يقوم بفرد عضلاته المتعبة بثني أصابعه إلى الخلف في ساعات الصباح الأولى، والألم في عظمة ساقه عندما فشل في عمل استدارة كاملة وانزلق اللوح جانبًا تاركًا إياه مع سحجة مؤلمة تمتد من رُكبته إلى منتصف ساقه، ما زالت تلك الندبة البيضاء الدقيقة موجودة حتى اليوم.

لم يعد يستطيع تفسير سبب تركهِ لتلك الحياة. لقد أحبها.

لكنْ.. شيء ما كان قد اعترض طريقه. وجد نوعًا آخر من الإثارة، نوعًا أكثر قوة. أصبح إجرامه أشبه بالإدمان. هل يمكنه التحرُّر منه من خلال بحثه عن مستقبله في ماضيه؟ عن طريق تتبع آثار الأشياء الموجودة في ذلك الصندوق البُني من الورق المقوى؟

وضع الحجر البركاني الأسود في الصندوق وأنزل غطاءه، ثم دفع الصندوق نحو الجدار، ووضع فوقه صندوقين آخرين حتى يبدو كل شيء كما كان عليه.

18

تطلَّع ميشال معلوف حوله: «ماذا؟ أعني... ما هذا المكان؟».

كان في أحد النوادي الليلية في ستوربلان في وسط ستوكهولم، والساعة تشير إلى الثالثة والنصف صباحًا، وقد أضحى الأشخاص أكثر وسامة مما كانوا عليه قبل بضع ساعات. تتكسر الموسيقى الصاخبة في المكان على الأرائك، حيث يتفاخر الرجال بإنجازاتهم للنساء اللاتي يمنحنهم ضحكات زائفة ويُظهرن بريق أسنانهن. كانت الشفاه تلتمع، وازدادت الثمالة، وتعرَّقت الأجساد، والأيادي تلوِح، ومعلوف في كرب شديد يعاني بقنوط.

قال زوران ميلكوفيتش وهو يضحك على الطريقة التي بدا فيها معلوف منزعجًا: «استرخِ يا ميشال. عليك أن تخرجِ أكثر... وسِّع أفقك. ليس هناك من خطب في فيتيا، لكنك تعرف، هناك أشخاص في أماكن أخرى أيضًا».

توجَّه اليوغسلافي الطويل نحو المشرب. كان النادي الليلي ملعب ميلكوفيتش منذ التسعينيات وبداية الألفية، حيث يرتدي ملابسه من ماركة أرماني مع مسدس مُعلَّق تحت ذراعه. كان مَلِك تلك الأماكن، وكانت جيوب سترته مليئة بالرزم النقدية المربوطة بشريط مطاطي كما يحدث في الأفلام. شقَّا طريقهما نحو المشرب الطويل الأبيض، حيث كان الناس يحتشدون وهم يحاولون التحدث مع صوت الموسيقى بعبارات قصيرة موحية بالثقة. اقترب ميلكوفيتش فأُخلي أمامه مكانٌ فجأة، وهو شيءٌ لم يكن ليحدث مُطلقًا لو كان معلوف بمفرده.

قال اليوغسلافي الطويل: «ماذا تريد؟».

«مياه معدنية».

أومأ ميلكوفيتش، وبعد ثانية واحدة تحركت عيناه متفحصتين فوق كتف معلوف. استدار ميشال فوجد نفسه فجأة ينظر إلى فتحة فستان على صدر امرأة شقراء.

عندما نظر نحو الأعلى ورأى شفتيها الحمراوين اللامعتين أدرك لماذا فقد زوران اهتمامه مؤقتًا بطلب مشروبهما. تلكما الشفتان كانتا من النوع الذي يهتم به زوران

تحديدًا.

تساءل ميلكوفيتش: «هل أستطيع أن أطلب لكِ مشروبًا؟».

ترتدي الشقراء طويلة القامة ثوبًا أبيض، ويبدو أنها ترتديه في الصيف فقط. حل حزيران للتوِّ مع أن الهواء بدا أشبه بجو آذار.

أجابت: «شمبانيا».

قال ميلكوفيتش: «في هذه الحالة فلتكن 1998. لا تشربي أي نوع من محصول أي سنة أخرى لأنها لا تستحق ذلك».

استطاع بهذا أن يحوز اهتمامها.

تساءل: «هل سبق لكِ أن قمتِ بالصيد بالصقور؟».

هزَّت رأسها نفيًا، وهي مشوشة ومتأثرة.

أخبرها ميلكوفيتش قصة قصيرة تحكي أنهم في كروم العنب في منطقة شامباين في فرنسا كانوا يدربون الصقور كي يتخلصوا من كل الحشرات الضارة التي تدمر الكروم. ثم أحنى جسده الطويل فوق المشرب وعبر الخط اللامرئي الفاصل بين الزبائن والموظفين المجهدين على الجهة الأخرى. جاء رجل المشرب راكضًا مباشرة، فطلب ميلكوفيتش كأسين من الشمبانيا، وتذكَّر أيضًا مياه معلوف المعدنية.

انتظروا طلبهم. وبينما ميلكوفيتش يُسلي الشقراء بقصة عن سبب كون محصول العنب في العام 1988 جيدًا جدًّا، لاحظ معلوف من بين الجموع رجلًا قصيرًا جاحظ العينين في منتصف العمر تقريبًا يتوجه نحوهما مباشرة، يرتدي بنطال جينز وقميصًا ذا مربعات مع رقعة قماشية كبيرة عند الكوعين.

لكز معلوف صديقه الطويل: «هل هذا هو؟».

استدار ميلكوفيتش وفقد اهتمامه بالشقراء فجأة، ثم صرخ: «ماني. تعال، تعال».

لم تكن الدعوة ضرورية، فقد كان ماني لاغيرستروم ذو الرائحة الفظيعة بجوارهما بالفعل.

نظر ماني إلى ميلكوفيتش، ولم يلاحظ وجود معلوف أو الشقراء، ثم سأل: «ألا يجب

علينا الذهاب؟».

قال ميلكوفيتش: «بالتأكيد. تحلَّ بالذوق يا ماني. هذا ميشال، لا أعتقد أنكما التقيتما مسبقًا».

مدَّ معلوف يده وكانت يد ماني رخوة ورطبة.

غمغم: «أكره هذا المكان اللعين!».

ثم انحنى نحو زوران ليقول شيئًا آخر، وكانت الموسيقى صاخبة جدًّا فلم يسمع معلوف سوى كلمات مبهمة.

سأل: «ماذا يقول؟».

«إنه يطلب النقود».

هزَّ ميلكوفيتش رأسه وأدار عينيه ثم قال: «لنذهب».

بدا أن الشقراء الجميلة تلاشت تمامًا من مخيلته.

وافق معلوف: «نعم، نعم».

عاد رجل المشرب لتوِّه مع كأسين من الشمبانيا وقنينة مياه معدنية، فبحث ميلكوفيتش في جيبه وأخرج ورقتين من فئة الخمسمائة كورونور ورماهما على المشرب، ثم وضع يده على كتف ماني وقاده نحو المخرج.

صرخ للمرأة الشقراء التي التقطت كأسها وأدارت ظهرها إليهم: «في المرَّة المقبلة».

عاد ماني إلى الاحتجاج مرَّة أخرى، عقب خروجهم إلى الشارع.

قال: «إنها دفعة تحت الحساب. أنت تعرف. أريد النقود الآن».

كان صوت لاغيرستروم ضعيفًا مرتعشًا، وكأن جسده الضئيل يحتوي على الكثير من الطاقة، ووجد بعضها طريقه من خلال فمه.

هزَّ ميلكوفيتش رأسه. مشوا في اتجاه الغرب عبر بيرغر يارلْسغاتان، وبدا أن عدد المخمورين على الأرصفة يساوي عدد الموجودين في النوادي.

اصطفت سيارات الأجرة على شكل صف ثلاثي انتظارًا للزبائن الذين يتهاوون على مقاعدها الخلفية. أوقفت الشرطة إحدى سياراتها الدورية عند بيبليوتيكسغاتان كإشارة إلى

وجودهم ، بينما تتسرب الموسيقى من النوافذ والأبواب.

«اخرس يا ماني! وعدت بأن ترينا ما لديك ، ثم أريك ما لديَّ».

انتحب ماني: «إنها الرابعة في هذا الصباح اللعين. لم أقطع كل هذا الطريق من أجل التسلية ، وهذا الأمر ليس مسليًا من الأساس».

وصلوا إلى السيارة ، ثم فتح ميلكوفيتش الباب للرجل النحيل الذي يرتعش جسده بالكامل ، لكنه هزَّ رأسه ورفض الصعود.

قال وقد بدا صوته الضعيف ذا نبرة عالية مصطنعة: «أقسم... لستُ أعمل مع الصليب الأحمر ، إنها ليست خدمة مجانية».

تنهد ميلكوفيتش ، ثم أدخل يده في جيبه وأخرج رزمة من الأوراق النقدية المربوطة بشريط مطاطي ، وألقى بالنقود إلى مقعد السيارة الخلفي ، فقفز ماني نحوها مباشرة ، ثم أغلق ميلكوفيتش الباب خلفه.

قال ميلكوفيتش لمعلوف وهو يتطلع إلى الرجل في المقعد الخلفي بنظرة احتقار: «إنه أشبه بالكلب داخل السيارة ، ومن السهل تدريبه».

قاد ميلكوفيتش نحو روسلاغستول. وكان قد استبدل بالأوراق النقدية من فئة الخمسمائة أخرى من فئة العشرين كورونور كي تبدو حزمة النقود أكثر عددًا. استغرق ماني في عدِّها على المقعد الخلفي ، وعندما انتهى عاد وبدأ في العد ثانيةً ، وهذا ما أبقاه منشغلًا حتى وصلوا إلى جسر ستوكسوند ، وعندئذ بدا راضيًا لأن الرزمة تحتوي على الكمية المُتفق عليها من النقود. أدخلها في جيبه ومدَّ رأسه بين مقعدي السيارة الأماميين. استحالت الطاقة التي دفعته للارتجاف مسبقًا إلى شيء آخر ، وانصرف بشكل كامل إلى الرجلين الجالسين أمامه.

قال: «حسنًا يا رفاق. بما أننا في هذه الرحلة الصغيرة معًا فنحن بحاجة إلى توضيح الموقف تمامًا. هل يستطيع أحدكما أن يغني لي أغنية ؟».

ضحك ماني على نكتته كما لو كانت أكثر الأشياء المضحكة التي سمعها في حياته ، وكانت ضحكته مشرقة وحادة ، وقد توقفت بصعوبة قبل أن يكمل: «كلا ، كلا. أنا جادٌّ

الآن. لا غناء هذه الليلة. يا إلهي. عندما كنت صغيرًا كان أبي وأمي يفعلان ذلك ونحن في طريقنا إلى عطلة بالسيارة، يغنيان تلك الأغاني القديمة ويدخنان سجائر بالنعناع، لكنكما لستما مغنيين أو مدخنين يا صاحبيَّ، أليس كذلك؟».

دوَّت الضحكة التي تلت ذلك كأنها انفجار صغير، مع أن ميلكوفيتش ومعلوف لم يسمعا في حواره المنفرد ذاك ما يُفترض أن يكون مضحكًا، لكن ماني لاغيرستروم ليس ممثلًا يعتمد على تفاعل الجمهور، وكونه يحظى بجمهور فهذا أمر كافٍ. تحدث بدون انقطاع طوال الطريق إلى نورتاليي، وضحك بشكل جنوني على نكاته الخاصة، وانجرف إلى الدموع باعترافاته، وأخبرهما بقصة حياته كاملة، بدءًا من سنواته الأولى في سولينتونا وصولًا إلى الرجل الوحيد الذي هو عليه اليوم.

يعمل ماني في أعمال الصيانة داخل حظيرة للمروحيات في روسلاغين. أمضى في عمله ذاك عشر سنوات إلى الآن وما زال يكرهه. لم يكن يلتقي قَطُّ مالكي المروحيات إلا عندما يظهرون فجأة ويبدأون بالصراخ عليه لقيامه بشيء ما بصورة خاطئة. كان الطيارون مشاغبين بشكل متفاوت لاعتقادهم بأنهم أفضل من أي شخص آخر، لمجرد أنه بإمكانهم سحب العتلة والضغط على الدواسة في الوقت نفسه.

أوضح ماني: «التحليق بالمروحية ليس أمرًا صعبًا، ورخصة غبية لن تُعطي أحدًا الحق في التصرف كمغفل كبير، لا يزعج نفسه بإلقاء التحية، ويرمي بأعقاب السجائر إلى الأرض أو يقوم بوضع العلكة تحت المقاعد».

تساءل معلوف: «هل تعرف.. كيف تُحلِّق؟».

أجاب ماني: «أعرف بكل تأكيد».

كان أشبه بطفل وهو في المقعد الخلفي للسيارة، يتحرك إلى الأمام وإلى الخلف في مقعده، ويعبث بفتحات التبريد، قبل أن يدرك أن المقاعد الخلفية يمكن أن ترتفع وتنخفض.

كرر ميلكوفيتش: «هل يمكنك؟ هل تعرف حقًّا كيف تفعل ذلك؟».

صرخ ماني: «بكل تأكيد. لكن مَن سيتدبر هذا الأمر بحق الجحيم؟ مَن الذي يستطيع

الوصول إلى مروحية ما؟».

كانت تلك مزحة أخرى، أدهشته في براعتها، فضحك بصوت مرتفع.

وافقه معلوف: «نعم، نعم».

ثم تساءل في محاولة لاستيضاح الأمور: «هل حلَّقت بالفعل؟».

صرخ ماني لاغيرستروم: «كلا... لم أُحلِّق في مروحية قَطُّ. أستطيع ذلك، لكني لم أفعل، انسَ الأمر، انسه الآن. هل أخبرتك بملاحقة أبي لحيوان الغرير اللعين الذي كان يعيش في القبو؟».

أمره ميلكوفيتش، بينما تزداد الغابة على جانبي الطريق عتمةً: «اخرس يا ماني. نحن لا نأبه بوالدك. اخرس فقط».

استمرت القصة المتعلقة بالغرير طوال الطريق إلى أوستامرا.

عندما وصلوا قفز ماني إلى خارج السيارة ليفتح الباب لميلكوفيتش ومعلوف، ثم ركض عبر مرآب السيارات كي يصل إلى حظيرة المروحيات أولًا.

قال معلوف: «حسنًا... يبدو ماني شخصًا مميزًا».

تنهد ميلكوفيتش: «حروف الأبجدية لا تكفي لوصف تكوينه. لا يمكن للشحاذين أن يختاروا».

على جانبَيْ منطقة الهبوط المفتوحة أمام البناية شكَّلت مجموعة من أشجار الصنوبر الطويلة طريقًا واسعًا للنزول إلى بحيرة ليمارين، وبدت الباحة التجارية على الجانب الآخر من الطريق هادئة ومنعزلة، وقد حمل النسيم معه رائحة المطاط والخشب المحترق.

أثناء الطريق إلى الحظيرة أخبر ميلكوفيتش معلوف بماهية الأمر.

كانت هناك خمس عشرة طائرة مروحية تقريبًا متوقفة في روسلاغين، وهي مملوكة بشكل مباشر لشركة دولية أو لمدنيين يستردون قيمتها بواسطة تأجير استثمارهم باهظ الثمن ذاك لتلك الشركة. وكان ماني عامل الصيانة والموظف الوحيد في نادي المروحيات.

اقتضى عمله إبقاء الحظيرة نظيفة ومنظمة دائمًا، وخزانات الوقود ممتلئة، وكل الأعمال الورقية مرتبة، فضلًا عن القيام بأي نوع آخر من الأعمال إذا استلزم الأمر.

إذا شرعت سكرتيرة المدير بالاتصال من أجل حجز مروحية لرئيسه، فإن ماني هو الشخص الذي عليه أن يتأكد من التاريخ، وزوران ميلكوفيتش بالطبع يعرف العديد من السكرتيرات.

انتظر عامل الصيانة الجذل بنفاد صبر بجوار باب الحظيرة المفتوح.

صاح: «تعاليَا. تعاليَا».

لم يفهم سبب تأخُّرهما هكذا.

كانت ثمة رائحة وقود ومعدن نفاذة داخل الحظيرة، وقد صُفَّت المروحيات في الظلام كالأحصنة النائمة، هكذا فكر معلوف، على الرغم من أنه لم يشاهد حصانًا نائمًا من قبل. هناك شيء مهيب، شيء قوي عظيم ثري في ذلك المشهد، وكون ماني يركض جيئة وذهابًا وهو يثرثر باستمرار كان أمرًا مزعجًا إلى أبعد الحدود.

صرخ وهو يلوِّح لهما: «هذه هي.. هذه هي المروحية التي يمكنكما أخذها. إنها «بِل 206 جت رينجر». جميلة، أليس كذلك؟».

لم تكن لها سمة مميزة عدا أنها بيضاء اللون، وبخلاف ذلك رأى معلوف أنها تبدو مثل الأخريات تمامًا.

دار ماني حولها، وهو يشير إلى خواصها، مثرثرًا بقصص بدت غير مترابطة بشكل كبير: «يمكنكما استعارتها ثم إعادتها. سأحصل على المقابل مُقدمًا كما تعرفان. زوران، أنا عادةً أحصل على المقابل مُقدمًا، هكذا يجري الأمر. النقود أولًا».

أجاب زوران: «اعتبر النقود في جيبك».

وافق معلوف: «نعم، نعم».

توسَّل ماني إليهما، وقد بدا منزعجًا من الأمر: «لا مزاح أيها الفتية، لا مزاح. سأحصل على نقودي، وسأحرص على أن تكون جاهزة وممتلئة الخزان متى احتجتما إليها. اجعلا الأمر يبدو كأنكما سرقتماها. هل الجميع مسرورون الآن؟».

لم يجبه معلوف ، لكنه أومأ برأسه.

وجدا المروحية ، والآن يجب عليهما البحث عمن سيُحلِّق بها.

تناثر الدم هنا وهناك.

لا تزال السكين ذات النصل الحاد التي قطَّعت شريحة اللحم إلى شرائط بجوار لوح التقطيع على طاولة المطبخ. لم يكن سامي فرحان منظمًا حين يطهو. اللحم البُني يغلي ببطء في الحساء منذ أكثر من ساعة، ولا يزال هناك دم على الطاولة، وثمة صحون متسخة على مائدة المطبخ، وقدور منقوعة في المجلى، وسكاكين، وملاعق خشبية، ومخفوق البيض في كل مكان يقطر على الأرض. لو طُلب منه أن يُعيد تلك العملية مرَّة أخرى موضحًا الأغراض التي استخدم لها تلك الأدوات لكان الأمر مستحيلًا. إنه يطبخ بالطريقة نفسها التي يفعل بها كل شيء في هذه الحياة، بالطاقة البدنية الفوضوية.

ملأت رائحة طهوه المطبخ. بدأ سامي يومه بصناعة مرق الخضراوات. ليس هناك ضرر في المكعبات الجاهزة، لكن لو كان لديك الوقت فإن المرق الحقيقي أفضل بالطبع.

أضاف إليه قليلًا من الفلفل الأحمر الحار المقطَّع والقرفة، ورشَّ على المرق بعض التوابل، وكان البصل والثوم في المقلاة، سيقوم لاحقًا بمزج البصل الطري مع الكسكس وبعض المشمش والبرتقال.

اصطحبت كارين طفليها إلى منزل والدتها على بُعد مبانٍ قليلة في سانكت بولسغاتان. كانت الفكرة هي إعطاء سامي بعض الوقت ليبقى مع نفسه وحسائه.

إنها أفضل هدية تقدمها إليه. هناك أشخاص يفرغون عقولهم بالجري ميلًا بعد آخر على آلة الجري، وآخرون يحظون بالجنس أو يثملون، ولكن طريقة سامي المفضلة في تسكين روحه واستحضار أفكار جديدة في الحياة هي الطهو.

عندما تذوَّق المرق بملعقة شاي لم يعد يفكر مطلقًا في القلق المتكرر الذي شعر به في الليالي الماضية. تزايدت الشائعات المتعلِّقة بخداعه في صفقة القريدس المجمد، وقريبًا لن يكون هناك شخص في ستوكهولم وضواحيها لا يعرف بتلك الحكاية. عندما كان يلتقي مصادفة أشخاصًا لم يرهم منذ سنوات في السوبر ماركت، يجدهم يخفضون أصواتهم ويسألونه بصورة متعاطفة عن حجم المال الذي اقترضه من إخوته، وأصبح شباب

الضواحي ، الذين لم يجرؤوا قبل بضعة أشهر فقط على النظر في عينيه ، يضحكون عليه من وراء ظهره.

لم تعد هناك سكاكين نظيفة في الدُّرج ، لكنه وجد واحدة عند حافة النافذة ، ولم تكن لديه فكرة عن سبب وجودها هناك. غسلها بالماء ، ثم قام بتقطيع المشمش إلى قطع صغيرة ، واستحوذ ذلك على تركيزه بالكامل ، مما يعني أنه لن يضطر إلى تعذيب نفسه بكل الأسئلة التي ما زالت تحتاج إلى أجوبة ، حتى لو قال معلوف وصديقه إنهما توصلا إلى مروحية.

قشَّر سامي البرتقال بسكين حادة كالتي قطَّع بها اللحم ، واستمر في العمل بالوتيرة المرتفعة نفسها. ستعود كارين بالطفلين عند الخامسة ، بينما سيُنهي هو تحضير الطعام عند الثانية. يمكن أن يستمر المرق في الغليان تحت الغطاء لعدة دقائق إضافية ، فليس في نيته أن يقوم بمزج الكسكس معه قبل الدقيقة الأخيرة.

تطلَّع إلى المطبخ. إنه يحتاج إلى ترتيب ، لكنه بصدد الاستفادة من وقته الخاص في شيء أكثر أهمية من غسل الأواني. خلع مئزره ورماه على طاولة المطبخ ثم خرج إلى غرفة المعيشة.

قرأ سامي فرحان قبل عدة سنوات مقالة مطولة عن تتبع الأثر عبر الإنترنت ، ومنذ ذلك الحين وهو قلِقٌ من أن يكشف غوغل وفيسبوك تفاصيل عنه. كلما قلَّل من استخدام الحاسوب والهواتف كان ذلك أفضل. إن تسميته كمصاب برهاب التقنية ثمن قليل يستطيع تقديمه في هذا الصدد.

توجَّه نحو رفِّ الكتب وأخرج دليل الهاتف. أدرك أن طفليه لن يفهما أبدًا لماذا يقوم شخص ما بطباعة وتوزيع هذه الأكوام من الأوراق على كل بيت في ستوكهولم ، ولن يفهما أيضًا لماذا يقوم شخص ما بفتح هذا الدليل.

كانت الصفحات الأولى من القسم الأصفر تحتوي على خرائط لضواحي ستوكهولم ، ومن بينها فاستبيرغا.

قلَب سامي الكتاب نحو الصفحة المنشودة ، ثم أخذ يتفحص الصورة ، ووضع إصبعه

على المبنى عند زقاق فاستبيرغا، فريتين بورغزفاغين وفريتين 7، حيث مستودع نقود «م4أ». استخدم قلم الرصاص كي يرسم خطًّا رقيقًا حول منافذ الدخول. كانت الخطة تقتضي البقاء لأقل من عشر دقائق داخل البناية، مما يعني أن عليهم منع وصول الشرطة للفترة الزمنية نفسها.

الطريقة المعتادة هي نثر ما يُسمى بالمسامير الشوكية على طول الطريق، وهي عبارة عن كرات فولاذية حادة الأطراف تغرز نفسها في إطارات السيارات وتثقبها. لكن المشكلة في تلك الطريقة أنه عندما يتم اكتشافها تسهل إزاحتها عن الطريق ببساطة. لن يجنوا سوى بضع دقائق من التشتيت لا أكثر.

أخبره ميشال معلوف أن الصربيين يقومون بهذا الأمر على نحو مختلف، فهم يثبتون تلك المسامير إلى سلسلة ما ثم يفردونها عبر الطريق ويثبتونها من كلا الجانبين بإحكام، فتتمزق إطارات السيارة إلى عدة أجزاء بدون أن تسحب المسامير معها، مما يعني أن إطارات السيارة التي تليها سوف تتمزق أيضًا، وليس بالإمكان إزاحتها بعيدًا، بل يجب قطع تلك السلسلة بواسطة كماشة.

بدلًا من فكرة تأخير الشرطة لمدة دقيقتين أو ثلاث، فإن السلاسل ستمنحهم الفترة الزمنية المطلوبة من الوقت تقريبًا. وعلى افتراض أن الأمر سيستغرق بضع دقائق حتى ينطلق جهاز الإنذار، وبضع دقائق أخرى حتى تصل الشرطة إلى مكان السلاسل، فذلك هو كل ما يحتاجون إليه.

وضع سامي علامة على نقطة الدخول من الجانب الشمالي عبر الطريق السريع خلال زقاق فاستبيرغا، ثم رسم خطًّا آخر فوق اليكترافاغين، لأن قوات الشرطة المحلية ستنطلق من المركز في فاستبيرغا فاغين، ولكي يكونوا في أمان رسم خطًّا ثالثًا عبر زقاق فاستبيرغا من دريفيولسفاغين في حالة محاولة أي شخص الاقتراب من الجنوب. كان السؤال هو: هل سيحتاجون إلى سلاسل أخرى تمتد عبر فريتينبورغاسفاغين وكاروسيلفاغين؟ قرر سامي أن ذلك احتمال ضئيل، بالإضافة إلى أن تلك المنعطفات بحد ذاتها ستستغرق الكثير من الوقت.

تفحَّص بعد ذلك طول تلك الخطوط الرصاصية التي رسمها، لأنه لا يجرؤ هو أو معلوف على الذهاب إلى منطقة فاستبيرغا الصناعية، والمجازفة بأن يشاهدهما أحد ما بالقرب من مستودع النقود. ليس لديه خيار آخر سوى تخمين طولها ذاك.

توصَّل إلى أنهم سيحتاجون إلى ثلاث أو ربما أربع سلاسل بطول خمسة عشر مترًا مع العديد من المسامير المعدنية التي ستُثبت عليها. يبدو ذلك كثيرًا، ولكن على الرغم من إعادته للحسابات مرَّة تلو الأخرى فقد توصل دائمًا إلى الاستنتاج نفسه.

ستون مترًا من السلاسل ستُكلِّف الكثير من النقود.

تُركت الأماكن المحددة التي ستُثبت عندها السلاسل على جانبي الطريق للشخص الذي ابتكر هذه الفكرة. ولا شك أن القيام بأي نوع من أنواع الاستطلاع الميداني يُعد أمرًا خطرًا جدًّا.

أشارت الساعة إلى الثالثة عندما شعر سامي بالسعادة أخيرًا لعمله في ذلك المساء. أعاد دليل الهاتف إلى الرف ثانيةً وهو موقنٌ بأنه لن يتمكن أحد من ملاحظة آثار الخطوط الدقيقة التي قام بمحوها زيادة في الاطمئنان.

عاد إلى المطبخ وواجه الروائح الرائعة والفوضى العارمة هناك، ثم أخذ نفسًا عميقًا واستدار نحو المذياع على حافة النافذة، وكان يبثُّ موسيقى بلا توقف لم يستطع تمييزها، وبدأ في التنظيف. تمكَّن من مسح المائدة ومعظم رفوف المطبخ في الوقت الذي بدأت فيه الأخبار المحلية، لكنه تسمَّر في مكانه.

قال مراسل الأخبار: «قبل انتصاف ليلة الأمس قام لصوص بمهاجمة مضمار تابي للفروسية في عملية سطو تستهدف سباق ديانا».

فغر سامي فاهُ متعجبًا.

فعلها ذلك المجنون.

«وبعد فشلهم في محاولة الهرب على الأحصنة تم اعتقال اللصوص قبل أن يصلوا إلى البوابات. معنا الآن مراسلنا في الموقع...».

لقد فشل.

20

وصل زوران ميلكوفيتش مبكرًا.

تجوَّل في شوارع بودغوريكا بينما الغسق يهبط على الوادي ، وكانت أضواء المدينة قد استبدلت باليوم الغائم لمعانًا دافئًا وأصفر في السماء القاتمة.

توجَّه ميلكوفيتش غربًا ، ثم انعطف إلى اليمين نحو متنزه كراليف. بدت الأشجار في قمة ازدهارها كأنها لا تُصدِّق أن الصيف مقبل ، ورأت أن تفعل كل ما بوسعها قبل انتهاء حزيران. كان الربيع وبداية الصيف باردين على غير العادة في مونتينيغرو ، ولم يكن المعطف القصير العسكري الخفيف الذي صنعه الخياط لميلكوفيتش في غوتريج بستوكهولم كافيًا ليدرأ عنه الصقيع ، ونتيجة لهذا أصبحت خطوته الواسعة المعتادة أكثر اتساعًا.

أُطلق على مدينة بودغوريكا العديد من الأسماء ، وكانت مكانًا جاذبًا للسكان ، فهي النقطة التي يلتقي فيها نهران عظيمان في طريقهما عبر أوروبا إلى البحر المتوسط.

مشى ميلكوفيتش على طول الجسر البشع الجديد للطريق السريع ، والذي يعبر نحو موراكا ، ومن تحته تقبع مخلفات الجسر الحجري القديم الذي يقطع نهر ريبينكا ، وهو أحد الشواهد التاريخية التي نجت من قنابل الحرب العالمية الثانية. وعلى الضفة الأخرى كان فندق بودغوريكا حيث سيُجري لقاءه ، وعند المشرب خلف مكتب الاستقبال كان هناك أحد أشهر السُّقاة في العاصمة يجتهد في عمله كثيرًا.

اختار ميلكوفيتش طاولة بجوار النافذة تطل على ضفة النهر اليانعة ، ثم طلب الزيتون مع قدح من الماء الفاتر.

كانت الثامنة إلا ربعًا. وصل مبكرًا بخمس عشرة دقيقة. أخرج الهاتف الذي كان يستخدمه أثناء وجوده في مونتينيغرو. لقد انقضى أسبوعان منذ أن كان هنا آخر مرَّة ، وكانت لديه 43 رسالة جديدة. تصفَّح الرسائل بسرعة قبل أن يعود إلى بداية القائمة للرد على ما يستحق الرد منها. اعتاد معارفه المهمون في العمل على استخدام رقمه السويدي إذا احتاجوا إلى التواصل معه ، ولهذا فأصحاب الرسائل هؤلاء هم حثالة معارفه في حقيقة

الأمر.

على الرغم من عدم مجيئه إلى مونتينيغرو سوى مرَّة أو مرَّتين شهريًّا، فقد كان يشعر بالراحة هنا وكأنه في منزله في السويد. تركت أجيال من عائلة ميلكوفيتش بصمتها في بودغوريكا، وكان زوران جزءًا من ذلك التاريخ المشترك. هؤلاء الأقارب الناجون من قرون الحروب والدمار تمكنوا من فعل ذلك بسبب جذورهم العميقة. تستطيع دائمًا أن تجد صلات عائلية إذا تمعنت بدقة في الماضي.

صنع كَونَه الخاص في ستوكهولم. هناك يبدو أي شخص جديدًا على المكان، سواء أكان من مكان آخر في السويد أو فنلندا أو إسطنبول. عجَّت الضواحي بالحيوية والطاقة المجهولة التي تنبع من محاولات الاندماج أو البقاء بعيدًا.

لم يرغب في العيش بدون أيٍّ من المدينتين.

بدأ الزبائن يتوافدون على المشرب والمطعم. مقارنةً بستوكهولم فإن هذا يحدث متأخرًا في بودغوريكا. تكيَّف إيقاع الحياة في بلدان حوض المتوسط ليلائم المناخ المختلف. ومن خلال النوافذ الكبيرة المطلة على النهر راقب السماء الرمادية الداكنة وهي تستحيل إلى عتمة فوق قمم الجبال. تعوَّد أن ينتظر هكذا من أجل امرأة جميلة أو رجل ثري فقط، ولم يكن فيليب زيفيتش ينتمي إلى أيٍّ من النوعين، كان هذا كله من أجل ميشال معلوف.

شعر ميلكوفيتش بأنه حارس معلوف والمعجب الأول به أيضًا. كان شعورًا مختلفًا وغريبًا أن يرى ميشال الصغير يكبر ويتلقى الصفعات التي حوَّلته إلى ما هو عليه الآن. لم يكن لدى ميلكوفيتش سبب كي يتخذ هذا الدور الحامي، لكن بعد مرور عدة سنوات بات من الصعب عليه ألا يفعل ذلك. في هذه المرَّة تحديدًا كان هناك سببان يدفعانه دفعًا لمساعدة صديقه الصغير: أولهما أنه يعلم كم استغرق ميشال من الوقت وهو يتطلَّع إلى مستودع النقود في فاستبيرغا، وهي فرصة كبيرة ليحقق أمل حياته، وثانيهما أنه شعر بالذنب لهدر وقت معلوف على الحقائب الأمنية الزرقاء.

استغرق وقتًا كي يجد ماني لاغيرستروم، لكن اختيار قائد المروحية الطيار من

مونتينيغرو كان واضحًا منذ البداية.

تفجَّرت الحرب الأهلية البشعة في البلقان أثناء التسعينيات ، وتمخض الظلم التاريخي عن كُره كبير بين البلدين الجارين السابقين أذهل العالم برمته. في بداية الأمر أسدى أحد أعمام زوران ميلكوفيتش النصيحة إليه بالابتعاد عن السياسة طوال حياته ، وتلك هي الطريقة المحددة التي تعامل بها ميلكوفيتش مع الحرب لأطول فترة ممكنة ، حيث تجنَّب الانحياز إلى أيٍّ من الأطراف ، وتجنَّب الإجابة عن التساؤلات التي ليس لها أجوبة وافية ، واستمر في التحدث عن نفسه كيوغسلافي ، ومع الوقت أصبح دبلوماسيًّا محنَّكًا في الصراع الذي تطلَّب منه الالتزام بجانب ما.

تعرَّف أثناء الحرب على هؤلاء الأشخاص الذين يديرون الآن مكاتب فخمة في كل من مونتينيغرو وصربيا ، وكانوا في ذلك الوقت تائهين في غابات البوسنة ، ثم أصبحوا الآن مسؤولين عن ميزانية البنى التحتية والتصديق على عقود البناء والتحكم في الضرائب.

كانوا وقتئذ يرتدون أسمالًا مهلهلة ، ويعملون على تلغيم دعائم الجسر أمام عدوهم. أما اليوم ، فهم يرتدون البدلات الأنيقة وأربطة العنق ، ويحيطون أنفسهم بالمحامين وخبراء الاقتصاد ، وينصبون المكائد السياسية لمنافسيهم.

اتصل زوران ميلكوفيتش بكثير من هؤلاء الأشخاص طالبًا المساعدة ، وهكذا سمع عن فيليب زيفيتش.

الآن والساعة تشير إلى الثامنة تمامًا دخل الرجل إلى المكان.

عرف ميلكوفيتش مباشرة أنه هو.

كان زيفيتش رجلًا قصيرًا ذا شعر كثيف ولحية داكنة كثة ، يرتدي بدلة متقنة الصُّنع ، وفي الحقيقة لم يكن هناك شيء يوحي بأنه طيار أو جندي سابق.

تعرف عم ميلكوفيتش على والد زيفيتش ، ويعتقد زوران أن أحد أصدقاء طفولته تزوج من إحدى شقيقات زيفيتش. تمتع الرجل بحضور هادئ وهو يخطو نحو المشرب ويتطلَّع حوله. رفع ميلكوفيتش يده ، فأومأ زيفيتش وجاء إلى الطاولة وجلس ، ثم نظر إلى كأس ميلكوفيتش ، وتساءل: «ماءٌ أم فودكا ؟».

أجاب ميلكوفيتش: «ماء. ماء فاتر».

ضحك زيفيتش: «إنه علامتك المميزة كما سمعت».

تساءل ميلكوفيتش: «كنت تتحرى عني؟».

قال زيفيتش مع ابتسامة: «بالتأكيد. وأفترض أنك فعلت الشيء نفسه».

أومأ ميلكوفيتش.

أكمل زيفيتش: «فهمتُ ملخص الأمر، وأعتقد أنه مثير. تستطيع الاعتماد عليَّ».

شعر ميلكوفيتش بثقة آنية تجاه طيار المروحية الذي طلب أيضًا قدحًا من المياه الفوارة مع الثلج والليمون.

أكمل زيفيتش: «لكن، لديَّ بعض الأسئلة».

انتهى الأمر بأن تكون ليلة طويلة حقًّا، واضطر زوران ميلكوفيتش للإجابة على مضض، والبوح بأكثر مما خطط له.

نجا فيليب زيفيتش من حرب البلقان بواسطة مروحية ولأنه لم يترك شيئًا للمصادفة. سأل أسئلة ما، ثم أعقبها بأخرى متوقعة وغير متوقعة، وأجاب ميلكوفيتش عنها قدر استطاعته.

حسب رأي زيفيتش، فإن الهبوط على سطح البناية في منتصف الليل لا يُمثِّل مشكلة. قد يبدو الأمر صعبًا، لكن حتى في الحالات العادية فإن المروحيات عادةً ما تحط على شيء يُسمى المنصة، وهي صفيحة معدنية تستقر على عجلات، ليست أكبر بكثير من المروحية نفسها لكنها أصغر بشكل ملحوظ من سطح مستودع النقود.

كلا. كان زيفيتش مهتمًّا بأشياء أخرى: هل تأكد ميلكوفيتش من أن الشرطة السويدية لن تصل إلى مروحياتها؟ هل يمكن لعملية السطو ألا تستغرق أكثر من عشر دقائق؟ أليس هناك خطر من قيام الشرطة بفتح النيران؟

لم تظهر أمارات السعادة على وجه زيفيتش حتى أعطاه ميلكوفيتش أجوبة طويلة مفصلة.

عند منتصف الليل كان الرجلان قد تحدثا في كل شيء، وكان زيفيتش يعرف

المطلوب منه تحديدًا.

قال: «حسنًا... ومتى يجب عليَّ فعل ذلك؟».

أجاب ميلكوفيتش: «نحن نتحدث عن الخامس عشر من أيلول».

«لماذا؟».

تنهد ميلكوفيتش بسبب فضول الطيار: «نوعًا ما.. في ذلك اليوم من الأسبوع يحتوي المستودع على نقود أكثر من الأيام الأخرى، ومن ناحية ثانية كي يتوفر لدينا الوقت الكافي لتجهيز كل شيء. سكان السويد يصلون إلى حالة من الركود أثناء شهر تموز حتى منتصف آب».

«إنه وقت طويل حتى أيلول. هل أكون على ثقة من أنك لن تُغيِّر رأيك؟».

طمأنه ميلكوفيتش: «هذا الأمر سيحدث».

«هل أبني على كلمتك؟».

«يمكنك أن تبني على ما هو أفضل منها».

أخرج ميلكوفيتش دفتر شيكاته، ووجد قلمًا في جيبه الداخلي، ثم كتب شيكًا بعشرين ألف يورو سلَّمه إلى زيفيتش الذي حدَّق إلى الورقة باستغراب.

قال الطيار: «لا أحتاج إلى هذه لو منحتني كلمتك».

ابتسم ميلكوفيتش: «إن إحداهما لا تغني عن الأخرى».

نهضا عندئذ وتصافحا.

كان الضوء على قمة برج كاكناس يومض بفتور، وإشعاعه الأبيض المشتت يختفي في الليل ويتلاشى في السماء الشاحبة، وقد بدأ الغزال الذي يختبئ بين الأشجار في ديورغاردن أثناء النهار يتجول عبر المراعي الجافة ليلًا وهو واثقٌ من أنه لن تتم ملاحظته من الكلاب أو الناس الخارجين إلى النزهة. وعلى طول الشوارع حول هوندودين استراحت البجعات عند حافة المياه، بينما غفت الإوز الكندية ذات الصدر الأبيض على الممشى.

مزَّق الانفجار سكون الليل.

اختبأت السيارة في مرآب، خلف مدرسة الفروسية في ديورغاردزبرون، يُستخدم غالبًا أثناء الشتاء كساحة لركن جرافات الثلج، ويستخدمه في الصيف سائقو سيارات الأجرة الذين يضطرون إلى التوقف لحالة طارئة.

تطايرت عشرات الآلاف من الشظايا الزجاجية في الشارع والغابة مثل البلور، واشتعل لهب أحمر مصفر عندما التقط وقود المحرك النيران، وطار غطاء السيارة من مكانه، مُحلِّقًا على شكل قوس واسع عبر موقف السيارات، ثم حطَّ مع جلبة خفيضة على بُعد أمتار.

قال معلوف وهو يُمرر يده على لحيته: «اللعنة!».

قال نيكلاس نوردغرين: «انتظر».

كانا يقفان عند حافة الغابة على بُعد نحو خمسين مترًا، يراقبان الوقود المشتعل يقطر من أسفل السيارة، وقد تسببت خيوط اللهب في تسخين الوقود في الخزان، وبينما خمدت ألسنة النيران في المحرك تصاعدت تارة أخرى وبدت السيارة البائسة مسودة ومتفحمة بالكامل.

كرر نوردغرين: «انتظر».

تلا كلماته انفجار آخر أكثر قوة عندما وصلت ألسنة اللهب إلى خزان الوقود من خلال عادم السيارة ربما، أو من أسفلها.

سقط معلوف على ركبتيه بصورة لاإرادية، بينما كانت أجزاء السيارة تتطاير في الهواء وتحطُّ على الأرض من حولهما: إطارات النوافذ، والإلكترونيات، والصفائح، والمعادن. بعدما انتهى كل شيء، وعاد الصمت، كان الدخان لا يزال يتصاعد من المقاعد ببطء إلى الهواء.

قال معلوف ثانيةً: «اللعنة!».

أمسك نوردغرين بهاتفه، ثم قال: «الأمر المثير يتعلَّق باستخدام الهاتف».

ثم أوضح: «يمكنك أن تكون في أي مكان على الطرف الآخر من العالم لو رغبت، كل الذي تحتاج إليه شخصٌ يقوم بوضع الهاتف الآخر عند دواسة الوقود أو في المحرك، ثم أتصل بذلك الهاتف من هاتف آخر وأفجره».

حمل الهاتف الذي لا يزال في يده عاليًا: «وعندها سوف ينفجر».

قال معلوف للمرَّة الثالثة: «اللعنة!».

كان متأثرًا بشكل كبير.

سأله نوردغرين: «هل هذا يشبه ما كان في خيالك؟».

ما زال يجهل ما يخطط له معلوف. أصبح يشك في أنه أمر كبير، أمر مهم، لكنه تعلَّم ألَّا يسأل أي أسئلة حتى لأصدقائه المقربين. استفسر معلوف عن كيفية استخدام الهواتف الخلوية لتفجير القنابل عن بُعد، وذلك هو سبب رحلتهما إلى ديورغاردن.

لا تتعلَّق السرية من وجهة نظر معلوف بفقدان الثقة، بل تتعلَّق بالاحترام. كان السطو على فاستبيرغا لا يزال في مراحل التخطيط، وإذا رفع توقعات نيكلاس نوردغرين فسيكون كمَن يؤذيه. وفي حقيقة الأمر ليس هناك غير عدد قليل من الأشخاص الذين يثق بهم معلوف بشكل كامل.

أجاب معلوف: «هذا أفضل. أفضل بكثير».

ابتسم نوردغرين.

نظر الرجلان إلى السيارة المحطمة وقد بدت أشبه بهيكل متفحم.

«ألا يجب علينا.. الذهاب؟».

قال نوردغرين: «علينا أن نطفئها أولًا».

ذهب ليلتقط مطفأة الحريق من السيارة، وكان معلوف قد ركنها بجوار الإسطبلات القديمة. عبرا جسر ليدينغو والشمس والقمر واضحان في سماء الصيف الشاحبة. شعر معلوف بالرضا، فقد أظهرت رحلتهما القصيرة إلى ديورغاردن أن نيكلاس نوردغرين يعرف أشياء استثنائية. كان الرجل يعيش غالبًا وفقًا للتوقعات، ويحتفظ لنفسه بسقف توقعات منخفض، لكنه يعرف عن كل شيء أكثر من أي شخص آخر.

لم يندم معلوف على إبقاء نوردغرين ضمن قائمة معارفه إطلاقًا. التقيا قبل سبع سنوات عندما أُلقي القبض عليهما في عملية سطو. في ذلك الوقت أضاع معلوف العد حول عدد المرَّات التي احتُجز فيها داخل زنزانة ضيقة في سجن كرونوبيرغ الاحتياطي. أما نوردغرين فكانت تلك هي المرَّة الأولى بالنسبة له، حيث ألقوا القبض عليه في العمل، واقتادوه إلى كونغسهولمن مقيدًا بالأصفاد، وسجَّلوه هناك، وأخذوا منه عينات الحمض النووي وبصمات الأصابع، ثم تركوه لقضاء بضع ليالٍ على فراش رث قبل أن يُطلقوا سراحه ويرسلوه إلى المنزل. اتضح أن نوردغرين لم تكن له يدٌ في عملية السطو التي أُدين فيها ميشال معلوف بعد عدة أشهر.

ولهذا، عندما طرق اثنان من رجال الشرطة بزيِّهما الرسمي على باب نيكلاس نوردغرين في ليدينغو بعد عدة أيام افترض أن الأمر ليس أكثر من سوء تفاهم بسيط.

«كلا. أنا أحتج. تمت تبرئتي في تلك التحقيقات. لا بد أن معلوماتك قديمة».

عبس رجلا الشرطة، وأجاباه: «أنت تراهن على ذلك».

تحدث نوردغرين ببضع كلمات إلى أنيكا بخصوص العودة في وقت الأخبار المتأخرة، بينما انتظره الضابطان في الرواق.

ستمر خمس سنوات أخرى قبل أن يعود نوردغرين للجلوس على تلك الأريكة أمام التلفاز.

أي حمض نووي يوجد في مسرح جريمة في أنحاء السويد يُسجَّل ويُؤرَّخ، وكجزء من الروتين فإن هذا الحمض النووي تتم مطابقته مع قاعدة البيانات، وهكذا تسببت مادة

نيكلاس نوردغرين الجينية في وميض كل الحواسيب في دائرة الشرطة وهي تُخرِج تقريرًا تلو الآخر.

تبيَّن أن حمض نوردغرين النووي وُجد في مسرح جريمة السطو على مصرف في سولينتونا قبل أربع سنوات ، كما طابق عملية سطو أخرى حدثت في موربي قبل سنتين ، ومداهمة لمكتب بريد في سونديبيرغ في 2001 ، وكذلك عملية سطو على متجر للمجوهرات في أوستيرمالم قبل ذلك بسنة.

وبالمصادفة ، نال نيكلاس نوردغرين حكمًا بالسجن مساويًا لحكم ميشال معلوف ، وعندما خرجا بدا الأمر كأنهما سقطا معًا ، ثم أخذا يلتقيان أكثر فأكثر.

كانت نظرة معلوف الإيجابية للحياة ، وطبيعته الصالحة ، وإخلاصه الواضح ، أمورًا مناسبة جدًّا لفضول نوردغرين الرصين ، وفوق ذلك تشارك الاثنان صفة شخصية متميزة: أنهما ينظران إلى الأمام دائمًا ، وليس إلى الخلف إطلاقًا.

استدار معلوف إلى اليمين بعد الجسر ، واستمر عبر سودرا كونكزفاغين نحو لارسبيرغ ، ثم أوقف سيارته على بُعد مبنيين من مكان سكن نوردغرين ، ومشيا معًا على الأرصفة الخالية في تلك الليلة الصيفية الدافئة. وكانت الساعة قبيل التاسعة فقط.

قال معلوف: «أنت تعرف. إذا رغبت.. يمكنك الاشتراك. سيكون هناك أربعة منا ، سنُقسم كل شيء على أربعة».

تساءل نوردغرين: «حسنًا. كم يبلغ حجمها ؟».

أجاب معلوف وهو يعلم أن إعادة صياغة الموضوع لن تجعل الخطة أقل جنونًا: «حسنًا. نحن نخطط أن... نُنزل مروحية على مستودع للنقود يقع مباشرة إلى جوار مركز للشرطة ، وبعد ذلك نأخذ بضع مئات من الملايين».

ضحك معلوف.

تساءل نوردغرين: «هل أنت جاد ؟».

«نعم ، نعم».

نظر نوردغرين في عيني صديقه ، وقال: «أنا معكم».

قال معلوف: «ولهذا فنحن بحاجة إلى هواتفك المتفجرة كي نمنع مروحيات الشرطة من التحليق».

22

مع دقات التاسعة صباحًا فتح سامي باب غرفة النوم بهدوء.

ظلت كارين مستيقظة حتى الخامسة.

همس سامي وهو يتحدث إلى جون: «سوف نخرج قليلًا».

أخلد الرضيع إلى النوم أثناء رضاعته، ولا يزال ثدي كارين في فمه.

حررت نفسها منه برفق، ثم تساءلت: «ليست هناك مشكلة، أليس كذلك؟».

لم يكن هناك شك في نبرة الراحة في صوتها.

قال سامي بحنان: «نامي لبضع ساعات».

همست بسخرية بدون أن تفتح عينيها: «حتى يتوفر الوقت اللازم للحليب كي يتكثف، ويدفعه إلى النوم هذا المساء».

قال مع ابتسامة تهكُّم قبل أن يُغلق الباب بهدوء ثانيةً: «إن الأطفال رائعون».

انتظر جون على أرض الرواق، وضحك عندما حمله سامي. كان طفلًا سعيدًا. وفقًا لكلام والديه فإنه بدأ يتحدث على الرغم من أن جدته لا تتمكن من فهم الأصوات التي يسمعها سامي، ككلمة ماما، وبابا، وسيارة، وعصفور.

أصبح في الحقيقة أثقل من أن يُحمل الآن، لكنه يحب ذلك، وقد شعر سامي بالتحرر بدون عربة الطفل. في الحقيبة التي علَّقها على كتفه حزم بعض العصيدة، وحفاظات إضافية، وبطانية، ومعطفًا صغيرًا. نشر الصيف دفئه فوق ستوكهولم يوم أمس، لكن تقرير الطقس في ذلك الصباح أشار إلى أن موجة الحرارة ستتراجع قليلًا لعدة أيام. لم يعد بحاجة إلى الأوفرول، ولهذا السبب على الأقل كان سامي ممتنًّا.

حمل جون على ذراعه، وأثناء نزوله عبر هوغبيرغسغاتان راوده شعور غير متوقع بأنه مراقب.

كانت الأرصفة مزدحمة، أسبوع واحد حتى تموز ولا يزال الناس لم يبدأوا عطلتهم الصيفية، أو ربما كان ذلك هو السبب وراء شعور الجميع بالتوتر. هكذا فكر سامي. أثناء فترة الأسابيع الأربعة الممطرة من الصيف تصاعد الشغف مجددًا، واستُعيدت العلاقات

مع الأطفال، وقُرئت الكتب، والتقى الأصدقاء، وطُلي السياج الخشبي الذي كان مشققًا. وعندما سيحين الوقت أخيرًا للعودة إلى العمل في آب، سيبدو الأمر أشبه بالزحف عودةً إلى اليابسة بعد السباحة في المياه العاصفة أثناء فترة الإجازة.

وصلا إلى ميدبورغاربلاستين. توجَّه سامي بسرعة إلى محطة المترو ونزل بواسطة السلم المتحرك، واستدار عندما وصل إلى قاعدته تقريبًا. كانت هناك مجموعة من الأشخاص في الأعلى يبدون متعجلين مثله تمامًا.

من فوق الرصيف، استقل القطار الذاهب إلى هاغساترا الذي وصل للتوِّ إلى المحطة، وقبل أن تُغلق الأبواب نزل منه ثانيةً. كان جون لا يزال يستلقي على ذراع سامي وهو يضحك بسعادة، حيث منحته القفزة نحو رصيف المحطة شعورًا بوجود فراشات في معدته.

لا يبدو أن هناك شخصًا آخر فعل ما فعله سامي. فوفقًا للشاشات فإن القطار نحو أكيشوف كان على بُعد دقيقتين، وعندما وصل إلى المحطة أعاد سامي العملية مرَّة أخرى، فصعد على متنه وانتظر لعدة ثوانٍ ثم قفز خارجًا نحو الرصيف.

عندما تأكد أن أحدًا لم يفعل الشيء نفسه صعد ثانيةً على متن القطار، بينما قهقه جون بصوت مرتفع.

استقلا القطار نحو المحطة الرئيسية، وصعد سامي إلى الشارع، ثم عاد إلى الدرج المتحرك مرَّة أخرى نازلًا نحو الخط الأزرق، وعند تلك النقطة تأكد أنه كان مخطئًا.

لم يتبعه أحد.

مع هذا، فرغبةً في بث السرور في نفس طفله أعاد خدعة القفزة من الرصيف إلى القطار المتجه نحو يولستا.

تنقل سامي فرحان في ضواحي ستوكهولم الجنوبية وهو في طفولته، لكنه كان أقل معرفة بالشمالية منها. عندما نزل إلى الأرض في ريسني، بين سونديبيرغ ورينكباي، ذهب في الاتجاه الخطأ. كان يتوجه نحو شورغارد إلى المستودع الذي يستطيع فيه الأشخاص تأجير غرفة تخزين مظلمة كي يحتفظوا فيها بأي شيء لا يستخدمونه لرميه أو

بيعه لاحقًا.

غفا الطفل ذو العام الواحد أثناء رحلة المترو ، وعندما خرجا إلى الهواء الطلق فتح عينيه وبدا أنه على حافة الاحتجاج ، لكن ما دام سيظل محمولًا على أية حال فإن الأمور لن تكون أسوأ ، ولهذا فقد بقي في مزاج جيد.

استغرق الطريق الذي يستلزم خمس دقائق تقريبًا من سامي خمس عشرة دقيقة ، لكنه تمكن أخيرًا من العثور على المكان. لمح الألباني جالسًا على مقعد عند مدخل البناية الجديدة. كان ينتمي إلى ذلك النوع من الرجال السمان الذين يمتلكون ، على الرغم من شحومهم ، جسدًا عضليًّا أكثر من الأشخاص الآخرين. كانت يداه وذراعاه مغطاة بالوشوم ، وامتدت على رقبته فوق ياقة قميصه ألسنة نيران خضراء متجهة إلى أسفل أذنيه.

صارع الألباني كي ينهض من كرسيه عندما اقترب منه سامي. لم يوجِّه نظرة واحدة تجاه الطفل.

قال: «يمكنك الدخول».

كانت البناية مظلمة ، ولكن ثمة ضوء يتسرب من باب مفتوح أمامه. شاهد سامي شخصين آخرين داخل المكتب ، يبدوان مشابهين تمامًا للرجل الذي تُرك للحراسة خارجًا ، ثم تذكر أنهم كانوا إخوة. لم يسبق له التعامل معهم ، وذلك كان غرضه بالتحديد ، ألَّا يستعين بأيٍّ من معارفه المألوفين. كانت الغرفة مزدحمة وقذرة ، وبدت الحواسيب قديمة ومكدسة معًا منذ التسعينيات.

قال أحدهم وهو يصارع النهوض من الكرسي المخملي الأخضر الداكن: «هذا هو الطريق».

تبع سامي الرجل نحو الرواق إلى سلالم مظلمة ، وعبرا صفًّا طويلًا من الأبواب المغلقة. لم يصادفا أحدًا آخر أثناء سيرهما. ربما كان الإخوة يستأجرون البناية بأكملها.

توقف الألباني أمام الباب قبل الأخير ، ثم فتحه ، ودلف إلى الداخل مشعلًا الضوء.

قال: «انظر حولك ، وأخبرني بما تريده».

خطا سامي داخل الغرفة. كانت غرفة للعرض والتخزين في آنٍ واحد. أُلقيت فيها الأسلحة الآلية والمسدسات الصغيرة فوق صناديق خشبية بطريقة تشبه طريقة عرض الأحذية الرياضية في مواسم التخفيضات في إيكا ماكسي. لمس سامي بذهول بعض القطع بيده اليسرى، وكان لا يزال يحمل جون بيده اليمنى.

تبعه الألباني، ثم قال:

«لدينا بعض القطع الجديدة هنا. لو رغبت... لكن... ما هذه الرائحة بحق الجحيم؟».

تساءل سامي بلامبالاة: «ماذا تقصد؟».

قال الألباني: «ألا تشمها؟ إنها تبدو كرائحة الغائط».

شعر سامي بذلك فوق ذراعه عندما صعد السلالم، إطلاق الريح المتكرر ثم الدفء الذي تلاه، لكنه ظنَّ أن ذلك يمكن أن ينتظر.

قال: «هل تمنحني دقيقة؟ أحتاج إلى فعل شيء ما. سأنتهي بسرعة».

قبل أن يتمكن الألباني من الرد كان سامي في طريقه إلى الخارج. نزل السلالم إلى خارج البناية، وعند الزاوية ألقى جون على ظهره فوق العشب بجوار موقف السيارات، ثم أخرج البطانية والمناديل المرطبة من الحقيبة، ووضع حفاظة نظيفة جافة لطفله، وفي طريق عودته إلى الألباني والأسلحة الأوتوماتيكية وجد سلة مهملات بجوار آلة قطع التذاكر فرمى فيها الحفاظة القديمة.

ضحك الطفل عندما كان والده يصعد السلم كل درجتين معًا.

اختار سامي سلاح كلاشنكوف تقليديًّا، حيث أدرك أن بإمكانه استعماله، ثم أشار نحو زوج من المسدسات وقرأ من القائمة التي أعطاه إياها معلوف، وكان نيكلاس نوردغرين قد طلب بعض الأشياء أيضًا.

قال الألباني: «فليكن الأمر كالتالي.. في المرَّة المقبلة التي تأتي فيها إلى هنا ستجلب معك النقود. سنعطيك مفتاحًا لأحد المخازن، وستكون الأشياء التي طلبتها موجودة بداخله، يمكنك أخذها وقتما تشاء، ثم تترك المفتاح في القفل بعد أن تنتهي. حسنًا؟».

آب

23

قام نيكلاس نوردغرين ، في يوم الاثنين من بداية آب ، بتركيب مكيف للهواء في محل في سيغتونا ، ثم توجه بعدها إلى أرلاندا ، وهو أكبر مطار في السويد على بُعد خمس عشرة دقيقة.

كانت المطارات دائمًا أهدافًا حساسة ، ولذلك صُنفت كمناطق مؤمنة ، وبقيت تحت الحراسة طوال الوقت. تمركزت الشرطة في أحد المباني إلى جوار المحطة النهائية ، ولكن كانت الشعارات والبناية أكثر تأثيرًا من الموظفين أنفسهم. لم يكن ممثلو القانون في أرلاندا الأفضل تدريبًا أو الأثقل تسليحًا ، ويتلخص عملهم في إلقاء القبض أو طرد السُّواح الذين يحاولون التغلب على خوفهم من الطيران بواسطة الكحول. أما التهديدات الإرهابية والإخباريات الخاصة بمهربي المخدرات فتُعالج من قِبل وحدات أخرى أكثر مهارة من شرطة أرلاندا.

أوقف نوردغرين سيارته داخل موقف السيارات الدائري متعدد الطوابق عند المحطة 5 ، ثم عبر الجسر الزجاجي فوق صف سيارات الأجرة في اتجاه البناية الأخيرة. استدار نحو اليسار إلى سكاي سيتي التي تربط صالة الوصول النهائية بالصالات الداخلية ، وهنا وجد مكتب المعلومات.

نظرت إليه امرأة شابة تمضغ اللبان بتردد من فوق كتابها. كان شعرها مصبوغًا بالأحمر ، وتضع حلقًا على أحد حاجبيها.

قال نوردغرين وهو ينظر إليها من تحت قبعته: «عفوًا. سؤال سريع فقط ، أين أجد قاعدة مروحيات الشرطة ؟».

غمغمت المرأة وهي تستخدم إصبعها الأوسط للبحث في السجل الذي يظهر على الشاشة أمامها: «قاعدة المروحيات».

حاول ميشال معلوف ونيكلاس نوردغرين كلٌّ بطريقته الخاصة - باستخدام الإنترنت ، ومواقع الشرطة ، ومواقع الثرثرة - إيجاد موقع قاعدة مروحيات الشرطة ، لكنهما فشلا ولم يجدا قشة واحدة يتشبثان بها.

يدرك نوردغرين جيدًا أن استخدام الجرأة والوقاحة لا بد أن يكون معتدلًا في مجال السطو، ولكن في بعض الأحيان تكون تلك الطريقة هي الطريقة المُثلى، وقد كان مستعدًّا للذهاب إلى أبعد من ذلك في الوقت الحالي.

قالت المرأة أخيرًا: «كلا، لا أستطيع إيجادها. أعطني بعض الوقت، وسأتصل بالشرطة وأسأل عن الأمر».

أومأ نوردغرين بامتنان.

قالت بعد أن رد عليها أحدهم في الهاتف: «مرحبًا. أنا صوفيا من مكتب المعلومات في سكاي سيتي. لديَّ سؤال عن مروحيات الشرطة، هل هناك قاعدة لها في مكان ما هنا؟ صالة رقم 3؟».

كانت لا تزال تمضغ اللبان وهي تنصت إلى الجواب، ثم شكرت الشخص على الطرف الآخر من الخط وأنهت المكالمة.

قالت: «كلا. ليس للشرطة أي مروحيات هنا. لدينا مروحيات قليلة هنا في أرلاندا. قالوا إنهم غير متأكدين، ولكن عليك المحاولة في تولينغ».

«تولينغ؟ هل قالت الشرطة ذلك؟».

أكدت له المرأة وهي تفقد اهتمامها به وتعود إلى كتابها: «هذا ما يقولونه».

بعد ثلاثة أيام كان ميشال معلوف يجلس في مقعد الراكب الأمامي في سيارة نيكلاس نوردغرين، يراقب المطر المتساقط فوق تومبا مع الموسيقى المستمرة من المذياع وهي تضفي جوًّا رائعًا.

قال معلوف: «ما زلتُ لا أُصدق هذا الأمر».

وافق نوردغرين: «إنها مفاجأة، لكنها جيدة».

«لا أستطيع تصديق ذلك، هل أنت متأكد؟ متأكد تمامًا؟».

كان نوردغرين متأكدًا إلى أقصى حد، لأن لديه بعض المعارف في قوة الشرطة في ستوكهولم، ولم يستطع أحد منهم معرفة موقع مروحيات الشرطة، والشيء الوحيد الذي أكَّده الجميع أن هناك مروحية واحدة متمركزة في العاصمة.

قال نوردغرين لمعلوف: «لديهم مروحية في نورلاند، وواحدة في مالمو، وواحدة في غوتينبيرغ، وواحدة في ستوكهولم. يبدو الأمر غريبًا، ولكن... عندما تطير فوق المدينة في جولة أو اثنتين كل يوم فستظن أنها أكثر من واحدة. يبدو أنهم يستعيرون المروحية من غوتينبيرغ أحيانًا إذا احتاجوا إليها لأي سبب محدد، أو إذا كان السبب سوء حظنا».

أومأ معلوف. إذا قال نوردغرين ذلك، فذلك هو ما حدث.

قال معلوف: «مروحية واحدة فقط؟ لا يزال الأمر غريبًا جدًّا».

وصلا إلى تولينغ، ثم توجها نحو مهبط الطائرات القديم لإلقاء نظرة.

سأل معلوف: «ولكن، أنت لا تعتقد... أنها هنا؟».

قال نوردغرين: «كلا. أنا متأكد، لكنك لن تستطيع التأكد من ذلك. يبدو أن الشرطة كانت تُحرك المروحية من مكان إلى آخر منذ سنوات، ليس بدافع الذكاء، ولكن يبدو أنه لا أحد يرغب فيها».

قال معلوف: «كلا. لماذا لا يرغب فيها أحد؟».

قال نوردغرين: «ليست لديَّ فكرة، ولكن هذا لن يساعدنا في شيء».

كان الرجلان مختلفين تمامًا في المظهر: الودود المبتسم دائمًا، الرجل اللبناني ذو الشعر اللامع الكثيف واللحية المشذبة بإتقان، والأصغر بخمس سنوات، السويدي الانطوائي المتجهم الذي لا يمتلك شعرًا نهائيًّا. ترعرعا بالقرب من بعضهما، حيث كانت المسافة قريبة بين عائلة نوردغرين في فاربي غارد، وعائلة معلوف في فيتيا، ولم يكن أيٌّ منهما مهتمًّا بالمدرسة.

في الوقت الذي اكتشف فيه نوردغرين حبه للرياضات المتطرفة، ضمن معلوف مركزًا كظهير أوسط في فريق كرة القدم، وهو شيءٌ يعكس شخصيتيهما بشكل جيد.

كانت حاجة نيكلاس نوردغرين إلى الرفقة محدودة جدًّا، واهتمامه بالدوائر الإلكترونية أكثر من العلاقات الإنسانية، ونظرته المتسائلة التي يستكشف بها العالم من تحت قبعته ثابتة وجامدة. لم يرغب في تعريف نفسه كرجل كئيب، لكن فكرة السعادة لم تكن قَطُّ مطلقة بالنسبة إليه. في بعض الأوقات كان يتصارع مع صورته الخاصة، ولم

يكن هناك مجال لإنكار حقيقة وجود نوع من العقاب في اختياره لعمله.

أما ميشال معلوف فكان مختلفًا، فهو يحب الشمس أكثر من المطر، وكرة القدم أكثر من الهوكي، ويفضِّل إيجاد الحلول للمشكلات. لم يكن شخصًا يجعل الحياة أكثر صعوبة. كان والدا معلوف مسيحيين، وقد أجبرا أولادهما على الذهاب إلى الكنيسة في أوقات منتظمة. ولكن يبدو أن الإيمان المسيحي لم يمس قلب معلوف، واقتنع أشقاؤه بأن مرد ذلك يعود إلى توجهاته البوذية.

ادعى الدالاي لاما أن الطريق إلى السعادة يتحقق بإحلال الفكرة الإيجابية الجميلة محل المريرة أو السلبية، وتلك الطريقة بالتحديد هي التي يعيش بها معلوف حياته.

كانت مشكلته الوحيدة هي توفير النقود الكافية.

لم يكن يمتلك الكافي منها.

ولكن، ما معنى كلمة «كافي»؟ لم يعرف ذلك.

كانت عائلة ميشال معلوف، أشقاؤه الأربعة ووالداه السعيدان في زواجهما، هي حجر الأساس في حياته، ويعود الفضل إلى قوة العائلة مجتمعة في تمكُّن الأطفال من شقِّ طريقهم في مدارس السويد ببعض الكدمات السطحية فقط، وإثبات أنفسهم في المجتمع الذي لم يفهمه والداهم غالبًا، كلهم عدا ميشال، والسبب يعود إلى أنه لم يستطع يومًا تعريف معنى كلمة «كافي».

على الرغم من أن زواج والدي نيكلاس نوردغرين، الذي امتد لأربعين عامًا، قد تجاوز الضغوطات التي انهارت تحتها الكثير من علاقات أصدقائهم، فلم يكن لدى نيكلاس الشعور نفسه بالانتماء إلى القطيع مثل ميشال. كانت لديه شقيقة واحدة، ولكن لم تكن هي أو والداه قريبين من نوع الحياة التي انتهى نيكلاس إلى الإبحار فيها.

أدى إجرام الابنين إلى الشعور بالصدمة في عائلتي نيكلاس وميشال. لم تفعل العائلتان شيئًا سوى توفير الدعم لهما عندما قام الاثنان بطلب المساعدة المثيرة للشفقة من عائلتيهما وهما في السجن في المرَّة الأولى، وعندما نقضا وعودهما بألا يفعلا ذلك ثانيةً ثم انتهيا إلى طلب المساعدة مرَّة ثانية وثالثة ورابعة. انتظرت الأم المحطمة والأب

الذي يشعر بالقنوط خارج السجن في أيام التسريح، بينما كان الأشقاء اليائسون ينتظرونهم باستياء في المنزل.

كان الأمر الأسوأ من الزنزانات المنعزلة في السجن هو أنهما أصبحا أملًا خائبًا في أعين عائلتيهما، عندما كانت أضواء سيارات الشرطة الزرقاء تنعكس على نوافذهما.

على عكس الغالبية من الآخرين فإن نيكلاس وميشال، اللذين التقيا في ذلك النوع من العمل، كانا استثناءً في عائلتيهما المحترمتين، وكون صداقتهما نمت وتوطدت بسرعة فلأن كلًّا منهما وجد نفسه في عزلة الآخر.

كان المطر لا يزال ينهمر عندما وصلا، وكان من الصعب عليهما إيجاد مكان منعزل ومهجور كذاك. إقلاع الطائرات وهبوطها على هذه القطعة الصغيرة من الأرض كان أمرًا من الصعب تخيله. قاما بعدة دورات حول المنطقة كي يتأكدا من عدم وجود أي كائن حي أو حظيرة مروحيات بائسة في مرمى البصر.

تنهد معلوف ومرر يده على لحيته: «هذا... مختلف».

ضحك نوردغرين.

«بعض الناس يذهبون إلى الصيد في أرتشيبيلاغو، ونحن في رحلة لقنص مروحية في ضواحي ستوكهولم».

لكن لم تكن هناك مروحية للشرطة في تولينغ.

قسَّما خرائط غوغل بينهما قبل أن يفترقا. وقد طبعها نوردغرين ثم رسم في منتصفها خطًّا يمر عبر مقاطعة ستوكهولم مباشرة، بما يعني أنه سيأخذ النصف الشرقي ويأخذ معلوف الغربي.

تساءل معلوف: «ما الذي نبحث عنه بالتحديد؟».

«حظيرة في الغابة، كبيرة بما يكفي لمروحية أو اثنتين، واجهتها مُعبَّدة بالأسفلت، ليس من الضروري أن تكون واسعة مثل مهبط الطائرات».

قال معلوف مع ابتسامة: «نعم، نعم. إن الأمر يبدو كحظيرة وسط كومة قش».

قال نوردغرين بحزم: «ليس لدينا خيار آخر. أليس كذلك؟».

بدأ المطر يهطل بغزارة مرَّة أخرى ، وأصبح يتساقط الآن على النافذة الأمامية ، بينما يقود نوردغرين سيارته عبر هاغيلبيفاغين عائدًا نحو فيتيا.

24

سُوِّيت عاصمة مونتينيغرو بالأرض أكثر من ستين مرَّة أثناء الحرب العالمية الثانية. بدا الأمر منافيًا للعقل. نوعٌ من المبالغة في تقدير أهمية بودغوريكا. وذلك هو عدد المرَّات التي تسلَّل فيها المدمرون إلى الوادي الجميل، وأفرغوا حمولتهم كمطر شرير على المدينة الجميلة ملتقى النهرين. ومع نهاية الحرب لم يبقَ شيء.

وعندما قام الحزب الشيوعي بإعادة بناء المدينة أثناء الخمسينيات والستينيات، استخدموا النموذج نفسه المتبع في كل أوروبا الشرقية الجديدة، حيث وضعوا ميزانية حداثية ذات طبيعة عدوانية. وأسوةً بستوكهولم أصبحت بودغوريكا مدينة لا يُسمح فيها للمباني بأن تتجاوز خمسة أو ستة طوابق، وعلى عكس ستوكهولم أضحت بودغوريكا مدينة متناسقة، وحسنة التخطيط، وزهيدة الثمن، ومفتقرة إلى الحيوية.

أحب فيليب زيفيتش طيار المروحية بودغوريكا، لكن ليس بسبب جمالها.

طرأت أشياء إيجابية كثيرة على المنظر العام في المدينة أثناء السنوات العشرين الماضية، لكن زيفيتش لن يلعب دورًا في تطور ذلك أثناء السنوات العشرين المقبلة.

شعر بالأسى في قلبه بعدما حزم حقائبه في صندوق سيارته.

سألته زوجته التي جلست في المقعد الأمامي: «هل سنذهب؟».

انصرف انتباه ابنهما في المقعد الخلفي إلى لعبة ما على هاتفه، فبالنسبة إليه ليس هناك فرق شاسع بين مونتينيغرو وصربيا، وهذا ما جعل فيليب زيفيتش أكثر قنوطًا.

قال: «نعم. لنذهب».

افترض وزير العدل، نيبويسا هاف، أن اجتماع ما بعد الغداء مباشرة سيتضمن تفاوضًا من نوع ما، ولكن على عكس الاجتماعات التي عانى منها أثناء نهاراته الطويلة في مكتب المحافظة في نيماينا 11 - وهي بناية جميلة عند الزاوية - لم يكن مضطرًّا إلى إخفائه. كان وزيرًا في الحكومة الصربية التي تتوسع في كل الاتجاهات تحت السطح وتُبنى على التسويات.

سمع طرقًا على الباب، وبعد دقيقة ظهر أحد مساعديه، وهو شاب مستقيم الظهر،

يبرق الطموح بين عينيه.

قال: «فيليب زيفيتش هنا لرؤيتك».

قال هاف: «حسنًا. فليدخل».

يعلم جيدًا مدى الانطباع الذي يتركه مكتبه على كل مَن يزوره للمرَّة الأولى: السقف بارتفاع أربعة أمتار ونُقشت عليه زخارف من الجص، والنوافذ طويلة تُطل على الشوارع، والستائر مخملية ثقيلة ذات لون قاتم، والجدران مغطاة باللوحات الزيتية لأشهر رجال صربيا، فضلًا عن مجموعة من الكراسي الأثرية ذات المسندين، وثريا لامعة من الكريستال أعلى طاولة القهوة. كان من المستحيل ألَّا يتأثر مَن يشاهد ذلك.

خطا فيليب زيفيتش نحو الغرفة. نشأت بين الرجلين صداقة قديمة جدًّا، حتى إن حاملة الأقلام الذهبية والسجادات الفارسية لم تكن لتؤثر عليها، ولكن ما زال زيفيتش مندهشًا من أناقة المكان.

اقترح الوزير مشيرًا إلى مجموعة من الكراسي الحديثة بجوار النافذة: «هلَّا جلسنا هنا».

جلس أحدهما في مواجهة الآخر.

بدأ هاف: «تفاجأتُ بعض الشيء بمكالمتك فيليب. لم أعرف حتى أنك في بلغراد!».

رد زيفيتش: «مهلًا. هذا أمر مُتعمَّد. لا أحد يعرف أنني هنا. أعتقد أني أمتلك شيئًا ربما يحسم تفاوضنا أخيرًا».

أومأ وزير العدل ولم يقل شيئًا.

يُدرك هاف جيدًا أن غرفته يتم التنصت عليها، وقد افترض أن من يتنصت عليه يفعل ذلك بحسن نية، لكنها عادته في ألَّا يقول شيئًا على شريط التسجيل يمكن أن يُستخدم ضده في المستقبل، فالأنظمة يُطيح أحدها بالآخر، وقد أصبح ذلك أحد التقاليد الوطنية.

قال زيفيتش: «لديَّ معلومات عن عملية سطو. الأشخاص المعنيون من مونتينيغرو، والأمر برمته... مذهل».

استمر نيبويسا في إيماءاته، ثم أوضح قائلًا: «لا أستطيع الاعتماد على معلومات قائمة على الشائعات. تحدثنا بخصوص ذلك فيليب».

«هذا أكبر من مجرد شائعة».

«وعملية السطو هذه ستحدث هنا في بلغراد؟».

قال زيفيتش: «كلا. في السويد».

«حقًّا؟».

«ألم تكن ترغب في بلد أوروبي؟».

أكد هاف: «السويد جيدة. جيدة جدًّا».

اهتم وزير العدل بمشاركة بلاده في عمليات التعاون الأوروبي البوليسية الواسعة، لكنها كانت غالبًا قضية أخذ ورد. المرَّة الأخيرة التي تحدث فيها مع زيفيتش بهذا الشأن كانت قبل سنة تقريبًا، وكان حريصًا في ذلك الوقت على التأكيد بأن الموضوع ما هو إلا صفقة من نوع ما.

أكمل زيفيتش: «يمكنني إمدادك بمعلومات تفصيلية. لديَّ اسم واحد فقط، لكني أمتلك المعلومات الأخرى، وبواسطة ذلك تستطيع الشرطة السويدية أن تعلم أين وكيف ستتم عملية السطو، وبتقدير الخطة فإنها ستكون أكبر عملية سطو في تاريخ السويد».

تنهَّد هاف، ثم قال: «يحلم كثيرون بالقيام بأكبر عملية سطو في التاريخ. إنه أمر يتماشى مع هذا السياق عمليًّا».

«لكني أحتاج إلى ضمانات بأنك ستفي بوعدك».

سبق لهاف أن وعد صديق طفولته قبل عام من الآن، وهذا هو السبب الرئيسي الذي يجلس الطيار لأجله في مكتبه اليوم.

اشترك فيليب زيفيتش أثناء الحرب في بعض الأمور التي أكسبته الأعداء مدى الحياة. بدا الأمر لعدة سنوات كأنه نُسي بالكامل، لكن الآن ظهر هؤلاء المظلومون ثانيةً بشكل مفاجئ. لم يعرف لماذا، ولكن لمدة ثمانية عشر شهرًا ظل هو وعائلته تحت وطأة التهديد المستمر بالموت. أُجبر زيفيتش وزوجته وابنه على الانتقال مرَّة واحدة على الأقل في الأسبوع، والنوم والسلاح إلى جوار سريره، وقطع العلاقات مع معظم أصدقائه وأفراد عائلته، وكانت تلك طريقة لحمايتهم أكثر من حماية نفسه، لكن نمط الحياة ذاك كان

غير قابل للاحتمال على المدى الطويل.

ابتكر وزير العدل في صربيا، في محاولة منه للقيام بتغيير حقيقي في البلد المُشبع بالمؤامرات والجريمة المنظمة، البرنامج الموثوق الأول لحماية الشهود، وهو برنامج يستطيع الأشخاص الاعتماد عليه، فمقابل المعلومات تُقدِّم الولاية لهم هوية جديدة تحت اسم جديد، وقد بدا الأمر كأن الثغرات الحكومية كلها أُغلقت لبرهة.

تتبَّع فيليب زيفيتش مهنة نيبويسا هاف منذ أن دخل المجال السياسي للمرَّة الأولى، وعلم أنها فرصته، فمبادئ هاف وطموحه أعظم مما يمتلكه أي سياسي آخر، لكن هاف لم يكن يقبل بأي استثناءات لأصدقائه.

تحدث الآن وهو يتعمد الحذر: «لا يمكنني أن أضمن لك شيئًا. خصوصًا أن كثيرين يعلمون أننا أصدقاء منذ سنوات».

قال الطيار: «دعني أقُل هذا. لو امتلكتُ معلومات فريدة ودقيقة جدًّا بحيث تتمكن من استخدامها كالنقود في الحوار مع شرطة السويد وأوروبا، فهل يُدخلني ذلك إلى برنامجك؟».

قال الوزير: «بالتأكيد، لن تتم معاملتك بشكل مختلف عن أي أحد آخر».

قال فيليب زيفيتش: «حسنًا إذًا. الشخص الذي يخطط لعملية السطو هذه يُدعى زوران ميلكوفيتش، وهو يعيش في ستوكهولم. هل عليَّ أن أحتفظ بالتفاصيل للشرطة السويدية؟».

25

إنها الثالثة والنصف صباحًا ، ولم يخرج أحد من الباب الذي يراقبانه منذ منتصف الليل. استسلمت قائدة فريق العمليات في مكتب التحقيقات الجنائية في قسم الشرطة المحلية ، كارولاين ثورن ، منذ ساعة تقريبًا ، لكنها لا تزال ترغب في التأكد.

أوقفا سيارتهما في كارلافاغين عند كارلابلان تقريبًا. كانت البناية على الجانب الآخر من الشارِع تُستخدم كبيت بغاء سري للسفراء الأجانب المنتدبين في ستوكهولم ، لكن يبدو أن معدلات التيستوستيرون لدى هؤلاء الدبلوماسيين كانت منخفضة في تلك الليلة.

حدَّقت ثورن إلى رئيس المحققين ماتس بيرغرين ، شريكها طوال الأسابيع الثلاثة الماضية ، وهو نائمٌ في مقعد الراكب الأمامي. كان من الصعب التعوُّد على الصفير الصادر من حنجرته وصوت اهتزاز وجنتيه الممتلئتين ، لكن ثورن عرفت كيف تتعامل بصورة جيدة مع أي زميل تضطر إلى العمل معه ، ولم تكن على استعداد للفشل مع بيرغرين أيضًا.

يكمن السر في الاحترام والحفاظ على المسافة ، ولم تكن كارولاين تعقد صداقات مع أي شخص ، ولم تختلق الأعداء أيضًا. كان الأمر يتعلق بكونها محترفة ، فضلًا عن أن عملها لا يقتضي إقامة الصداقات ، لكنه يقتضي الحماية والحفاظ على مجتمعها الديمقراطي.

همست ، بينما انتفض هو مستيقظًا: «ماتس. دعنا نتوقف عن المراقبة هذه الليلة».

لم تلتقِ كارولاين ثورن مسبقًا بأي شخص في ضخامة بيرغرين ، الذي يقترب وزنه من المائة والخمسين كيلوغرامًا ، وقد نمى إلى علمها أنه صارع كثيرًا مع أنظمة الحِمية المختلفة ، ويبدو أنه كان صراعًا غير متكافئ. يبلغ وزنها هي واحدًا وستين كيلوغرامًا ، مع أن طولها يبلغ أكثر من خمس أقدام ، وقد منعت نفسها من الحلوى والخبز الأبيض منذ سنوات مراهقتها حتى لا تضطر إلى إزاحة الطعام في طبقها جانبًا بدلًا من تناوله ، وحتى تتجنب أي تساؤل عن سبب عدم أكلها.

لم تكن ثورن من النوع الذي يحكم على الآخرين ، ومن وجهة نظرها فإن كل إنسان

حر في اختيار أفعاله، وإذا لم يقرر بيرغرين فقدان بعضٍ من وزنه، فهذا أمر لا يعنيها وليس لها رأي تجاهه.

قال بيرغرين: «يبدو أننا جئنا في الليلة غير المناسبة».

بدا صوته خشنًا، ولم يكن تحسَّن لأنه استفاق توًّا من النوم.

وافقته: «الليلة غير مناسبة، أو اليوم، أو الوقت، أو ربما فكروا في الذهاب إلى مكان آخر».

غمغم بيرغرين بشيء غير مفهوم، ثم أضاف: «بحقِّ الله، أنا مُتعَب، وفكرة الذهاب إلى منزلي الآن...».

اعتاد بيرغرين على كثرة الشكوى، وقد أدركت ذلك منذ اليوم الأول.

قالت: «أسكن عند الزاوية. هل ترغب في أن تحظى ببضع ساعات من النوم على أريكتي قبل أن تعود إلى هاغيرستن؟».

لم يكن طرح الأسئلة خيارًا في عالم كارولاين ثورن، فذلك النوع من التفهُّم الأخلاقي الجيد يتردد في داخلها منذ سنوات شبابها الأولى. كان رد فعلها عفويًّا كالتنفس، أن تكون طيبًا ولا توجه الأسئلة فذاك أمر خالٍ من الخطورة لأن الجواب سيكون دائمًا كلا.

قال بيرغرين الذي لم ينشأ في محيط ثورن الاجتماعي نفسه: «نعم، بالتأكيد».

ركبا السيارة متجهَين نحو مرآب في فابنارغاتان عند زاوية ستراندفاغين، واستقلا المصعد مباشرة نحو الطابق العلوي حيث تقيم كارولاين ثورن.

عندما خطا ماتس بيرغرين نحو الردهة ونظر حوله، جاهد كي يُخفي دهشته، فالكلمات التي دارت في ذهنه في ذلك الوقت بدت مثل إعلان وكيل عقاري. لقد كان في الطابق العلوي لأكثر البنايات ترفًا في المدينة.

سكب ضوء الفجر لمعانًا دافئًا عبر النوافذ، وبدت الأرضية الخشبية المزخرفة في جناح الغرف بلا نهاية. أمعن بيرغرين نظره، فأدرك أن الشقة بحاجة إلى بعض الترميم، فهناك تصدع في السقف ومن حسن الحظ أنه لم يتعدَّ طبقة الطلاء الخارجي، ويبدو أن شخصًا ما بدأ في نزع ورق الحائط المصفر في الردهة لكنه توقف قبل انتهاء العمل،

وكانت الأرضية الخشبية مسودة نوعًا ما في بعض المواضع.

شعر بيرغرين بالدهشة لفراغ المكان تمامًا.

غمغم وهو لا يعرف شيئًا آخر يمكنه قوله: «لديكِ مكان جميل».

لم يمضِ على عمل بيرغرين مع الشرطة الجنائية المحلية سوى أسبوع واحد، وعندما سُئل عن رأيه في أن يكون شريك ثورن الجديد، بدا مُرتعبًا وفضوليًّا على نحو متساوٍ. تميزت ثورن بالمحافظة على مسافاتها، وحظيت بكثير من الاحترام لأنها لم تتعود على الفشل، وكانت سهلة المعشر وكريمة، ولكن ليس هناك من بين زملائها من يُحتسب ضمن قائمة أصدقائها.

قام ماتس بيرغرين ببحث جاد قبل لقائهما الأول، ولم يحتج لأكثر من المعلومات المتوفرة في قاعدة بيانات الشرطة.

وُلِدت كارولاين ثورن في السادس عشر من شُباط عام 1977، مما يعني أنها في الثانية والثلاثين. لم يستطع بيرغرين معرفة مكان نشأتها أو مدرستها، ويبدو أنها التحقت بأكاديمية الشرطة مباشرة بعد الثانوية العامة، لأنها أخذت موقعًا ضمن قوة شرطة ستوكهولم في خريف عام 1998. بعد العام الأول من التفوق جُنِّدت ضمن مجموعة خُصص لها قسط جيد من الدعم في ذلك الوقت، لعلاقتها بالتبادل الدولي. تذكَّر بيرغرين ذلك جيدًا لأنه فشل في الانضمام إلى ذلك البرنامج.

صار العام الأول خارج البلاد أعوامًا عديدة. بدت أنها تعمل بصورة متساوية في كلٍّ من ستوكهولم وأوروبا أثناء الأعوام الخمسة الأولى من الألفية الثانية، ولمع اسمها بسرعة مرتبطًا بالعديد من التحقيقات الدولية.

انتقلت ثورن في عام 2005 إلى الشرطة الجنائية المحلية، ولم تكن ثمة معلومات عما تفعله هناك بالتحديد. شرع بيرغرين في الاستفسار من بعض زملائه الجُدد في القسم لاستيضاح تلك الصورة. اعتادت كارولاين على العمل يومًا في الداخل ويومًا في الخارج، ولم يكن بوسعها تحمُّل الفشل. وقد تلقى بيرغرين التهنئة ممن قام بسؤاله، فثورن شخصية يتهافت الجميع على العمل معها.

صُدم ماتس بيرغرين في المرَّة الأولى التي التقيا فيها ، فبعد كل ما سمعه وقرأه عنها ، فوجئ بأنها امرأة طويلة ورشيقة ، ولم تكن كما توقعها إطلاقًا بصورتها الجادة جدًّا مع ذلك الأنف الطويل المعقوف وتلكما الوجنتين المرتفعتين.

اكتشف أنها ودودة ولطيفة ، وأوشك أن يذهب إلى أبعد من هذا فيقول إنها رقيقة.

خطا نحو الغرفة التي تلت الردهة ، ثم سأل: «هل انتقلتِ إلى هنا مؤخرًا ؟».

تُشرف الشقة ذات الغرف الخمس على ستراندفاغين ، وهو من الشوارع التي لا يسكنها إلا أثرياء ومشاهير ستوكهولم ، مع مناظر خارجية تُطل على كلٍّ من نايبروفيكين وبلاسيهولمين على ضفتي الماء. لم يكن ثمة أثاث ، ولا سجاجيد ، ولا صور ، ولا ستائر ، ليس سوى أرضية خشبية متصدعة.

قالت أخيرًا: «مممممممم. اشترى والداي هذا المكان بعد الحرب مباشرة. لم أعش هنا قَطُّ كي أهتم بتأثيثه».

قال بيرغرين وهو يتجه صوب النافذة: «لا تعيشين هنا ؟». «أي حرب تلك التي نتحدث عنها ؟».

أجابت وهي تشير كي تبعد نظره عن المياه الساكنة في الخارج: «لديَّ أريكة حيث يمكنك النوم».

مرَّا من خلال غرفتين فارغتين إضافيتين في طريقهما نحو غرفة أصغر لها باب ، بداخلها أريكة قاتمة قديمة.

سأل بيرغرين: «هل تعيشين وحدكِ ؟».

لم يلعب الرجال دورًا في حياة كارولاين ثورن منذ مدة طويلة ، وتلك ليست حقيقة مريرة ، فقد افترضت أن خبرتها في مجال العلاقات العاطفية ليست مختلفة عن باقي الأشخاص ، وعلى الرغم من هذا عقدت العزم على العيش بمفردها ، ولم تكن ترغب في التحدث بهذا الشأن ، فبالنسبة للآخرين ، اختيارك أن تحيا وحيدًا هو أمر يُفسر وفقًا لأبعاد خُلقية أو فلسفية.

قالت بدلًا من الإجابة عن سؤال بيرغرين: «أنت تحتاج إلى بضع ساعات من النوم».

أشار بيرغرين إلى الأريكة وقد تذكر فجأة مدى إنهاكه: «تبدو مريحة».

ابتسمت، ثم قالت: «يمكنك أن تُعد القهوة في المطبخ عندما تستيقظ. ليس لديَّ كثير من الأواني. إذا لم تجد كوبًا نظيفًا يمكنك أن تغسل واحدًا في غسالة الصحون».

فكر بيرغرين: هذا إن تمكنتُ من العثور على المطبخ.

نشأ بيرغرين مع والديه في شقة صغيرة في هانتفيركارغاتان في خمسينيات وستينيات ستوكهولم، حيث كانت المدينة مفعمة بالأمل في المستقبل، وبما سُمي بعد ذلك بالعمل الجاد النزيه.

كانت طفولته عبارة عن صراع، فبدانته تعني أنه سيكون دائمًا بمثابة دخيل. لم يشارك في الألعاب الرياضية، ولم يُدعَ إلى الحفلات، وكان طموحه دائمًا أكبر بكثير من قدراته، مما يعني أن سنوات دراسته لم تكن سوى عذاب مطوَّل. ورث تعاطفه وشغفه بالعسكرية والعدالة من والده عامل المعادن الذي انتقل إلى ستوكهولم من فالون، وتعلَّم من والدته الجامعية من كونغسهولمن أن المجتمع الديمقراطي يجب أن يُبنى على قيم المساواة في عيون القانون، ومنهما معًا تعلَّم ألا يؤمن بأنه أفضل من أي شخص آخر. خطَّط دائمًا لأن يصبح ضابط شرطة، والمرَّة الوحيدة في حياته التي نجح فيها أن يخسر بعض وزنه الزائد كانت قبل عدة أشهر من اختبار دخوله إلى أكاديمية الشرطة المحلية. لكنه لم يسكن من قبل في مكان أكبر من شقة طفولته تلك.

لم يستطع منع نفسه من التساؤل: «كم تبلغ مساحة هذا المكان؟».

أجابت ثورن: «أكثر مما أحتاج إليه. هل ستكون على ما يرام؟».

«ماذا؟ هل ستغادرين؟!».

قالت: «تذكرتُ شيئًا للتوِّ. أريد التأكد من عدم وجود منفذ آخر في تلك البناية في كارلافاغين إلى الجانب الآخر من الساحة، أو إلى موقف السيارات. لم نتأكد من ذلك».

تراجع بيرغرين مندهشًا: «الآن؟».

«لا أحتاج إلى الكثير من النوم. فلتأخذ أنت قسطًا منه».

أدرك بيرغرين أن الأمر يتطلَّب منه الاعتراض، لكنه لا يمتلك الطاقة الكافية لذلك.

أومأ برأسه ، واستلقى على الأريكة التي كانت مُريحة فوق ما تصوَّر ، ثم أخلد إلى النوم مباشرة.

26

بدا ميشال معلوف أثناء الأيام الأولى من آب كأنه يقضي كل وقته أمام مكتبه. من خلال الستائر نصف المسدلة تمكَّن من رؤية ملعب كرة القدم والطريق السريع والغابة الكثيفة البعيدة في الأفق. بقيت على الدوام علبة بيتزا مفتوحة من الليلة السابقة في متناول يده ، وها هو يلتقط إحدى الشرائح المتبقية التي حاول مقاومتها منذ الغداء.

لا يعلم كم مضى عليه من الوقت وهو يحدِّق في حاسوبه. كثيرًا ما كره غوغل إيرث. تلاشى مساء الجمعة ببطء ، وهو يبدد وقته في البحث عن شيء لم يستطع إيجاده مطلقًا. على الطاولة تحت علبة البيتزا كانت لديه نسخة من الخريطة التي أعطاها له نيكلاس نوردغرين ، وقد قسَّمها معلوف بطريقة منظمة إلى أربعة أجزاء ، ولا يزال أمامه الكثير من العمل ، يفوق ما قام به حتى الآن.

كان عزاؤه الوحيد أنه يعرف أن نيكلاس نوردغرين يقوم بعمل الشيء نفسه في شمال المدينة في ليدينغو.

أشارت الساعة إلى السادسة والنصف من مساء الاثنين الرابع عشر من آب ، عندما كان ميشال معلوف يحدِّق في صورة رقمية للواقع مُقدَّمة من غوغل ، وعندها لمح المنصة. عانى الرجل من الصداع لعدة أيام من الأسبوع الماضي بسبب ضوء شاشة الحاسوب ودرجة وضوح الصور المريعة ، ولهذا فعندما رآها للمرَّة الأولى بجوار المبنيين الصغيرين في وسط الغابة في فارمدو ظن أنه يتخيل ذلك.

تراجع قليلًا وهو يحدِّق ويحدِّق ، لكنه لم يستطع الوصول إلى أي استنتاج آخر. تلك الصورة التي التُقطت مصادفة بواسطة بعض الأقمار الصناعية الأمريكية هي بالفعل ما يبحث عنه.

ليست هناك عجلات للطائرة المروحية ، ولهذا السبب بالتحديد فهي تهبط على صفيحة معدنية تُسمى المنصة ، يمكن سحبها باليد أو بمركبة ما ، من وإلى الحظيرة. وما يبحث عنه معلوف في تلك الصور المشوشة هو ذلك النوع من الأدوات.

فتح موقعًا جديدًا ، ووجد صورة لمنصة ، فأخذ يطابقها مع الصورة التي حصل عليها

من غوغل إيرث، وأثناء تحديقه في الصورتين اتصل بنوردغرين: «مرحبًا. هل لديك شيء مميزٌ هذه الليلة؟».

«كلا».

«أعتقد أن علينا القيام بجولة صغيرة بالسيارة. وجدتُ شيئًا علينا التأكد منه».

قال نوردغرين: «أخيرًا».

اتفقا على المكان والزمن المحدد.

مايتنغ، إلى الشمال من فارمدو.

ركب نوردغرين مع معلوف الذي قاد السيارة في اتجاه غوستافسبيرغ من طريق سلوسين، وبفضل الطريق السريع لم تستغرق الرحلة سوى نصف ساعة للوصول إلى فارمدو. لكن الطريق المار عبر أنغسفيك وسيغستا غارد أصبح ضيقًا ومتعرجًا، وحتى مع عدم وجود سيارات كثيرة كان من الصعب الوصول إلى الحد الأعلى للسرعة.

فجأة شاهداها.

الحظيرة.

تقع إلى جانب الطريق، بسيطة وخالية تمامًا من الحراسة، والسياج المحيط بها عبارة عن أسلاك شائكة عادية. وجدا ممرًّا في الغابة حول المنعطف أوقفا فيه السيارة، ثم عادا إلى الحظيرة للتأكد من أنه المكان الصحيح بالفعل.

وضعت الشرطة ملصقات تحذيرية على المبنى والأبواب. كانت هناك حظيرتان، ومن الشباك على جانب إحداهما استطاعا رؤية المروحية.

يبدو كأنهم يحتفظون بها في منزل للعب.

قال نوردغرين وهو يشعر بالغبطة: «هذا بالضبط ما تشعر به عندما تنتهي من الكلمة الأخيرة في الكلمات المتقاطعة».

قال معلوف الذي لم يسبق له حل الكلمات المتقاطعة طوال حياته: «نعم، نعم».

27

في تمام العاشرة والنصف ومض اسم مفوض الشرطة الوطنية على شاشة هاتف كارولاين ثورن ، التي كانت تحتسي فنجان قهوة عند فيلا كالهاعين في ديورغاردن في ذلك الوقت. اكتشفت كارولاين في وقت مبكر من هذا الصباح بابًا يؤدي إلى موقف السيارات في مبنى كارلافاغين ، لكن الأمر لم يكن مهمًّا ، لأن موقع الموقف يعني أنها وبيرغرين قد وضعاه بشكل عفوي تحت المراقبة في تلك الليلة.

ذهبت ثورن في وقت سابق إلى المنزل ، ووجدت بيرغرين يغطُّ في النوم على أريكتها ، فارتدت ملابسها الرياضية وقررت أن تذهب في جولة حول ديورغاردن ، ثم توقفت في طريق العودة من أجل احتساء القهوة.

بدت مفوض الشرطة الوطنية ثيريس أولسون غاضبة. قالت عبر الخط: «لدينا معلومات ، نعتبرها مهمة جدًّا. فلنلتقِ خارج وزارة العلاقات الخارجية بعد نصف ساعة».

أكدت كارولاين على ذلك ، وأغلقت الهاتف.

اتصلت بعد ذلك ببيرغرين ، الذي بدا أنه استيقظ للتوِّ ، وأخبرته بأوامر مفوض الشرطة الوطنية.

قال بيرغرين: «أراكِ هناك. شكرًا على السماح لي باستخدام الأريكة».

تمكنت من سماع صوت السيارات عبر الخط ، فافترضت أن بيرغرين خرج من شقتها.

لم يكن أمرًا غريبًا أن تُستدعى كارولاين ثورن إلى اجتماعات في وزارة العلاقات الخارجية التي تقع في أحد القصور القديمة في قلب ستوكهولم.

كان من بين أسباب تشكيل شرطة الجنايات الوطنية في السويد دعم التعاون مع سلطات الشرطة الأجنبية ، ونتيجة لذلك نشأ ارتباط طبيعي بين تلكما المؤسستين.

أوقفت كارولاين سيارتها «الفولفو» الجديدة في المكان الخاص بالوقوف خارج مدخل البناية مباشرة ، ورأت كلًّا من بيرغرين والمفوض ينتظران على الرصيف.

كانت أولسون ترتدي الزي الرسمي ، بينما يرتدي بيرغرين الملابس نفسها التي ارتداها سابقًا في ذلك الصباح.

إنه العشرون من آب ، وقد عادت حرارة الصيف إلى الساحل الشرقي قبل عدة أيام ، والسماء أضحت شاحبة زرقاء ، وتحت سديم رقيق من الغيوم يرتدي الناس أحذية رياضية بشعة ، وينحنون على السور المطل على الماء لالتقاط الصور بهواتفهم مع منظر نوربورن في الخلفية. كانت الحادية عشرة فقط. تبدو ستوكهولم في أواخر الصيف موطنًا للسياح ، حيث السيارات المتهادية في الشوارع ، وحقائب الظهر في المترو ، والنشالون في كل ازدحام.

ترجَّلت ثورن من السيارة.

قالت لبيرغرين مع ابتسامة: «غلبتني».

فرد بنبرة اعتذار كأنه شعر بالخيانة لوصوله قبلها: «كنتُ قريبًا ، عند الزاوية فقط».

أراد بيرغرين أن يسأل عن غرفة نومها ، لكنه أدرك أنها ليست اللحظة المناسبة.

عندما استيقظ في الصباح فتَّش الشقة بحثًا عن كارولاين ، وعلم أنه لا يوجد سرير في أيٍّ من الغرف ، ليس هناك إلا باب مغلق غريب في المطبخ. فتَّش في كل مكان ولم يجد غرفة نوم واحدة.

أظهروا بطاقاتهم التعريفية عند مكتب الاستقبال ، وظهرت سكرتيرة الولاية الخاصة بوزير العلاقات الخارجية بعد عدة دقائق.

قالت ثورن وهم يصعدون السلالم الرخامية الواسعة إلى الطابق الثاني: «ما السر وراء اهتمام الوزير ؟».

أشارت أولسون بحركة تدلُّ على عدم الاكتراث ، وتعني أنها تودُّ التوضيح ولكن ليس الآن. كانت تيريس أولسون مستنزفة القوى بدورها كمحترفة ، وتُفضِّل أن تُتهم بأنها مملة على أن تُتهم بأنها غامضة. إن تسلُّق الطريق نحو القمة مما يدعو للحسد في هيئة الشرطة ، ولم يكن شيئًا تفعله بالصراحة والطبع الودود.

قادت السكرتيرة ضباط الشرطة إلى غرفة الوزير. جلسوا على الأريكة منتظرين بصمت ، وعند ظهور الوزير وقفت أولسون وثورن ، وحاول ماتس بيرغرين أن يفعل الشيء نفسه لكن الأريكة كانت وثيرة جدًّا ولم يكن الأمر سهلًا على شخص بحجمه.

حيًّا الوزير المُفعم بالحيوية كلًّا منهم بمصافحة ثابتة ، وطلب منهم الجلوس.

قال: «أعتقد أننا مستمرون في تعاوننا مع بلغراد».

أدركت ثورن أن لكنته قديمة الطراز هي التي جعلت اللغة السويدية تخرج بشكل ثقيل من فمه.

أجابت أولسون: «هذا صحيح».

أكمل الوزير: «كما تعلمون ، ما زلت أحظى بعلاقات جيدة مع الغالبية من صُنَّاع القرار في البلقان ، أؤكد فقط على أنني سأكون في خدمتكم إذا رغبتم في أي مساعدة».

ردت أولسون: «هذا كرمٌ منك أيها الوزير ، لكني أعتقد أننا نسيطر على الوضع. بفضل التواصل الأوَّلي بين الوزارات زوَّد الزملاء الصربيون مكتبنا المنتدب في بلغراد بمعلومات فائقة الدقة ، وبدا أنهم عثروا عليها بمحض المصادفة».

قال الوزير: «حسنًا... محض المصادفة أمر غير سري ، أليس كذلك ؟».

ضحك بيرغرين ، فرمقه الوزير بنظرة استحسان ، وابتسمت كارولاين ثورن بعفوية. لم تكن من المعجبات بالتلاعب بالكلمات لغرض المزاح. غشتها موجة من التعب فأغلقت عينيها وراحت في غفوة قصيرة ، ثم فتحت عينيها بعد عدة ثوانٍ بدون أن ينتبه أحد في الغرفة إلى ذلك.

النوم هو عدو كارولاين ثورن الأول ، وتحديها الأول أيضًا. دائمًا ما تنام بصورة سيئة ، ولم تعد تتذكر متى استحالت لياليها إلى كوابيس حقيقية ، ربما حدث ذلك في وقت ما أثناء فترة مراهقتها. بدأ الأمر بالأرق وصعوبة الحصول على راحة ، ثم أضحت لياليها عذابًا مطوَّلًا. كانت نهاراتها صراعًا ضبابيًّا للبقاء في يقظة حتى يحين الوقت لإعادة العملية برُمتها تارة أخرى.

حاولت مع كل شيء فكرت فيه: تناولت الكثير أو القليل من الطعام في المساء ، تمرَّنت أو تجنبت التمارين بعد وقت محدد من اليوم ، ابتاعت أسرَّة مختلفة الصلابة ، وأجهزة لترطيب الجو ، ومؤثرات صوتية كالمطر أو الرياح ، بدأت تتناول العقاقير ، فضلًا عن قائمة طويلة من التركيبات الكيميائية والأدوية التي وصفها لها الأطباء المختصون ،

حتى أصبحت الأمور أكثر إحباطًا.

توقفت بعد عدة سنوات فقط عن مقاومة ذلك ، وقررت أن تتوقف عن المحاولة بعدما استطاعت الوصول إلى الجرعة المناسبة من الأدوية ، وأصبحت أيامها مقبولة مرَّة أخرى. لم تزعج نفسها بالذهاب إلى الفراش ليلًا، وبدلًا من ذلك تجلس في الظُّلمة وتسمح لأفكارها بالغدو والرواح دون مقاومة ، بهدف الحفاظ على أكبر قدر من الطاقة لليوم التالي قبل أن يحين الوقت لخوض الأحداث اليومية ثانيةً.

تلك الغفوة القصيرة التي كثيرًا ما كرهتها في الماضي - حيث كانت غالبًا ما تقطع الوعود ثم تنقضها - أصبحت أفضل صديق لها ، وقد أيقنت أنها السبب الوحيد لبقائها على قيد الحياة.

أدركت أنها مختلفة ، وذلك الاختلاف لم يكن جيدًا. عندما سألها ماتس بيرغرين لاحقًا في ذلك المساء عن مكان غرفة نومها ، كذبت كما تفعل في كل مرَّة ، وذكرت شيئًا عن سرير قابل للطيِّ في الحائط.

لم تكن كارولاين ثورن وماتس بيرغرين في أفضل حالاتهما عند مغادرة مكتب وزارة العلاقات الخارجية بعد ثلاثين دقيقة. سبق أن قالت المفوض أولسون مرارًا وتكرارًا أنهم استلموا معلومات سرية في غاية الأهمية ، واستخدمت كلمة «فريدة» لوصفها ، ولهذا اتصل وزير العلاقات الخارجية الصربي بنظيره السويدي كي يُسجل أكبر قدر من النقاط السياسية.

تُعد الجريمة التي يُخطَّط لها الآن أكبر عملية سطو في تاريخ السويد الجنائي ، وسيعود الفضل إلى زملائهم الأجانب في أن تحظى الشرطة السويدية فجأة بدليل حقيقي ، هكذا قالت أولسون.

حاولت كارولاين ثورن أن تكتشف ماهية ذلك الدليل بالتحديد ، لكن المفوض لم تستطع الإجابة ، إذ لم تكن تعرف التفاصيل ، لكنها أدركت أنها فرصة فريدة كي يثبتوا للجريمة المنظمة في البلقان ما يمكن لشرطة السويد الجنائية فعله ، وأي نوع من التعاون الدولي كان من الممكن تحقيقه. أما بالنسبة إلى وزير العلاقات الخارجية

والحكومة فإن هذا سيكون نوعًا من الامتنان للصربيين.

قالت كارولاين عند مغادرتهم المبنى: «سأتصل ببيورن كانت حال عودتي. سوف يزودني بالمعلومات».

لم تتمكن من رؤية بيورن منذ إلقاء القبض على هينريك نيلسون في أحد مباني هوتورغيت. وصل نيلسون إلى مركز الشرطة قبل أن يقوم محاموه وشبكة الإنترنت بإطلاق سراحه ثانيةً، وعندما سمعت كارولاين بذلك ذهبت إلى ديورغاردن، وركضت ثلاث جولات حول القناة كي تتغلب على غضبها. غالبًا ما يفلت الرجال أمثال نيلسون من القصاص، وقد أفلت على الرغم من اشتراك أفضل المدعين العامين في السويد في تلك القضية. أقسمت على النَّيل منه إذا مر في طريقها مرَّة أخرى.

قالت مفوض الشرطة بنبرة معتدلة: «بيورن مشغول. اختار مكتب المدعي العام الدولي شخصًا آخر، لارس هيرتز».

كررت ثورن وهي تستحث ذاكرتها: «هل هو من غوتنبيرغ؟ لا أعتقد أنني أعرفه».

أجابت تيريس أولسون: «ستكون هذه هي القضية الجنائية الأولى لهيرتز».

وقفت كارولاين ثورن مصعوقة: «آسفة. أعتقد أنني لم أفهم. هل تعنين أننا سنعمل مع مدعٍ عام لم يباشر قضية جنائية من قبل؟».

قالت المفوض: «سمعتُ أنه كفؤٌ جدًّا».

وقفت سيارة سوداء بجانب الرصيف، وفتحت أولسون الباب الخلفي وصعدت إليها بدون كلمة أخرى، وتركت ثورن وبيرغرين في الشارع خارج وزارة العلاقات الخارجية.

تصاعد الغيظ بداخل ثورن، لكنها افتعلت ابتسامة باهتة، ثم قالت: «أعتقد أن الأمر سيعود إلينا كي نُعلِّم لارس هيرتز دروسًا في مكافحة الجريمة الدولية».

28

قال زوران ميلكوفيتش بسخرية: «تبدو قلقًا».

بدت ابتسامة ميشال معلوف واسعة كالعادة، لكن ميلكوفيتش لمح وميضًا من الشك في عيني صديقه القصير.

أجاب ميشال وهو يمرر يده بسرعة على لحيته: «نعم، نعم. كلا... إنه فقط... ألا تقلق لأننا سوف نقوم بذلك وخيارك ذاك...؟».

«زيفيتش؟».

«زيفيتش. إنه جيد أليس كذلك؟».

ابتسم ميلكوفيتش بثقة.

كانا يقفان بجوار منصة الانطلاق عند حظيرة المروحية في روسلاغين إلى الجنوب من نورتاليي. كان يوم أحد جميلًا، والنسيم الخفيف يجعل مياه بحيرة ليمارين تتألق بإثارة، والسماء زرقاء شاحبة، وكومة الغيوم البيضاء بعيدة إلى مسافة معقولة هناك فوق البلطيق. كان الفرق بين اليوم والمرَّة الأخيرة التي كانوا فيها هنا ليلًا مع ماني لاغيرستروم أقل مما يمكن تخيله، فثمة صيفٌ كامل بين تلكما المناسبتين، لكن لا يزال هناك جمال وسكون في ذلك المكان، إذا ما وقفت وظهرك إلى المنطقة الصناعية على الجانب الآخر من الطريق.

اقترح ميلكوفيتش: «يمكننا الطيران إلى بعض أصدقائي في بليدو. أعرف شخصًا يمتلك مزرعة لحيوانات المنك على الجزيرة. أعتقد أنه بدأ يربِّي «ابن عرس» أيضًا. إنه يتحصل على أربعين ألفًا في الحيوان الواحد. ساعدتُه في جلب الزوج الأول إلى هناك قبل وقت طويل، حيث أخفيناه في الخراطيم المطاطية التي تُستخدم في بناء الغرف في تلك المنطقة في ناكا. تعلم أن حيوان المنك يمكنه التقلص كالدودة، و«ابن عرس» كذلك على ما أعتقد».

أومأ معلوف، بينما استمر ميلكوفيتش تائهًا في تلك القصة الطويلة حول ما حدث عندما عبرت حمولة مواد البناء الحدود بين الاتحاد السوفييتي وفنلندا، وقد بدأ أحد

الحيوانات بالزعيق. لم ينصت معلوف بتركيز كامل، لكنه كان يمنح زوران ابتسامة واسعة كلما بدا الأمر ملائمًا.

يلوح أمامهما قدرٌ لا بأس به من النشاط، فبعد عدة أسابيع من التهديد في بداية آب، تمكن خبراء الأرصاد الجوية من توقُّع نهاية أسبوع هادئة وجميلة. ووجد العديد من مالكي المروحيات الخاصة المتوقفة في الحظيرة الفرصة سانحة للتحليق في الهواء أخيرًا بعد توقف صيفي طويل.

تأكد ميلكوفيتش ومعلوف أنهما لا يعترضان طريق أحد. وقفا على بُعد عدة أمتار من فتحة الحظيرة عند حافة الغابة يشاهدان الجرارة البسيطة التي تسحب تلك الماكينات الطائرة العملاقة إلى خارج الحظيرة. بدت المروحيات كسربٍ من النحل الغاضب، وقد انحنت مجساتها الأمامية نحو الأرض.

قال ميلكوفيتش: «إنها مجرد ألعاب للأشخاص الذين يمتلكون كل شيء في الأساس».

قال معلوف: «نعم، نعم».

«تعلم أني كنت سأُفضل الحصول على بنتلي».

قال معلوف مع أنه ليس لديه أدنى اهتمام بالسيارات: «نعم».

لم يسبق لميشال معلوف أن ركب مروحية من قبل، وقد أدرك أنه يحتاج إلى الطيران في الهواء مرَّة واحدة على الأقل قبل اليوم الموعود. كم يبلغ حجم المروحية من الداخل؟ كيف يبدو فضاء التخزين فيها؟ ليس في الطيران ليلًا مشكلة، لكن مع إطفاء أجهزة الاتصال العادية للحد من خطورة كشفهم بواسطة الرادار، سيطرح السؤال نفسه: هل سيعمل جهاز الجي بي إس في الهواء؟

لم يكن معلوف الوحيد الذي رأى ضرورة تلك الرحلة النهارية، بل حتى فيليب زيفيتش الطيار الصربي الذي دفع له ميلكوفيتش أصرَّ على القيام بجولات من التحليق الاختباري أثناء الصيف. وأوضح زيفيتش أن الأمر ليس غريبًا لأن كل طائرة تتمتع بمميزات خاصة. أدركَ معلوف وميلكوفيتش أن ذلك يُعد تفانيًا ودقة من جانب الطيار.

اتصل ميلكوفيتش بماني الذي أخبره بإمكانية استعارة المروحية البيضاء لعدة ساعات بدون مشكلات. يستطيع ماني كتابة اسم الطيار المعتاد على السجل، وإذا تساءل أحد - وهو أمر مستبعد - يمكنه القول إنه ارتكب خطأ، وقد حدث مثل هذا الأمر مسبقًا.

كان معلوف متحمسًا للقاء الطيار والنظر في عينيه بصورة مباشرة، وقد ضمنه ميلكوفيتش وأكد على خبرته في الحرب، لكن ذلك لا يُغني عن مصافحة الطيار بنفسه، ورؤيته وهو يتصرف خلف المقود. بعد أقل من شهر سيأتي اليوم الموعود ولن يكون هناك مجال للتحجج أو التردد. سينجح هذا العمل أو يفشل اعتمادًا على مهارة طيار المروحية، ولهذا السبب بالتحديد كان معلوف متلهفًا.

قال ميلكوفيتش: «إذا تمكنت من القيادة بسرعة مائة وخمسين كيلومترًا في الساعة، مارًّا من أسفل جسور كرواتيا، وأعني أسفل الجسور حرفيًا، أعدك بأنك ستستطيع الهبوط على سطح فاستبيرغا».

قال معلوف: «نعم، نعم. لكن، كلا كلا. أنت لا تعرف ذلك حقًّا».

أوضح ميلكوفيتش: «لم يرَ زيفتش الأمر صعبًا».

هزَّ معلوف رأسه بشك. لم يرغب في سماع ذلك، فالتقليل من أهمية العمل يُعد خصمًا خطيرًا.

نظر ميشال معلوف إلى ساعته: «إنها الثانية وعشرون دقيقة».

ثم أدلى بابتسامة سريعة كأنه يعتذر للإشارة إلى الأمر، وحكَّ ذقنه بعصبية.

اعترف ميلكوفيتش: «هذا غريب. عندما التقينا في مونتينيغرو أتى في موعده تمامًا».

قال معلوف: «حسنًا».

«سأتصل وأتأكد».

احتفظ ميلكوفيتش برقم الطيار تحت الحرف «ط» (طيار) في هاتفه، لكن هاتف زيفيتش كان مغلقًا. لم يكتفِ ميلكوفيتش بشراء تذكرة الطائرة إلى السويد، بل إنه دبَّر غرفة لزيفيتش في فندق أوغست ستريندبيرغ في تيغنيرغاتان. كان ميلكوفيتش يعرف الحارس الليلي، ومقابل بعض الخدمات أصبح بإمكانه الحصول على إحدى الغرف مجانًا

متى شاء ذلك.

اتصل بالفندق، وطلب أن يوصلوه بزيفيتش. ربما كان مستغرقًا في النوم لسبب ما.

سأله موظف الاستقبال: «ما اسمه؟».

أجاب ميلكوفيتش بوضوح تام: «فيليب زيفيتش. دخل إلى الفندق مساء أمس».

مرت دقيقة من الصمت على الجانب الآخر من الخط، ثم عاد صوت موظف الاستقبال: «آسف. ذلك الضيف لم يأت إلى الفندق».

«ماذا؟».

استدار ميلكوفيتش بصورة غريزية مبتعدًا عن معلوف لإخفاء توتره.

أكمل موظف الاستقبال: «كنا في انتظار ضيف بهذا الاسم، لكن لم يحضر شخص اسمه زيفيتش مطلقًا. ليست عندي معلومات أخرى».

أنهى ميلكوفيتش المكالمة بدون أي كلمة، ثم استدار نحو معلوف: «لم يصل إلى الفندق! لا أعرف...».

اختفت ابتسامة معلوف: «ماذا تعني؟».

تساءل ميلكوفيتش بصوت مرتفع: «هل ذهب إلى فندق آخر؟».

ذكَّره معلوف: «من المفترض أن يكون هنا منذ نصف ساعة. هل يكون في مكان ما هنا؟».

أمعنا النظر حولهما. تمكنا من رؤية معظم الحظيرة ومنصة الهبوط من المكان الذي يقفان فيه، لكن لم يستطيعا رؤية موقف السيارات أمام البناية.

استغرق الأمر منهما عشر دقائق للتأكد من أن طيار مروحيتهم لم يكن في أي مكان بالقرب من حظيرة مروحيات روسلاغين، وفي أثنائها اتصل ميلكوفيتش بزيفيتش عدة مرَّات، لكنه وجد الهاتف مغلقًا في كل مرَّة.

تأخر فيليب زيفيتش الآن ساعةً تقريبًا.

وقفا في موقف السيارات ينظر أحدهما إلى الآخر.

قال ميلكوفيتش: «هذا ليس جيدًا. يجب أن نفعل شيئًا. سأُخبر ماني».

سيمضي ذلك المساء بدون أن يحصل ميشال معلوف على رحلته بالمروحية.

عاد الرجلان إلى ستوكهولم في السيارة «السيات». خرج زوران ميلكوفيتش في طريقه بمجموعة من التفسيرات المنطقية حول ما حدث: ربما كان فيليب زيفيتش مريضًا؟ جرثومة في المعدة من طعام الطائرة في كرواتيا من النوع السيِّئ جدًّا الذي منعه من مغادرة الفراش أو القيام باتصال لإلغاء موعدهم؟ ربما حدث شيء في الطريق إلى المطار في دوبروفنيك؟ حجز له ميلكوفيتش على متن طائرة من هناك لأنه رغب في رحلة مباشرة، فربما تعرض إلى كمين أثناء الطريق فضُرب وسُرق منه هاتفه وجواز سفره ونقوده؟ ربما كان ملقًى داخل أخدود صخري في مكان ما على طول الساحل الكرواتي بلا أي طريقة للتواصل؟

وافق معلوف: «نعم، نعم، أو أي شيء آخر».

أقسم ميلكوفيتش: «سأصل إلى المنزل ولن يستغرق الأمر مني خمس دقائق للتأكد. خمس دقائق».

«نعم، نعم. خمس دقائق».

نزل اليوغسلافي الطويل عند أبلاندسغاتان، ثم عبر الشارع بلا اكتراث محاولًا استخدام لغة جسده كي يُظهر أنه يسيطر على الوضع، لكنه ركض فوق السلالم مباشرة في الدقيقة التي أغلق فيها الباب خلفه. وجد هاتف مونتينيغرو فوق المنضدة في مكتبه، فاتصل بعمه في بودغوريكا ودخل في الأمر مباشرة شارحًا له الوضع.

لم يكن بحاجة إلى التوضيح بأنها مسؤولية عمه في أن يتتبع خطى فيليب زيفيتش، فمن خلال معارفه تعرَّف هو على ذلك الطيار في المقام الأول.

وعده العم بالتحري عن الأمر، فأخبره ميلكوفيتش أنه يحتاج إلى الأجوبة في ذلك المساء، فضحك عمه وأوضح له أن ذلك غير ممكن، فاليوم يوم جمعة وقد خطَّط للذهاب إلى مباراة كرة قدم ثم احتساء بعض الجعة بعدها.

لم تكن لدى ميلكوفيتش طاقة للجدال، فاستعاض عن ذلك ببعض الاتصالات الإضافية إلى مونتينيغرو، وعند المساء كان هناك خمسة أشخاص مختلفون يحاولون

معرفة ما حدث لفيليب زيفيتش.

حلَّ منتصف الليل ، ولم يسمع ميلكوفيتش شيئًا بعد ، فبدأت شكوكه في زيفيتش تستحيل إلى غضب محقق. وبدلًا من اختراع سيناريوهات مختلفة يكون فيها ماضي الطيار قد تغلَّب عليه ، بدأ بالقلق حول احتمالية أنه خُدع. يمكن تفسير كل شيء بصورة مختلفة ، ولكنَّ إعطاءه عشرين ألف يورو إلى شخص غريب تمامًا ، إلى رجل لا يكاد يعرف عنه شيئًا ، فتلك حقيقة واضحة. كانت مونتينيغرو مدينة صغيرة ، صغيرة إلى الدرجة التي لا يحاول فيها الأشخاص خداع أحدهم الآخر ، كانت هناك دائمًا صلات عائلية ، والدم أكثر كثافة من الماء والنقود.

لم ينجح أحد ممن كلفه بالأمر في الوصول إلى زيفيتش في تلك الليلة.

أصبح ميلكوفيتش أكثر توترًا ، وهو الذي لم يعتد على هذا الشعور من قبل.

أخلد إلى النوم عند الفجر ، ثم أيقظه صوت هاتف مونتينيغرو في الصباح التالي ، وبدون أن يغادر السرير تلمَّس حوله باحثًا عن هاتفه ، وأجاب بدون أن يفتح عينيه: «ممممممممم».

«رحل».

كان عم زوران على الخط.

جلس ميلكوفيتش في سريره ، وقد أصبح متيقظًا جدًّا.

«هل سمعتني ؟».

«نعم».

«رحل. إنه غير موجود هو وعائلته. زوجته وابنه رحلا معه».

تصاعد الغيظ بداخله ، ونظر إلى الأمام مباشرة والدم يندفع في صدغيه.

«ماذا تعني بكلمة رحل ؟».

«مسكنهم فارغ ، ولم يشاهدهم أحد وهم يغادرون ، ولا أحد يعرف أين هم ، ولم يرهم أحد منذ بضعة أسابيع».

ألقى زوران ميلكوفيتش بالهاتف بعيدًا في الغرفة فاستحال إلى ألف قطعة بعد ارتطامه

بالمشعاع تحت النافذة ، مُصدرًا صوتًا كفيلًا بإيقاظ الأشخاص المقيمين في الشقة فوقه.

29

في وقت مبكر من صباح اليوم التالي للقائهم في وزارة العلاقات الخارجية ، استُدعيت ثورن وبيرغرين إلى مكتب المدعي العام في فليمينغاتان.

التقيا عند جادة 7-11 عبر الشارع في الساعة التاسعة إلا ربعًا. اشترى كلٌّ منهما كوبًا من القهوة ، ولم يستطع بيرغرين مقاومة دفع خمس كورونات إضافية لشراء فطيرة محلاة ، وكي يجعل الهزيمة أقل إيلامًا شرع في تناولها عند مغادرته للمتجر. بذلت ثورن جهدًا لتمنع نفسها من الإشاحة بنظرها عنه وهو يُغرق نفسه في الفوضى. كان مُحرجًا ، لكنه تفهم الأمر تمامًا.

سألت: «هل تريد منديلًا ورقيًا ؟».

هزَّ بيرغرين رأسه ، وأخذ يلعق أصابعه الملتصقة.

«دعينا نذهب الآن. أنا متشوق جدًّا. سمعت أنه شيء مثير. أنتِ تعرفين ، إنه بأهمية جريمة المتحف الوطني».

تطرق بيرغرين مشيرًا إلى واحدة من أكثر حالات السطو تهورًا في تاريخ السويد الجنائي ، حيث ضرب المهاجمون ضربتهم قبل ليلة رأس السنة بيومين ، في يوم الجمعة وقبل الإغلاق مباشرة ، حيث كان المتحف خاليًا تقريبًا ، واستولوا على ثلاث لوحات بحجم بطاقة بريدية لا تُقدر بثمن ، اثنتان لرينوار وواحدة لرمبرانت ، وأخفوها داخل معاطفهم ، ثم ركضوا عشرين مترًا إلى قارب ينتظرهم ، وسرعان ما اختفى سريعًا في الظُّلمة القاتمة التي تغلف مسطحات ستوكهولم المائية في آخر المساء من شهر كانون الأول.

غمغمت كارولاين بشيء غير مسموع.

تساءل بيرغرين ، ولم يرغب في أن يبدو فضوليًا جدًّا: «شاركتِ في ذلك ، أليس كذلك ؟».

أجابت ثورن: «بلى. أرسل علي فرحان إخوته الأصغر سنًّا لسرقة اللوحات. عمل الكثير منا على هذه القضية ، ولم نتمكن من تدبر الأمر إلا بمساعدة «الإف بي آي» ، لكننا

أمسكنا بهم في النهاية، ليس إخوة فرحان وحسب، بل العديد غيرهم ممن اشتركوا في الأمر. اعتُقلوا جميعًا وهم يتسلمون البضائع المسروقة».

قال بيرغرين: «نعم».

تظاهر بأنه يستذكر تلك المعلومات التي كان يعرفها بالتفصيل هو وكل ضابط شرطة آخر. لقد كُتب الكثير عن التحقيقات التي تلت الجريمة أكثر مما كُتب عن الجريمة نفسها.

ثم أكمل: «كلا، إن التلويح بسلاح آلي في الهواء شيء، والقيام بالعمل الصعب بعد ذلك شيءٌ آخر».

لم تجبه كارولاين ثورن. لم تكن توافقه الرأي، فالقيام بالأعمال يتطلب مهارات مختلفة بالتأكيد، ولكن هل لذلك علاقة بالجهد المبذول؟ كيف يمكنك تحديد الخطورة التي يتطلبها الأمر عندما يضع الحراس الأمنيون أرواحهم على المحك فعليًّا للدفاع عن جزء ضئيل من كمية الضرائب التي يسرقها المدير هينريك نيلسون من دولة السويد غالبًا؟ إن المجازفة الوحيدة التي يخوضها نيلسون هي دفع غرامات زهيدة. وفي عالم الجريمة التقليدي لم تعد المخاطرة تتناسب مع المكافأة، حيث بات عالمًا إجراميًّا جديدًا، عالمًا من التعاملات المصرفية والمالية التي تضع المبالغ الضخمة في متناول اليد.

فكرت ثورن في أنه على الرغم من هذا تبقى الجريمة جريمة، بغض النظر عن ارتكابها خلف مكتب أو في الشارع.

جلس المدعي العام لارس هيرتز في إحدى الغرف المؤثثة بشكل بسيط في نهاية الرواق الطويل المعتم في مكتب المدعي العام السويدي، ثم نهض واقفًا وحيًّا ضابطي الشرطة عندما وصلا إلى غرفته بمصافحة يشوبها الحماس. كان هيرتز رجلًا في ريعان الشباب، رشيقًا بوضوح، ومهتمًّا بالموضة، ويرتدي بدلة أنيقة وقميصًا أبيض مكويًّا بدقة، ويبدو لطيفًا، وتشير التجاعيد التي علت جبينه إلى فرط التوتر، ويضج شعره المُصفف السميك الأشقر وعيناه الزرقاوان بالطاقة والشباب.

أدركت ثورن أنه نموذج رفيع. أما بيرغرين الذي يلهث طوال الوقت من صعود السلالم فقد أخرج منديلًا ورقيًّا من جيبه ومسح جبينه، ثم جلس على الكرسي الخشبي البسيط أمام مكتب المدعي العام، وجلست كارولاين إلى جواره.

بدأ هيرتز: «حسنًا. كما علمتما، فإن حضوركما بخصوص أمر حسَّاس جدًّا».

أخرج بيرغرين دفتر ملاحظات وقلمًا، وكانت تلك عادته، فهو يتمكن من التفكير بوضوحٍ أكثر في وجود ورقة وقلم في يده، مع أنه نادرًا ما يقرأ ملاحظاته تلك فيما بعد.

تساءلت ثورن: «ما هو الأمر الحسَّاس؟».

كرهت تلك الكلمة، حيث بدت كعنوان سُوقي في صحيفة شعبية، ولا يجب أن يكون لها مكان في عمل الشرطة الجاد.

أجاب هيرتز بشكٍّ: «حسنًا. أقصد أن الجانب الحسَّاس يكمن في دقة المعلومات التي قُدمت إلينا».

قال ماتس بيرغرين: «تسلمنا تلك القضية مساء الأمس فقط، ولهذا فنحن متشوقان بشكل كبير لمعرفة التفاصيل».

قال هيرتز: «بالتأكيد، بالتأكيد. أتفهم ذلك... حسنًا... كما سمعتما، ستكون هذه قضيتي الجنائية الأولى».

قالت كارولاين بنبرة مشجعة: «أثق في أنها ستكون جيدة».

علَّق المدعي العام: «أحتاج إلى مساعدتكما، فلديكما الخبرة التي أفتقر إليها، وأنا أدركُ قدراتي جيدًا».

أجال نظره بين ثورن وبيرغرين. تعلَّم من مهنته ألَّا يُبدد الوقت بالتشاؤم وتوقُّع الفشل. زخرت أروقة وقاعات المحاكم الوطنية ومكاتب الادعاء بالمحترفين المنعزلين الذين يحتجزون أنفسهم في غرفهم المعتمة، وينبذون أي أسلوب آخر غير أسلوبهم لكونه عديم الجدوى.

وجد أنه من الصعب إدراج ضابطي الشرطة الجالسين أمامه ضمن تصنيف محدد. كانا على العكس من ذلك: المرأة الطويلة - التي يمكنها أن تكون جميلة إذا بذلت قليلًا

من الجهد - ما زالت تبتسم مشجعة، ولم يسبق له أن التقى بودٍّ ساحر مثل هذا. وإلى جانبها الرجل البدين المتعرق الذي لا يمكن لأحد أن يعتبره وسيمًا، وهو يقوم بتدوين كل كلمة، ويأخذ دوره الثانوي على محمل الجد.

قال هيرتز: «بخصوص المعلومات المرسلة من الشرطة الصربية، نحن لا نعرف اسم مصدرها، لكنه شخص أُدرج ضمن برنامج حماية الشهود في صربيا».

أزاح هيرتز خصلة من شعره جانبًا.

كررت ثورن: «حماية الشهود؟ في صربيا؟ ذلك أشبه بالاختباء خلف عمود الكهرباء».

اعترض هيرتز وهو مستاء للتقليل من شأن النظام القانوني في أوروبا: «كلا، ليس كذلك. نحن نتحدث عن زملائنا هنا، أليس كذلك يا رئيسة المحققين؟ فضلًا عن أنه من مصلحة أوروبا أن ينجح نظام حمايتنا للشهود».

تدخَّل بيرغرين: «تقول إن المصدر الرئيسي أُدرج ضمن برنامج حماية الشهود، هل يعني ذلك أن هناك آخرين غيره؟».

أومأ المدعي العام.

«بعد المعلومة الرئيسية، تنصت الصربيون على عدة هواتف... كان أحدها، وهو الأكثر نشاطًا، على اتصال منظم مع شخص في السويد».

تساءل بيرغرين: «مَن؟ هل لدينا اسم؟ يجب أن تخبرنا بما تعرفه».

قال هيرتز: «نعلم أن هناك خطة لسرقة مستودع للنقود في ستوكهولم. ليست مركبة نقل مؤمنة، ليس ساعيًا، بل المستودع نفسه. كان المصدر الرئيسي هو أحد الأشخاص الذين سيقومون بالسطو، وتم اعتباره شاهدًا موثوقًا به جدًّا، إنه طيار مروحية محترف منذ الحرب الأهلية هناك».

كرر بيرغرين وهو يرفع نظره عن دفتر ملاحظاته: «طيار مروحية؟ هل سيُحلِّق اللصوص بواسطة المروحيات؟».

ثم ضحك كأنه سمع مزحة ما، لكنه عاد إلى الصمت عندما شاهد وجه المدعي العام.

«نعم. طبقًا لمعلوماتنا فإن اللصوص يخططون للتحليق بالمروحية إلى مستودع

للنقود في ستوكهولم. المستودع في بناية ذات أربعة طوابق. سيعمدون إلى تفجير حفرة في السطح ، وقد خططوا أيضًا لتخريب وشلِّ حركة مروحيات الشرطة ، وبهذا لن يعترض هروبهم شيء».

خيَّم الصمت على الغرفة ، حتى كارولاين ثورن ألجمها الصمت ولا تعلم ماذا يمكن أن تقول. هذا النوع من المعلومات التفصيلية من مصدر موثوق لم يسبق لهم التعامل معه.

ابتسم هيرتز ، وعلم أنه حاز انتصارًا جزئيًّا ، ثم أزاح غرته جانبًا مرَّة أخرى.

بدأ بيرغرين: «أي مستودع نقود في ستوكهولم ؟».

لكنه لم يحظَ بالوقت كي يُنهي كلامه ، حيث عاد هيرتز إلى الكلام مرَّة أخرى.

يعرف المدعي العام كيف يقتصد في المعلومات ، وما زال لديه المزيد مما لم يُفصح عنه.

أكمل كأنه يتحدث إلى حشد غفير وليس إلى ضابطي شرطة وحسب: «استطعنا من خلال اتصالاتنا المميزة التأكد من معلومات المخبر ، ونتيجة لهذا علمنا أن عملية السطو تلك ستحدث في الخامس عشر من أيلول».

قال بيرغرين لاهثًا: «بعد ثلاثة أسابيع».

«نعم. ثلاثة أسابيع. هذه المعلومات حديثة ، لكنها ستوفر لنا بعض الوقت للاستعداد».

قالت ثورن: «غير معقول!».

رغبت في وصف تلك المعلومة بأنها حساسة حقًّا ، لكن هيرتز لم يُنهِ كلامه بعد.

أكمل كي يزيد من دهشتهم: «نعلم أن المروحية التي سيستخدمها اللصوص للوصول إلى مستودع النقود ومغادرته ستكون غالبًا بِل 206 جت رينجر».

تدخَّلت ثورن: «لن يكون من الصعب إيجاد إحداها بالتأكيد. ما الذي تعتقده ماتس ؟ لا بد من وجود نوع من السجلات الخاصة بالمروحيات في السويد».

قبل أن يتسنى لبيرغرين الرد رفع هيرتز صوته للإجابة عن ذلك السؤال والانتهاء من أدائه الفردي: «السجلات ليست لها فائدة ، فذلك النوع من المروحيات منتشر جدًّا ،

وشراء مروحية بغرض الاستعمال الشخصي ليس بحاجة إلى تصريح محدد، فضلًا عن أن المروحية التي يخططون لاستخدامها يسهل جدًّا إحضارها من إحدى الدول المجاورة، أو الطيران بها من ألمانيا. ونظرًا لضخامة هذه العملية فنحن نعتقد أن هناك عشرين شخصًا تقريبًا يشتركون في الاستعداد لها، ويفترضون أن بإمكانهم سرقة عشرة ملايين يورو على الأقل».

حدَّقت ثورن وبيرغرين إلى المدعي العام.

أومأ هيرتز: «حسنًا. هذا كل شيء».

خيَّم الصمت من جديد على مكتب المدعي العام لارس هيرتز، وتوقَّف المشهد على فم ماتس بيرغرين مفتوحًا، بينما كارولاين ثورن تقطِّب حاجبيها.

كسرت كارولاين أجواء الصمت قائلة: «أنت محظوظ لارس».

سأل هيرتز: «ربما. ماذا تقصدين؟».

«احتمالات نجاحك في قضيتك الجنائية الأولى جيدة جدًّا».

نهضت وتبعها بيرغرين.

لخَّصت الأمر: «نعلم ما سيفعله اللصوص، ونعلم متى سيقومون به. تتبقى معرفة مكان الهدف المقصود. ليس هناك العديد من الاحتمالات. منذ متى وأنت تعرف هذه المعلومات؟».

أجاب هيرتز: «منذ مساء أمس الأول. اتصلت بنا الشرطة الصربية في العشرين من هذا الشهر، ولكن حدث بعض التأخير في لقاء الوزيرين».

تمتمت ثورن: «فقدنا أسبوعًا».

قال هيرتز: «كانت الشرطة الصربية تواصل الضغط علينا».

قال بيرغرين: «والمتهم السويدي؟ ذكرتَ أن الصربيين تنصتوا على شخص سويدي».

أكَّد هيرتز: «نعم».

سألت كارولاين: «هل لدينا اسم ما؟».

أجاب المدعي العام لارس هيرتز: «زوران ميلكوفيتش. إنه الشخص الذي سيقوم

بعملية السطو».

قالت ثورن وهي تتحدث بوضوح واقفة أمام مكتب المدعي العام الفخم: «سوف نراقب ميلكوفيتش بعد ساعة من الآن. 24/7 ، أرغب في البدء في تعقبه أيضًا. أرغب في سماع كل ما يقوله. أريد أجهزة تنصت في سيارته وفي محل عمله ، وفي غرفته. هل تفهم لارس ؟ أريد أن أعرف بمَن يتصل ؟ من أين والدته ؟ مع مَن ذهب إلى المدرسة ؟ كل شيء. حسنًا لارس ؟».

أومأ لارس هيرتز وقد تفهَّم الأمر ، لكن الشيء الذي لم يذكُره أنه طالب من قبل بالإفصاح عن المعلومات المتوفرة عن زوران ميلكوفيتش ، لكنه غير موجود في قاعدة بيانات الشرطة الجنائية أو أي سجل آخر. فكَّر لارس: يجب على ثورن أن تتعامل مع هذا الأمر بمفردها ، لكنه آثر أن يُنهي لقاءهم الأول بملاحظة إيجابية.

قال: «سأتدبر الأمر. يمكنكِ الحصول على كل ما لديَّ».

30

كانت الخامسة صباحًا عندما ترجَّل سامي فرحان ونيكلاس نوردغرين من سيارة ميشال معلوف التي أوقفها في مالمسكيلنادسغاتان ، وعند زاوية ماستر ساميولسغاتان فقط أصبحوا على مرمى حجر من وسط ستوكهولم ، وهي منطقة هادئة جدًّا إلى الدرجة التي تمكنوا معها من سماع صوت أنفاسهم. لم يخبرهم معلوف عن طيار المروحية المفقود بعد ، حيث ذكر ميلكوفيتش أنه لا تزال هناك فرصة لظهوره ، ولأنه لا يملك أجوبة محددة لم يرغب معلوف في إثارة قلق الآخرين.

إنه يوم الأحد الثالث والعشرون من آب ، والمدينة الداخلية تبدو مهجورة ، ولولا بعض المستأجرين الصيفيين الغرباء لكانت مكاتب المباني حول سيرغيلس تورغ خالية طوال اليوم. تعودت السويد ببطء على النظام الأوروبي ، وكان شهر آب يُمثِّل رحلة طويلة من الجري نحو الخريف عبر الصيف ، الذي يستمر الآن حتى عودة افتتاح المدارس ، وقد غادر سكان ستوكهولم الأصليون المدينة الداخلية.

إذا تمكنت من العيش في وسط المدينة فسوف تتحمل نفقة منزل صيفي في أرتشيبيلاغو ، أو تدبير عطلة إلى اليونان. ترك السكان خلفهم شوارع مغلقة ومحفورة ، فقامت السلطات باستغلال الفرصة لإصلاحها بواسطة نصب العوارض الحديدية ، فعمَّت الفوضى ، ولم يكن هناك أحد سوى الألمان ساكني المقطورات ، والمسافرين الرحالة الأمريكيين ، والعائلات ذات الأطفال الصغار من جنوب السويد. ستُستأنف الحياة الطبيعية بعد أسبوع ، وتنتهي أعمال البناء والإصلاح في الشوارع ، وسيرحل المستأجرون الصيفيون إلى منازلهم. وعلى الرغم من ذلك فما زال السكون الصيفي مهيمنًا على العاصمة.

توجه نوردغرين لالتقاط حقيبة ظهره من صندوق السيارة ، وكانت الحقيبة مليئة بالمتفجرات المطاطية ، والبطاريات ، وأسلاك التفجير ، وقد احتفظ كعادته بصاعق التفجير في جيبه.

مشى الرفاق الثلاثة معًا نحو جاكوبسبيرغسغاتان ، وكانت الشمس قد أشرقت ، لكنها

مختبئة خلف سديم أبيض من الغيوم. انتشرت رائحة الكلور والجعة القديمة في الهواء، وحلَّق نورس مضطربٌ بين البنايات صاعدًا نحو أوكستورغيت، إلا أنهم لم يسمعوا أي صوت من أصوات الحياة الليلية التي تجري حول ستوربلان. مرَّت بجوارهم سيارة تنظيف الشوارع وهي تقوم بعملها، ثم اختفت في نهاية الطريق حاملة معها صوت هسيسها الكادح.

في تلك اللحظة لمحوا سيارة للشرطة تتجه نحوهم مباشرة بسرعة أقل من عشرة كيلومترات في الساعة.

يبدو أن الشرطة تبحث عن أحد أو شيء ما.

لم يناقشوا مسبقًا كيفية التعامل مع وضع كهذا، لكن نيكلاس نوردغرين توقف وانحنى نحو الرصيف وتظاهر بأنه يربط حذاءه، وأسرع سامي فرحان بالاختباء عند الزاوية نحو جاكوبسبيرغسغاتان، بينما استمر ميشال معلوف متوجهًا نحو سيارة الشرطة.

بدلًا من أن يكونوا ثلاثة رجال مجتمعين عند مالمسكيلنادسغاتان في الخامسة صباحًا، أصبحوا ثلاثة غرباء ذوي أهداف مختلفة، وأقل تهديدًا.

لم تُسرع سيارة الشرطة، بل استمرت في تقدمها البطيء نحو معلوف.

يرجع السبب في وجود معلوف ونوردغرين وفرحان في مالمسكيلنادسغاتان في ذلك الصباح الباكر من آب، إلى شعور نيكلاس نوردغرين بالقلق. اقتضت الخطة تفجير فتحة مباشرة خلال سطح غرفة إحصاء النقود حيث تعمل أليكساندرا سفينسون، وليس لديهم لإنهاء الأمر برمته سوى عشر دقائق فقط، وقد وعدهم نوردغرين بأن الانفجار لن يستغرق سوى دقيقتين من تلك الدقائق الثمينة.

علم نوردغرين في هذا الأسبوع من كاتينكا شقيقة إزرا أن سطح مستودع النقود في فاستبيرغا مكوَّن من ثلاث طبقات: طبقة كونكريتية في الأعلى، تليها طبقة من الدعامات، ثم طبقة معدنية تحت السقف الداخلي. وتفجير فجوة في الطبقة المعدنية بواسطة متفجرات «U تشانيل» ليس بالأمر الصعب، أما طبقة الدعامات فليست إلا بعض الخشب والمواد العازلة، ويمكنه تدبر أمرها بواسطة منشار وعتلة، ولكن يبقى

السؤال: كم يبلغ سُمك طبقة الكونكريت؟

لتجنُّب أي مفاجآت في ذلك اليوم بحث نوردغرين مطولًا عن مبانٍ بُنيت بالطريقة نفسها، حتى يتمكن من اختبار ذلك. وأسفر البحث عن وجود بناية نصف منتهية عند الزاوية في جاكوبسبيرغسغاتان وريغرينغسغاتان في وسط مدينة ستوكهولم.

بُني سقف البناية بطريقة فاستبيرغا نفسها، وقد تمكَّن العمال أثناء الصيف من بناء الأساسات والجدران الخارجية والداخلية، وكذلك الأرضيات والسقوف في كل من الطوابق الثمانية. أصبح هناك هيكل كامل أمام نوردغرين يستطيع التجربة عليه بدون المخاطرة بإيذاء أحد، ولأن المبنى كان لا يزال تحت الإنشاء فقد أُجبروا على الاستيقاظ فجرًا ليسبقوا العمال إلى ذلك الموقع.

كان معلوف على بُعد بضع خطوات من الاستدارة نحو جاكوبسبيرغسغاتان بالقرب من شارِع المشاة عندما مرَّت سيارة الشرطة بجواره، بينما نوردغرين على بُعد عشرة أمتار ولا يزال منشغلًا بربط حذائه، وقد سمع صوت سيارة الشرطة القريبة منه، لكنه منع نفسه من النظر إلى الأعلى. إنها أكثر العُقد تأنيًا التي ربطها في حياته.

بعد دقيقة رأى من زاوية عينيه السيارة الزرقاء البيضاء تمر بجواره.

حرص نوردغرين على عدم النهوض مباشرة، وعندما اختفى معلوف حول الزاوية بعيدًا عن مجال الرؤية استغل نيكلاس الفرصة لربط حذائه الآخر ثم نهض واقفًا.

قاوم رغبته الملحة في أن يدير رأسه ليتأكد إن كانت سيارة الشرطة توقفت عند التقاطع مع ماسترساميوليسغاتان، وبدلًا من ذلك هرِع للِّحاق بصديقيه اللذين بقيا في مكان ما أسفل منحدر شارِع المشاة.

قال سامي: «نلنا منك أيها المذعور».

رد نوردغرين: «في وجود حقيبة مليئة بالمتفجرات في وسط المدينة لدينا سبب كي نُصاب بالذعر».

وصلوا إلى ريغيرينسغاتان ولم يلتقوا بأحد آخر. في نهاية الشارِع استطاعوا رؤية زوج من الشباب يمارسان الجنس باهتياج، وقد دُفعت الفتاة إلى الجدار وهي تتسلَّق ساقي

الرجل.

استطاعوا كذلك سماع صوت مكنسة الشوارع من بعيد.

أُغلقت البوابة الحديدية المؤدية إلى المبنى بقفل وسلسلة. أخرج نوردغرين بعض الأدوات القاطعة، فذلك هو كل ما يحتاج إليه لقطع السلسلة وفتح الباب، ثم تسللوا إلى الداخل. أعاد نوردغرين السلسلة إلى مكانها وترك الجزء المقطوع متدليًا إلى الداخل، حتى يبدو الأمر طبيعيًّا لأي عابر سبيل.

«هل يجب علينا استقلال المصعد؟».

بدت فكرة احتجاز الثلاثة داخل مصعد البناية البطيء المتصدع، وهم مكشوفون من كل الاتجاهات، مع الحقيبة المليئة بالمتفجرات، فكرة حمقاء تمامًا.

لم تكن الفكرة مريحة بعد دقيقة تقريبًا من توجههم إلى المصعد.

قال سامي: «هذا جنون».

وافقه معلوف: «نعم، نعم».

لم يتفوه نوردغرين بكلمة. بعد بضع دقائق سيتمكن من تجربة تفجير حفرة في السطح الكونكريتي لمبنى في قلب ستوكهولم. لم يكن ينوي الاعتراف بالأمر، لكن الفكرة بدت له مثيرة للشك، وعلى الرغم من هذا وفي الوقت نفسه فالبديل أسوأ، وهو ألا يقوم بأداء واجبه، وأن يُجبَر على إدراك استحالة الأمر في اللحظات الحرجة.

بدا أن المصعد سيظل في صعوده إلى الأبد، وعندما نجحوا أخيرًا في الوصول إلى الأعلى، لم يكن المنظر هو ما توقعوه إطلاقًا. تحدثوا عن ذلك في السيارة، وعن رؤيتهم للمدينة بأكملها، لكن البنايات المجاورة حجبت الرؤية تمامًا أمام أنظارهم، بينما الضباب في السماء يعلن أن اليوم سيكون دافئًا.

تطلَّع نيكلاس حوله، ثم أشار نحو حزمة كبيرة من العوارض الخشبية، وقال: «نستطيع استعمال تلك لحماية أنفسنا».

شرع نيكلاس بعد ذلك في تحضير المتفجرات، وكالعادة سيبدأ بشحنة صغيرة.

قرأ سامي أفكاره، فقال: «لا يمكننا القيام بذلك الآن. تعرف ما أعنيه. نحن على السطح

في وسط المدينة، والشرطة تحوم في الأسفل مباشرة. لا يمكننا أن نختبر ونختبر. لسنا في الغابة الآن».

قال نوردغرين بتردد: «كلا».

كان الحذر من خصال نوردغرين التي يأبى التخلي عنها.

قال معلوف: «نعم، نعم. مرَّة واحدة فقط ليس أكثر. شحنة واحدة كي... نرى إن كانت ستنجح، ثم نهرب».

سمع نوردغرين ما قالاه، فغمغم وهو ينحني كي يبحث عميقًا في حقيبته: «حسنًا».

كانوا على صواب بالتأكيد، فبعد بضعة أسابيع عندما سيقفون على سطح مستودع النقود، لن يكونوا بحاجة إلى الدقة أو الحذر. سيكون الأمر بسيطًا، تفجير حفرة كبيرة تكفي نزولهم نحو طبقة الدعامات. وهذا عمل صباحي لرؤية ما إذا كان ذلك ممكنًا.

أخرج نوردغرين قمعًا صغيرًا مطاطيًّا أصفر اللون من حقيبته، من النوع الذي تستخدمه فرق كرة القدم عند التدرُّب على الحركة الجانبية، شكله مثاليٌّ، والهدف من استعماله هو توجيه الانفجار مباشرة نحو الأسفل. ملأ نوردغرين القمع بالمتفجرات المطاطية الحمراء، بقوة تفجير تصل إلى 7800 متر في الثانية، حرصًا منه على ابتكار انفجار مُركَّز كي يضمن فتح تلك الحفرة.

يمكن لمتفجرات سيمتيكس أن تقوم بالمهمة نفسها، لكن تلك المتفجرات التي يستخدمها الجيش باهظة التكلفة من ناحية، ويصعب الحصول عليها من ناحية أخرى.

قام بتثبيت الفتيل على أحد الجوانب، ثم قال: «حسنًا. محاولةٌ واحدة، لا أكثر ولا أقل».

شذَّب سلك التفجير فظهرت أسلاكه الرفيعة التي ستعمل كفتيل، ثم ركض الثلاثة خلف حزمة العوارض الخشبية وقرفصوا أرضًا.

قال نوردغرين: «سيكون انفجارًا كالجحيم».

انحنى معلوف وسامي على رُكبهما، ووضعا أيديهما فوق رأسيهما، وقام نوردغرين بملامسة السلك المعدني العاري مع أقطاب بطارية دراجة نارية.

كان الصوت مسببًا للصمم.

وما تلاه كان أسوأ.

اهتزت البناية كلها. وقف نوردغرين على قدميه، وبعد ثانية واحدة زُلزلت الأرض تحت أقدامهم. لم يكن مستعدًّا لذلك. تهاوت حزمة العوارض الخشبية التي يتمترسون خلفها جانبًا محدثةً صوتًا غير معقول، فاق صوت الانفجار ذاته.

سقط ميشال أرضًا.

وصرخ سامي: «اللعنة».

تهاوت الأرض التي يقفون عليها إلى الطابق الأسفل، وأضحوا وسط غيمة كثيفة من الغبار. شرع جهازان أو ثلاثة في الإنذار بالرنين معًا.

صرخ ميشال: «سامي».

لم يتمكن من رؤية شيء.

«أنا هنا. أين نيكلاس؟».

أجاب صوتٌ من وسط غيمة الغبار: «هنا».

كان يمكنهم سماع أصواتهم، لكن مرَّت عدة ثوانٍ قبل أن يتمكنوا من رؤية شيء.

«لا بد من الخروج».

بدأ نوردغرين بالركض نحو المصعد الذي بدا بشكل لا يُصدَّق سالمًا من التفجير وبلا أي ضرر، وتبعه سامي ومعلوف. وعندما استقر الغبار قليلًا تفحصوا الدمار الذي أحاط بهم.

دوت صافرات سيارات الطوارئ من بعيد، فركضوا إلى المصعد، وضغط نوردغرين على الزر فبدأ المحرك في العمل بهدير مرتفع وهو يسحبهم ببطء إلى أسفل. وفي الأسفل عند الشارع تجمَّع حشد من سكان المباني المجاورة.

تساءل سامي بجبهته الرطبة وعينيه اللتين تلتمعان، وهو ينفِّض كنزته: «ماذا حدث بحق الجحيم؟».

أجاب نوردغرين: «عملٌ سيِّئ. أسقطنا السطح كله!».

«اللعنة».

بدأ معلوف بالضحك، بينما ارتعشت شفتا سامي.

انفجر نوردغرين: «أنتما مجنونان. ليس الأمر مضحكًا. سيعج المكان برجال الشرطة في أي لحظة».

بعد وقت كأنه الدهر وصلوا إلى الأرض. كانت أصوات الإنذارات في موقع البناء تبدو أعلى في الأسفل. توقفت شاحنة التلفاز بجوار الرصيف، وفي الوقت نفسه الذي وصلت فيه أول سيارة إطفاء من المركز في مالمسكيلنادسغاتان، تسبب الانفجار في تفعيل ثلاثة أو أربعة أجهزة إنذار للسيارات، وتدفق الناس من كل حدب وصوب.

غادر الرجال الثلاثة المتسببون في هذه الفوضى تلك البناية المكونة من ثمانية طوابق «سابقًا»، بينما تدافع رجال الإطفاء نحو الداخل. تسلل نوردغرين وفرحان ومعلوف بحرص بين جمهور المتفرجين على الرصيف الذين وقفوا يائسين من الحصول على سبب ما حدث.

قال سامي عندما تحركوا بسرعة إلى جاكوبسبيرغسغاتان: «هذا جنون».

لم يستدر أحدهم عندما بدأت سيارات الشرطة بصفاراتها المدوية في الوصول إلى موقع الحدث، وتوجهوا عائدين إلى السيارة ولم يتفوهوا بكلمة.

صعدوا إلى السيارة وأغلقوا الأبواب، وعند ذلك فقط كسر نيكلاس حاجز الصمت قائلًا: «اللعنة. لم تتسبب في حفرة. لن نتمكن من الدخول عبر السطح».

أيلول

اعتاد رجال الشرطة على الظهور فجأة على فترات منتظمة ، وبشكل يومي لتذكير الأشخاص بوجودهم. ليس بالنسبة لزوران ميلكوفيتش بالطبع ، ولكن لكل شخص يعرفه ، ربما يكون رجلًا متوسط العمر وسيّئ الهندام يظهر أمامك فجأة على الجانب الآخر من الشارع عندما تغادر الحانة متأخرًا ذات ليلة ، أو امرأة طبيعية الملبس تتظاهر بأنها تحدِّق في نافذة غير ذات أهمية مقابل باب بنايتك.

يبدو أن حاسة الشم لدى الشرطة تُستثار عندما يكون شيء ما على وشك الحدوث ، وعندما يتحول الكلام العادي إلى خطط ثابتة. لم تعد النزهة بجانب الماء في غروندال تتعلق بفتاة الليلة السابقة ، لكنها إجراء أمني روتيني. كفَّ ميلكوفيتش منذ مدة طويلة عن الاندهاش من قدرة أنف الشرطة الحاد ، وأصبح يتقبل الأمر كحقيقة مؤكدة. افترض أن ذلك يعود إلى الحدس والخبرة ، كما أن حاسة الشم الحادة تلك وصلت إلى مستويات متساوية من التعقيد لكلا طرفي القانون.

كان زوران ميلكوفيتش في مطبخه في صباح اليوم الثاني من أيلول يضع القهوة في المرشح ، فلاحظ وجود رجل على الرصيف ، يقف مباشرة في مواجهة بابه عند أبلاندسغاتان ، ولا يفعل شيئًا مطلقًا. استغل الوقت الذي يتطلبه عمل القهوة في تصفح شريط الليلة السابقة - كان يُصوِّر نفسه عادةً في الليل ليتأكد أنه لم يكن يتحدث في نومه. لاحظ ميلكوفيتش أن الرجل كان يحدِّق في بابه ، هذا كل ما يفعله ، ولا شيء آخر في الشارع يستحوذ على اهتمامه ، والناس والسيارات تمر بمحاذاته وكأنه لا يراهم ، لم يكن في عجلة من أمره ، أو ذاهبًا إلى أي مكان ، يحدِّق فقط في الباب المؤدي إلى بناية ميلكوفيتش. كان ضابط شرطة بملابس عادية. استهجن ميلكوفيتش الأمر ولم يفكر مطولًا في تلك المراقبة ، فليس لديه سجل إجرامي ، مما يعني أنه من النادر أن يُرصد له مُتعقِّب من أي نوع ، ولكن على الرغم من ذلك فقد حدث هذا مسبقًا ، وكان الناس الذين يختلط بهم يتسببون له بالعدوى أحيانًا.

عندما نظر عبر النافذة وبيده كوبه الثاني من القهوة وجد الرجل قد اختفى.

خرج ميلكوفيتش إلى الشارع بعد نصف ساعة ، ومشى متوجهًا إلى مقهى موبيل. اعتقد في البداية أنه يتخيل الأشياء ، ولكن بعد بضعة شوارع أصبح متأكدًا من الأمر. ظهر ضابط شرطة جديد على الرصيف المقابل ، وهو يهرول ليواكب ساقي ميلكوفيتش الطويلتين. من الصعب اكتشاف ضباط المراقبة الذين يرتدون ملابس عادية في مدينة عادية ، فهم كطائر نورس وسط سرب من الحمام.

قرر ميلكوفيتش مرَّة أخرى أن يتجاهل الأمر.

كان اجتماعه الأول لهذا اليوم ينتظره في مقهى موبيل عند التاسعة والنصف ، مع مُزارِع خضراوات بولندي يحاول أن يُثبت نفسه في أسترا ، ويحتاج إلى المساعدة في مجال العلاقات والنقود. تحدث الرجلان على إحدى الموائد لأقل من ساعة ، ثم أدرك ميلكوفيتش بسرعة أنهما لن يصلا إلى أي مكان. تباهى البولندي بالجزر والشمندر المزروعين بصورة عضوية ، لكن ميلكوفيتش الذي كان يفهم القليل عن الخضراوات بعد عدة محاولات للدخول إلى تلك السوق ، يعلم أن العناية التي يوليها الفلاح لنوعية منتجه لن تكون موازية للسعر ، حيث كانت المنافسة قوية جدًّا. لكنه لم يقل ذلك ، وترك البولندي يغادر مع قدر من الأمل. يكره ميلكوفيتش الاجتماعات التي تُختتم بملاحظة سيئة. رافق مزارع الخضراوات إلى الباب مستغلًّا الفرصة للتأكد من وجود أي متعقِّب. لم يلاحظ أحدًا في البداية ، لكنه شاهد لاحقًا اثنين من ضباط الشرطة يجلسان في سيارة «أودي» عند نهاية الشارع.

كانت فكرته الأولى أنه يتوجب عليهم قيادة سيارة سويدية الصنع.

والفكرة الثانية كانت سؤالًا عما يحدث.

كان شخص ما في قوة الشرطة أو في مكتب الادعاء العام قد قرر فجأة أنه من المُجدي إبقاء ميلكوفيتش تحت المراقبة. حاول أن يقاوم شعوره بالإطراء ، وكانت علاقته مع صورته الذاتية مهزوزة نوعًا ما ، فقبل سنة واحدة ظهر وجهه بصورة عرضية في تقرير لقناة التلفاز الرابعة حول الجريمة في فارستا. لم يكن متورطًا في الأمر بشكل جدي ، لكنه الوحيد الذي التقطته الكاميرا ، ولهذا انتهى به الأمر إلى أن يحتجزوه. قام ميلكوفيتش

بمقاضاة قناة التلفاز، وكوفئ بتمثال رمزي بدا كالضمادة فوق جرحه، وعدا ذلك الفيلم فإن الشرطة لا تمتلك شيئًا ضده.

أقلقه اهتمامهم الجديد به، وأسعده في الوقت نفسه.

بدأ مقهى موبيل عند الثانية عشرة فقط يعج بزبائن الغداء، مما يعني أنه الوقت الذي يغادر فيه زوران.

عندما خرج إلى أبلاندسغاتان، حل محل السيارة «الأودي» ضابطان يمشيان على أقدامهما ويرتديان ملابس عادية. هزَّ ميلكوفيتش رأسه باستغراب، هل يجب عليه أن يُبقي نصف قوات الشرطة منشغلة؟

توقفا في الزاوية عند تيغنيرلوندين، فتحرك ميلكوفيتش بسرعة نحوهما، ونظر بصورة مباشرة في أعينهما، واقترب حتى لم يبقَ بينهم سوى بضعة أمتار فقط، ثم استدار عند الزاوية. هذا هو الجنون بعينه.

كان ميلكوفيتش في طريقه لمقابلة باسر باليك في سوديرتاليي، وهو أحد أكثر العناكب سمًّا في شبكة الإجرام التي تقوم الشرطة بتمزيقها إلى أجزاء بين حين وآخر. وسيُصاب بالجنون إذا شاهد شخصًا ما يراقبهما من خلف صحيفة.

أخرج هاتفه وأجرى مكالمة سريعة، ثم عبر تيغنيرلوندين متوجهًا إلى أسفل التل في اتجاه سفيفاغين، واستمر في التقدم بصورة مستقيمة، وفعل متابعاه الشيء نفسه. وصل اليوغسلافي إلى بيرغر يارلزغاتان، فتوجه نحو اليمين وتوقف خارج محل الطعام. أبطأ متابعاه من سرعتهما، وتوقفا على بُعد عشرة أمتار وهما يتظاهران بالاهتمام بطريقة بناء باب المرآب.

نظر ميلكوفيتش إلى الصورة المنعكسة على نافذة المحل. رتب ياسون، الذي يعمل في محل للحاسوب في نهاية الشارع، والذي اتصل به ميلكوفيتش قبل دقائق، كل شيء كما أمره. نظر ميلكوفيتش إلى الاتجاه الذي يقف فيه ضابطا الشرطة بملابسهما العادية، ثم ابتسم ولوَّح.

حدث كل شيء بعد ذلك بسرعة كبيرة.

ركض زوران مباشرة نحو بيرغر تشارلزغاتان ، وقفز فوق الحواجز عند محطة الحافلات ، واستمر في ركضه في اتجاه الدراجات النارية المتوقفة على الجانب الآخر ، ثم ركب دراجة «هوندا» سبق تجهيزها بواسطة ياسون. وبعد هدير مرتفع انطلق شمالًا نحو روسلاغستول.

ترك ضابطي الشرطة مذهولين خلفه.

قاد ميلكوفيتش لثلاث دقائق ، ثم أوقف الدراجة بجانب البناية حيث يعيش ياسون ، تاركًا المفاتيح على غصن شجرة الكرز في الخارج ، ثم مشى نحو فالهالافاغين ليجد سيارة أجرة تقله إلى سوديرتاليي.

ماذا يحدث ؟

32

تناول سامي فرحان العشاء مع أخويه في مطعم عمهم في ليليهولمن ، وحدثهما قائلًا: «أسبوعان وستعود إليكما مع الفوائد ، وعندها سيتعلق الأمر باتخاذ الخطوة التالية. تعرفان ما أقصده. أنتما لا تستطيعان الاحتفاظ بالنقود في المصرف فقط ، إنها لن تجعل أحدًا سعيدًا هنا».

لا شك أن الحضور إلى المطعم كضيف والعمل في مطبخه المزدحم تجربتان مختلفتان تمامًا. في المطبخ أنت تعمل بجد وتفتخر بالعمل الذي تنجزه ، وعلى الرغم من أن المعدات ليست جديدة فقد اعتُني بها جيدًا ، والمكونات الطازجة ليست متميزة إلا أنها مختارة بعناية في المطبخ. كان الطموح كبيرًا ، والطعام الذي يحضرونه يستحق مصيرًا أفضل من الانتهاء إلى أيادي طاقم العمال المرهقين الذين يحملون الصحون إلى المطعم المظلم القديم الذي يبدو مثل أي حفرة جعة أخرى. كونك ضيفًا يجب أن يكون أفضل من العمل في البوفيه البارد ، لكن بالنسبة إلى سامي فالأمر عكس ذلك تمامًا.

جلسوا إلى طاولة في مقدمة المطعم ، وتناولوا للتوِّ قطعة لحم نضجت بشكل ممتاز مع البطاطا المقلية.

قال شقيق سامي الأكبر: «ليس هناك داعٍ للقلق أخي الصغير. خذ الأمر ببساطة ، سنحصل على النقود عندما تحصل عليها أنت».

قال أخوه الأصغر: «الأمر ليس مُعقدًا أكثر مما هو عليه».

أدرك أنهما يرغبان في أن يكونا لطيفين ، ويرغبان في نسيان حقيقة أنه أهدر نقودهما وسمح لنفسه بأن يُخدَع ، لكن اهتمامهما ذاك لا يعني السماح له بلعب دور البطل مرَّة أخرى ، فذات يوم سيُسدد ديونه مع الفوائد.

أصر سامي وهو يسحب ياقة قميصه: «كلَّا. هذا ما أعنيه. عندما أحصل على النقود ، وسيكون الأمر قريبًا ، فماذا سنفعل عندئذ؟ تعرفان ما أعنيه. ماذا سنفعل حينها عندما يستعيد كل شخص ما خسره على صفقة القريدس اللعينة تلك؟ لم أعد أتمكن حتى من تناول ثمار البحر منذ ذلك الوقت».

لم يُنصتا إليه. غيَّر أخوه الأكبر الموضوع، وبدأ في الحديث عن كرة القدم، وتبعه الأخ الأصغر كذلك. حاول سامي أن يقاطعهما عدة مرَّات، لكن لم يكن لديه شيء يضيفه إلى الحوار بخصوص تشيلسي وآرسنال، فاستسلم سريعًا وعاد إلى الصمت الذي يجبره عليه أخواه غالبًا.

طلبوا القهوة مع التيراميسو.

كان شقيق سامي فرحان الأكبر هو المسؤول عن سن القوانين في عائلتهم بالبراعة نفسها التي يتعامل بها مع أوراق اللعب. كان النموذج الذي تطلع إليه أخواه أثناء مراهقتهما عندما شرعا في إيجاد هويتيهما، والشخص الذي يخافان منه ويحترمانه، ولكن عندما حظي الآخران بأوراقهما وعرفا نفسيهما تمت الصفقة. حاول سامي أن يجد له مكانًا بين شقيقه الأكبر المبالغ في حمايتهما، وشقيقه الأصغر عصبي المزاج، وجاهد كي يعرف دوره. مرت أيام أو لحظات اعتقد فيها أنه استطاع أخيرًا أن يجد صورة لنفسه كشيء ملموس يستطيع تفحصه واكتشاف ماهيته حقًّا، ولكن تلك الملامح الخارجية سرعان ما بهتت واختفت. كل ما تبقى لسامي هو دور المهرج.

قال أخوه الأكبر كما لو كان يتساءل: «يجب أن ينتهي الأمر بالنسبة إلى مانشستر الآن. لكل شيء وقته، وقد انتهى مانشستر يونايتد، انتهى. من الآن فصاعدًا كل شيء سيتعلق بآرسنال».

صرخ شقيق سامي الأصغر وهو يتظاهر بالذهول: «آرسنال؟ كيف يمكنك بحق الجحيم أن تقول ذلك. آرسنال؟ هل فاتني انتقال دروغبا؟».

ضحكا على المزحة، وضحك سامي معهما على الرغم من أنه لم يعرف السبب.

لم يهتم بكرة القدم. لم يفعل يومًا. لكنه صارع لمدة طويلة لنيل مكانه بين إخوته داخل العائلة وخارجها. كان الحل أن يربط يديه بقوة، ويرتدي قفازات الملاكمة، ويضرب كيس الرمل حتى تدمى أصابعه. خُدع بوالده الذي يتذكره بالكاد، الأب الذي خلَّف وراءه فجوة في كيانه، فراغًا لا يملأه شيء آخر، ورحل تاركًا خلفه لغز اختفائه. لاحقًا عندما كان سامي ينهار لمدة ساعة أو اثنتين مبللًا بالعرق، وقد انشق حاجبه وكُسر أحد

أضلاعه، في غرفة تبديل الملابس بعد المباراة حتى يتعافى، كان يشعر بسلام لم يعرفه مسبقًا.

في غياب والده، وفي وجود والدة لا تمتلك الوقت لتفعل أكثر من تأكدها أنهم يمتلكون الطعام على المائدة والملابس في خزائنهم، توجب على سامي أن يتمرد ضد قائد إخوته، ضد أخيه الأكبر.

فعل ذلك في بعض الأحيان بصخب، وفي أحيان أخرى بصورة سرية من خلال بعض التصرفات العنيفة المشوشة. شعر سامي بالخزي أمامهم عندما تبخر التركي المحتال في الهواء، لكن كان النظر إلى عيني أخيه الأكبر وإخباره بما حدث هو الأسوأ على الإطلاق. لم يضغط عليه أحد ممن استثمروا معه في الصفقة سواء إخوته أو أصدقاؤه كي يُعيد النقود، لكنه قطع وعدًا مُقدسًا لكلٍّ منهم بأنه سيحصل على النقود في الخريف. كان عالم ستوكهولم السفلي هو شاهده، سمعه الجميع يقول ذلك، وفهموا أن الأمر مرتبط بشيء يقوم بالتخطيط له. بدأ الناس لاحقًا بالتخمين والتأمل، ووضع بعضهم رهانات، ودار حديث عن أعمال خطَّط لها البعض لسنوات ولم يقوموا بها. كان مصرف السويد المركزي هو أكثر التخمينات جنونًا، لكن سامي رفض التأكيد أو النفي.

بعد بضعة أسابيع سيفضي أيلول إلى تشرين الأول، وسيأتي الخريف بلا أدنى شك ومعه وعودٌ يجب الوفاء بها.

قال أخوه الأكبر وهو يتذوق الحلوى التي أُلقيت بإهمال على طاولتهم: «اسمع يا سامي، انسَ ما خططتَ له مهما يكن، فيبدو أنه لن يحدث».

غمغم سامي: «هل قطعنا شوطًا طويلًا كي نتركه الآن؟».

قال أخوه الأكبر وهو يمنح الأصغر نظرة تشجيع: «يتوجب عليك أحيانًا تضييع بعض الوقت على شيء ما قبل أن ترى الحقيقة».

أومأ الأخ الأصغر موافقًا: «نحن لدينا شيءٌ لفعله. أنت تعرف شيئًا يتوجب عليك المشاركة فيه بدلًا من ذلك».

نظر سامي إليه بينما تنقر أصابعه على الطاولة، وقال: «آسف! نعمل على هذا الأمر

منذ فترة و...».

«ولكن نحن عائلة يا سامي، نحن إخوتك، أليس كذلك؟».

هزَّ سامي رأسه. هكذا بدأ كل شيء، لم يُجبره أحد على المشاركة في المرَّة الأولى، كان في الثالثة عشرة، ولم يُجبره أحد على أن يتبعهم في المرَّة الثانية أو الثالثة أيضًا. كانوا عائلة، لكنه لم يعد في الثالثة عشرة بعد الآن.

أجاب: «مممممممممم. ما زلت أعتقد... كما قلتُ.. لقد قطعنا شوطًا طويلًا».

قال أخوه الأكبر: «نعم نعم. أنت صبيٌّ كبيرٌ الآن ولستَ بحاجة إلينا، أليس كذلك؟».

ضحك أخواه وضحك سامي أيضًا.

قال: «إنه دائمًا نحن».

العائلة أولًا، ولكن العائلة تأتي أولًا لأنه يرغب في هذا، وليس لأنه يتوجب عليه ذلك.

التقوا في حانة كفارنين قبل يومين. سامي وميشال معلوف ونيكلاس نوردغرين. وصلوا مبكرًا قبل أن يزدحم المكان، وجلسوا إلى طاولة وراء المشرب في الخلف.

تنص القاعدة الأولى من قواعد العمل على ضرورة عدم تجمع الأفراد في مكان يمكن فيه مشاهدتهم معًا عند اقتراب موعد التنفيذ، لكنهم لم يجدوا خيارًا آخر.

سأل سامي: «هل أنت واثق؟».

أومأ ميشال: «واثق تمامًا».

«لكن الوقت يدركنا».

قال ميشال: «سيجد أحدًا ما، ولن يخذلني أبدًا. سيتدبر زوران الأمر».

لا تزال الطاولات خالية من حولهم حتى هذه اللحظة. لم تتجاوز الساعة الخامسة والنصف، والرواد المحيطون ليسوا غير حفنة من الزبائن المعتادين الذين يتشبثون بكؤوسهم جيدًا، ويجلسون بعيدًا عن نطاق السمع.

ركَّز سامي على طيار المروحية المفقود، وراح يلوم ميلكوفيتش: «لقد أفسد الأمر ذات مرَّة، وقد يُفسده ثانيةً».

قال معلوف: «يجب أن تثق بي».

أقسم سامي: «أثق بك. أثق بك. لكنه صديقك الذي لا أعرفه، ولم أقابله قَطُّ. تعرف ما أقول، من المستحيل أن أثق بشخص لا أعرفه».

كرر معلوف: «سيتدبر الأمر».

لم يجبه سامي، وسحب ياقة قميصه. يبدو أنه بحاجة إلى مساحة أكبر للتنفس.

قال نوردغرين: «لا يتعلق الأمر بذلك».

نظروا إليه، فالتقت عيناه من تحت قبعته بأعينهم: «إنه بخصوص السطح. نحن بحاجة إلى تدبر شيء ما».

قال سامي: «تعرف أن بعد الخطة «أ» يجب أن تكون الخطة «ب»، هكذا تجري الأمور. إذا حدث شيء ما سنتحرك نحو الخطة «ج» ثم «د» ثم «هـ» ثم «و»».

أومأ نوردغرين ومعلوف، ولكن ماذا كانت الخطة «و»؟

ترك سامي إخوته في ليليهولمن في الحادية عشرة، ثم استقل المترو عائدًا إلى سوديرمالم. غادر المنزل كثيرًا في الأسابيع الماضية. تركته كارين يشعر بذلك في بعض الأوقات، ولكن كانت هناك ليالٍ مثل هذه الليلة.

عاد إلى الشقة فوجد كارين جالسة على الأريكة، وابتسمت عندما رأته.

تساءل بريبة وهو يخطو بضع خطوات داخل الغرفة: «ماذا؟».

قالت: «شاهدت روم كوم، فجعلني في مزاج جيد. وتذكرت لماذا سمحت لك بإقناعي».

«إقناعك؟ وبِمَ أقنعتك؟».

قالت: «بأنني يمكنني البقاء مرتدية ملابسي. أنت تعرف. أو على الأقل سروالي الداخلي. لكني لم أفعل، فقد أقنعتني».

تكلف الابتسام: «أمتلك موهبة الثرثرة».

«ربما، لكنك دفعت أيضًا بالكثير من الفودكا إلى حنجرتي».

«لم أقصد المبادلة».

خلع معطفه وألقاه على الكرسي المجاور، ثم تحرك نحوها وجلس بجوارها على الأريكة، لكنه لا يزال متحفظًا. شعر بالقلق أثناء الأيام القليلة الماضية من أن تكون على علم بما يُخطط له. في بعض المرَّات، كما في الأمس واليوم الذي سبقه، كررت تحذيرها له بأن علاقتهما قائمة على ألا يفعل شيئًا غبيًا، وهي بهذا لا تعني امرأة أخرى، لأنها لم تكن قلقة من ذلك. أحب سامي كارين منذ المدرسة الثانوية، ولن تكون هناك أي امرأة أخرى. إنها تعرف ذلك.

تساءل: «لماذا تقولين هذا؟ لم أفعل أي شيء».

أجابت: «للتذكير فقط».

لطالما كره حدس الأنثى.

وضع ذراعه حولها وجذبها إليه.

أصبح وجهه قريبًا جدًا منها حتى إنه شم رائحة أحمر شفتيها.

قال: «أتتذكر أنكِ خلعتِ مشدك قبل أن أقترِح ذلك».

ابتسمت كارين ثم تملَّصت من قبضته، ونهضت قائلة: «ليس في المرَّة الأولى فقط، بل في كل مرَّة تفكر فيها في الأمر».

رفعت قميصها فوق رأسها، وخلعته.

في صبيحة الأربعاء التاسع من أيلول ، غادرت قائدة فريق العمليات كارولاين ثورن المكاتب التجارية المسماة باناكسيا في لينتا غاردزفاغ 5 في بروما.

لم يتبقَ سوى ستة أيام على أكبر عملية سطو في تاريخ السويد الجنائي.

بدون أن تفصح عن تفاصيل ما تعرفه ، أو حتى الادعاء بأن الوضع حرج ، قضت قرابة ساعة في غرفة اجتماعات باناكسيا في الطابق الثالث في مناقشة السيناريوهات المحتملة مع فريق الإدارة. كانت الغرفة كبيرة ومتألقة ، والطائرات التي تُحلِّق على علو منخفض تمر فوق رؤوسهم على فترات منتظمة في طريقها للنزول إلى مطار بروما.

تعلم ثورن أن هناك خطًّا رفيعًا في تلك المحادثة بين الإفصاح عن الكثير وبين التأكد من أنها لن تندم على شيء خلال أسبوع إذا أخبرتهم بكل ما تعرفه. كان هناك خطر من تسرُّب المعلومات ، مما قد يدفع اللصوص إلى تغيير خطتهم ، وإن لم تستعد باناكسيا لما سيحدث فقد يُضر أحد موظفي الشركة ، وستصبح كارولاين نادمة بشدة على تكتمها.

تُوشك باناكسيا على نقل بعض أعمالها بعيدًا عن بروما ، بعد أسبوع واحد بالتحديد ، وقد خططت إلى إنهاء عملية الانتقال في الأربعاء الموافق للسادس عشر من أيلول. ولكن حتى ذلك الوقت فإن الشركة ستكون هشة أكثر من المعتاد من وجهة نظر أمنية. نتيجة لهذا بدا إظهار الشرطة لبعض الاهتمام أمرًا إيجابيًّا ، كما قام مدير باناكسيا الأمني بتفسير الموضوع.

أومأت ثورن بالموافقة ، ولم تكن تعرف معلومات تفصيلية عن عملية الانتقال.

ناقشوا خارطة المبنى بإسهاب ، وعندما نهضت ثورن أخيرًا كي تصافح الموجودين في الغرفة اعتقدت أنها وجدت إجابة السؤال الذي كانوا يبحثون عن إجابته.

عرفت أين ستقع عملية السطو بالمروحية.

كانت سيارتها تقف خارج المدخل مباشرة ، وعندما جلست ثورن خلف المقود ووضعت حزام الأمان راودها إحساس مألوف بأن موظفي باناكسيا ، وهي الشقيق الإقليمي لشركة «م4أ» ، قاموا بأفضل ما لديهم من جانب ، ومن جانب آخر فإن ذاك الأفضل لم

يكن كافيًا. هناك شيءٌ لا يبدو صائبًا بخصوص ثاني أكبر شركة للنقل المؤمَّن في البلاد، ولم تتمكن ثورن من معرفة ذلك الشيء بالتحديد، وربما توصل اللصوص إلى الملاحظة نفسها.

أدارت سيارتها «الفولفو» وانطلقت إلى الشارع. ليس هنا غير ثلاثة أماكن في ستوكهولم يمكن أن يتوفر فيها المبلغ الذي ذكره المخبر الصربي للشرطة، وهو قرابة مائة مليون يورو: البنك المركزي، ومستودعي النقود الاثنين: باناكسيا في بروما، و«م4أ» في فاستبيرغا.

من المستبعد أن يحاول أي شخص سرقة البنك المركزي، فهو واحد من المباني القليلة في السويد التي وصفتها كارولاين ثورن نفسها بالمؤمَّنة، ولم تكن هناك طريقة يمكن بها الهبوط بمروحية على سطحه. أما مستودعا النقود المتبقيان، فإن باناكسيا في بروما فقط هي التي تطابق المواصفات، فهي بناية ذات أربعة طوابق مع سطح مستوٍ.

علمت ثورن اليوم أن الشركة على وشك نقل بعض أعمالها، وأن الانتقال يجب أن يبدأ في الرابع عشر من أيلول، واليوم الذي اختاره المقتحمون هو الخامس عشر من الشهر، ويبدو أنه وقت مثالي، لأن الشركة ستكون غير محصَّنة في ذلك الوقت بالتحديد.

أيًّا كان من يخطط لعملية السطو، فيجب أن يكون له أحدٌ ما داخل باناكسيا، وإلا فلن يكون باستطاعتهم إيجاد فرصة ملائمة كتلك، هكذا فكرت ثورن، وتساءلت إن كان يمكنها طلب قائمة بأسماء الموظفين الآن دون إثارة الشكوك. انعطفت يسارًا إلى دروتنينغسهولمزفاغين، ثم عادت نحو ألفيك وكونغسهولمن.

مرَّت ثورن في طريقها إلى قسمها في مبنى الشرطة بجوار زملائها المسؤولين عن التنصت على زوران ميلكوفيتش. استغرق الأمر بضعة أيام فقط قبل أن يكتشف ميلكوفيتش ضباط الشرطة ذوي الملابس العادية، لكنهم اعتبروا ذلك طُعمًا ليس أكثر، حتى لا يكتشف اليوغسلافي وجود أجهزة التنصت.

أخفوا أجهزة التنصت في مطاعم ميلكوفيتش في أبلاندسغاتان، وفي غرفة نومه وغرفة المعيشة في شقته، وفي سيارته «البي إم دبليو». لا شك أن الموارد التي وُضِعت تحت

تصرُّف هذه التحقيقات تُعد تبديدًا كبيرًا ، وقد علمت ثورن أن سبب هذا يعود بشكل جزئي إلى تدخُّل وزير العلاقات الخارجية بشكل شخصي في القضية ، لكنها تعلم أيضًا أن خطة مفوض الشرطة الوطنية تقتضي تقليص النفقات غير الضرورية في نهاية العام ، ثم الإعلان عن النجاح الدولي الذي أسفرت عنه جهودهم.

ذلك النجاح هو ما كانت كارولاين ثورن مسؤولة عنه.

مدَّت كارولاين رأسها من الباب ، حيث الغرفة المكدسة بالأجهزة الإلكترونية.

تساءلت: «هل من شيء ؟».

استدار نحو المدخل مساعدان يرتديان سماعات الأذن ، وتطلعا إليها كما لو أنهما استيقظا للتوِّ. عيونهما محمرة وبدا أنهما لم يُغيِّرا ملابسهما منذ أسابيع. امتلأ المكان برائحة الطعام الصيني الكريهة التي تفوح من علبتين فارغتين على المكتب.

قال أحدهما: «أنتِ تمزحين ؟».

وقال الآخر: «أنتِ دومًا مُهرجة حقيقية كارولاين».

قالت المحققة مع ابتسامة ودية: «كلا ، ليس مزاحًا على الإطلاق».

تنهد الشابان.

كان التنصت على زوران ميلكوفيتش أشبه بتوجيه مكبرات الصوت نحو ملعب لكرة القدم أثناء مباراة الديربي ، ثم محاولة سماع همس أحدهم. تتدفق الكلمات إلى آذان ضباط الشرطة الذين سمحوا في غمرة ارتباكهم المتزايد للأقراص الصلبة بأن تمتلئ واحدًا تلو الآخر بأحاديث عن الصفقات العظيمة ، والتباهي بالاستحواذ على امرأة جميلة صعبة المنال ، بينما هم في حقيقة الأمر توَّاقون إلى سماع شيء مختلف تمامًا.

على الرغم من أن ميلكوفيتش ليس موجودًا في أي قاعدة لبيانات الشرطة ، فإن الضباط الذين استمعوا إليه كانوا على يقين بأن أحدًا ما علَّمه كيف يتحدث مثل مجرم متمرس.

لم يكن يُسمي الأشياء بأسمائها مطلقًا ، وأيًّا كان ما يقوله فقد كان يفتقر دومًا إلى الزمان والمكان. تعرف الشرطة الآن أن زوران ميلكوفيتش احترف مجال البناء ، لكنه

اهتم أيضًا بأعمال التنظيف وتجارة المطاعم وعالم التجميل والاستيراد والتصدير. أما الشيء الذي يفعله أو يُبدد عليه وقته في تلك الأماكن فقد ظل مبهمًا على كل حال. قد يكون مجرد شريك خامل، أو ربما أحد أنواع المستشارين، أو ربما تُدار تلك الأعمال بواسطة مغفلين يتحكم ميلكوفيتش بهم، وربما كان الأمر مزيجًا من تلك الاحتمالات كلها، ولكن بما أن مكالمات ميلكوفيتش الهاتفية غامضة ومبهمة وخالية من أي أسماء أو أرقام على الإطلاق، فإن كل ذلك ليس أكثر من مجرد تخمين من جانب الشرطة.

قد يحظى بما يزيد على عشرين اجتماعًا خلال يوم عادي، ويحدث هذا في كل أرجاء ستوكهولم، ويمكنه إرسال خمسين رسالة نصية، والقيام بعدد مماثل من المكالمات، نصفها من هاتفه ذي الخط الخاص بمونتينيغرو وبلُغة قريبة من اللغة الصربية، وبما أن مترجمي الشرطة ليسوا موجودين غالبًا فقد كانت هناك احتمالية في أن يجدوا شيئًا أكثر فائدة في تلك المكالمات، وبالحكم على المكالمات التي تُرجمت حتى الآن تبيَّن أن محتواها مماثل لغيرها.

لم يصلوا إلى أي مكان. جاءت الإشارة الوحيدة على السطو بالمروحية عندما صرَّح ميلكوفيتش بأنه يخطط لشيء ما في الخامس عشر من أيلول، ولكن ذاك شيء يعرفه الصربيون منذ البداية.

ارتقت كارولاين ثورن السلالم بعناء، ثم اجتازت أروقة مركز الشرطة متجهة إلى مكتبها الخاص في آخر الرواق. أوشكت على المرور بجوار ماتس بيرغرين عندما لمحها وصرخ.

توقفت ثورن. كانت الشمس منخفضة في الصباح، وقد بدت هي كمحض ظل عند المدخل.

سأل: «كيف تجري الأمور؟».

قالت: «ستكون باناكسيا».

أقنعتها المعلومات الخاصة بانتقالهم الوشيك.

وضعت يدها اليسرى عاليًا فوق إطار الباب مما جعل كُمَّ قميصها ينزلق إلى أسفل

الذراع. لو كان الضوء مختلفًا لما تمكَّن بيرغرين من رؤية ذلك مطلقًا، لكن البشرة الناعمة التي تغلف الندبة تلألأت عند رسغ ثورن. يميز بيرغرين ذلك النوع من الجروح مباشرة.

أوشك أن يسألها عن شيء آخر حول مستودع النقود في بروما، لكنه أضاع سلسلة أفكاره. لو أن غيره في مكانه لما أثَّر عليه ذلك الاكتشاف بهذا الشكل.

لاحظت أن بعض التغيير طرأ على زميلها.

تساءلت كارولاين: «فيمَ تُفكر ماتس؟».

غمغم: «كلا، كلا... لا شيء».

هزَّت كتفيها لامبالية وغادرت غرفته.

34

نظرت أليكساندرا سفينسون إليه باهتمام: «ميشال ، تبدو مكتئبًا نوعًا ما ؟».

كان الوقت قبيل الغداء وهما يتمشيان على الجسر في اتجاه سكيبسهولمن ، ويتظاهران بأنهما لا يتجمدان بردًا.

انتهى الصيف وحلَّ الخريف بدون إثارة أي ضجة ، وعلى الرغم من هذا ارتدت أليكساندرا ملابس صيفية: تنورة وقميصًا مع سترة صوفية خفيفة. لم يكن ذلك خيارًا جيدًا.

حاولت مع ميشال منذ أسابيع لإقناعه بالذهاب معها إلى متحف الفن المعاصر ، وأخيرًا استجاب لها.

إنه الآن نادم على ذلك بالفعل.

كان يوم ثلاثاء ملبدًا بالغيوم ، وقد توافق الجو مع مزاج معلوف بشكل كبير. لم يغادر الفراش حتى في عطلة نهاية الأسبوع.

اختبر ميشال نكسات عديدة من قبل ، يستطيع القول بدون مبالغة إن تسع خطط من أصل عشر كانت ستُلغَى. يشبه عالم الجريمة مفاصل الحياة الأخرى ، فهو قائم على الآمال والأحلام ، وأكثر الأفكار جموحًا تعني أنها ستتحقق بالكاد. الأمر أشبه بعلبة الشوكولاتة ، شيء ذو مذاق حلو تتذوقه للحظات وحسب.

ذهبت الأمور في بعض الأحيان إلى أبعد من هذا ، حيث تبدأ في التخطيط الفعلي لعمل ما ، ولكن ذلك يعني القليل ، ولم يكن من غير المعتاد أن تستمر في الأمر بعد أن يدرك كل الأشخاص المشتركين فيه أنه لن يفضي إلى أي شيء إطلاقًا. إن التغيير في حد ذاته متعة ، تخيُّل كل تلك الإثارة والنجاح دون أن يتوجب عليك القيام بأي مخاطرة. كان مستودع النقود في فاستبيرغا أمرًا مستبعد الحدوث.

أُجبر الآن على اعتبار الأمر منتهيًا مع بقاء بضعة أيام فقط على القيام به ، بعدما اعتقدوا أنهم وضعوا كل شيء في مكانه ، وأن تنفيذه أمر بعيد عن الشك. كان ، كما قال سامي ، أمرًا متعلقًا باكتشاف الخطة البديلة «و».

لهذا السبب بقي معلوف في المنزل أثناء عطلة نهاية الأسبوع.

في يوم السبت أرسل رسالة يقول فيها إنه لن يتمكن من لعب مباراة كرة القدم التي خطط لها في ذلك المساء، وبدلًا من ذلك طلب البيتزا، وأخرج مخططات البناية في فاستبيرغا ونثرها على أرضية غرفة معيشته. وفي يوم الأحد اتصل بوالدته وأخبرها أنه لا يشعر بخير، وبدلًا من الذهاب إلى غداء الأحد مع والديه وإخوته ذهب إلى كونغينس كورفا واشترى الطعام من ماكدونالدز.

يكمن الجواب في مكان ما على الأرض في أحد المخططات. لن يتمكنوا من تفجير حفرة في السطح، ولا بد من وجود طريقة أخرى للدخول. لا شك أن تحطيم زجاج المنور سيكون سهلًا، لكن ماذا سيفعلون بعد ذلك، ليس هناك شيء أسفل القبة سوى ستة طوابق من فراغ، ربما كانت هناك نافذة على الشارع في الطابق السادس يمكنهم استخدامها للدخول.

أجاب أليكساندرا بدون أن ينظر في عينيها: «كلا، كلا. أعتقد أنني أشكو من الزكام. هذا كل شيء».

هزَّت رأسها نفيًا. لديها جسد متميز، ولأنها أطول منه بعدة سنتيمترات فقد بدا الفرق بينهما واضحًا كلما خرجا للتنزه معًا.

كانت الأمواج تتلاطم أسفل جسر سكيبسهولمن والرياح شديدة. ركضا نحو الجزيرة على الجانب الآخر.

«زكامٌ حقًّا؟ لم تقل شيئًا بخصوص ذلك بالأمس».

اتصلت به أليكساندرا في وقت مبكر في صبيحة الاثنين، وقد قرر مسبقًا أن إستراتيجية الاحتجاز داخل فيتيا أمر غير محتمل. لم يكن ميشال حقًّا من النوع الذي يستسلم بسهولة، والأزمات تجعله أكثر عزمًا لإثبات العكس.

اشتكت أليكساندرا: «يبدو الأمر كأنني لم أكن في المنزل منذ أسابيع. أقصد في المنزل معك».

عندما طلبت منه أن يلتقيا على الغداء في متحف الفن المعاصر في اليوم التالي، رفض

في البداية، لكنها لم تكن من النوع الذي يستسلم للرفض. لم يستغرق الأمر طويلًا قبل أن تقنعه، وفي الطريق إلى هناك بدا ممتنًّا لذلك، على الرغم من اهتمامه الضئيل بالفن، لأنها سحبته خارجًا نحو الضوء.

قالت بينما كانا مستمرين في صعود التل على الجانب الآخر من الجسر: «تبدو الأمور في بعض الأحيان... ميؤوسًا منها».

وافقها: «نعم، نعم. هذا صحيح».

«ربما لأن شيئًا ما حدث، شيئًا لم تكن تتوقعه. يمكنك دومًا أن تتعامل مع الأشياء التي تتوقعها، أليس كذلك؟».

أومأ معلوف: «بلى».

أكملت: «تعترف إذًا بأن شيئًا ما حدث».

أصر معلوف: «أعتقد أنه مجرد زكام في بدايته».

قالت بإلحاح: «لنقُل إنه ليس كذلك. قل إن الأمر كما ذكرته، شيءٌ قاسٍ قد حدث، ولهذا تبدو كأنك ترغب في شنق نفسك أو شيء من هذا القبيل».

لم يجب معلوف. كان يتطلَّع إلى الأمام، مستمرًّا في صعود التل نحو مبنى المتحف الذي لم يعد المهندس الإسباني راغبًا في أن تكون له أي علاقة به بعد العديد من التغييرات السياسية.

أكملت أليكساندرا: «ذلك هو الوقت الذي يجب عليك فيه أن تجد القوة الإضافية ميشال. القوة التي نمتلكها هي التي جعلتنا نقطع كل تلك المسافة. أنت تعلم».

لم يستطع منع نفسه من الابتسام، ومرر يده على لحيته. في كل مرَّة بدت فيها الأمور سيئة كانت هي بجواره تدعمه. ولكن على الرغم من حصوله على دعمها الرائع، فقد شعر في الوقت نفسه بالذنب. اعتاد معلوف على عيش حياة مزدوجة طوال تلك السنوات التي عمل فيها في مركز للشباب في فيتيا. تصورت عائلته وأصدقاؤه أن ذلك هو السبيل الذي يجني منه نقوده كقائد للشباب، ولم يعرف أحد أنه في أواخر الليل يُسدل القناع على رأسه. بالإضافة إلى حياته التي تحترم القانون وجد لنفسه مهنة أخرى كذلك. كان نمطًا

أكثر راحة في الجمع بين مهنتين ، هذا كل ما رغب فيه ، ولم يكن يزعجه على الإطلاق.

لكن مع أليكساندرا ، فالأمور مختلفة ، فهو يشعر براحة أقل كلما كذب عليها.

كانت مصدر معلوماته منذ البداية ، مجرد طريقة لاستيضاح الأمور بخصوص «م4أ» ، ولكن بعد عدة أشهر لم يعد يفكر بتلك الطريقة نفسها. أصبحت جزءًا من حياته ، جزءًا يكبر بشكل متزايد ، وبدونها لا يعلم إن كان يستطيع لملمة شظايا حياته معًا مرَّة أخرى.

بدلًا من ذلك ، أدرك أن أحد أسباب تنفيذه لتلك الخطة ، هو أنه يستطيع البقاء بعد ذلك مع أليكساندرا سفينسون بدون أي مشروعات مستترة. وقد انتظر ذاك اليوم بلهفة.

وصلا إلى الباحة خارج المتحف ، وتوقف معلوف.

وافقها: «نعم نعم. يجب أن تكون قويًّا ، ولكن يجب أن تكون واقعيًّا أيضًا. كونك متفائلًا لا يعني بالضرورة أنك حالم».

قالت أليكساندرا بحزم: «عليك أن تجد حلًّا جديدًا. أنا معجبة بك ميشال ، فأنت من أكثر الناس الذين قابلتهم سعادةً. تبدو كأن لا حواجز أمامك ، كأنك تقوم بتمهيدها».

قال معلوف: «كلا.. حسنًا».

ضحكت وهي تستخدم لقبه الذي يكرهه: «تعال ميكي».

قال مع ابتسامة: «نعم نعم. سأتدبر الأمر».

نظر إلى شفتيها المكتنزتين الورديتين وهما تلتمعان ، تلكما الشفتان اللتان تأبيان التوقف عن الكلام. رفع نظره والتقى بعينيها الزرقاوين وهما تتطلعان إليه ببراءة.

قالت: «ابتهج الآن. هل يمكنني فعل شيء لمساعدتك ؟».

ضحك ثانيةً. ما أسهل قراءته ، وكم كانت محقة.

«نعم نعم... يمكنكِ المساعدة».

«أخبرني كيف إذن ؟».

«بالسماح لي بالتملُّص من الذهاب إلى المتحف اليوم».

أجابت ضاحكة وهي تسحبه نحو المدخل: «على أية حال أعتقد أن بإمكاني المساعدة بطريقة أخرى».

35

جلست مفوض الشرطة الوطنية ثيريس أولسون داخل غرفة كبيرة مؤثثة بشكل جميل تطل على المتنزه. حتى الآن لم يكن هناك أثر للأوراق الحمراء أو الصفراء على قمم الأشجار المتشابكة. نظرت إلى ثورن وبيرغرين من خلف مكتبها عندما دخلا إلى الغرفة.

«كارولاين.. ماتس.. اجلسا. لارس في طريقه إلى هنا».

كان من بين صفات أولسون العديدة قدرتها المدهشة على تذكر الأسماء.

إنها سياسية محترفة، ولا بد أنها كانت شرطية جيدة، هكذا فكرت ثورن، ولكن ذلك كان منذ فترة طويلة ومن الأفضل لها الآن أن تكون قائدة جيدة.

تعود مشاركة هيرتز في ذلك الاجتماع إلى مبادرة من كارولاين. قد لا يمتلك المدعي العام الخبرة، لكنه أظهر نوعًا من الحزم. علمت ثورن أنه لن يبادر من جانبه، لكنها لم تعد خائفة من تسببه في إفشال العملية.

أثناء انتظار المدعي العام خاضوا في حوار قصير عن السفراء والماخور في كارلافاغين، وكيف سيكون ردَّ فعل وزير العلاقات الخارجية عندما يحين الوقت لتدخُّل المدعي العام.

ظهر هيرتز بعد العاشرة، وجلس متقطع الأنفاس على أحد الكراسي أمام المكتب.

قالت أولسون: «حسنًا. أتشوق جدًّا الآن لمعرفة ما لديكم».

شرحت ثورن الموقف باختصار، وكل الذي توصلوا إليه بخصوص باناكسيا في بروما. وعندما انتهت قام المدعي العام بطلبه الأول كما أشارت عليه كارولاين هذا الصباح.

قال هيرتز: «نرغب في نقل مروحية الشرطة من القاعدة في مايتنغ».

«نقلها؟».

أوضح ماتس بيرغرين: «سيكون نقلها أقل تكلفة من زيادة المراقبة عليها هناك».

كان يعلم الحجة الأكثر تأثيرًا.

بدأت أولسون: «هل تعتقدون حقًّا؟».

قالت ثورن: «ستحدث السرقة في الخامس عشر من الشهر، ولدينا معلومات بأن اللصوص سيحاولون تدمير مروحية الشرطة الوحيدة في منطقة ستوكهولم، فلماذا لا

نقلها إذًا؟».

«وأين ستذهب؟».

أكمل هيرتز: «نقترح تركها مع فريق المهمات الوطنية في سورين ثورب حتى إشعار آخر».

لم يكن قرارًا كبيرًا، لكن أولسون تعوَّدت على جمع النقاط التي تتمكن منها، ونتيجة لهذا بدت مترددة في البداية، وكتبت بعض الكلمات على قصاصة ورقية فوق مكتبها، ثم أومأت بالموافقة.

قالت أخيرًا وهي تتطلع إلى كارولاين بتركيز: «لدينا فكرة مماثلة. كنتُ أخطط للتحدث إليكم بخصوص فريق المهمات الوطنية».

لم يُعلق أحد، مع أن أولسون تركت لهم مجالًا واضحًا لقول شيء ما.

أكملت: «نعم. حسنًا. كما تعرفون فإن التحقيقات الأولية صُنفت كحدث استثنائي».

قال بيرغرين: «نعلم».

أشار المدعي العام هيرتز باستياء لأن الفضل لم يُنسب إليه في ذلك: «وفقًا لمبادرتي، كان اقتراحي أن نصنفه كحدث استثنائي».

يعني الحدث الاستثنائي في قوة الشرطة الجنائية الوطنية أن تكون القضية في أعلى سلم الأولويات، وتُمنح اهتمامًا وتأهبًا متزايدين نتيجة لهذا. ويشمل الحدث الاستثنائي أي شيء بدءًا من محاولة اغتيال سياسي رفيع وحتى التهديد الإرهابي الجاد.

قالت أولسون وهي لا تُلقي بالًا لتفكير المدعي العام المحدود: «ولهذا، توصلنا إلى استنتاج أنه يجب علينا الاتصال بفريق المهمات».

خيَّم الصمت على الغرفة، ونظرت كارولاين إلى الأسفل كأنها تتفحص أظافرها، بينما عانى ماتس بيرغرين صعوبةً في التظاهر بالهدوء.

قال: «ماذا تعنين بحق الجحيم؟ لماذا تجلبين ذلك الجيش الزائف كي يعبث بهذا الأمر؟ ألا تعتقدين أنه بإمكاننا التعامل مع هذا الوضع؟».

قالت أولسون بتأنٍ: «هذا قرار توصلنا إليه بالإجماع».

تساءل بيرغرين: «بالإجماع؟».

أوضحت أولسون: «مع أوامر مشددة، حتى إن كارلبرينك اشترك في النقاش».

قالت ثورن: «أوامر. لأن ذلك ليس جيدًا، فكلما عرف المزيد عن هذا الأمر تزايدت فرص التسريب».

احتدَّت أولسون: «هل تعتقدين أن كارلبرينك... رئيس فريق المهمات الوطنية، لا يمكنه الاحتفاظ بسر؟».

كررت كارولاين التي لم تعد تتمكن من إخفاء انزعاجها مطولًا، ونظرت إلى الأعلى مباشرة في عيني المفوض: «لا أعني أي شيء سوى أنه كلما زاد عدد الأشخاص الذين يعرفون تعاظمت احتمالات التسريب. هذه قضيتنا ثيريس ونحن نسيطر عليها، ألا تعتقدين أن بإمكاننا تدبُّر الأمر بدون أحذية ذلك الجيش وبنادقه المرتدة؟ أنتِ رئيستنا، أليس لديكِ أي إيمان بموظفيك؟».

تساءل بيرغرين: «هل نتحدث عن فريق المهمات بأكمله؟».

أوضحت أولسون: «ومسلحٌ بالكامل، ومصحوب بأوامر بإسقاط أي مروحية إذا تطلَّب الأمر».

أشارت ثورن: «نحن نتحدث عن عملية سطو، ربما تكون متميزة ومُخططًا لها بشكل أفضل من أي أمر آخر، لكنها تبقى عملية سطو وليست انقلابًا. تمتلك قوات الشرطة الموارد الكافية التي تُمكِّنها من مواجهة هذا، ولسنا بحاجة إلى مساعدة من...».

قاطعتها أولسون: «ليست الشرطة الصربية الوحيدة التي تتابع هذه القضية، فالشرطة الدولية تتسلَّم المعلومات بانتظام عن آخر التطورات، ووزير العلاقات الخارجية لديه اهتمام شخصي بالموضوع أيضًا، وإذا خذلناه فلن يتمكن وزير العدل من قول شيء حينما يناقشون الموارد في الميزانية المقبلة».

«السياسة؟».

امتلكت كارولاين ثورن اهتمامًا ضئيلًا ببضعة أشياء، وكانت تُغضبها كذلك. أدركت أن هذا لم يكن أمرًا بسيطًا يتعلق بعمل الشرطة، لأنه مرتبط بغرور الوزراء، والطريقة

التي تُوزّع بها الولاية مواردها.

نهضت ، ثم قالت: «حسنًا. ليتدبر فريق المهمات الوطنية الأمر».

وقف المدعي العام أيضًا وأومأ بجفاف. خامر ثورن إحساس بأنه ، وبطريقة ما ، كان مشتركًا في ذلك القرار.

قال بيرغرين الذي جاهد بدوره للنهوض من مقعده: «نعلم أين ومتى سيضربون ضربتهم ، وعند هذه المرحلة ومع تقديم كل شيء إليهم على طبق من فضة ، فحتى فريق المهمات يستطيع القيام بهذا».

أجابت أولسون: «سيكونون مستعدين خارج باناكسيا في بروما بدءًا من الساعة 23 في الرابع عشر من أيلول ، ولكن دعونا نوضح شيئًا واحدًا ، حتى ذلك الوقت ستبقى هذه قضيتكم وأنتم مسؤولون عنها».

36

أوقف جاك كلوغر سيارته الجيب في موقف سيارات نادي اليخوت الملكي السويدي ، وعبَر الجسر متجهًا نحو جزيرة ريستورانتهولمن ، وقد انتصب عند الخليج خلفه غراند هوتيل الرائع في سالتسيوبادينز ، لكن البيوت الكبيرة البيضاء لم تؤثر على الرجل الذي وُلِد وترعرع في تكساس. بالنسبة إليه كانت طبيعة ستوكهولم وجزرها الداخلية غريبة جدًّا. أحاطت به الصخور المكسوة بالطحالب والطريق المؤطر بأوراق الأشجار الإبرية المتساقطة وأشجار الصنوبر والراتينج التي تُشكِّل أغصانها السميكة كهفًا أخضر من حوله ، وكانت رائحة الماء الآسن في باغينسفياردن تحوم فوق الجزيرة.

لم يذهب كلوغر إلى هناك من قبل ، لكنه عرف مباشرة أن البناية الطويلة الخشبية التي ترتفع فوق الصخور عند جرف الماء هي المكان الذي يبحث عنه. إنها حمَّامات ستوكهولم المكشوفة بالغة القِدم.

في بداية القرن العشرين أوكلت مهمة بناء الحمَّامات إلى مهندس يُدعى توربين غروت ، صمَّم حديثًا قصر الملك الصيفي في أولاند ، ولديه رؤى فخمة للمدرج على المنحدر النازل إلى الماء. كان الأشخاص يستطيعون الجلوس في مقصوراتهم العالية ليشاهدوا السباحين وهم يقفزون من الجرف الناتئ تحتهم. لكن النقود نفدت قبل أن يكتمل البناء ، مما جعل الأرصفة والجدران الخشبية العالية والشرفات الضيقة أقل شبهًا بالنمط الإغريقي ، وأكثر طبيعية.

في أيلول كانت الحمَّامات الخارجية القديمة مع أجزائها الثلاثة المخصصة للرجال والنساء والحوض المشترك ، قد هُجرت في هذا الموسم.

وجد كلوغر طريقه إلى الداخل ، وأبصر مباشرة رفيقه الذي جلس في إحدى الشرفات يتحدث هاتفيًا. تسلَّق الأمريكي سلمًا لولبيًا ضيقًا ، وحذاؤه الملون يُصدر صوتًا عاليًا فوق السلالم الخشبية.

صرخ زوران ميلكوفيتش من مكانه: «يا إلهي ، أنت تصدر الكثير من الضجة».

حشر كلوغر نفسه عبر درابزين الشرفة ، بينما تندفع أمواج الخليج نحو الصخور على

ارتفاع خمسة عشر مترًا تحتهما. بدت السماء رمادية واليوم باردًا، وكلما اقترب الأمريكي أكثر، أصبح الرجل اليوغسلافي النحيل الذي ينتظره برداء حمَّام أبيض أكثر وضوحًا.

تساءل ميلكوفيتش، وكلوغر على بُعد بضع خطوات فقط: «أين ملابس السباحة بحق الجحيم؟ هذا المكان مخصص للسباحة».

حدَّق جاك كلوغر في الرجل اليوغسلافي وهو لا يعلم إن كان يمزح معه. لم يلتقِ الرجلان قبل ذلك قَطُّ، وفي الحقيقة لم يسمع جاك كلوغر عن ميلكوفيتش إلا منذ ثلاثة أيام فقط.

قال زوران باللغة الإنجليزية: «اذهب وبدِّل ملابسك أولًا. أحضرتُ رداء حمَّام إضافيًّا، ستجده مُعلقًا في غرفة التبديل».

«هل تمزح؟».

بدا الأمريكي مصدومًا بشدة.

ابتسم ميلكوفيتش: «أنت لا تعرفني، كما أني لا أعرفك، فهل هناك طريقة أفضل لبناء صداقة أكثر من الاشتراك في التعري؟».

حدَّق كلوغر وهو محمرُّ الوجه. لم يكن في المكان سواهما، واليوم ليس ملائمًا للاستحمام.

سأل أخيرًا: «تعتقد أنني أتنصت عليك؟».

أجاب زوران: «لا أعتقد شيئًا. اذهب وبدِّل ملابسك فقط».

هزَّ كلوغر كتفيه استهجانًا، وقفل راجعًا عبر السلالم اللولبية. وجد غرفة التبديل ورداء الحمَّام الأبيض مُعلقًا بداخلها. خلع كل شيء عدا سرواله الداخلي، ووضع رداء الحمَّام، ثم عاد عبر السلالم. ولإظهار حسن النية قام بفتح الرداء كي يرى اليوغسلافي أنه لا يمتلك سلاحًا أو أي جهاز تنصت مربوط إلى جسده العاري.

قال ميلكوفيتش: «اجلس، اجلس».

جلس كلوغر على المقعد المستطيل.

«هل أنت متأكد أنك وحدك؟».

تساءل الأمريكي: «هل تظنني مجرد هاوٍ لعين؟».

بدا ميلكوفيتش متوترًا، فهو لا يزال تحت المراقبة، وقد اضطُر إلى خداع ضباط الشرطة في كل مرَّة يكون لديه اجتماع ما. وجد بالأمس جهاز تنصت في مطعمه في أبلاندسغاتان، فاستدعى يانوس الذي استخدم معداته في العثور على خمسة أجهزة تنصت أخرى في الشقة. ووجد لاحقًا في ذاك اليوم اثنين آخرين تحت الطاولة في مكانه المعتاد في مقهى موبيل.

ترك ميلكوفيتش كل أجهزة التنصت في أماكنها، فمن الأفضل ترك الشرطة تعتقد أنه يجهل أمر التنصت عليه.

قال مع إيماءة: «حسنًا. أنا زوران ميلكوفيتش. تشرفتُ بمعرفتك».

بدا زوران ميلكوفيتش رجلًا أوروبيًّا مثاليًّا في عيني الأمريكي.

حدث كلوغر نفسه: إن له مظهرًا معينًا، لا يبدو إسكندنافيًّا، ولا فرنسيًّا، ولا إنجليزيًّا، ولا إيطاليًّا، إنه أوروبي فقط، ربما يتعلق ذلك برؤوسهم التي تبدو صغيرة غالبًا.

قال ميلكوفيتش: «يجب عليَّ أن أنقل إليك تحيات باسر باليك. سمعتُ أنكما قمتما ببعض الأعمال معًا».

إذا كان جاك كلوغر قد عمل مع باليك فسيكون لذلك صدى جيد عند ميلكوفيتش. علم كلوغر عن ميلكوفيتش من المصدر نفسه، لكنه كان أقل تحديدًا أيضًا، وبما أنه سيحصل على نقوده مضاعفة فسيأتي دائمًا.

قال اليوغسلافي: «يتضمن العمل الطيران ليلًا، وعلى ارتفاع منخفض».

أومأ كلوغر مع ابتسامة واسعة، مُظهرًا أسنانه البيضاء: «سمعتُ ذلك، وقد قمت به سابقًا، آلاف الساعات في جبال وأودية أفغانستان. أستطيع القيام بذلك».

قال ميلكوفيتش وهو ينظر بعيدًا نحو الخليج، بينما الأمواج تزبد وهي تتدفق نحو البناية ثم تتكسر على الرصيف: «اللعنة. يتلخص معنى الحياة بالكامل في الطيران على علو منخفض ثم الهبوط بسلام».

اعترف كلوغر: «هذا ممكن».

كان ذلك سبب مكوثه في السويد. عملٌ واحد يؤدي إلى آخر بشكل مستمر ، لا شيء ضخمًا أو ذا أجر كبير ، ولكن كمية كافية من النقود للاستمرار.

مرَّ وقت طويل منذ جلوسه خلف وحدة التحكم في المروحية ، وأصبح يتوق إلى الطيران في الهواء مجددًا.

أضاف ميلكوفيتش: «الأمر يقتضي أن تُبقي فمك مُغلقًا ، وتكون وفيًّا أيضًا».

تحوَّل لون وجه كلوغر إلى الأحمر ثانيةً ، ثم تساءل: «إلى مَن تظنُّ أنك تتحدث بحق الجحيم ؟».

انحنى الرجل ذو الأكتاف العريضة إلى الأمام ، وذكر قائمة بالأعمال التي قام بها ، ولا تخص أعمال باسر باليك وحسب. كان من الممكن التأكد بسهولة من بعض ما قاله ، ولو ثبتت صحته فلا ريب أن جاك كلوغر يمتلك الكثير من الخبرة.

اتفقا على صيغة الدفع ، وبما أن الوقت المتبقي قليل فليس هناك داعٍ للغموض. أخبره ميلكوفيتش بكل شيء ، وأكد كلوغر أنه سيكون على أُهبة الاستعداد.

لم يذكر كلوغر لحظات التشوش التي تصيبه عدة مرَّات في الأسبوع ، والتي منعته من وضع قدميه في مروحية منذ أن غادر أفغانستان. لم يكن متأكدًا إن كان يمكنه الوثوق بنفسه ، ولكن فات أوان ذلك الآن ، ومن وجهة النظر التقنية البحتة يبدو العمل بسيطًا.

«أريد نصف المبلغ مُقدمًا».

أومأ ميلكوفيتش: «لا مانع».

تصافحا ، ثم ترنح ميلكوفيتش عندما وقف على قدميه ، وقال وهو يحاول ألَّا ينظر إلى الماء في الأسفل: «يا إلهي ، إنه لمرتفع».

قال كلوغر: «لستَ مَن سيطير معي ، أليس كذلك ؟».

ضحك ميلكوفيتش ، وقال: «يجب أن تُبدِّل ملابسك أولًا. سأنتظر حتى تنتهي وتذهب».

أومأ كلوغر ، واختفى أسفل السلالم في رداء الحمَّام الأبيض. انتظر زوران خمس عشرة دقيقة ، ثم ارتدى ملابسه هو الآخر.

في طريق عودته نحو أبلاندسغاتان إلى متعقبيه والمتنصتين عليه من الشرطة ، شعر أنه أصبح أخف وزنًا مما كان عليه منذ مدة.

ها هو ميشال معلوف قد حصل على طيار مرَّة أخرى.

هناك شرفة في الطابق الخامس.

لمحها ميشال معلوف بعد رحلته المملة إلى متحف الفن المعاصر.

افترق عن أليكساندرا سفينسون خارج الغراند هوتيل، وذهب إلى مخططاته في المنزل. لم يسبق له أن منح الطابق الخامس ذلك الاهتمام المجنون الذي منحه للطابق السادس وهو يقوم بتفقد الطوابق، لكنه لمحه مباشرة عند تحديقه في المخططات على الأرض بجوار طاولة الطعام. رأى شرفة صغيرة تطل من الطابق الخامس على الردهة المفتوحة في وسط البناية، مما يعني إمكانية المرور عبر السقف الزجاجي.

إذا قاموا بتحطيم الزجاج واستخدموا سلمًا طويلًا فربما يستطيعون الوصول إلى الشرفة.

أخرج معلوف هاتفه واتصل بسامي.

قال: «هناك شرفة، تبدو مثل نتوء صغير. يمكننا استخدام السلالم، واحد للنزول وآخر للصعود».

تساءل سامي: «هل أنت متأكد من ذلك؟».

أجاب معلوف: «نعم نعم، لكني سأتأكد من الأمر أيضًا مع نيكلاس».

قال سامي بإصرار: «هذه هي الخطة، أشعر بذلك. هل يُجيد نيكلاس التعامل مع السلالم؟».

غمغم معلوف: «إنه يُجيد كل شيء».

أكمل سامي: «ربما يستطيع معرفة طول السلم الذي نحتاج إليه. الأمر يتطلب سلمًا لعينًا طويلًا حقًّا. تعرف ما أعنيه؟».

«سأتحدث مع نيكلاس».

أغلق معلوف الخط. شعر بدقات قلبه تتسارع في صدره، وشعر أنه أصبح يجلس بصورة مستقيمة. لقد عاد ثانيةً.

في ذلك المساء قضى نيكلاس نوردغرين عدة ساعات على مخططات فريتين 7 في

غرفة هواياته، وعندما أدرك ما يبحث عنه لم يستغرق الأمر طويلًا حتى عثر على الشرفة في الطابق الخامس.

ظل معلوف وفرحان ونوردغرين طوال الليل وحتى ساعات الصباح الأولى على اتصال دائم من هواتف مختلفة ومن شرائح اتصالات مختلفة. تحدثوا بالرموز والجمل المتقطعة خشية أن يكون هناك مَن يتسمَّع إليهم.

أكد نوردغرين أنه ليس من المستحيل عليهم تحطيم الزجاج على السطح وإنزال سلم نحو الشرفة.

صُنع الجدار المطل على البهو الفارغ في الطابق السادس من زجاج مضاد للرصاص، ووُضِع من أجل السماح للضوء بالتسلل إلى ما افترُض أنه طابق معتم تمامًا.

«ماذا سنفعل بذلك بحق الجحيم؟».

طمأنهم نوردغرين. كان لوقع كلمة زجاج مضاد للرصاص تأثير أكبر مما هو عليه في حقيقة الأمر. لا يُمثِّل استخدام السلم الأقصر للتسلُّق من الشرفة في الطابق الخامس وتفجير فتحة في الزجاج في الطابق السادس أدنى مشكلة، لكن الانفجار سيتسبب في تساقط الزجاج على الشرفة، مما يعني أن المكان الوحيد الذي يمكنهم الاختباء فيه هو السطح.

يجب عليهم النزول إلى الشرفة، ثم وضع المتفجرات على الزجاج المصفح، ثم العودة إلى السطح ثانيةً بعد التأكد من طول سلك التفجير بالدرجة الكافية التي تسمح باصطحابه معهم إلى السطح.

أوضح سامي أن هذا سيعني جحيمًا من الصعود والنزول.

قال نوردغرين بجفاء: «سنتدبر الأمر. الأبواب ستكون أسوأ».

عند دخولهم من الزجاج المصفح في الطابق السادس سينتهون تمامًا في الغرفة المجاورة لقسم إحصاء النقود، ويفصل هاتين الغرفتين باب للحريق وباب مصفح آخر.

«ماذا يعني الباب المصفح بحق الجحيم؟».

«إنه من الفولاذ السميك. أبواب الحريق سهلة جدًّا، لكن الأبواب المصفحة أمر في

منتهى السوء».

«في منتهى السوء؟ هل تستطيع التعامل معه؟».

«فتحُ الباب المصفح أسهل كثيرًا من شق الطريق عبر السقف الكونكريتي».

ذكَّره معلوف: «لدينا عشر دقائق فقط».

قال نوردغرين بحذر: «هذا مستحيل. عشر دقائق ليست كافية، ربما لو امتلكنا خمس عشرة؟ وسيكون علينا أن نحصيها».

قال معلوف: «ليس بعد الآن».

قال نوردغرين: «حسنًا. دعنا نقل خمس عشرة».

بدا سامي مسرورًا.

السؤال الآن: كم سيكون طول السلم من السقف إلى الشرفة؟

طبقًا للمخططات، فإن الطابقين الخامس والسادس ارتفاعهما معتدل. وطبقًا لمعلوف، فإن أليكساندرا سفينسون خمَّنت أن السقف على ارتفاع ثلاثة أمتار.

تساءل نيكلاس: «كيف ستسألها عن ذلك بحق الجحيم؟».

قال معلوف: «إنها تتحدث أكثر من زوران. أنا لا أسأل، أنا أصغي فقط».

«كيف ستتدبر ذلك؟».

«بالضبط، بالضبط. هذا سؤال جيد».

معنى ذلك أن هناك ستة أو سبعة أمتار بين أرض الشرفة في الطابق الخامس وسقف الطابق السادس. وسُلَّم بطول اثني عشر مترًا سيتركها مع مترين إضافيين عندما يُدخلونه عبر المنور.

لم يكن ذلك احتياطيًّا بالقدر الكبير، لكنه سيكون كافيًا.

38

لم تكن كارولاين ثورن من ذلك النوع من ضباط الشرطة الذين يُسلمون أمورهم للمصادفة. في مساء الأربعاء اتُّخذ القرار بالسماح لفريق المهمات الوطنية بمراقبة مستودع باناكسيا للنقود في بروما بدءًا من ليلة الرابع عشر من أيلول ، لكن في مساء الجمعة بدأت الشكوك تخامرها.

تشير معظم المعلومات لديهم إلى باناكسيا ، لكنها أصبحت تشك في ذلك.

ما الذي يضمن ألَّا يكون مستودع «م4أ» في فاستبيرغا هو هدف السطو بالمروحية ؟

كانت كارولاين في الصالة الرياضية ، ومع كل كيلومتر تقطعه على آلة الركض يتزايد ذلك الشعور. أخيرًا وجب عليها أن تذهب إلى غرفة تبديل الملابس وتتصل ببيرغرين ، وكان لا يزال في المكتب في كونغسهولمن ، فتنهَّد بصوت مرتفع عندما أخبرته عن حدسها.

«وأنتِ أدركتِ ذلك في الساعة الثالثة والنصف من يوم الجمعة ؟».

«ماذا تقصد بذلك ؟».

أوضح ماتس: «الأشخاص يتوجهون إلى منازلهم كارولاين. إنها عطلة نهاية الأسبوع وهم يرغبون في قضاء وقت مع عائلاتهم ، يتناولون رقائق البطاطا ويشاهدون بعض برامج المسابقات الكوميدية على التلفاز».

لم تكن ثورن تشاهد برامج المسابقات ، وهي حتى ليست متأكدة إن كان هناك تلفاز في الشقة في ستراندفاغين.

طالبت قبل انتقالها إلى الشقة ذات الغرف الثماني والمناظر المطلة على المياه ، شركة المزاد العلني بوكوفسكي ببيع كل ما يستحق البيع في الشقة ، وما تُرك هناك خُبِّئ في إحدى الغرف المطلة على الباحة.

كان ذلك قبل ست سنوات من اليوم ، ولم تفتح كارولاين تلك الغرفة بعد. يمكنها أن تتعامل مع هذا الأمر يومًا ما ، ولكن ليس الآن.

أكمل بيرغرين: «إضافةً إلى أن «م4أ» لا تتطابق مواصفاتها مع المعلومات الموجودة

لدينا ، فالبناية في فاستبيرغا ذات ستة طوابق ، ونحن نعلم أن باناكسيا ستُجري انتقالًا كبيرًا في اليوم السابق للعملية ، مما يعني وجود أشخاص كُثر يتحركون عبر المكان ومع تحصين أقل».

أجابت كارولاين: «هذا ما قالته المعلومات التي وصلتنا ، وقد تختلف إذا عرفناها بأنفسنا. أريد التأكد مرَّة أخرى».

حرص بيرغرين على ألَّا يتنهد بصوت مرتفع مرَّة أخرى.

لا ريب أن رغبة كارولاين في امتلاك زمام الأمور كبيرةٌ بقدر شهية بيرغرين للطعام.

سأل: «هل تريدين مني القيام بشيء ما ؟».

أجابت ثورن: «لستُ في حاجة إلى ذلك».

ودَّت لو أضافت أنه عصر الجمعة ويجب عليه أن يمنح الأولوية لعائلته ، لكنها أدركت أنها لا تعرف إن كان لدى ماتس بيرغرين عائلة أم لا.

لا تحب كارولاين ثورن توجيه أسئلة شخصية إلى زملائها ، تجنبًا لتلقي أسئلة من النوع نفسه في المقابل.

في ذاك المساء من يوم الجمعة المتلبد بالغيوم ، قادت قائدة فريق العمليات سيارتها عبر تيغيلباكين ، وعلى طول نور مالارستراند نحو المنعطف عند طريق إيسينغيليدين السريع. وكالعادة كان هناك زحام شديد في اتجاه الجنوب ، فاضطرت إلى الانضمام إلى قافلة طويلة من الشاحنات كي تغادر الطريق السريع عند مخرج شارع فاستبيرغا ، وقد أصبح الشارع الذي يمر مباشرة خلال المنطقة الصناعية مهجورًا.

غالبًا ما ينتهي العمل عند أرصفة التحميل مبكرًا في مساء نهاية الأسبوع ، وتكون المكاتب فارغة أصلًا. قادت ثورن ببطء مرورًا بالمباني الخالية ، ثم توقفت عند اقترابها من مبنى «م4أ» عند زاوية فريتين بورغسفاغين. يستمر العمل هنا لسبعة أيام في الأسبوع ، لكن حتى مستودعات النقود بدت هادئة مساء الجمعة.

حدَّقت ثورن من النافذة الجانبية. بدت البناية ذات الطوابق الستة مثل قلعة من الداخل ، وكان قبو مستودع النقود في مكان مختلف تمامًا عن خزانة باناكسيا في بروما.

حدَّثت ثورن نفسها: كلا ، من المنطقي افتراض أن تلك البناية ليست هدف اللصوص. استطاعت كارولاين رؤية مركز الشرطة في فاستبيرغا فاغين في نهاية الشارع ، ولو أتيح لها الخيار فإن باناكسيا ستكون الخيار الأفضل من كل النواحي.

قادت سيارتها.

بدلًا من الدوران للعودة ، انعطفت يمينًا نحو ريتينبورغسفاغين ، ثم أسرعت وأوشكت على الانعطاف يمينًا مرَّة أخرى نحو درايفيولسفاغين ثم التوجه نحو الشمال إلى الطريق السريع ، وفجأة حدَّقت في مرآتها الخلفية.

ضغطت على المكابح بسرعة ، ولحسن الحظ لم تكن هناك سيارة من خلفها.

استطاعت من مكانها رؤية بناية «م4أ» من الخلف ، وقد بُنيت على حافة تل ، أو على منحدر ما تقريبًا ، ومن هذا الاتجاه بدت البناية كأنها مكونة من أربعة طوابق.

كان هانز كارلبرنك قائد فريق المهمات الوطنية من ذلك النوع من ضباط الشرطة الذين يدفعون الأشخاص إلى التردد قبل أن يقوموا بطلب الشرطة. سلك طريق مهنته عبر العسكرية ، ومنها استقى أفكاره وانطباعاته عن العالم. كانت حاسة الانضباط لديه أقوى من حاسة العدالة ، وإذا أردت التأكيد على جوانبه الإيجابية يمكنك القول إنه مؤمنٌ نوعًا ما بالمساواة. كان مغرورًا بشكل متساوٍ أمام الضحايا والمعتدين والمدنيين وضباط الشرطة والرجال والنساء.

قادت كارولاين ثورن وماتس بيرغرين نحو سولنا ، حيث يمكث رجال كارلبرنك وتقبع مروحية الشرطة في مأمن هناك خلف الجدران والأسلاك الشائكة. كان الوقت في أواخر مساء السبت الثاني عشر من أيلول. ألقى كارلبرنك على ثورن الطويلة الرشيقة نظرة تقدير ، بينما رمق كرش بيرغرين بنظرة ازدراء ، ثم قاد ضيوفه إلى غرفة بلا نوافذ في أحد جوانب المقصف. عندما رأت ثورن الغرفة شعرت أنها استُخدمت عمدًا لمحاولة توضيح مدى قسوة الظروف التي يعيشها فريق المهمات.

قال كارلبرنك: «ثلاثة أيام أخرى».

اتفقوا على أنها تجربة مخيفة وغير عادية ، وسبب قيامهم بإحصاء الأيام ، وعدم جلب

ميلكوفيتش وإيقاف عملية السطو، هو أن المعلومات التي لديهم عمرها شهر كامل، وقد يتغير الكثير خلاله. قضى التقنيون يومًا بعد آخر في الإصغاء إلى مكالماته الغامضة، وليس هناك حتى الآن ما يدينه حقًّا.

في الوقت نفسه لم تتمكن ثورن من إنكار الحماس المتصاعد يومًا بعد يوم، وكلما مر زملاؤها من الفريق الجنائي الوطني بجوار مكتبها أشاروا لها بتفهُّم، ومع بقاء ثلاثة أيام فقط شعر الجميع بنبضات القلوب تتسارع. حتى وزير العلاقات الخارجية ظل على تواصل مستمر معهم لمعرفة كل جديد.

جلسوا حول طاولة اجتماعات قديمة.

دخلت كارولاين في صُلب الموضوع مباشرة، وأوضحت ما اكتشفته قبل عدة ساعات، أن مستودع «م4أ» في فاستبيرغا ذو أربعة طوابق أيضًا إذا نظرت إليه من زاوية معينة.

تدخل بيرغرين: «لكن «م4أ» لا يخططون للانتقال في يوم الثلاثاء».

ازداد نحيبه المعتاد في ذلك المحيط الجديد، حيث شعر بعدم الراحة لنظرة كارلبرنك المترفِّعة، وكره نبرة التشكيك التي قدَّمت بها ثورن الموضوع إليه.

قالت ثورن: «ليست لديَّ فكرة، ولم أسألهم».

«سيكون ذلك أمرًا مستبعدًا».

وافقته ثورن: «مقصدي أنه لا يمكننا استبعاد فاستبيرغا، وسؤالي لهانز: هل يجب علينا أن نضع بعضًا من رجالك خارج فاستبيرغا والبعض الآخر خارج بروما؟».

أومأ كارلبرنك: «يمكن ذلك بشكل مثالي».

ثم قال: «سمعت أنهم سيكونون عشرين شخصًا».

أجابت ثورن: «مشتركون في التخطيط، لكني أشك أن يكون هناك عشرون شخصًا أثناء عملية السطو الحقيقية».

قال كارلبرنك وهو يبتسم كمن يتذوق شيئًا لذيذًا: «هذه ليست مشكلة. فليأتوا، عشرين أو ثلاثين، سنتمكن من معالجة الأمر. اقتراحي هو أن نتأكد من امتلاكنا للرجال

والعدة الكافية لإسقاط مروحية في كلٍّ من فاستبيرغا وبروما ، لكننا سنترك القسم الأكبر في المكان الذي تشعرين أنه الهدف المقصود».

سأل بيرغرين: «الذي سيكون بروما على أية حال ، أليس كذلك كارولاين ؟».

بدت ثورن غير واثقة.

قالت: «لو سألتني بالأمس لأكدت لك ذلك ، لكني الآن لم أعد أعلم».

39

جاهد نيكلاس نوردغرين كي يحافظ على تركيزه. جلس على مقعد مكتبه في غرفة هواياته ، وتمكَّن عبر الجدار من سماع الأخبار على التلفاز في غرفة المعيشة ، وبدلًا من قيامه بلحام غطاء الهاتف أصغى إلى صوت المذيع الجاد وهو يتحدث عن كيفية موت الممثل الأمريكي باتريك سوايزي. لم يكن قلقًا من مجيء أنيكا ورؤيتها لما يفعله. ربما كان الجدار الفاصل بين عالميهما ، عالم الحياة الطبيعية وعالم الحياة الإجرامية ، رقيقًا ، لكنه يعزلهما بقدر كبير. لم تكن أنيكا تفتح باب غرفة هواياته بدون أن تطرق الباب أولًا ، وحتى إذا شردت أفكارها ونسيت وفتحت الباب بدون إنذار فإنها لن تفهم ما يقوم به على كل حال ، ولن تتعرف على المعجون المتفجر الذي يُدخله في جهاز الهاتف المحمول الموجود بين يديه.

هدَّدته مرارًا بأنها ستتركه في اللحظة التي ينقض فيها اتفاقهما ، وقد انتظرته وقتًا كافيًا. لن تنجو علاقتهما من فترة أخرى داخل السجن. راوده شعور أحيانًا - وهو ما يحدث غالبًا - بأنها تبحث عن عذر فقط.

لكن الخوف من رحيلها لم يكن السبب في صعوبة تركيز نوردغرين في ذلك المساء.

وضع أخيرًا آلة اللحام جانبًا وانتزعها من الحائط ثم ذهب نحو النافذة. كان الضوء على قمة برج كاكناس ينبض على الضفة الأخرى من النهر ، فوقف أمام الليل القاتم وسمح لنفسه بالتوهان في اللحظة.

عند هبوط المروحية على السطح لن تكون هناك سوى خمس عشرة دقيقة قبل أن تُقلع ثانيةً ، وأي فترة أطول ستمنح موظفي الأمن في «م4أ» الوقت للتحرك ، كما أنها ستعطي الشرطة الوقت لتنظيم أنفسهم. ونظرًا إلى قرب مركز الشرطة من المكان فسيكون من حسن حظهم لو استغرقت الشرطة عشر دقائق للوصول.

سيستغرق النزول من المروحية ، ووضع السلالم في مكانها ، والتسلُّق إلى البناية ، دقيقتين إلى ثلاث دقائق على أقل تقدير.

وكسر الزجاج المصفح سيستغرق دقيقتين إلى ثلاث دقائق.

وتفجير الباب المصفح سيستغرق دقيقتين إلى ثلاث دقائق.

وتعبئة الحقائب بالنقود ستستغرق دقيقتين إلى ثلاث دقائق.

كما أن حمل حقائب النقود إلى السطح لن يستغرق أقل من دقيقتين إلى ثلاث دقائق.

وعندها سوف ينتهي وقتهم.

ليس هناك مجال للخطأ. يجب عليهم أن يعملوا بسرعة وبدون مفاجآت. ستكون مشكلتهم الكبرى لو تسبب الموظفون في قسم الإحصاء في أي مشكلات. لو أُخلي المبنى قبل القيام بتفجير الباب سيكون ذلك أفضل بطبيعة الحال، لكنه أمر يصعب القيام به.

إذا بقي الموظفون في الداخل وقت القيام بالأمر فإن تخطيطهم الزمني سيفشل، فجمعُهم معًا والتأكد من إبقائهم هادئين لا يُمثِّل مشكلة، ونوردغرين يعلم ذلك، لكنه سيستغرق وقتًا.

التمع برجِ كاكناس من بعيد.

شاهد قاربًا كبيرًا مغطى بفوانيس لامعة ملونة في طريقه عبر القناة بين ليلا فارتان وسالتسيون.

وجب على نوردغرين الاعتراف بأنه قلِق بخصوص التوقيت، لكن ذلك لم يكن السبب الذي يصارعه كي يبقى هادئًا.

عاد إلى مكتبه، وأعاد توصيل آلة اللحام. تقتضي الخطة تحضير أربعة هواتف، سيضع اثنين منها داخل المروحية ويحتفظ باثنين احتياطيًّا. لم يكن ظهور مروحية شرطة ستوكهولم الموجودة حاليًّا في غوتينبيرغ يُمثِّل خطورة كبيرة على وجه التحديد، لكن لا شيء مستحيلًا، وفي حالة الضرورة سيحتاجون إلى وضع الهاتفين فيها.

عندما عاد نوردغرين إلى شعلة اللحام حتى يقوم بتثبيت الغطاءين معًا، أدرك سبب تردده.

إذا توجهت مروحية الشرطة إلى فاستبيرغا، ففكرة وضع الهواتف فيها ثم القيام بتفجيرها إلى عدة أجزاء عن طريق تفعيل الصاعق، تبدو غير منطقية على الإطلاق.

ألن يكون هناك طيارٌ خلف جهاز القيادة؟ ألن يكون هناك أحد في الحظيرة؟ هل تحوَّلت الخطة التي تقتضي منع أي شخص من اللحاق بهم إلى مجزرة دامية؟

لا توجد طريقة للتأكد من أن ذلك لن يحدث.

استمع عبر جدار غرفة المعيشة إلى أغنية تايم أوف ماي لايف من فيلم ديرتي دانسنغ، ربما يستخدمونها أثناء عرض فيلم عن حياة باتريك سوايزي المهنية.

أومأ نوردغرين لنفسه.

في الشريط الوثائقي لحياته السابقة لا يستطيع أحد أن يقول إنه قتل شخصًا. كان الخط الفاصل بين الأمرين واضحًا، ونيكلاس ثابت العزم بخصوص ذلك. كان مجرمًا، ولصًّا، لكنه لم يكن قاتلًا.

نظر إلى الأسفل نحو هواتفه المتفجرة.

بُني ملعب هيورتهاغين الرياضي الذي يقع خلف البرج المائي في الأحياء المجاورة لأوستيرمالم وليدينغو بهدف منح العمال المشردين مكانًا للعيش.

يعود الفضل إلى كرة القدم في ذهاب ميشال معلوف إلى ذلك المكان ، وإدراك مدى مناسبة هيورتهاغين للاجتماعات التي يجب أن تبقى طي الكتمان. وعلى الرغم من أن المنطقة بها محطة مترو خاصة فقد ظلت من أحياء المدينة المغمورة. تستخدم إحدى الفرق المحترفة لكرة القدم الملعب الرياضي لإجراء تمريناته ، لكن في وقت متأخر من مساء الأحد يصبح خاليًا بشكل مؤكد.

قام معلوف ، في طريقه إلى الاجتماع ، بتغيير القطارات عدة مرَّات قبل أن يشعر بالثقة الكافية للجلوس في الخط الأحمر الذاهب إلى روبستين.

دار في ذهنه أثناء مشيه نحو هيورتهاغين من المحطة كيف استحالت ليالي الصيف المتألقة إلى شيء آخر أكثر شبهًا بالخريف على الرغم من أن الأشجار ما زالت خضراء ، والمروج تبدو كأنها في منتصف الصيف. عادت العتمة إلى ليالي العاصمة ، ولن يمر وقت طويل قبل أن يُجبروا على استخراج القبعات والقفازات.

ربما تكون ستة أشهر في تايلند أفضل من الشتاء في السويد.

إذا سار كل شيء وفق الخطة المرسومة فلن يكون ذلك بعيد المنال ، وهو على يقين من أن أليكساندرا سفينسون لن تعترض على الذهاب معه إطلاقًا.

تجاوز معلوف موقف السيارات ، واستمر نحو حافة الغابة ، ثم تحرك حول السياج المحيط بساحة كرة القدم. اقتطع أحد ما جزءًا من وسط السياج ولم يتم إصلاحه أثناء السنوات العشر الماضية. دفع السياج نحو أحد الجوانب وحشر نفسه بينه متسللًا إلى الداخل ، ثم اختبأ مباشرة بجوار المدخل في ظل غرف التبديل.

ظهر سامي فرحان عند أرتيميسغاتان بعد خمس دقائق ، فأبصره معلوف من بعيد وناداه بهدوء.

أخذ سامي الطريق نفسه عبر الغابة والفتحة الموجودة في السياج.

أول ما قاله: «أخبرني بكل شيء».

استطاع معلوف أن يُميّز نبرة الصوت تلك.

النبرة العنيفة المتوقعة.

قال سامي: «لا أدري بمَ يتعلق كل ذلك. لنذهب. لن أستطيع الانتظار أكثر».

«انتظر حتى يأتي نيكلاس».

ظهر نوردغرين من بين الظلال الطويلة للأشجار فجأة، وقد لمح معلوف الحركة قبل أن يرى الشخص فقفز.

قال نوردغرين: «آسف. لم أقصد إخافتك. وصلت إلى هنا مبكرًا نوعًا ما فأردت التأكد من أنه لا يتبعكما أحد».

أُعجب معلوف بحذر نوردغرين، فكثيرًا ما فعل ذلك، لكن سامي كان منزعجًا.

«هل تعتقد أنني مجرد مبتدئ لعين؟».

قال نوردغرين: «لا يمكننا الكف عن الحذر».

مشوا نحو الطرف الشمالي للملعب عند غازفيركسفاغين. بدت الأشجار كثيفة من حولهم، وكانوا جميعًا يرتدون ملابس داكنة ويتحدثون بهدوء، ومن المستحيل أن يُلاحظَوا إلا من مكان قريب جدًّا إليهم.

غمغم سامي متذمرًا وهو يشير نحو الملعب الغريب الفارغ: «لا أعرف سبب هذه الاجتماعات المستمرة في ملعب كرة القدم».

ضحك معلوف: «كرة القدم هي رياضة الفريق سامي... ربما يمكنك تجربتها أحيانًا».

توقفوا عند خط الهدف. كانت ليلة باردة صافية، ويعلم معلوف أنه سيتذكرها لاحقًا.

إنه الوقت المناسب لاتخاذ القرار.

قال: «وجدنا الطيار».

شعر الآخران براحة أعظم من سعادتهما.

دار سامي في مكانه بسرعة، وصاح: «أخيرًا. دعونا ننفذ الأمر».

أخبرهم معلوف بما يعرفه عن الأمريكي وميزاته وتوصياته، ثم أضاف:

«وجد زوران أربعة أجهزة تنصت إضافية في شقته، واثنين آخرين في سيارته».

تسببت كلماته في تعكير مزاجهم.

قال سامي: «حسنًا. إذًا هم يشكُّون في صديقك، ما علاقة ذلك بنا؟ أنت تعرف. لا شيء».

غمغم نوردغرين: «اهدأ».

أكمل سامي: «أنا جادٌّ. إنه عمله هو».

قال معلوف: «نعم، نعم. باستثناء أن زوران يعرف كل شيء، هو ونحن... نحن نقوم بهذا معًا».

قال سامي: «نعم. أعرف. وهو لا يستطيع البقاء هادئًا فترة طويلة. لكنه لم يشترك في أي تفاصيل. تعلم ما أقصده. لا بد أنه مراقب لسبب مختلف تمامًا. كنا نعمل طوال الوقت، لعدة أشهر، وقد قام بجزء من العمل. تعرف أن لديه عمله ولدينا عملنا. لا بد أن الأمر يتعلق بشيء آخر يفعله».

تساءل نوردغرين: «هل تعتقد أنه باح بشيء؟».

إنه سؤال يستدعي التأمل. ربما يكون ميلكوفيتش مراقبًا ومتنصتًا عليه بهذا الشكل لسبب آخر، ربما، لكن ماذا لو كانت الشرطة قد سمعت شيئًا بخصوص فاستبيرغا على أجهزة تنصتهم أثناء الأسابيع الماضية؟

هزَّ معلوف رأسه: «لا تقلق، إنه ليس هاويًا، وهو لا يُسمي الأسماء أبدًا، ولا يقول أي شيء يمكنه...».

سأل نوردغرين: «لماذا يُلاحق إذً؟ تلك الطريقة في المراقبة تبدو غريبة حقًّا».

هزَّ معلوف رأسه ثانيةً، وهو لا يعلم.

قال سامي: «لا يمكن أن يكون تسريبًا. لا أحد يعرف، لا أحد غيرنا نحن الأربعة فقط».

قال معلوف: «الطيار يعرف أيضًا. اضطر زوران أن يخبره، إذ لم يتبق الكثير من الوقت».

سأل سامي: «متى حدث ذلك ؟ بالأمس أم قبل بضعة أيام ؟ إنه ليس هو».

هزَّ معلوف رأسه ، فهو لا يعلم أي شيء عن هذا.

قال: «إذًا... ماذا سنفعل ؟».

لم يجبه أحد. كان سامي يحفر الأرض بطرف حذائه ، بينما تُسلِّط قبعة نوردغرين ظلًّا قاتمًا على وجهه. انشغل ذهن سامي بأخويه ومستثمريه ، وقبل هذا فكَّر في كارين والأولاد. لم يخطط لتركهم يكبرون مع والد يغادر المنزل كل ليلة للقيام بعمله المعتاد ، ويُحتجز على فترات منتظمة ، أو مع والد يشعرون بالحرج منه ، ولم يتسنَ لهم الوقت ليعرفوه. كان بحاجة إلى ذلك ، كان عليه أن يؤمِّن الأساس لحياتهم الجديدة.

سأل: «ما الذي تعنيه بماذا سنفعل ؟ سنفعلها بالطبع».

أعقبت كلماته لحظات صمت طويلة.

قال نيكلاس عندما لم يُجب معلوف: «أوافق على أنه يبدو مريبًا أن نقوم بسرقة مروحية ، ثم التحليق بها إلى مستودع النقود حيث يوجد مركز للشرطة في نهاية الطريق ، ثم ننزل على السلالم ونفجر الأبواب ونقوم بأكبر عملية سطو في تاريخ السويد ، كل هذا ونحن نعلم أن الشرطة لديها معلومات غير محدودة. لقد كانوا يتنصتون على ميلكوفيتش لمدة شهرين ، بينما نعمل نحن على التفاصيل».

حاول سامي إقناع أصدقائه: «هذا عملٌ سيسمع به الجميع. أنتما تعرفان. العالم أجمع».

قال معلوف: «نعم ، نعم. أو على الأقل.. السويد كلها».

قال سامي: «أضمن لك هذا. الأمر أكبر من السويد».

أشار نحو الفضاء علامة على أن شهرتهم ستصل إلى الكون كله.

تساءل نوردغرين: «هل سنقوم بهذا حقًّا ؟».

حل الصمت ثانيةً.

هذه المرَّة كان سامي هو من كسره: «سأقولها ثانيةً: سنقوم بهذا. ما الذي تعتقده ميشال ؟ أنت معنا ؟».

ضحك معلوف ، ثم تطلَّع إلى سامي الذي ابتسم ابتسامة ساخرة وضرب بيديه على بنطاله بينما ينتظر الجواب. استرجع معلوف أشهر التخطيط ، والمخططات المتناثرة على أرض شقته المعتمة في فيتيا ، وجسد أليكساندرا الناعم ، وحياته معها التي يتنظرها. هل سيكون هناك قدر كافٍ من النقود؟ أدار ذلك السؤال في رأسه ، ثم أشرق وجهه الجاد بابتسامة واسعة ، فإذا لم يكن هذا كافيًا فأي شيء سيكون كافيًا؟

قال: «بالتأكيد. نعم بالتأكيد. أنا معكم. سنقوم بهذا».

قال نوردغرين: «حسنًا. سنقوم به إذًا».

41

جلس المدعي العام لارس هيرتز وقائدة فريق العمليات كارولاين ثورن في المقعدين الأماميين لسيارة ثورن «الفولفو» الزرقاء الداكنة المغسولة حديثًا. وقفت السيارة في الظل بين مركبتين بلا عجلات خارج شركة لتثبيت الإطارات عند لينتا غاردزفاغ 25. بدا هيرتز متنبهًا بلا تردد ، وغرته الشقراء تتدلى مثل غيمة فوق جبينه ، وكان متحمسًا بشكل واضح لاشتراكه في عملية كبيرة للشرطة ، ورائحة عطر ما بعد الحلاقة لماتس بيرغرين تغمرهما معًا ، بما يؤكد أنها ستظل شيئًا مرتبطًا بهذه الليلة في تلك السيارة.

يجلس ماتس بيرغرين في المقعد الخلفي ، وقد انحنى نحو الأمام بين المقعدين قائلًا إن ذكريات العطلات العائلية بالسيارة في أوروبا قد عادت إليه.

ابتسمت ثورن بحنان ، ففكرة اصطحاب والديها لها في رحلة بالسيارة أثناء طفولتها بدت غريبة وبعيدة الاحتمال.

انتابت لارس هيرتز فكرة أن يكون زوجًا لكارولاين ثورن ، مما جعله يحمرُّ خجلًا في الظلمة. منذ اللحظة التي دخلت فيها إلى غرفته قبل ثلاثة أسابيع وهو يجد صعوبة في النظر إلى عينيها ، فذلك النوع من الجمال الطبيعي جعله يشعر بالخجل ، وقد افترض أن ابتعادها عن المغازلة وإحجامها الواضح عن إرضاء الآخرين من الأمور التي اجتذبته أكثر. وأحرجته أيضًا.

انتظروا في الظلام ، حيث أفضى الرابع عشر من أيلول إلى الخامس عشر منه منذ عدة ساعات. ولّى الحماس الذي شعروا به عندما قادوا نحو بروما ، والدقائق ما زالت تبدو بلا نهاية ، مع أنها ليست أكثر من عشر دقائق إجمالًا. قامت ثورن بإنزال إحدى النوافذ الجانبية لمنع الضباب من التكاثف عليها ، وكانت الصراصير الكائن الوحيد الذي يقتحم الصمت ، والسحب التي تجمعت منذ ساعة تغربل ضوء القمر المنسكب إلى عدة خيوط رفيعة فوق الأرض المنبسطة على الجانب الآخر من الطريق.

أخبرهم بيرغرين: «إنها الساعة الثانية».

أجابت كارولاين: «هذا صحيح ماتس».

«نجلس هنا منذ ثلاث ساعات».

لم تجب ثورن ، حيث لم تتأثر بقدرات زميلها الحسابية.

مرت الساعة الأولى وقد قضوها في أحاديث هامسة غير مهمة حول أحدث التقارير عن الهيكل التنظيمي في قوة الشرطة السويدية.

كان هناك عرضٌ داخلي للنتائج في إحدى غرف المؤتمرات في يوم الثلاثاء ، وشعر كلٌّ من ثورن وبيرغرين أنهما مجبران على حضوره. لم يكن هيرتز هناك بالتأكيد ، فهو يعمل لمكتب المدعي العام ولا يمتلك فكرة راسخة عن بداية أو نهاية مسؤوليات شرطة المقاطعة. من جانب آخر كوَّن بيرغرين مجموعة من الآراء التي شعر بالسعادة البالغة لمشاركتها مع زملائه في الصف الأول. وعلمت كارولاين أن نتائج التقارير الداخلية ستُفضي إلى لا شيء ، مما جعل مستوى اهتمامها متواضعًا.

جلسوا في صمت منذ ذلك الوقت.

اتخذت ثورن قرارًا بوضع العدد الأكبر من قوات المهمات الوطنية خارج بناية باناكسيا في بروما في اليوم السابق ، واحتفظ كارلبرنك بعدد كافٍ من الرجال خارج «م4أ» لإيقاف جيش صغير إذا تطلَّب الأمر.

كان هناك جهازا إرسال في حِجر ثورن ، أحدهما للاتصال بكارلبرنك هنا في بروما ، والآخر كي تتمكن من التواصل بسرعة مع الفريق في فاستبيرغا.

حتى هذه اللحظة لم ينطق أيٌّ من الجهازين.

مرَّت الدقائق بصعوبة.

انتصب مستودع باناكسيا عاليًا مثل مربع كبير قاتم فوق المباني المجاورة. غادر المبنى قبل بضع ساعات فريق النقل المختص ، حيث عملوا منذ الصباح الماضي وحتى منتصف الليل.

تنفَّست ثورن الصعداء عندما غادر فريق النقل في سياراتهم «الفان» ، فالنقود هي مجرد نقود ، وليست غير صور ملونة تُطبع فوق أوراق وتجري مبادلتها بأشياء قيّمة أو خدمات أو خبرات ، لكن حياة الإنسان لا يمكن مبادلتها بأي شيء آخر.

كانت ثورن قلقة جدًّا من احتمالية احتجاز رهائن، فقوة المهمات الوطنية تحت قيادة كارلبرنك متحجِّر القلب ستفشل حتمًا في معالجة الأمر، لكن القلق من ذلك تبدد الآن بعد مغادرة فريق النقل.

سبق أن ذهبت ثورن وبيرغرين في رحلة إلى سولنا للقاء كارلبرنك قبل أن يخرج مع رجاله في ذلك المساء، وراقب الضابطان من الشرطة الجنائية الوطنية استعدادات الوحدة الرفيعة، وبدت كمية الأسلحة والدروع ومعدات السلامة التي وُضِعت في سيارات «الفان» مثيرة للذهول، وقد احتوت ترسانتهم على مجموعة من البنادق المرتدة في حال اضطروا إلى إطلاق النار على المروحية.

علَّقت ثورن: «الأمر أشبه بالعودة إلى إسرائيل».

أجاب بيرغرين: «لم أكن هناك يومًا».

كانت ثورن قد خططت لإعطاء كارلبرنك فرصة جيدة ليتقدم عليها قبل أن تعود مع بيرغرين إلى المدينة، فذهبت عن طريق فليمينغاتان، حيث التقطا هيرتز، ثم توجهوا بعد ذلك إلى المنطقة خلف مطار بروما، وقد اكتشفت موقف السيارة ذاك خارج محل تثبيت الإطارات أثناء مهمة استطلاعية إجبارية في يوم الأحد.

قفز بيرغرين فجأة في المقعد الخلفي قائلًا: «ماذا يعني ذلك؟».

جلسوا ثابتين تمامًا، محاولين الإصغاء بجهد، وحتى الصراصير صمتت. ثم عادوا بعد عدة دقائق يتنفسون بشكل طبيعي.

«إنذار خاطئ».

قال بيرغرين بهدوء: «لا يزال الأمر مؤثرًا جدًّا. استطاع كارلبرنك منع جنوده من إحداث فوضى بأسلحتهم تلك. ظننتُ أننا سنسمع صوت أحذيتهم طوال الليل».

سأل هيرتز: «أين هم؟».

أشارت ثورن عبر النافذة الجانبية، واعتقد المدعي العام أنه يمكنه رؤية حدود سيارة «الفان».

«كم يبلغ عددهم؟».

أجابت ثورن: «لست متأكدة. هل كانوا عشرين رجلًا؟».

تدخَّل بيرغرين من المقعد الخلفي: «لا أدري أيضًا. إنهم أشبه بجيش صغير، ولا بد أنهم محتجزون مثل السردين داخل سيارات الفان تلك».

مزح هيرتز: «ربما اتكاء أحدهم على الآخر يجعل نومهم أسهل».

ضحك بيرغرين متخيلًا صورة هؤلاء الضباط رفيعي المستوى وكلٌّ منهم يُميل رأسه على الآخر في سيارة «الفان».

أسكتته ثورن.

انفجر غاضبًا: «هل تخشين أن يسمعوني من المروحية؟».

قالت ثورن: «ربما يصلون بواسطة المروحية، وربما يظهرون بكل بساطة بمجموعة سيارات وتكون المروحية هي وسيلتهم للهرب. ليست لدينا فكرة».

أوشك أن يجادلها، لكنه قاوم تلك الرغبة الملحة.

كانوا يعرفون أكثر من ذلك بالتأكيد، ولديهم قدرٌ من المعلومات، ولهذا جلسوا في السيارة ينتظرون إحدى أكبر عمليات السطو في تاريخ السويد.

أصبح ماتس بيرغرين أكثر توترًا بمُضي الوقت.

قال موجهًا حديثه للمدعي العام في المقعد الأمامي: «أليس هذا الأمر مثيرًا لارس؟ ستتمكن أخيرًا من رؤية عمل الشرطة الحقيقي».

أطلق هيرتز ضحكة مقتضبة، وانتهى الحوار عند هذا الحد.

أخلد الرجلان إلى النوم، بينما تُحدِّق ثورن إلى الظلمة والساعات تمر.

حلَّقت مروحية الشرطة من سولنا في الساعة الثالثة صباحًا، وقد وُضعت تحت إمرة تلك العملية مثل قوة المهمات الوطنية تمامًا، وبدلًا من السماح للطيارين بالنوم في الثكنات، اتُّخذ القرار بوجوب طيران المروحية في الجو كل ساعة أثناء الليل، وبهذه الطريقة لن تساعدهم في المراقبة وحسب، بل سيكون من الأسرع لها أن تحضر في الموقع عندما يحين الوقت.

دار نقاشٌ في اليوم السابق حول موقف المروحية، وهل يجب عليهم نقلها إلى مطار

بروما حتى تتمكن من الوصول إلى باناكسيا في وقت أسرع ؟ لكن سرعان ما نُبذت تلك الفكرة تمامًا ، لأن معدل الطيران في المطار مرتفع جدًّا ، في حين أن الطيران من سولنا إلى بروما لا يستغرق سوى ثلاث أو أربع دقائق فقط.

اقتضى الاتفاق ألَّا تُحلِّق المروحية في أي مكان بالقرب من بروما إلى أن يتم استدعاؤها ، فهم لا يريدون تنبيه اللصوص وإخافتهم ، ومن ثَمَّ إبعادهم.

همس بيرغرين بصوت مرتفع: «ذلك شيء بالتأكيد».

صدر الصوت على بُعد مسافة ما ، لكنها ليست بعيدة.

همس: «هل سمعتِ ذلك ؟».

كان صوته متكلفًا ، وقد ظنته كارولاين نائمًا ، لكنها سمعت ذلك أيضًا ، ولم يكن بيرغرين يحلم في هذه المرَّة. يبدو الصوت كحركة داخل الحشائش وليس بجوار الطريق. حدَّقت ثورن في ساعتها ، كانت الرابعة وخمس دقائق صباحًا.

همس بيرغرين من المقعد الخلفي: «إنه ليس بعيدًا. هل يجب علينا إخبار كارلبرنك الآن ؟».

أومأت ثورن. لم تكن تعرف موضع رجال كارلبرنك ، وستكون مجازفة إذا لم يتموضع أحدٌ منهم على طول الطريق.

أغلقت المحققة النافذة بهدوء ، والتقطت أحد جهازي الإرسال ، ثم ضغطت على الزر.

همست له: «سمعنا شيئًا ما».

جاء الجواب مباشرة: «فهمتُ».

ثم أعقبه الصمت.

وضعت ثورن جهاز الإرسال في حِجرها وأعادت إنزال النافذة. أصغى الثلاثة بانتباه ، وهيرتز وبيرغرين يهزَّان رأسيهما معًا تقريبًا ، وأحدٌ ما أو ربما مجموعةٌ ما هناك في الظلمة.

حركة.. هدوء.. حركة.. هدوء.

كانوا يتجهون مباشرة إليهم.

همس هيرتز: «هل يرحلون ؟».

كانت ملاحظته صحيحة ، فالصوت يبتعد عن بناية باناكسيا.

قال بيرغرين بهدوء: «هذا مستحيل. فكارلبرنك لديه حلقة حول تلك البناية ، ولن يستطيع أحدٌ الدخول ثم العودة منها ثانيةً».

بعد عدة ثوانٍ شاهدوا كلبًا.

كان كبيرًا وأسود ، وربما خليطًا من سلالات مختلفة ، وليس لديه طوق ، ونحيلًا وجائعًا ، وضلوعه مرئية بوضوح.

قالت ثورن لمنع بيرغرين من مغادرة السيارة: «ابقَ هنا».

التقطت جهاز الإرسال ، وهمست: «إنذار خاطئ».

سمعوا هسيسًا على الجانب الآخر اعتبرته ثورن نوعًا من التأكيد.

لم يخطر على أذهانهم أن عملية السطو لن تتم ، أو أن شيئًا لن يحدث ، إلى أن أخبرهما بيرغرين أن الساعة تشير إلى السادسة والربع صباحًا والشمس ستشرق قريبًا.

بدا الأمر كمزحة.

قال بيرغرين: «قال الصربيون إنها ستكون رحلة ليلية ، لكني أعتقد أنها تأخرت قليلًا».

غمغمت ثورن بشيء غير مفهوم ، كان جسدها متيبسًا وفمها جافًّا كورقة.

لم يجد بيرغرين إجابة من أحدهما ، فأكمل: «الأمر الذي يقلقني أن كارلبرنك إذا لم يتمكن من إطلاق جيشه على اللصوص فقد يُلقي بخيبته علينا».

غفا هيرتز في المقعد الأمامي. كان نومه عميقًا وتنفسه هادئًا ، ولم ترغب ثورن أو بيرغرين في إيقاظه.

لسبب ما غيَّر اللصوصُ خطتهم.

قفزت كارولاين فجأة عندما أصدر جهاز الإرسال في حِجرها أزيزًا.

هل هي فاستبيرغا ؟

هل «م4أ» هي الهدف ؟

التقطت جهاز الإرسال ووضعته على أذنها. لم تكن فاستبيرغا ، إنه كارلبرنك يحاول

الاتصال بها.

جاء صوته المتعب عبر الخط: «لا شيء ، ولا شيء في فاستبيرغا أيضًا».

قالت: «لا شيء».

أدركت كارولاين أن كل شيء قد انتهى.

فكَّرت في المفوض ، وفي وزير العلاقات الخارجية ، ثم فكَّرت في ضباط الشرطة الذين اشتركوا في التحقيقات ، ومئات الساعات التي أصغوا فيها إلى ثرثرة زوران ميلكوفيتش.

تنهَّدت.

هل هناك تسريب في دائرة الشرطة؟ ليس أمرًا مستحيل الحدوث ، بل إنه يبدو محتملًا جدًّا أحيانًا. ربما علم المقتحمون بوجود فخ ، فألغوا خطتهم.

لكن ، من المحتمل أيضًا أنهم لم ينفذوا الخطة لفشلهم في جزء منها في الدقيقة الأخيرة.

في وجود العديد من الأشخاص يصبح أي شيء محتملًا.

أشارت الساعة إلى السادسة والنصف ، وعندها أضحت كارولاين ثورن متأكدة.

لم يكن من شأنها صرف كارلبرنك ، ولهذا اتصلت بالمفوض على الخط المباشر.

قالت بصوتها العادي بعد أن قضت ساعات في الهمس: «مرحبًا ، أنا كارولاين».

استيقظ هيرتز في المقعد الأمامي.

قالت: «لا شيء».

ثم أصغت بعدها بهدوء ، بينما يراقبها بيرغرين وهيرتز بدقة.

أغلقت ثورن الهاتف ثم أدارت المحرك قائلة: «إنهم يرسلون كارلبرنك إلى المنزل ، ويعيدون المروحية إلى مايتنغ. ستكون النسخة السياسية للخبر: بمساعدة زملائنا الصربيين ، تمكَّنا من منع إحدى أكبر عمليات السطو في التاريخ».

تساءل هيرتز: «هل فعلنا ذلك؟ هل أوقفنا عملية السطو؟».

قالت ثورن: «ماذا تعتقد لارس؟ ماذا تعتقد؟».

42

قال نيكلاس نوردغرين لزميله كارستين هانسن: «أشعر بالإرهاق نوعًا ما».

«نعم، لكنك قلَّما تمرض».

«أعتقد أنه شيءٌ تناولته بالأمس، فمعدتي تتقلص بشدة. لعلك تعرف».

«ألا يجب عليك الذهاب إلى المنزل؟».

اعترض نوردغرين: «لقد وصلت لتوِّي».

كانت التاسعة صباحًا من يوم الجمعة الثامن عشر من أيلول.

أضاف: «لكني أشعر أنني لست بخير. اللعنة. أواثقٌ من أنك تستطيع تدبر ذلك؟».

قال هانسن: «اذهب إلى المنزل واسترح، فبقاؤك بخير أكثر أهمية من إصلاح ميكرويف ذلك الحداد».

وافق نوردغرين: «نعم نعم. أعتقد هذا. شكرًا كارستين على هذا التصرف الجيد منك».

جمع نوردغرين أشياءه، وارتدى معطفه، ثم شكر كارستين مرَّة أخرى. انعطف نحو الزاوية، لكنه لم يتوجه إلى المنزل، بل إلى المحطة، واستقل خط ليدينغو إلى روبستين ثم المترو إلى سلوسين، ومن هناك استقل الحافلة إلى ستافسناس. وعندما رست عبَّارة واكسهولم على الرصيف وصعد نوردغرين على متنها، تذكَّر أن خمس سنوات مرَّت منذ آخر مرَّة قام فيها بهذه الرحلة.

لم يكن واثقًا من أن القارب القديم لا يزال هناك.

ترجَّل نوردغرين من القارب على جزيرة ساندهامن في وقت الغداء. انتهى الموسم في تلك الجزر، وفي هذا الوقت من السنة عند منتصف أيلول لا تجد سوى مجموعة من الحرفيين بثياب عملهم الخاصة متجهين نحو الجزيرة، مع وجود أكثر من مائة شخص تقريبًا يعيشون بشكل دائم عليها. ولهذا كان من غير المعتاد رؤية الغرباء. خطا نوردغرين خطوات ثابتة بجوار الفندق، ثم تسلَّق التل صعودًا نحو تروفيلي، مرتديًا ثياب العمل أيضًا، حاملًا حقيبة المعدات في يديه. إذا لاحظه أحد فسيفترض أنه في طريقه لإصلاح شيء ما في أحد المنازل التي تقبع خاوية في هذا الوقت من السنة على طول الطريق نحو

الخليج الجنوبي من الجزيرة.

في الصيف يتمكن السياح الراغبون في السباحة من التمتع بالعزلة التي ينشدونها في تروفيلي ، خصوصًا عندما يبتعدون عن الجزء المبني من الجزيرة ، لكن في أيلول تصبح المنطقة مهجورة تمامًا.

انعطف نوردغرين نحو اليمين عند وصوله إلى الشاطئ ، ومشى على طول الساحل الضيق ، ثم تسلَّق فوق كومة من أعشاب البحر الرطبة التي جرفها الموج إلى الشاطئ. لم يستغرق الأمر طويلًا قبل أن يبتلَّ حذاؤه بالكامل.

كان يبحث عن قارب التجديف الذي سحبه نحو اليابسة منذ خمسة أعوام ، وتركه بجوار حافة الأشجار مربوطًا إلى جذع شجرة ما.

لم يكن باستطاعة أحد رؤية القارب من الماء ، وبالكاد يمكن رؤيته من اليابسة ، إلا إذا تُهت في الغابة وتعثرتَ به مصادفة. يعود القارب إلى صديق طفولة والدَي نيكلاس ، الذي قام ببيع مسكنه في ساندهامن وشراء آخر في رونمارو ، وترك خلفه القارب الصغير الذي لا يعترض طريق أحد.

ذهب نوردغرين بعيدًا في أول الأمر ، ثم تمكَّن أخيرًا من العثور على القارب البلاستيكي حيث تركه تمامًا. لا تزال المجاديف هناك ، وكذلك الجردل. لم يستطع فك العقدة التي ربطها حول شجرة الصنوبر الطويلة ، وأصبح عليه أن يقطع الحبل بسكين بدلًا من ذلك. دفع القارب إلى الماء ، ثم قفز إليه ، وكان حذاؤه مبللًا على أية حال.

لم يستغرق سوى ساعتين في التجديف نحو المضيق عند جرف رونمارو ، ويرجع الفضل في ذلك إلى الرياح الجنوبية. هناك اشترى صديق والديه منزله الجديد ، وكان يحتوي على مكان للعب في الحديقة مع سرير أيضًا ، وسبق أن نام نوردغرين عليه من قبل.

في الوقت الذي جدف فيه نيكلاس نوردغرين نحو الشاطئ في رونمارو ، انطلقت صافرة الحكم معلنةً بدء المباراة في ملعب راسوندا في سولنا. بُنيت تلك الحلبة كملعب السويد الدولي من أجل فريق السويد لكرة القدم ، وكانت تستوعب أربعين ألف مشجع. في هذه الليلة ، وبينما يلعب فريق «أ. كـ.» مع تريليبورغ على أرضه ، كان نصف ذلك العدد من المشجعين على المقاعد. إنه عام «أ. كـ.» بامتياز ، فالفريق يتوجه نحو النصر في اتحاد السفنسكان. لم تجعل تلك الحقيقة ميشال معلوف سعيدًا أو حزينًا ، إذ لم يكن له فريقٌ مفضَّل في السفنسكان. اعتقد أن اتحاد كرة القدم الإنجليزي أرفع منزلة من السويدي ، واهتم اهتمامًا أكبر بالاتحاد الدولي ، وفوق كل شيء كان تريليبورغ أقل خصوم «أ. كـ.» إمتاعًا ، ومباراة كتلك تستطيع وصفها بتعاطف بأنها مباراة دفاعية بمهارة.

لا ريب أن عشرين ألف مشجع في ذلك المساء يمكنهم منح المباراة المملة شعورًا جيدًا. كانت المدرجات زاخرة بالحيوية ، وعلى الرغم من أن النتيجة عند نهاية الشوط الأول كانت التعادل بلا أهداف ، فقد بدا أن الليلة ستنتهي لصالح الفريق المضيف. يمكنك الشعور بهذا في الجو. اشترى معلوف شطيرة نقانق وزيروكولا في كوب بلاستيكي يصعب الإمساك به ، وعاد كي يشاهد الشوط الثاني وهو لا يزال فاقدًا للحماس.

صوَّب الفريق المضيف الكرة في شباك خصمه في الدقيقة الخامسة والستين ، وبعد مرور ربع ساعة على ذلك نهض معلوف وشقَّ طريقه خارج المكان ، حاملًا حقيبته الرياضية بإحدى يديه. ربما أجبرته الكولا على الذهاب إلى الحمَّام بصورة مُلحة.

إلى جوار مراحيض الرجال الضخمة وحجراتها العديدة ، كان ثمة مرحاض لذوي الاحتياجات الخاصة مع باب يمكن إغلاقه من الداخل. توجَّه معلوف إلى هناك. لم يتبقَ على نهاية المباراة سوى بضع دقائق ، وأصبحت أروقة الملعب خالية تمامًا. سيتقرر كل شيء خارج الملعب ، وهذا ما لا يرغب المرء في تفويته.

على الرغم من هذا ، حرص معلوف بشدة على ألَّا يشاهده أحد وهو يفتح باب المرحاض.

أغلق الباب بإحكام، وعلَّق الحقيبة على الخطاف خلف الباب، ثم أخرج منها حشية للنوم ووسادة. فاحت الغرفة برائحة البول، لكنه مر بما هو أسوأ. وضع كل شيء على الأرض في الزاوية المعاكسة للمرحاض، وجلس على الحشية. جلب معه كتابًا سميكًا لستيفن كنغ، لكنه لم يكن ليقرأه، حيث كان كتابًا شعائريًّا، وهو غالبًا ما يجلب معه كتبًا سميكة ولا يقرؤها.

استغرق الأمر عشر دقائق قبل أن يتحول الضجيج خارج الحمَّام إلى صخب، فمشجعو كرة القدم اليائسون لا يرغبون في الانتظار طويلًا في صف الحمَّامات العادية، ولهذا بدأوا في تحريك باب معلوف.

منعهم القفل، واستمر معلوف جالسًا على الأرض، وبعد خمس عشرة أو عشرين دقيقة أضحى الملعب هادئًا مرَّة أخرى. لم يبقَ الآن غير الانتظار، وعمال التنظيف لن يأتوا قبل الصباح التالي، وتلك طريقة الشركة لتفادي دفع تكلفة أوقات عمل إضافية. كان زوران ميلكوفيتش يدير شركة تنظيف ناجحة لمدة عشر سنوات، وهو يعلم كيف تسير الأمور في راسوندا.

لكن ميلكوفيتش نفسه لا يعلم أين يكون ميشال معلوف في تلك اللحظة.

نام معلوف على فترات تبلغ في مجموعها خمس عشرة دقيقة، فالأرض قاسية جدًّا، والحشية الرقيقة لا تسمح بالنوم لوقت أطول. استيقظ أخيرًا عند الرابعة والنصف صباحًا متيبِّسًا وذا مزاج سيِّئ. لكن النهوض الآن في هذا الوقت المبكر أمر بلا جدوى. سيضطر إلى البقاء في المرحاض حتى تعود حركة الحافلات والقطارات.

فتح معلوف باب مرحاض ذوي الاحتياجات الخاصة، بينما ملعب راسوندا هادئ وخالٍ.

مشى ببطء خلال الممرات المعتمة بجانب المحلات التي كانت توزع الطعام. من المستحيل أن يُصدِّق أنه في الليلة الماضية كان آلاف الأشخاص يصرخون ويشجعون ويشربون ويضحكون على تلك المدرجات الخالية. بدا ذلك الصباح المبكر كأنه اليوم الذي تلا انفجارًا نوويًّا.

توجد أبواب دوارة عند المخارج ، تدور في اتجاه واحد فقط ، ولهذا لم تكن هناك أقفال عليها. ترك معلوف راسوندا في عتمة الصباح الباكر ، مستقلًّا خط المترو الأزرق عائدًا إلى ستادسهاغن ، ثم القطار من كارلبيرغ نحو كارستا ، ومن هناك سيستقل الحافلة نحو نورتاليي.

كانت احتمالية مصادفته لأحد معارفه في أي مكان من تلك الأماكن ضئيلة جدًّا.

انتظر سامي فرحان يومًا آخر حتى السبت التاسع عشر من أيلول. اختفى ميشال معلوف بسهولة، ووجد نيكلاس نوردغرين الأمر صعبًا نوعًا ما، لكنه إلى الآن أكثر صعوبة بالنسبة إلى سامي.

فعل ما كان يفعله دائمًا، رحلة مغادرة متأخرة في ذلك المساء. اختار هذه المرَّة هامبورغ وجهة له. كانت رحلة العودة قد حُجزت بعد شهر كامل، لكن المقعد العائد إلى أرلاندا سيكون خاليًا. عندما يهبط سيجد سيارة في انتظاره في المطار، وسيقودها عائدًا إلى ستوكهولم أثناء تلك الليلة.

كان يقوم بخدمة لأحد ما، حيث تم شراء السيارة في ألمانيا ويجب دفع الضرائب عليها في السويد، ولكن تلك لم تكن مشكلته، فسيتركها في موقف السيارات في أوسترمالم، ثم يتخذ طريقه عبر المدينة بدون أن يلاحظه أحد، متوجهًا إلى شقة في سوديرمالم، حيث لن يفكر أحد في البحث عنه هناك أو تتبع أثره.

أبرا كادابرا، سوف يختفي سامي فرحان.

كلا، لم تكن تلك هي المشكلة.

الوداع هو ما كان مستحيلًا.

سار صباح الأربعاء وفق نهجه المعتاد الفوضوي، حيث استيقظ الرضيع صارخًا عند الرابعة، وقبل أن يقوما بإطعامه وإعادته إلى النوم أيقظ بصراخه أخاه الأكبر. دار سامي حول طاولة المطبخ وجون بين ذراعيه، دورة بعد أخرى بعد أخرى، وهو يصغي إلى شهقاته التي هدأت تدريجيًّا حتى راح في النوم.

وفي الدقيقة التي وضع فيها الصبي في فراشه، وهو عبارة عن فراش فوق أرضية غرفة استعملتها كارين سابقًا كمكتب، شعر سامي أنه استيقظ تمامًا. جلس على الأريكة في غرفة المعيشة، وراح يفكر فيما سيقوله، لقد كان الأمر مستحيلًا.

غفا عند الخامسة، ثم استيقظ في السابعة على صوت كارين وهي تحاول صنع القهوة والعصيدة لصبي السنة الواحدة.

كانت قد استيقظت منذ السادسة. أعطت سامي قنينة حليب مشيرة نحو الرضيع الذي ينام في عربته في الرواق، ثم ترنَّحت نحو غرفة النوم، وأغلقت الباب خلفها، وتهاوت على الفراش متمنيةً بضع ساعات من النوم المتواصل لتسمح لحليبها بالتجمع من أجل الرضعة التالية.

حدَّث سامي نفسه: هذا ليس صائبًا.

لا أستطيع أن أتركها هكذا.

ليس الآن، ليس لمدة أسبوع، ليس حتى ليوم واحد.

لكنه لا يمتلك خيارًا آخر.

الذهاب إلى تحت الأرض والاختباء من النظام هما طريقته في حماية كارين والأطفال على المدى القريب والمدى البعيد معًا.

لم يتخيل سامي عودته إلى السجن، لم يعد يستطيع ذلك، ليس الآن بعد أن حقق كل هذا: المنزل والعائلة.

تقتضي خطته أن يبقى بعيدًا قرابة ثلاثة أسابيع، وهو يفعل ذلك كي يمنع احتجازه لمدة ثلاث سنوات، أو ربما أكثر.

لكنه لا يستطيع أن يخبر كارين بأيٍّ من هذا. لقد قطع لها وعدًا مُلزمًا، وعدًا مهمًّا لكليهما، ولو لم يخسر النقود التي استثمرها معه أشقاؤه وأصدقاؤه في مشروع القريدس، ما انتهى أبدًا إلى هذا الوضع.

ومع أن الأمر يتعلَّق به فإن السجن لا يخيفه. إذا دخلتَ اللعبة يجب عليك القبول بشروطها. لكن بالنسبة إلى عائلته كان الأمر مختلفًا.

أعد سامي الإفطار، ثم أيقظ كارين بلُطف حاملًا صينية الطعام إليها: جبنًا وعجة بيض وكوبًا كبيرًا من الحليب. وللمرَّة الأولى كان الصبيان نائمين.

وضع الصينية على السرير وجلس عند قدميها. شاهدها وهي تستيقظ متعبة، وقد بدت جميلة بشكل لا يُصدَّق. وكالمعتاد، كلما راقبها خلسة أدرك أنه ليس في إمكانه أن يكون مع أي امرأة أخرى.

قال: «يجب أن أرحل».

انسابت الكلمات بسرعة من فمه ، وكان مندهشًا من نفسه ، لطالما تخيل كيف سيبدأ حوارهما ، ولكن لم يكن الأمر كما تخيل.

كانت قد التقطت السكين لتوِّها كي تبدأ في الأكل ، لكنها أعادتها مرَّة أخرى.

قالت بحزم: «كلا».

بدت عيناها جادتين.

«بكل وضوح حبيبي ، يجب أن يؤجَّل ذلك. أحتاج إلى المساعدة بشكل كبير جدًّا».

«أعرف ، أعرف».

جلس هادئًا بشكل تام. تستطيع كارين أن تحصي المرَّات التي جلس فيها ساكنًا كما يفعل الآن. عرفت أنه اتخذ قراره ، فتركت الصمت يتنامى قبل أن تسأله: «أين ستذهب ؟».

كرر القول: «يجب أن أرحل».

«إلى أين ؟».

لم يتمكن من إبقاء بصره في اتجاه عينيها ، فاستدار ونظر عبر النافذة ، وجذب كنزته التي بدت ضيقة فجأة.

«لا يمكنني القول».

قالت بهدوء: «لا تفعل ذلك. لقد وعدت».

أبقت صوتها منخفضًا كي لا توقظ الصبيين. لم يكن هناك غضب ، بل حزن فقط ، مما جعل الموقف أسوأ.

قال: «أعرف ، وسأحافظ على وعدي».

إنه يعني ذلك ، إذ لم يكن يرغب في عيش حياة الإجرام ثانيةً ، لقد آمن بذلك حقًّا.

«إذًا تستطيع إخباري أين ستذهب. هل ستذهب لليلة واحدة ؟».

قال: «بل لعدة أسابيع».

انفجرت صارخة: «لا يمكنك ذلك».

اهتزَّت الصينية ، وانسكب جزء من الحليب خارج الكوب.

«لا يمكنك الرحيل هكذا لعدة أسابيع. ليس بدون أن أعلم بمكان ذهابك. ليس وقد حظينا بطفل للتوِّ».

شرع الرضيع في تلك اللحظة بالتحديد بالبكاء في الرواق ، فاستغل سامي ذلك كعذر للذهاب.

صرخت بعده: «هل سمعتَ ما قلتُه ؟».

22-23 أيلول

16:54

تشير الساعة إلى ما قبل الخامسة ببضع دقائق ، ستنتهي مناوبته عند الخامسة ، حيث يُستبدل موظفو المساء والليل. عمَّ الهدوء طوال المساء ، ولهذا خرج كي يُبدِّل ملابسه قبل الموعد بدقائق.

عمل لصالح محطة وقود ستاتويل في ماغيلونغسفاغين في باندهاغين منذ قرابة عامين ، وقد أحب عمله كثيرًا. كانت هناك مجموعة صغيرة منهم تقضي المناوبات معًا ، ثلاثة رجال وامرأتان ، ثم يبدأون كذلك في التسكع معًا بعد مغادرة العمل. عند وصوله إلى ستوكهولم أول مرَّة من شمال السويد قبل خمسة أعوام واجه مشكلة في إيجاد عمل والحصول على أصدقاء جُدد.

استمر في السكن داخل بيوت أعاد استئجارها أكثر من مرَّة ، كحال غيره من الأشخاص ، ومرَّت الأيام. سمع عن العمل في محطة ستاتويل بالمصادفة عندما كان يعمل لوقت إضافي في مطعم للبيتزا في هوغدالين ، حيث يقوم بتوصيل البيتزا على دراجة نارية سرقها من خارج غلوب أرينا ، وتصادف عند توقفه هناك للتزود بالوقود أن سمع المدير يشكو حاجتهم إلى رجل آخر للمناوبة الليلية ، وعندها بدأ مباشرة بعد أن أكل البيتزا التي يحملها بدلًا من تسليمها.

أعطوه مناوبات ليلية أكثر فأكثر ، وبعد عام واحد تقريبًا بدأ يعمل أثناء النهار.

كان كل ما يرغب فيه الجميع هو عدم الإحساس بوجود من يفسد إيقاع حياتهم.

وقفوا كعادتهم يثرثرون لفترة خارج محطة الوقود قبل التوجه إلى المنزل. وضع حقيبته الرياضية على الأرض بين قدميه ، كانت حقيبة كبيرة يستخدمها في الليل ، لكنه يحملها غالبًا معه ، ولهذا لم يشعر أحد بشيء تجاهها.

كان مساء الثلاثاء ، ولم تكن ثمة أمور كثيرة ، وليس هناك شيء يستحق المشاهدة على التلفاز. قام أحدهم بدعوتهم لمشاهدة فيلم الفتاة التي لعبت بالنار ، الذي بدأت السينمات في عرضه منذ يوم الجمعة ، لكنه موجود في موقع بايرتِ باي.

أحب ليالي الأفلام تلك ، لكنه رفض في هذه المرَّة.

ضحك الآخرون وسخروا منه. هل هناك ما يجري في حياته؟ ربما أمر سري؟

ضحك معهم، وأخبرهم بعدم وجود سر على الإطلاق، وأنه سيذهب فقط إلى التمرن، ثم أشار إلى حقيبته.

مزح أحدهم منحنيًا للإمساك بالحقيبة وإزالة العقبة التي أعاقت أمسية فيلمهم، لكنه عندما أمسك بعروة الحقيبة وحاول رفعها، خانه وزنها الثقيل، ولم يتمكن من زحزحتها عن مكانها.

«ما هذا بحق الجحيم؟».

احتوت الحقيبة الرياضية الكبيرة على سلسلة طويلة سميكة بالإضافة إلى كرات معدنية شائكة مثبتة عليها. تم تجهيزها لتمتد على طول اليكترافاغين عند التقاطع مع فاستبيرغا فاغين بعد عدة ساعات.

رفع الحقيبة على كتفه.

أراد أن يبدو الأمر مجرد حركة بسيطة، وضحك على ثقلها، ثم توجَّه نحو محطة الحافلات.

هناك عملٌ في انتظاره، ولا بد أن يقوم به. أخرج هاتفه وأجرى اتصالًا.

16:55

عندما رنَّ الهاتف كان كل شيء يسير حسب الخطة. أشهرٌ من التخطيط ، وأعوامٌ من الحلم بالبناية في فاستبيرغا.

لقد حان الوقت.

نهض ميشال معلوف من فوق كرسيه ، وذهب إلى طاولة المطبخ ، أجاب واستمع إلى رجل السلسلة وهو يقول إنه في طريقه. تتلخص مهمته هذه الليلة في مد سلسلة من الكرات المعدنية الشائكة عبر اليكترافاغين عند التقاطع مع فاستبيرغا فاغين ، وكذلك عبر فاستبيرغا آلي عند درايفيولسفاغين ، كي يقوم بإيقاف سيارات الشرطة التي ستأتي مسرعة من المركز في فاستبيرغا غاردزفاغ. تأكد معلوف من الأمر ، وأغلق الخط بسرعة ، ثم عاد إلى كرسيه بالقرب من النافذة ، حيث أصبح ذلك مكانه المفضل في هذه الشقة حديثة البناء قليلة الأثاث في نورتاليي ، والتي أقسم زوران ميلكوفيتش على أنه لن يتمكن أحد من إيجادها. تعرف ميلكوفيتش على الرجل الذي قام بإنشاء وحدة التدفئة في الشقة عند تجهيزها قبل عدة أعوام ، وهو من أحضر لهما المفتاح.

تطلَّع معلوف من نافذة المطبخ ليومين متتاليين. كان متأكدًا من شيء واحد فقط وهو أنه لن ينتقل إلى نورتاليي.

تحوَّل ذهنه إلى أليكساندرا سفينسون ، وشعر بافتقاده لجسدها اللدن أثناء الأيام الماضية دون غيره من الأشياء. ملأت رائحة بشرتها أحلامه ، وتذكر أن ذلك لم يحدث من قبل مع امرأة أخرى. سيستطيع فيما بعد أن ينظر إلى عينيها بدون قلق من نظرتها المباشرة إلى بؤبؤي عينيه ثم إلى روحه واكتشاف أمره.

شعر بالقلق طيلة الأسابيع الماضية خشية وجودها في العمل في تلك الليلة الموعودة ، ورؤيتها له في فاستبيرغا وسط كل هذا ، لكنه علم قبل أسبوع أو أكثر أن مناوبة أليكساندرا الليلية لن تبدأ قبل الخميس ، مما يعني أنها ستكون في المنزل في هاماربي سيوستاد في صباح الغد ، وقد سبب له ذلك راحة كبيرة.

قريبًا سيختلف كل شيء.

قريبًا لن يضطر إلى الكذب بشأن ما يفعله ، وعدم إخبارها بما فعله لن يُمثِّل مشكلة له ، فذلك هو الأساس في أي علاقة خاضها معلوف.

غاص في الأحلام ، وأخذ يرتب في ذهنه قائمة بالأشياء التي قد تجري بصورة خاطئة هذه الليلة وصباح الغد. كان هناك الكثير مما لا يمتلك القدرة على التحكم به بعد الآن. سمع سامي يتحدث عن الخطة البديلة ويبتسم. حينما يعضُّ الواقع بأسنانه على خططهم - كما يفعل دائمًا - فإن القابلية للارتجال هي ما تفصل المحترفين عن الهواة ، ولهذا السبب عمل مع سامي فرحان ونيكلاس نوردغرين ، فكلاهما يعرف كيفية الارتجال.

اختفى الثلاثة في بداية هذا الأسبوع.

ذهبوا إلى تحت الأرض. أطلق نوردغرين على ذلك: «الاختباء». قبل أي عمل ضخم بأسبوع تقريبًا يجب عليك أن تذهب بعيدًا عن الرادار ، ثم تجد مكانًا تختبئ فيه وحيدًا لعدة أيام.

لم يكن ذلك بسبب الشرطة فقط ، بل هو أيضًا من أجل أصدقائهم وعائلاتهم ، فإذا لم يعلم أحد بمكانهم فلا يستطيع أن يشي بهم ، أو يفصح عن أي أمر مهم عرضًا.

تنهَّد معلوف ، وكانت تنهيدة رضا أكثر منها تنهيدة خوف. كره هذه الساعات القليلة من الانتظار السلبي قبل العمل ، وقد ظل في مرحلة التخطيط هادئًا ومنهجيًّا دائمًا ، وقام بتنظيم قائمة في ذهنه ، وتناول النقاط واحدة بعد الأخرى ، وحينما يبدأ الأمر فسيبدو كأنه يتحول ، ومع قناع يغطي وجهه سيكون الأمر أشبه بمن يُعيد اكتشاف هويته الحقيقية ، وظلت حواسه تتسامى ، متنفسًا بثقة ، مفكرًا بوضوح أكثر.

لكن تلك المرحلة الانتقالية بين التخطيط والتنفيذ كانت لا تُحتمل.

ألقى بهاتفه فوق قطعة قماشية على سطح غسالة الصحون ، ورمى المتبقي من القهوة الباردة خارج الإناء وأعاد ملأه بالماء لتحضير شراب جديد.

لن يصل ميلكوفيتش قبل الواحدة. ابتسم معلوف من فكرة صديقه الطويل ، والطريقة التي جعل بها الشرطة السويدية تعتقد أن السطو سيحدث في الخامس عشر من الشهر.

استمتع ميلكوفيتش بفعل ذلك ، وأخبر معلوف بخطته. كانت مجرد تلميحات جديرة بالثقة وليست تصريحات واضحة.

كان الرجل على صواب.

صدَّقته الشرطة ، وصدَّقه السياسيون ومعهم قوة المهمات الوطنية اللعينة تلك.

22:50

كانت الحركة العمرانية الجادة في السويد في عام 1915 وراء افتتاح سودرا فولكباركن إلى الجنوب من سوديرتاليفاغن في مقاطعة ميدسومركرانسين. لم تستطع الحرب العالمية التي أُعلن عنها حديثًا إجبار السويديين على الاستسلام، وتنامت سريعًا الحاجة إلى التسلية والرقص والترفيه، كما تنامت الحاجة إلى التعبئة السياسية وأماكن الاجتماعات، ولم يكن ثمة أحد جديرًا بتقديم كلمة افتتاح المتنزه سوى يالمار برانتنغ.

لكن على الرغم من دعم برانتنغ وتنامي ميدسومركرانسين، فقد وجد المتنزه صعوبة متزايدة في تمويل نفسه ماديًا. وعندما اندلع حريق كبير في تلك المنطقة عام 1972، ودُمرت المطاعم وقاعات الرقص وقاعات الاجتماعات، تحددت نهاية مجد سودرافولكسباركين. وبعد عقدين من الإهمال اختيرت المنطقة لإعادة إعمارها. بُنيت المنطقة السكنية التي لا تزال قائمة حتى الآن بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية.

سكن الرجل العجوز ذو القبعة، الذي يتجه شمالًا في كاروسيلفاغين، في أحد المباني ذات الطوابق الثلاثة بلا شك. وعلى الرغم من اقتراب الساعة من الحادية عشرة ليلًا لم يُثر وجوده أي انتباه. كما لم يُثر الانتباه سابقًا في هذا اليوم عندما قضى أكثر من ساعة وهو يعتني بسيارته في محطة وقود، ويراقب مستودع النقود «م4أ» في فاستبيرغا، أو عندما جلس على العشب خلف المستودع يقرأ كتابًا تحت حرارة الشمس الدافئة. لم يبدُ عليه شيء، إنه مجرد رجل عجوز يعتني بسيارته العتيقة، ويحب قراءة الكتب القديمة.

استدار نحو منطقة فاستبيرغا الصناعية، وهي منطقة لا يجرؤ أحد على الذهاب إلى جولة ليلية فيها. لم يقلق من أن يراه أحد، فهو لا يفعل شيئًا غير قانوني، وليس لديه سجل إجرامي، وفي صباح الغد سيعود إلى أكيرسبيرغا حيث يعيش.

احتفظ بهاتفين في جيب سترته، أحدهما يعود إليه، بينما استعار الآخر. لم يكن هناك سوى رقم واحد في قائمة الهاتفين، وقد انحصرت مهمته في الاتصال والإبلاغ عن الوضع إذا رأى أي شيء غير مألوف، كضباط شرطة خارج الدوريات، أو حرس لا ينتمون إلى المنطقة، أو نشاط غير عادي خارج المبنى.

يعني ذلك أنه سيتصل حتى لو كان كل شيء على ما يرام.

للإبلاغ عن ذلك فقط.

23:05

رنَّ الهاتف.

فاجأ الرنين سامي على الرغم من انتظاره لتلك المكالمة. قفز من فوق الأريكة وركض نحو المطبخ. امتلك أربعة هواتف، صُفَّت بشكل مستقيم، وكلٌّ منها يعمل بشريحة جديدة. انتقلت عدوى الاهتزاز من الهاتف مصدر الرنين إلى الهواتف الأخرى فارتعشت تضامنًا معه. قام سامي منذ الأحد الماضي ببرمجة الأرقام التي يحتاج إليها في تلك الليلة والصباح التالي.

قرأ على الشاشة: الفريق 1. عرَّفهم بتلك الطريقة مع أرقام مختلفة، وكان ذلك ما خطط له حين يتصل بهم. أشار نوردغرين إلى أن كلمة فريق تعني أكثر من شخص واحد، فعلَّق سامي بأن هذا ليس اختبارًا في القواعد اللغوية.

التقط الهاتف وضغط على زره.

قال الفريق 1: «لا يزال المكان هادئًا».

«جيد».

هذا كل شيء.

كان مساءً طويلًا، وبدا بلا نهاية. مكث سامي فرحان في شقة في كوكزغاتان في سوديرمالم منذ ثلاثة أيام، في الطابق الثاني، مطلًّا على الباحة، مختبئًا هناك منذ عودته من هامبورغ.

لم يخرج أثناء الأيام الثلاثة، وظل يشاهد التلفاز وينام ويأكل. تركت له شقيقته بعض الطعام في الثلاجة والديب فريزر. تعود الشقة إلى إحدى صديقاتها التي تتجول الآن حول آسيا، ولم تكن صديقتها تعلم أن شقتها تُستخدم الآن مسكنًا لأحد اللصوص. قام سامي في الأيام الأخيرة بقلب نظام نومه رأسًا على عقب، كي يمتلك القدرة على إنجاز العمل الذي خطط له منذ ستة أشهر بأفضل طريقة أثناء الليل.

مرت أربعة أيام منذ أن نزل سامي تحت الأرض واختفى من رادارات الشرطة والأصدقاء متجهًا نحو أرلاندا. لم يتحدث إلى كارين، ولم يتصل بوالدته، أو بميشال معلوف

ونيكلاس نوردغرين. لم يلمس هاتفًا منذ أسبوع.

اختبر سامي إجباريًّا أثناء سنوات حياته الثلاثين كثيرًا من تجارب العزلة والخمول في كلٍّ من الحجز الاحتياطي والسجن، لكن الاختباء الآن يعني أن عزلته نتيجة اختياره الخاص، وهذا ما جعل الأمور تبدو أفضل بقليل، وكلما اقترب وقت النهاية وجد صعوبة في البقاء ساكنًا.

لن تصل السيارة التي ستقلُّه إلا قبل منتصف الليل بنصف ساعة، مما يعني أن لديه بضع ساعات أخرى عليه أن يبددها.

سخن قطعتين من أفخاذ الدجاج المجمدة في الميكرويف، ثم تطلَّع إليهما في طبقه بلا اهتمام. لم يستطع الكاتشاب أن يجعلهما أكثر جاذبية، فحتى الطعام يستوجب تخطيطًا. أدرك أنه لا بد من ضبط كمية الماء التي يشربها كل ساعة، حتى لا يضطر إلى الذهاب إلى الحمَّام. فبعد قضاء أيام وأسابيع في التخطيط لمسار المروحية وقوة المتفجرات سيكون من الغباء ألَّا يتمكن من السيطرة على فعاليات جسده. أدرك أيضًا أن عليه ألَّا يتناول أي شيء بعد الساعة الحادية عشرة والربع قد يسبب له المتاعب.

ترك المطبخ بعد أن ألقى ما تبقى من وجبته، ثم أطفأ النور في غرفة المعيشة وجلس على أحد الكراسي محاولًا التركيز.

23:15

شعر نيكلاس نوردغرين مع نهاية كل يوم يمر بالتيبس، بسبب ذاك السرير الواطئ في منزل اللعب في رونمارو. وقلب روتين يومه، فأصبح يقضي النهار في النوم. ولم يستطع التجول حول تلك الأرض أثناء النهار، على الرغم من وجود المنزل في شرق الجزيرة، ووجود السلسلة الجبلية الصخرية عند الساحل التي تمنع أي قارب من الاقتراب. تخلو تلك الجزر في هذا الوقت من السنة من السواح تقريبًا، والقوارب التي تمر بها تعود إلى السكان الدائمين، هؤلاء الأشخاص الذين يراقبون مكان وجود الضيوف ويعرفون متى يكون المكان خاليًا. استعاض نيكلاس عن ذلك بالجري لفترات قصيرة في الغابة بعد منتصف الليل، وهو خائفٌ دومًا من الاصطدام بأفعى أو مواجهة أحد حيوانات الغرير، لكن كان عليه أن يستمر في الحركة، وإلا فلن يكون مستعدًّا حين يحين الوقت.

استيقظ مساء الثلاثاء، وأدرك أن عطلته القصيرة على تلك الجزر قد انتهت، وشعر بالراحة، فعلى الأقل لن يؤلمه ظهره مجددًا، وتلاشى البرد الذي شعر بأنه سيصاب به عندما أخلد إلى الفراش عند الفجر. إنه يوم بارد صافٍ، وقد أنفق بعض الوقت للتأكد من عودة منزل اللعب إلى ما كان عليه.

أخذ القارب الأخير إلى ستافسناس في وقت العشاء. كان الشخص الوحيد الذي ينتظر على الرصيف في رونمارو، وليس مهمًّا إذا تمكن القبطان من التعرف عليه لاحقًا، فالوجود في رونمارو ليس دليل إدانة.

كان هدفه أن يستقل الحافلة نحو دانفيكستول ثم الحضور إلى مسكن كيتولا عند منتصف الليل كما هو متفق عليه. سيترك له ذلك بضع ساعات يمكنه تبديدها في المدينة. اشتاق نوردغرين إلى كوب قهوة ساخن من إسبريسو هاوس، وربما قطعة من المافن، فذلك شيء دأب على تخيله أثناء إقامته في منزل اللعب، إذ لم يكن قُوته في تلك الأيام القليلة سوى الطعام المُعلَّب.

23:30

قامت بتوصيلة إلى بروما في وقت مبكر من ذلك المساء ، ولكن وجب عليها الانتظار لنصف ساعة قبل أن تعود إلى المدينة ، وهذا هو الشيء الجيد في العمل مع شركة تاكسي كورير ، حيث تدفُّق الزبائن. والآن هناك رجل أعمال ذو وجنتين متوردتين لن يقول لا للزجاجة الإضافية من الكونياك على متن الطائرة إذا كانوا لا يزالون يُقدِّمون الكحول في الرحلات الداخلية.

لم تكن تعرف ، حيث مرَّت سنوات منذ سفرها الأخير إلى أي مكان.

أعطاها رجل الأعمال العنوان ، وكان متجهًا نحو أوستيرمالم. تطلَّع الرجل من النافذة طوال الطريق ، حيث وجد هذا أفضل من الحديث إليها. أدركت بعد عدة دقائق من الرحلة أنه لن يعطيها بقشيشًا ، فهذا النوع قلَّما يفعل.

أوصلته ، ثم تأكدت من الوقت ، فأدركت أنها قامت برحلات كافية إلى أوستيرمالم ويمكنها أن تتوجه إلى محل النقانق المتخصص في نايبروغاتان. هل لديها الوقت الكافي لتجربة نقانق لحم الحمل التركية ثم الذهاب لتوصيلة أخرى؟ قبل أن يجيب عقلها وجَّهتها معدتها نحو كوميندورسغاتان حيث مكتب البريد القديم وبجواره المحل. وجدت مكانًا لإيقاف السيارة أمامه تمامًا ، فاعتبرت ذلك إشارة ما.

كانت النقانق متبلة بالدرجة نفسها التي تمنتها.

أدركت عند عودتها خلف المقود أنه لا ضرورة لمحاولة البحث عن توصيلة أخرى. أطفأت النظام وجعلت نفسها غير متاحة وغير مرئية. في صندوق سيارتها قبعت السلسلة مع الكرات الشائكة المثبتة عليها والتي يُفترض أن تمتد عبر فاستبيرغا آلي. افترضت أن الأمر سيستغرق منها بعض الوقت ، فوفقًا لما قاله نيكلاس نوردغرين فالسلسلة تحتاج إلى تثبيت من كلا الجانبين ، لكنه لم يشرح لها كيفية القيام بذلك ، وأعطاها قفلين فقط.

إنها امرأة ذات خيال واسع ، ويمكنها تدبُّر الأمر.

قادت سيارتها عبر المدينة ، ومرَّت بجوار صف طويل من سيارات الأجرة خارج المطاعم. بدا جيدًا بطريقة ما أن تتجنب الصراع من أجل توصيلة أخرى في تلك الليلة ،

على الرغم من أن عملها في مد السلسلة عبر الطريق لن يوفر لها أكثر من ثمن بضع رحلات إلى أرلاندا ومنها.

أخرجت هاتفها.

23:31

شعر نوردغرين في منتصف الطريق فوق الماء بهاتفه يهتزُّ في جيب سترته الداخلي، فأخرجه وردَّ مع نخرة. وجد صعوبة في الاستماع بسبب هدير الماكينات من حوله داخل عبَّارة فاكسهولم.

إنها المرأة المسؤولة عن السلسلة، التي لا تعرف أنها جزء من خطة أكبر، وليست لديها فكرة عن أنها واحدة من بين كثيرين. تتصل لتخبره بأنها في طريقها. أجابها نيكلاس بعبارة واحدة ثم أغلق الخط، وتمنى أن تتمكن من العثور على مكان صلب بالدرجة الكافية حتى تُثبِّت إليه السلسلة على جانبي الطريق.

حظي نيكلاس نوردغرين بالدفء في أسبريسو هاوس في هورنزغاتان، ثم نجح في الوصول إلى البناية، حيث يعيش صديقه يان كيتولا، في الثانية عشرة وعشر دقائق، وقبل الموعد المقرر بخمس دقائق. ساعده كيتولا أحيانًا في الأعمال الكهربائية في المكان الذي يعمل فيه، وهو الشخص الذي وعد بإرشاد نوردغرين إلى مكان اللقاء في ستورا سكوغان. لم يكونا صديقين مقربين، قاما فقط ببعض الأعمال معًا قبل عدة أعوام، لكن بقي الوفاء بينهما.

لم يشعر نوردغرين بالقلق تجاه كيتولا، فكل ما يعرفه أنه سيأخذه إلى ستورا سكوغان، وحتى إذا سمع أخبار ما حدث من المذياع في صباح الغد فليس هناك احتمال لأن يربط بين الأمرين.

لكنه بدأ يشعر بالقلق وهو ينتظر عند المدخل، حيث فكَّر في الصخرة الكبيرة عند مدخل منجم الحصى في نورسبورغ، حيث سيهبطون بعد انتهاء كل هذا. رأى أنه من المستحيل أن تتحرك تلك الصخرة بدون صبر كافٍ أو استعمال البكرات بذكاء، فهي تزن قرابة طن. لكن يجب أن ينجح ذلك، فقد قام بتوجيه الفريق في نورسبورغ بنفسه.

انجرفت أفكاره فجأة نحو مروحية الشرطة.

كان حازمًا جدًّا عندما أخبر الآخرين بما توصل إليه أخيرًا، وبخططه لإبقاء المروحية، أو المروحيات، على الأرض، مما أدى إلى إقناع معلوف وسامي مباشرة. سألا العديد من

الأسئلة بعد ذلك ، خصوصًا سامي ، لأن إحدى فرقه هي من سيقوم بالعمل هناك بعد بضع ساعات ، ولم يشك أيٌّ منهما في نجاح ذلك.

لكن نيكلاس نوردغرين لديه أفكار أخرى الآن.

هل أصبح جسورًا جدًّا ؟

أثنت والدة كلود تافيرنييه عليه ، وأخبرته كثيرًا أنه قائد بالفطرة.

لم يكن ذلك شيئًا اكتسبه ، ولم يكن غبيًا ، إذ يعلم كيف يبدو الأمر عندما يركن رجل في الثلاثين من عمره إلى رأي والدته. لكنَّ ذلك الثناء حمل معاني استمرت معه طوال حياته ، حيث أعطته والدته الثقة بالنفس مما ولَّد لديه تصميمًا أفضى في النهاية إلى شجاعة مطلقة. لم يكن طالبًا متفوقًا ، أو رياضيًا. درس الاقتصاد في جامعة ليون وما زالت أمامه أطروحة لكتابتها إذا رغب في التخرج. انتقل إلى السويد ، وتعلَّم لغتها بسبب الحب الذي اتضح أنه هش أكثر مما تصور. حصل على عمل ومكان للسكن ، فبقي في ستوكهولم عندما انهار كل شيء. لا يزال غير متأكد إن كان ذلك مجرد منعطف أم هو الطريق الذي تحتم عليه أن يسلكه في الحياة.

أدرك في أعماق ذاته أنه من ذلك النوع الذي يتبعه الآخرون. كان قائدًا ، وذلك ما أخبرته به والدته ، وما اعتقده هو في نفسه دائمًا على الرغم من النكسات والعقبات. يأكل خارج المنزل عادةً عندما يعمل في الليل ، ثم يتسكع في حانة في مكان ما حتى يحين الوقت ، والبديل لذلك هو قضاء الأمسية في المنزل والتحقق من الوقت كل خمس دقائق. كانت المناوبات الليلية تبدأ عند منتصف الليل وتنتهي عند الثامنة صباحًا ، وقد عملوا وفق نمط محدد: ليلتان متتاليتان ثم يوم إجازة ثم ثلاث مناوبات من التاسعة حتى الخامسة. استدعاه المدير الأعلى بعد أربعة أعوام من بداية توظيفه ، وسأله إن كان مستعدًّا للخطوة الثانية في مهنته. لم يبدُ الأمر مفاجأة له ، بل على العكس ، استفسر تافيرنييه عن منحة التقاعد ثم أخذ عطلة نهاية الأسبوع للتظاهر بالتفكير في الأمر ثم قام بتوقيع العقد.

إنه في السنة الثالثة من القيادة الآن ، وقد شعر أن الوقت أزف للتقدم ، فبقاؤه كمدير متوسط بين مئات الآخرين لم يكن قصد والدته عندما رأت فيه قائدًا.

لم يتعجل في المغادرة على أية حال ، فالعمل بذاته قد يكون ثابت الوتيرة ، وهناك صراع بداخله لإقناع نفسه بأنه يفعل شيئًا مهمًّا. لكنه كلما تفحَّص المناصب الشاغرة في

ستوكهولم أو باريس تأكد أن الأمور لن تختلف في أي مكان آخر فيما يخص ظروف العمل ومتطلبات المهنة، سواء في ليون أو مالمو.

وفيما يخص الزملاء، افترض تافيرنييه أنه في داخل كل مجموعة يوجد أشخاص يحبهم الآخرون، وأشخاص آخرون محبوبون بدرجة أقل.

قادته إلى الجنون، في محل عمله الحالي، سيدةٌ عجوز تُدعى «آن ماري لاوسن». كانت في الحادية والستين، وعملت لصالح الشركة طوال حياتها، لكنها تتصرف كأنها تمتلكها. كانت من ذلك النوع الذي يقول بنبرة ساخرة: «لكن، ليس ذلك ما نفعله عادة». علم تافيرنييه أن شبابه يضايقها، لكنه ليس لديه ما يفعله في هذا الشأن.

أحبَّ كلود تافيرنييه في أيام الثلاثاء الذهاب إلى الحانة المتوسطة في ستورهوف لينتظر انتصاف الليل وبداية مناوبته. كانت الحانة المتوسطة صغيرة ودافئة، وهي عبارة عن دهليز ضيق وزاوية حميمة. تعوَّد على تبادل بعض الكلمات الودودة مع الساقي ثم الانزواء جانبًا مع جعته الباردة متفرجًا على هؤلاء الأشخاص الوسيمين وهم يغدون ويروحون في المرآة أمامه.

سيقوم لاحقًا داخل سيارة الأجرة في طريقه إلى العمل بمضغ بعض اللبان برائحة النعناع، وبهذا لن يكتشف أحد رائحة الكحول الكريهة في فمه، أو أنه يعاني مشكلة في الشرب.

لم يكن يحتاج في الحقيقة إلى استقلال سيارة أجرة إلى الضواحي، حيث اشترى سيارة «نيسان» مستعملة قبل سنة، وكان يحبها أكثر مما يعترف بذلك، لكن عدد أماكن التوقف التي تمتلكها الشركة في فاستبيرغا كان محدودًا جدًّا، ولهذا وجب عليه الانتظار حتى يستقيل شخص ما أو يموت فيحظى بأحدها.

تنهَّد، ثم دفع الفاتورة وتوجَّه خارجًا إلى ستوربلان. وجد سيارة أجرة تابعة لشركة تاكسي كورير، وهي الشركة التي يشعر بالولاء لها لسبب غير معروف، ثم قفز إلى المقعد الخلفي، قائلًا: «فاستبيرغا آلي».

أومأ السائق ثم ضغط على دواسة الوقود.

أشارت الساعة إلى الثانية عشرة إلا عشر دقائق عندما ترجل كلود تافيرنييه من سيارة الأجرة خارج مستودع «م4أ» للنقود في ليلة الثاني والعشرين من أيلول، وهناك وفي طريقه إلى المبنى غابت فجأة كل ثقته بنفسه لثوانٍ معدودة.

يحدث هذا الأمر عدة مرّات في الأسبوع.

إنه أشبه بجلوسك على متن طائرة في جو جيد، ثم فجأة وبشكل غير متوقع تهوي لبضعة أمتار بسبب المطبات الهوائية. أو أشبه بانحنائك على كرسي المرحاض وأنت تتقيأ وتتقيأ وتتقيأ إلى الدرجة التي تشعر فيها بأنه لم يبقَ شيء كي تلفظه، لكنك تعرف أن التقلص المعوي التالي في طريقه إليك.

وجد الوقت للتفكير: أنا لا شيء. أنا لا أتمكن من اتخاذ القرارات نيابة عن الآخرين. لن أتمكن من أن أكون مسؤولًا عن مجموعة من الأشخاص.

أخذ كلود تافيرنييه نفَسًا عميقًا، وملأ رئتيه بهواء الليل البارد المنعش، ثم رفع وجهه إلى السماء، ومرَّت تلك الثواني.

عادت ثقته ثانيةً. إنه المدير الليلي لقسم الإحصاء في الطابق السادس في «م4أ».

إنه رجل شابٌّ، ولديه مهنة.

وجد بطاقة هويته في جيبه، فأخرجها إلى فالتر يانسون الحارس الأمني في الاستقبال في تلك الليلة. سبق أن عمل تافيرنييه ويانسون معًا لعدة ليالٍ في فاستبيرغا، وكانا يشعران بالراحة معًا.

23:52

هناك شقة في الطابق العلوي لإحدى ناطحات سحاب ستوكهولم المعدودة ، تحتوي على غرفة تحرير إحدى أكبر الصحف الصباحية السويدية: «داغينز نايهيتير» ، وثاني أكبر صحيفة ليلية: «إكسبرسن». كانت تحتوي على غرفة داخلية لتناول الطعام مخصصة للعاملين في المكان فقط ، وقد نوقش أمر تحويل تلك الغرفة إلى مطعم تجاري في عدة مناسبات. كانت المناظر استثنائية ، والعديد من أصحاب المطاعم مهتمين بالأمر ، لكن إحدى الغرف التاريخية لصحيفة «داغينز نايهيتير» تقع على الجانب الآخر من المطعم. وعلى الرغم من مرور عقود على نقل الصحيفة إلى الطوابق السفلى فإن الطابق العلوي ما زال طابقهم الإداري ، وبطبيعة الحال لم يرغبوا في وجود دخلاء هناك في الأعلى.

كانت الحادية عشرة والنصف عندما غادر موظفو المطعم في الطابق الثالث والعشرين في ذلك المساء. تم تجهيز الطعام وتقديمه إلى فريق العمل في «إكسبريسن» ، ويبدو أن أعضاء من الإدارة العليا كانوا في المطعم في تلك الليلة لأنه تم تقديم كمية من الكحول أقل بكثير من المعتاد ، وقد انتهت الأمسية بسرعة. شعر موظفو المطعم بالسعادة بسبب انتهاء العمل المبكر ، وضحكوا وهم في طريقهم نحو الأسفل إلى الشارع في رالامبسفاغبن.

لم يلاحظ أحد أن الشخص الذي عمل في البوفيه البارد طوال الليلة غائب عن المصعد المكتظ ، وحتى إذا لاحظ أحدهم ذلك فسيفترض أنه غادر قبلهم ، أو أنه يقوم بتنظيم شيء ما في المطعم قبل أن يستقل المصعد التالي.

لكن كلتا الفرضيتين كانتا خاطئتين.

انتظر الرجل الغائب في الطابق الثالث والعشرين حتى شاهد على الشاشة أن المصعد الذي يحمل زملاءه وصل إلى الطابق الأرضي ، واختبأ ليتأكد من عدم صعود مصعد آخر نحو الأعلى ، ثم أخرج بطاقته الإلكترونية وفتح الباب نحو بهو السلم. صعد الرجل السلالم إلى السطح ، وفتح الباب المغلق من الداخل ، وقبل أن يخطو خارجًا إلى أجواء الليل وضع قطعة من الفلين في طريق الباب حتى لا يُغلق من خلفه.

تسلَّل قبل عدة أيام إلى السطح أثناء مناوبته ، كي يعثر على مخبأ يُخفي فيه زوجًا من نظارات الرؤية الليلية ، وأخفاه بالفعل خلف أحد أعمدة المداخن. يحمل في هذه المرَّة حقيبة رياضية سوداء ، بداخلها كنزة دافئة ، وقنينة عازلة للحرارة مملوءة بالقهوة ، وأربع موزات ، ولوح شوكولاتة. ستكون ليلة طويلة ، وسيحتاج إلى طاقة إضافية. استنشق رجل البوفيه البارد هواء الليل المنعش ، ونظر إلى العاصمة الجميلة الاستثنائية تحته مباشرة. كانت مياه ريدارفياردن تلتمع تحت مصابيح الشوارع المحيطة بها ، وتنحدر يمينًا إلى قاعة مبنى المدينة ، وفي الاتجاه الآخر إلى الغرب يرتفع جسر ترانبيرغ فوق مضيق ترانبيرغ ، وفي اتجاه الجنوب استطاع رؤية نقاط حمراء وبيضاء من الضوء تتحرك على طول الجسور المعلقة لطريق إسينغليدين السريع. من ذلك الموقع المتميز على سطح أعلى بناية في ماريبيرغ سيتمكن الرجل من رؤية كل مَن يقترب من فاستبيرغا جوًّا ، وسيكشف سترهم في وقت جيد ، سواء أكانوا متجهين من بيرغا أم أوبسالا.

أخرج هاتفًا محمولًا جديدًا ، وطلب الرقم الوحيد الموجود في قائمة الاتصالات ، فأجابه سامي فرحان.

قال رجل البوفيه البارد: «الفريق 4. أنا في الموقع».

كانت الساعة 23:52 تمامًا.

استقل إزرا راي سيارة «فولفو» رمادية موديل 1999، وكانت أوراق تسجيلها وأوراق الضرائب في صندوق القفازات. لا يعلم مَن يكون صاحب السيارة، لكنه افترض أنها تعود إلى ساحة الخردة في ليدينغو، حيث التقطها هو قبل ساعة أو أقل بقليل. قاد عبر جسر ليدينغو، وقرر عدم سلوك الطريق عبر متنزه ليلياسكوغين، حيث إنه في منتصف الليل، وخطورة أن يتم إيقافه من قِبل الشرطة ستكون أكبر إذا اختار طريقًا معتمًا يمر عبر الغابة. بدلًا من ذلك سلك طريق فالهالافاغين، وهو طريق واسع تضيئه المصابيح بصورة جيدة، ومليء بالشاحنات الثقيلة التي تقوم بتوصيل أو تحميل البضائع من الموانئ خلف غارديت.

لم يكن يعلم بالتحديد ما يجري في هذه الليلة، ولكن بعد تجميع القطع الصغيرة التي شارك فيها: المخططات التي سرقها من مكتب تخطيط المدينة، والسلالم التي اشتراها من باوهاوس، تمكَّن من معرفة جزء من ذلك. وبتفحُّص الأشياء المخبأة تحت الغطاء في صندوق السيارة «الفولفو» الواسع استطاع معرفة المتبقي تقريبًا. وجد منشارًا دائريًّا، وبعض أكياس البريد، وحبالًا، وشاحنات طاقة، وأسلاكًا، وصواعق، ومتفجرات، وأقنعة لتغطية الوجه، ودروعًا جسدية، ومصابيح رأسية، وعتلتين، ومطرقة ضخمة جدًّا، وصندوق معدات صغيرًا. كان السلم الأطول بطول أربعة أمتار حتى بعد طيِّه، واضطر إزرا أن يدفعه بين المقاعد الأمامية ويتركه ليستقر على لوحة العدادات، لكنه مع ذلك لم يتمكن من إغلاق غطاء الصندوق بصورة جيدة.

لكنه لم يقُم بجمع القطع معًا، ولم يتوصل إلى أي استنتاجات، وإذا لم يفكر في الأمر فسيكون من السهل عليه إنكار معرفته لاحقًا إذا اضطر إلى إنكار أي شيء.

لم يكن السلم الذي منعه من إغلاق الصندوق بشكل جيد هو ما يُقلقه. ربما تم إيقافه من قِبل الشرطة وقاموا بعمل اختبار القيادة تحت تأثير الكحول، أو ربما كان رقم تسجيل السيارة ضمن قاعدة بيانات الشرطة للأشخاص الذين لا يدفعون غرامة الوقوف، أو ربما توقفه شرطة المرور وتكتشف حيازته للمتفجرات التي تُعد جنحة في السويد،

وعندها سينتهي كل شيء. أدرك إزرا جزءًا من الخطة التي ستُنفذ في هذا المساء ، وهو يعلم كيف يُبنى هذا النوع من الخطط على الأحلام والآمال ، والآن يعتمد كل شيء عليه.

ابتسم إزرا ، ونظر إلى عدَّاد السرعة ، لم تكن الخطورة تكمن في قيادته بسرعة كبيرة ، بل في قيادته ببطء شديد في محاولة لأن يبدو ملتزمًا بالقانون.

كانت الأضواء خضراء طوال الطريق إلى روسلاغستول ، وقد قاد مباشرة نحو الجامعة. تفقدوا المكان قبل عدة أسابيع ، وقام إزرا منذ ذلك الحين بالتجول هناك ليلًا لعدة مرَّات. لم يشاهد أي روح أخرى في هذا المكان ، لا صاحب كلب ، ولا سائق أجرة يتوقف للتبول.

تجاوز مفترق الطرق عند الجامعة ، واستمر في القيادة عبر سفانتي ارهينيوس فاغ ، وبهذا كان يقترب من ستورا سكوغانز فاغ من الشمال. انعطف بعد عدة مئات من الأميال نحو طريق صغير داخل الغابة لم يكن قد لاحظه في العتمة. وقف هناك وأطفأ المحرك ، ثم شرع في إفراغ حمولة السيارة. كان يسارع في نقل المعدات من الصندوق إلى الغابة. كان الطريق طويلًا حقًّا بين مكان وقوف السيارة وموقع اللقاء ، ولكن ذلك هو ما يجب أن يكون ، فاكتشاف أمر السيارة ليس كاكتشاف أمره.

مرَّت دقائق بعد منتصف الليل.

أخرج إزرا راي هاتفه واتصل بالرقم المخزَّن في قائمته ، ففتح سامي الخط مباشرة.

قال إزرا: «أنا هنا».

23:58

رنَّ الهاتف. إنها المكالمة الرابعة خلال ساعة.

ظهر في هذه المرَّة الفريق 2 على الشاشة.

كُلِّف الفريق 2 بمهمة تحريك صخرة ضخمة ستُستخدم لإغلاق مدخل منجم الحصى في نورسبورغ.

ستنتظر هناك سيارات الهروب بعد أن ينتهي كل شيء. لا يزال الظلام مخيمًا، ولذلك وجب على الفريق 2 التأكد من أن طيار المروحية سيتمكن من رؤية مكان الهبوط.

أجاب سامي: «نعم».

قال الصوت على الجانب الآخر: «نحن هنا».

شكره سامي وأغلق الخط.

حان وقت ارتدائه ملابسه.

ذهب إلى غرفة النوم وخلع بنطاله الرياضي وقميصه ووضعهما مع أدوات الحمَّام الخاصة به في حقيبة صغيرة ستلتقطها شقيقته عند مساء الغد، وقد وعدت بترتيب المكان بعد مغادرته.

التقط سامي حقيبة الخصر التي اشتراها، ثم قام بربطها حول خصره بعد أن تأكد من وجود الوثائق فيها للمرَّة العاشرة في هذا المساء. في داخل الجيب الصغير قبع جواز سفره وتذكرة طائرة إلى سانتا دومينغو. اقتضت خطته التوجه مباشرة إلى أرلاندا من منجم الحصى في نورسبورغ، ثم قضاء بعض الوقت في أحد مقاهي سكاي سيتي. ستُقلع الطائرة بعد سبع ساعات، وهو ما يبدو وقتًا طويلًا، لكنه إلى حد ما أقل مما انتظره طوال هذا اليوم.

ارتدى فوق حقيبة الخصر كنزة سوداء خفيفة، وسيرتدي فوقها سترة جلدية ضيقة، أما بنطاله فمن الجينز الأسود. اتفق الثلاثة على ارتداء الأسود مع استثناء واحد، سيرتدي سامي حذاءه الأديداس الأبيض الجالب للحظ.

بعد استعداده الكامل عاد إلى غرفة المعيشة، وانتظر المكالمة التالية التي يجب ألَّا

تتأخر أكثر من ذلك. ربما اتصلوا به سابقًا فوجدوا الرقم مشغولًا مع الفريق 2.

مع دقات الساعة ووصول الوقت إلى 23:40 لم يعد يستطيع الجلوس ساكنًا على الكرسي لوقت أطول، فنهض والتقط الهاتف وذهب إلى غرفة النوم. دار حول حقيبته التي وضعها على الأرض بجوار السرير، ثم قفل راجعًا إلى غرفة المعيشة، وكرر ذلك مرَّتين ولا يزال الهاتف ساكنًا.

خزن رقم الفريق 3 على هاتفه، لكنه يعلم أنه لا يجب أن يقوم بأي اتصال من هذه الشريحة، وإذا كانوا يعانون من مشكلة ما فالهاتف المهتز في الجيب لن يساعدهم أبدًا. تمالك سامي نفسه، ثم تحرك خلف الكرسي وتطلَّع خارج النافذة. بدا وهج مصابيح الشارع في كوكسغاتان أكثر تألقًا مع عتمة غرفة المعيشة.

أشارت الساعة إلى 23:53 ومعها رن الهاتف.

الفريق 3 في مايتنغ عند فارمدو، وهو المسؤول عن إبقاء مروحيات الشرطة على الأرض، وهذا شرط أساسي لإتمام العمل في فاستبيرغا في هذه الليلة. إذا فشلت إحدى فرق السلاسل فسيكون ذلك من سوء حظهم، لكنه لن يكون أمرًا حرجًا على كل حال. أما الفريق 3 فيجب أن ينجح.

ضغط سامي على زر الهاتف.

جاءه صوت على الجانب الآخر: «مرحبًا».

أجاب سامي: «نعم».

قال الصوت: «إنها ليست هنا».

«ماذا تقصد؟».

«الحظيرة فارغة. المروحية ليست هنا».

00:50

شاهد ميشال معلوف من شباك المطبخ سيارة تقترب. إنها الأولى التي تظهر عند بيلبورغسغاتان في قلب نورتاليي خلال نصف الساعة الماضية، فالحياة الليلية في المدينة يصعب وصفها بالحيوية. أبطأت السيارة ووجدت مكانًا خاليًا أمام الباب مباشرة.

ترجَّل زوران ميلكوفيتش من مقعد السائق. كانت «بي إم دبليو» جديدة، وبدت لمعلوف من شباك مطبخه سوداء اللون، لكن يمكن أن تكون ببساطة زرقاء داكنة. فُتح باب الراكب الأمامي، وترجَّل الأمريكي جاك كلوغر ووقف على الرصيف. إنها المرَّة الأولى التي يراه فيها معلوف، وقد ذكَّره بظهير ربعي في أحد فرق كرة القدم الأمريكية. كان كلوغر أعوج الساقين، وبدا الجزء الأعلى من جسده ضخمًا مقارنةً بساقيه، وهو غالبًا لا يعرف شيئًا عن مكانه الآن.

دخل ميلكوفيتش والأمريكي إلى المبنى، وبعد لحظات رنَّ الجرس ففتح معلوف الباب.

قال ميلكوفيتش وهو يخطو داخل الشقة: «لقد مرَّ بعض الوقت».

ابتسم معلوف، وقال: «نعم. مرَّ بعض الوقت. أهلًا أهلًا».

صافح الأمريكي، فبدت قبضة كلوغر قوية وجافة، مما بعث على الاطمئنان.

سأل معلوف: «أين الطعام؟».

قال ميلكوفيتش: «اللعنة. نسيته».

حكَّ معلوف وجنته، وقال وخيبة الأمل بادية في صوته: «نسيته؟ لكن... أنا لا أستطيع... لا يمكنك نسيان ذلك».

كانا يتحدثان باللغة السويدية، ولم يبدُ الأمريكي مهتمًّا بحديثهما، أو ربما كان يفهم السويدية ولا يُظهر ذلك، فوفقًا لما قاله ميلكوفيتش عاش كلوغر وعمل في السويد منذ بضع سنوات.

قال ميلكوفيتش: «آسف».

جاهد معلوف ليبدو على طبيعته، وابتسم وهزَّ كتفيه. لا يفهم كيف نسي ميلكوفيتش

التوجُّه نحو ماكدونالدز، فقد عملا معًا لمدة طويلة، ولا بد أنه يعرفه بشكل جيد.

قال معلوف: «كلا كلا. لا بأس. يمكننا الذهاب الآن بدلًا من ذلك».

نظر إلى طيار المروحية وأضاف بالإنجليزية: «نحتاج إلى بعض الطعام».

لم ينتظر معلوف جوابًا، وخرج إلى الردهة وارتدى حذاءه ومعطفه.

قال ميلكوفيتش: «لستَ جادًّا».

«سيأتي معنا. الأسلحة في غرفة النوم ونحن لا يمكننا تركه وحيدًا مع الأسلحة».

عندما استقل معلوف الحافلة إلى نورتاليي قبل عدة أيام مرَّ بجوار ماكدونالدز في ستوكهولمزفاغان، وهو واحد من الأماكن القليلة التي تظل مفتوحة حتى الساعة الواحدة صباحًا، والآن لم يتبقَ لديهم الكثير من الوقت.

قال عندما لاحظ تردد الأمريكي: «تعاليَا تعاليَا».

لا يستطيع معلوف أن يؤمن بالخرافات، إنه حتى ليس متدينًا، ولكن ليس هناك جدوى من العبث مع القدر.

تعوَّد ميشال معلوف أن يأكل دائمًا وجبة كبيرة من ماكدونالدز قبل العمل.

وهو أمرٌ غير قابل للتفاوض.

01:15

توجد فجوة في الجدار في الغرفة الخلفية في شقة ستراندفاغين، وضعت فيها كارولاين ثورن كرسيًّا ضخمًا، وبسبب تلك الفجوة لا تستطيع رؤية الكرسي إلا إذا كانت بالفعل داخل الغرفة. في أحضان ذلك الكرسي الوثير تقضي ثورن لياليها، وساقاها على مسند القدمين في بعض الأحيان، وركبتاها مثنيتان إلى ذقنها وهي تنظر إلى الخارج عبر نايبروفيكين في أحيان أخرى. يمكنها أن تستدير لتواجه سطح وأعمدة متحف فاسا بجوار ظلال عربة الرولركوستر في غرونا لوند، أو ربما في الاتجاه الآخر نحو وسط المدينة والواجهات الحجرية الضخمة لنايبروكايين المؤدية إلى راؤول فالينبيرغز تورغ.

وجدت غالبًا أثناء الأسبوع الماضي سهولةً في دفع أفكار معينة خارج ذهنها، ووضع مخاوفها جانبًا.

وضعت سماعتين كبيرتين على أذنيها، واستمعت إلى الثرثرة المتواصلة المخزونة على الأقراص الصلبة التي نسختها وجلبتها معها إلى المنزل، وهي الآن مكدسة على طاولة المطبخ بجوار آلة صنع القهوة. أثار ما تسمعه ذهولها، فالإصغاء الفردي إلى أحاديث زوران ميلكوفيتش أشبه بمراقبة الأمواج وهي تضرب الشاطئ، كان هناك نمط محدد لها، مما جعلها مأخوذة بها.

لم يحظوا بدليل واحد يربطه بعملية السطو بالمروحية التي أُجهضت، على الرغم من مئات الساعات التي سُجِّلت. وقد توقفت مراقبتهم الآن.

حدَّثت كارولاين نفسها: ماذا لو أصغت إلى الأشرطة بدون أن تحاول اكتشاف أي شيء يربط الأمر بعملية مداهمة باناكسيا؟ ماذا لو عادت إلى البداية؟ ماذا لو أصغت بذهن متفتح وبدون أي توقعات مُسبقة؟ ما الذي يمكن أن تُفصح عنه تلك الساعات من المكالمات الهاتفية إذا وُضِع في الحسبان أن سجل اتصالات ميلكوفيتش غني بالمعارف المجرمين وهو يتحدث كواحد منهم؟

كان ذلك هو السبب الرئيسي خلف نَسخ تلك الأقراص الصلبة وجلبها إلى المنزل. ولكن كلما استمعت كارولاين ثورن إلى عبارات زوران ميلكوفيتش غير المحتملة - ذلك

التدفق المتواصل من الضجيج الهادف إلى تزكية النفس، ومحاولة إظهار نفسه مثيرًا، والتضخيم من أهميته، ومشاركة خبراته، ووضع نفسه في أعلى المراتب - تعاظم كمُّ الغضب بداخلها. فالرجل الذي قضت ثورن لياليها وركزت عليه منذ أسبوع مهووس بذاته، بالدرجة نفسها التي يحتقر فيها المجتمع الذي منحه الفرصة في الحياة. لا يهم كم حاول ميلكوفيتش أن يبدو متواضعًا، فقد كان متكبرًا حقًّا، وقاسيًا تجاه رجال ونساء موطنه، الذين يجهدون أنفسهم ليتمكن هو وأمثاله من الإبحار في الحياة بأقل مقاومة ممكنة.

فكرت ثورن: إنه الظلم، وهي تكرهه، وتعلم كيف يكون الشعور حين يتعرض الإنسان له.

انتهت تجربة قائدة فريق العمليات إلى تصرف جنوني متزايد، وقد بدأت بتدوين بعض الأدلة بانتظام، تلك التي رواها ميلكوفيتش هنا وهناك أثناء أحاديثه في سيارته وفي المطعم. لم يكن هناك شيء يُبرر احتجازه بسبب تصرفاته الخاصة، لكن إذا قاموا بربط تصريحات ميلكوفيتش مع الأحداث الحقيقية في الخريف، فإن ثورن على ثقة من أنهم سيجدون شيئًا ما.

سمعت نبرته الواثقة في أذنيها، ملأت وعيها بالكامل، وتساءلت كيف سيبدو الأمر عندما تقف أخيرًا أمامه مُشهرةً سلاحها في وجهه، وفي يدها مذكرة إلقاء القبض عليه، ثم تدفعه إلى سيارتها في طريقهم إلى بيرغسغاتان ثم إلى السجن.

توقَّعت أن الأمر سيبدو مثيرًا للشفقة.

01:16

كانت ليلة باردة ومنعشة ، يملأ هواءها أريجُ الطحالب ورائحة أشجار الصنوبر. قام فيها سامي فرحان ونيكلاس نوردغرين بتفحص المعدات تحت وهج مصباح إزرا.

في الغابة عند ستورا سكوغان تأكدا من سهولة فرد السلالم ومدى متانتها ، وأحصيا عدد أكياس البريد ، وتحسَّسا الحبال ، وفتحا صندوق المعدات ، وتأكدا من وجود كل شيء في مكانه ، ثم وضعا الأشياء في أحد أكياس البريد مع العتلتين والمنشار. تمَّ الأمر بصمت ، وكان إزرا يضيء بمصباحه حيث يشير سامي.

وصل نيكلاس وسامي في الوقت نفسه تقريبًا.

مرَّت عشرة أيام منذ آخر لقاء بينهما في هيورتهاغين. ارتدى نيكلاس قناعه في اللحظة التي انطلق فيها كيتولا ، إذ لم يرغب في أن يتعرف عليه إزرا مرافق سامي.

أخبره سامي بأن مروحية الشرطة ليست في مايتنغ ، لكن نوردغرين تقبَّل المعلومة بهدوء. كان يلجأ إلى التفكير في المشكلات التي يسهل التعامل معها. لا يمكنهم القيام بالعمل إذا لم يتأكدوا من مروحيات الشرطة ، إنه أمرٌ بهذه البساطة ، وكل الذي يستطيعون فعله الآن هو الاستمرار في العمل وتمني الأفضل.

استمر نوردغرين في تفحص المعدات ، وبذل جهدًا إضافيًّا عند تعلُّق الأمر بأدواته الخاصة. جهَّز علب الكوكاكولا المقطوعة إلى نصفين مع شريط فضي لاصق في قعرها ، وقد مُلئت العلب بحجارة نيوديميوم الممغنطة. إنها ست علب مجهزة ، لكنه يتمنى ألا يستخدم إلا واحدة فقط.

بحوزته أربعة متفجرات على شكل حرف «U» ، أشبه بسكة قطار مقلوبة رأسًا على عقب ، وقد قُطعت إلى أجزاء قصيرة كي يسهل حملها حيث كانت ثقيلة الوزن ، مما جعل عددها أقل ، وتمنى أن يستخدم واحدة منها فقط. تفحَّص المعجون المتفجر وأسلاك الصواعق ، وكان قلقًا من عامل الرطوبة.

قال كأنه يخاطب نفسه: «يجب عليَّ أن أُجرب أحدها».

لم يعترض سامي ، لأنهم على بُعد أميال من أقرب منطقة مأهولة.

عاد نيكلاس إلى العمل. استغرق الأمر بضع دقائق قبل أن يكتشف أن السلك الصاعق الطويل ليس موجودًا مع الصواعق أو البطاريات.

صرخ إزرا وهو يرفع يديه عاليًا في الهواء: «أي سلك لعين؟».

كان ذلك أول شيء نطق به منذ أن ظهر اللاعبان الأساسيان. إنه يعرف مكانته، وقد جاء نوردغرين مسدلًا قناعه، وعلى الرغم من أن إزرا ارتدى قناعًا مشابهًا عدة مرَّات من قبل، فقد بدا قناعه جيد المظهر رغم ذلك.

استدار نحوهما سامي الذي كان يتفحَّص المصابيح الرأسية.

قال نوردغرين: «السلك؟».

صرخ إزرا: «أخذتُ كل شيء موجود هناك. هل تظن أنني مجرد...».

«السلك الطويل غير موجود، طوله خمسة عشر مترًا».

كان نوردغرين واثقًا من أنه قام بحزمه.

قال إزرا قبل أن يعود إلى صمته بسرعة: «أقصد... اللعنة لست أدري».

قال سامي وهو يُحدِّق إلى ساعته: «ما هذا بحق الجحيم؟».

«إنها الثانية إلا ربعًا».

قال نوردغرين: «يجب علينا أن نحضره. بغير ذلك السلك الطويل لن نتمكن من تفجير الزجاج المضاد للرصاص في الطابق السادس».

مشى سامي نحو باقي المعدات، وبحث بشكل محموم بين الحبال والحقائب لعله يجده، لكنه لم يكن هناك.

همس: «اللعنة إزرا».

فبدت التعاسة على وجه إزرا.

01:17

وضع ميشال معلوف الطعام على مائدة المطبخ داخل الشقة في نورتاليي. ذهب إلى المطعم وحيدًا، بينما انتظر ميلكوفيتش وكلوغر في الخارج. ثلاث وجبات من ماكدونالدز وكولا زيرو مع ملح إضافي أيضًا. جلس إلى المائدة وبدأ في تناول الطعام قبل أن يبرد، وفي منتصف وجبة البيرغر الخاصة به أدرك أن الآخرين لا يعتزمون الانضمام إليه.

نهض من مكانه وذهب إلى غرفة النوم، بينما انشغل ميلكوفيتش والأمريكي في تنظيف الأسلحة بتفكيك المسدسات الآلية والمسدسات اليدوية ووضع أجزائها على الفراش.

بدا كلوغر دقيقًا مثل اليوغسلافي الطويل، وهو يتحقق من كل رصاصة قبل إعادتها إلى الآلة.

قال الجندي السابق بلكنته الجنوبية الغليظة: «أستطيع فعل ذلك وأنا مغمض العينين، وقد فعلته سابقًا».

أشار معلوف: «نعم. إن البيرغر يبرد».

أجاب كلوغر: «حسنًا».

قال ميلكوفيتش كي يُظهر حُسن نيته: «يمكنني تناول بعض البطاطا المقلية لاحقًا».

قال معلوف: «كلا كلا. هل تسمح لي بتناول وجبتك؟».

قال ميلكوفيتش: «أنت مجنون».

تساءل معلوف: «إذن أنت موافق؟».

قال ميلكوفيتش وهو يعود إلى الأسلحة الآلية: «نعم نعم».

كان ميلكوفيتش والأمريكي أشبه بأخوين كبيرين يلهوان مع لعبة الألغاز، خطر ذلك ببال معلوف عندما عاد للجلوس على الطاولة محاولًا منع تساقط الخس من الشطيرة عند التقاطها من علبتها الكرتونية.

عند العودة إلى غرفة النوم أبدى كلوغر الملاحظة نفسها، محدثًا ميلكوفيتش: «إنه يبدو مثل ولد صغير. أعني مَن يتناول ماكدونالدز الآن؟».

02:05

التقط سامي غصن شجرة ضخمًا من الأرض، وضربه بقوة على صخرة فتطايرت أجزاؤه، لكنه لم ينطق بكلمة. لم تكن المروحية في المكان الذي يجب أن تكون فيه، والسلك الطويل مفقود، والقلق يتزايد بشأن السلالم التي ربما تكون قصيرة جدًّا.

إنها سلالم متحركة، ذلك ما وصفها به الصبي في باوهاوس، يبلغ طول أحدها اثني عشر مترًا - ثلاثة في أربعة - ويبلغ طول الآخر تسعة أمتار - ثلاثة في ثلاثة. ويمكن فك المشابك البلاستيكية ثم سحب الجزءين المتحركين وإغلاقها مرَّة أخرى.

سيتم إنزال السلم الأطول عبر السقف الزجاجي نحو الشرفة في الطابق الخامس، ثم يُستخدم السلم الأقصر للتسلُّق إلى الطابق السادس وتفجير فتحة في الزجاج المصفح. لم يقتنع سامي بأن 12 مترًا ستكفي بالفعل للمسافة من الشرفة إلى السطح، لكن استخدام سلالم أطول من هذه يُمثِّل مشكلة في نقلها بالمروحية.

يجب أن تكون السلالم مناسبة.

دار سامي حول أغراضهم، دورة بعد دورة، وبدأ نوردغرين يشعر بالانزعاج، فقام بإجراء الحسابات في ذهنه: الذهاب إلى ليدينغو ثم العودة لن يستغرق أكثر من خمس وأربعين دقيقة، يستطيع الحصول على السلك والعودة إلى هنا قبل أن تهبط المروحية، إنه واثق من وجوده هناك حيث وضعه تمامًا.

تسرَّب الماء إلى حذاء نوردغرين الأيسر من خلال ثقب صغير في كعبه، وشعر بالتعب فجأة، لكنه أدرك أن تعبه سيتلاشى في اللحظة التي يحين فيها وقت العمل. استغل نوردغرين ذهاب إزرا وخلع قناعه لعدة دقائق، فبدا شعره رطبًا.

رن هاتف سامي، فقفز الرجلان. كان الصمت في الغابة محكمًا، والنسيم هادئًا إلى الدرجة التي سمح فيها لقمم الأشجار بالهمس. بدا لهما صوت الهاتف قادرًا على إيقاظ نصف أوستيرمالم.

إنها الثانية وخمس دقائق صباحًا.

نظر سامي إلى الشاشة، إنه الفريق 3 في مايتنغ.

أخذ نفَسًا عميقًا قبل أن يرد.

«نعم».

«الآن فقط حطَّت مروحية الشرطة».

اتصل به كلٌّ من فاستبيرغا وماريبيرغ ونورسبورغ ويبدو كل شيء على ما يرام.

إنه وقت ميشال لفعل شيء ما.

اتصل بمعلوف في نورتاليي ، وهي المرَّة الأولى التي يتحدثان فيها منذ هيورتهاغين.

قال: «صباحًا صباحًا».

أجاب ميشال: «صباح الخير».

قال سامي: «كل شيء أخضر. إنه وقت الانطلاق».

قال معلوف قبل أن يغلق الهاتف: «نعم نعم».

04:39

تكوَّن الفريق 3 من مراهقين متوترين يفتقران إلى الخبرة وإلى السجل الإجرامي أيضًا. كانا ينتظران عودة مروحية الشرطة إلى الحظيرة في الغابة في مايتنغ ، وليس لديهما فكرة عمن يراهن عليهما ، ولا يُدركان مُطلقًا أن عملهما ذاك تتوقف عليه أشهرٌ من التخطيط ، وبدونه سوف تتلاشى. علما أن الحظيرة فارغة ، فأخذا يلهوان بألعابهما على هاتف آخر غير الهاتف الذي أعطاه لهما سامي.

سمعا صوت المحرك يهدر من بعيد قبل أن تظهر المروحية في سماء الليل المظلمة ، ولم يستطيعا التأكد من أنها مروحية الشرطة في بادئ الأمر ، وبعد بضع دقائق سمعا صوت المروحية وهي تحطُّ على منصتها ، ثم صوت سحبها إلى الحظيرة ، وبعد خمس دقائق غادر الطياران المنطقة ، وأغلقا الباب الحديدي الضخم بالسلسلة والقفل ، ثم رحلا في السيارة الموجودة خارج السياج.

قام الفريق 3 في ذلك الوقت بإخبار سامي بأن المروحية عادت ، ثم انتظرا الضوء الأخضر.

عندما اتصل بهما سامي وقال إنه الوقت المناسب ، كانا كمن ينتظر منذ دهر.

حمل أحد الصبيين مقص الأقفال ، وحمل الآخر صندوقي المعدات المطليين بالأسود ، وتحركا بسرعة عبر الأشجار وهما يقرفصان بشكل لاإرادي أثناء ركضهما ، كأن ذلك سيجعلهما غير مرئيين ، مع أنه لم يكن هناك نَفَسٌ لكائن سوى أرنب أو أرنبين مذعورين. ما زالت قاعدة مروحية الشرطة مؤقتة على الرغم من مرور ستة أعوام على إلقائها وحيدة في أعماق غابات فارمدو.

عبر الصبيَّان الشارع ، واستعمل الأول مقص الأقفال كي يحطم كاميرا المراقبة على العمود المقابل للبوابات ، ثم تحرك بعدها نحو السلسلة والقفل. حاول في البداية أن يقص القفل لكنه بدا عصيًّا ومتينًا جدًّا ، فحاول قص السلسلة بدلًا منه وبدا ذلك أسهل ، وبعد عدة محاولات تمكَّن من قصها ، وعندما سحب السلسلة عبر السياج الفولاذي أصدرت صوتًا يصم الآذان ، فركض الصبي عائدًا إلى الطريق كي يراقب ، بينما قام الآخر

الذي يحمل صندوقي المعدات الأسودين بفتح البوابات والدخول إلى المنطقة. كان للحظيرة بابان، فقرر الصبي أن يقوم بتجهيز الصندوقين أمام البوابة الأبعد، فوضعهما على الأرض ثم فتح الأغطية.

في داخل كل صندوق كان هناك حَجرٌ مع جهاز إنذار سيارات زائف جلبه نيكلاس نوردغرين من تيكنيكماغاسينيت في فالتاوفيرستين. يتكوَّن جهاز الإنذار الزائف من مصباح يعمل بالبطارية، ويُثبت على لوحة عدادات السيارة، ويُستخدم وميضه الأحمر المتقطع في خداع اللصوص، حيث يعتقدون أن المركبة تحتوي على جهاز للإنذار. كان الصندوقان الأسودان من البلاستيك وبلا وزن تقريبًا، وتم شراؤهما من الإنترنت، بينما كان الحجران بداخلهما من الصخور العادية التي وجدها نيكلاس في الغابة، وتكمن أهميتهما في منع التيار الهوائي القوي من دفع الصندوقين.

شغل الصبي جهازي الإنذار الزائفين، ثم قام بتثبيتهما إلى الصندوقين، وبعد ذلك وضع تلك الخدع الزائفة خارج بابَي الحظيرة.

بدا الضوء الأحمر الوامض واضحًا للعيان من بعيد، وكان من الصعب اكتشاف حقيقة الصندوقين الأسودين المثاليين.

قال لصديقه قبل أن يبدأ في السير عبر الطريق: «دعنا نذهب».

على مسافة بضعة كيلومترات كانت هناك محطة للحافلات.

وبعد مائة متر تقريبًا ألقى الصبي الأول بمقص الأقفال، فاحتضنته الغابة بهدوء وبلا صوت.

04:40

أغلق ميشال معلوف وزوران ميلكوفيتش وجاك كلوغر باب الشقة في نورتاليي خلفهم، ولم يتركوا أثرًا ينم عن وجودهم سوى وجبة الماكدونالدز المتروكة. وعدهم ميلكوفيتش بأنه سيرسل في صباح الغد مَن يمكنه إزالة أي أثر من الحامض النووي.

نزل الرجال السلالم صامتين، وأمسك معلوف بالباب كي يُغلق بهدوء خلفهم. وجدوا الشوارع خالية، فاستقلوا سيارة زوران ميلكوفيتش «البي إم دبليو» الزرقاء الداكنة. توارى القمر الذي تألق بزهو قبل بضع ساعات خلف الغيوم، وسأل ميلكوفيتش الطيار إن كان ضوء القمر يُشكِّل فارقًا في التحليق ليلًا.

جاء رده: «إنه يجعل الرؤية أسهل، لكن ذلك يعني أنك ستكون مرئيًّا بسهولة أيضًا».

صعد الأمريكي إلى المقعد الأمامي بجوار ميلكوفيتش، بينما اختار معلوف الجلوس في الخلف مع الأسلحة، ليس لانعدام ثقته في كلوغر، ولكن لأن الجلوس في الأمام مع ترك غريب يجلس في الخلف بصحبة العديد من الأسلحة المحشوة يُعد فكرة سيئة.

ملأ ميلكوفيتش صندوق السيارة بصفائح وقود المروحية، وسوف يقومون بتفريغ كل شيء هناك في ستورا سكوغان.

عندما حملتهم السيارة بهدوء خارج المجمع الصغير بدا زوران ميلكوفيتش هادئًا. لم تبدُ في الشقة رائحة عطر ما بعد الحلاقة للأمريكي أكثر من شذى مسك باهت، لكن في محيط السيارة المغلق بدت الرائحة أقوى، ففتح معلوف النافذة بضعة ملليمترات لتسمح بتدفق بعض الهواء النقي.

تساءل ميلكوفيتش: «على اليمين هنا؟».

تطلَّع معلوف حوله: «نعم نعم».

انعطفوا في اتجاه الطريق الساحلي، ومن هناك استغرق الأمر أقل من دقيقتين للوصول إلى حظيرة المروحيات في روسلاغين. أوقفوا السيارة تاركين الأسلحة على المقعد الخلفي، وخرجوا للتأكد من أن كل شيء في مكانه الصحيح. لم تكن ثمة سيارات في نطاق الرؤية، وبينما الحظيرة تغطُّ في الظلام والسكون المطلق، كان الصنوبر والتنوب

عند البحيرة هما الجمهور الصامت من حولهم.

مشى الأمريكي نحو باب الحظيرة وتفحَّصه بدقة.

قال بإنجليزيته التي تبدو خارجة من أنفه: «هذا الشيء صلب جدًّا. لا يمكنك فتحه. يجب عليك أن تحطمه كي يُفتح».

وافق معلوف: «نعم نعم».

ضحك بعد ذلك. إنها مهزلة. كان الباب المؤدي إلى الحظيرة متينًا جدًّا كما يجب أن يكون. ربما قاموا بتركيبه بناءً على طلب شركة التأمين في محاولة للتخفيض من أقساطها. سينجح تفجيره، لكن صدى الانفجار سيتردد في محيط الأحياء المجاورة.

أخرج معلوف سكينًا طويلة حادة احتفظ بها في مكان ما في جراب تحت معطفه، ثم توجه نحو الباب.

قال الأمريكي وكأن معلوف سيعمد إلى مهاجمة الباب الفولاذي بسكينه تلك: «هذا لن يجدي».

بدلًا من الباب، قام معلوف بقطع شق طويل بجوار الباب مباشرة في قماش الكانفاس الذي يُغلف الحظيرة، ولم يكن عليه أن يُجهد نفسه، فقطع قطعًا إضافيًّا آخر، وتمكَّن من صنع فتحة للدخول، ومع إيماءة ترحيب وابتسامة دعا الطيار المندهش وميلكوفيتش إلى الخطو داخل الحظيرة.

ضحك ميلكوفيتش قائلًا: «من شدة ذكائهم ابتاعوا بابًا باهظ الثمن».

اتسعت ابتسامة معلوف، ثم تبعهما إلى الداخل.

كانت المروحية «بِل 206 جت رينجر» بيضاء اللون تقبع في نهاية الصف حيث يجب أن تكون، مما جعل سحبها إلى الخارج أمرًا سهلًا.

سار كل شيء حتى الآن كما وعد ماني لاغيرستروم. تفحَّص الأمريكي الماكينة بسرعة. عمَّت الحظيرة رائحة الوقود والإلكترونيات، واصطفت المروحيات الكبيرة الخالية في ثلاثة صفوف، وشبَّهها معلوف بالنحلات التي تحط كي ترتاح ليلًا ثم تغدو عند الفجر مرَّة أخرى.

بدأت الريش الثقيلة المنحنية نحو الأسفل في الدوران فجأة بعدما أُضيئت لوحة المفاتيح وهدرت الماكينة.

تحرَّك كلوغر نحو المروحية وهو يتلمَّس هيكلها المعدني بيده، ثم تسلَّقها وتفحَّص الريش الدوَّارة والماكينة بحذر. تركه معلوف وميلكوفيتش لذلك وذهبا لجلب الأسلحة وصفائح الوقود من السيارة، وعندما عادا كان الطيار قد أكمل فحصه، وبدا كل شيء حيث يجب أن يكون، وقد مُلئ الخزان بالوقود بشكل جزئي فقط لتجنب التحليق بحمولة زائدة. رفع لهما إبهامه في إشارة للبدء، فتمكَّنا من تحريك المروحية خارج الحظيرة باستخدام منصة صغيرة، وكانت عجلات المنصة تتحرك بليونة على الأرض المنبسطة ربما لأن ماني قام بتزييتها في الليلة السابقة.

التمعت المروحية البيضاء في ضوء القمر. أدار كلوغر المحرك باعثًا الحياة في الريش الدوَّارة، التي حدَّق معلوف إليها، بينما يرتفع أزيزها المنخفض ليصبح هديرًا منتظمًا، وبعد عشر ثوانٍ من زيادة السرعة لم يستطع رؤيتها، حيث بدت كقرص دوَّار كبير فوق جسد المروحية.

صرخ ميلكوفيتش بصوت أعلى من هدير المروحية بعد أن أكملوا رفع الأسلحة: «حسنًا. أراكم بعد عدة ساعات كما آمل».

صرخ معلوف مجيبًا: «نعم نعم».

كان كلوغر في مقعده مرتديًا واقيين للأذن وليس سماعات، ولم يخطط لتشغيل جهاز الاتصالات أثناء رحلتهم تلك، وكانت قدماه على الدواسات ويداه على المقبض. سبق أن اشترى ميلكوفيتش زوجًا من النظارات، لكن كلوغر لم يكن في حاجة إليه، فطبقًا لخبرته ستسبب تلك النظارات مشكلة أكثر من فائدتها.

اتخذ معلوف مكانه بجوار الأمريكي، بينما المقعدان خلفهما خاليان حتى الآن.

حلَّقا بعد ثانية، وأطارت رياح الريش الدوَّارة ملابس ميلكوفيتش وهو يراقب النحلة الطنانة الضخمة تطير بعيدًا.

استدار وعاد إلى سيارته.

كانت الخامسة صباحًا تقريبًا.

04:41

خرجت «البي إم دبليو» الزرقاء الداكنة الجديدة لتوِّها من المصنع ، وتميَّز محركها بالقوة التي تفوق قوة محرك سيارة زوران ميلكوفيتش المعتادة. استعارها ميلكوفيتش من البائع الذي كان صديقًا لصديقه المدين له بمعروف أو اثنين.

لم ينتهِ بعدُ دور ميلكوفيتش في أحداث ذلك الصباح.

لم يكن لديه الكثير من الوقت ، فعليه أن يذهب من نورتاليي إلى سكارهولمن خلال خمس وخمسين دقيقة ، وحينما تحدثوا عن هذا الأمر من قبل ذكر معلوف أن الوقت ضيقٌ جدًّا ، وأنهم في حاجة إلى شخص آخر ، لكن ميلكوفيتش اعترض على ذلك مؤكدًا استطاعته القيام به.

كانت القيادة عبر الطريق السريع الخالي بسرعة مائتي كيلومتر في الساعة في تلك الليلة المتألقة من أيلول ، مع مقود ثابت ، متعة خالصة. لم تتمايل السيارة إطلاقًا ، ولم يُصدر صوت المحرك سوى أزيز منخفض. شغَّل المذياع ليستمتع بالموسيقى مع كل هذا. علا صوت أغنية رَن ذِس تاون ، لجاي زد وريهانا ، التي بثتها الإذاعات طوال الصيف ، فرفع من درجة الصوت.

عندها فقط لاحظ أمرًا.

التمعت المصابيح الزرقاء في مرآته الخلفية. لم يكن يدري من أين أتت سيارة الشرطة ، ولم يلاحظ أيًّا منها على طول الطريق ، ولا شك أنهم يتبعونه هو ، إذ لا توجد سيارة أخرى على الطريق.

استقرت النظارات التي تركها طيار المروحية على المقعد المجاور لميلكوفيتش. أدرك أنه ربما تكون هناك آثار بارود على ملابسه ويديه من تنظيف الأسلحة في وقت سابق ، وأدرك كذلك أنه إن لم يظهر عند الموعد المحدد بعد خمس وخمسين دقيقة فإنهم سيواجهون جميعًا مشكلة كبيرة.

حدَّق في المرآة الخلفية.

لم يخفف من سرعته حتى الآن ، وفي الحقيقة ووفقًا لعداد السرعة فإنه يقود بسرعة

220 كيلومترًا في الساعة.

اقتربت الشرطة منه ، ولم يستطع مراوغتهم على الطريق السريع.

هل يستسلم الآن ؟

لم يكن ميلكوفيتش يعرف حتى أين هو.

عاد إزرا راي وفي يده سلك التفجير. لم يتحدثوا كثيرًا في الغابة عند ستورا سكوغان، ومشى سامي على فترات منتظمة نحو الحقل المفتوح حيث يجب أن تحط المروحية بعد ظهورها في السماء. يدرك أنه سيسمع صوتها قبل أن يراها، لكنه لم يستطع البقاء ساكنًا. كان العشب رطبًا بالندى، وقد شعر سامي بالأدرينالين يتزايد في دمه منتظرًا اللحظة المناسبة ليتدفق في خلايا جسده في نصف الساعة التالي. تمنى أن يذهب في جولة ركض سريعة حول الحقل، لكنه قرر ألَّا يفعل ذلك، إذ لن تحتمل وركه كل هذا الجهد، فمع أنه عاد بشكل كبير إلى طبيعته لكن مجال حركته لم يعد إلى طبيعته بعد.

بحث نوردغرين عن جذع شجرة أكثر راحة من الصخرة التي جلس عليها سابقًا. تلاشى تعبه، ولم يعد يشعر بالتوتر أو الترقب. كان أمرًا يصعب توضيحه، فبإمكانه قضاء أسابيع وأشهر في التخطيط لشيء ما يبدو منذ البداية تحديًا حقيقيًّا، وكل مشكلة يحلها تتركه مع شعور عميق بالرضا، لكن عندما يحين الوقت أخيرًا لا يبقى لديه سوى الرغبة في تكملة الأمر ولا شيء آخر.

سأل إزرا من فوق صخرته على بُعد عدة أمتار: «لستَ نائمًا، أليس كذلك؟».

إنها مزحة.

أجاب نوردغرين بهدوء: «مستحيل».

رنَّ هاتف سامي بعد الخامسة بدقيقتين، وهو في منتصف المسافة عائدًا نحو الغابة، وقد أدرك أن نوردغرين سمعه كذلك. جاءه صوت معلوف الغارق في جلبة المحرك الهادر، ومع استحالة سماع ما يقول، بدا سبب اتصاله واضحًا.

إنهم في الطريق.

بعد دقيقة كُسر الصمت فوق فريسكاتي وستورا سكوغان.

سمعوا أزيزًا منخفضًا من مسافة بعيدة في بادئ الأمر، لكنه سرعان ما استحوذ عليهم بشكل كامل.

نهض نيكلاس نوردغرين ووقف منتصبًا.

كان سامي وإزرا قد ذهبا لجلب المعدات إلى الحقل، فتسمَّرا في مكانيهما يُصغيان.

سمحوا لصوت المروحية بأن يتعالى، وكان الأمر أشبه بقيام شخص ما برفع الصوت بما يفوق قدرة السماعات على الاستيعاب. وكما هو متفق عليه، ترك سامي وإزرا الأشياء وركضا مع نوردغرين نحو الحقل المعتم ووقفوا هناك. سبق أن قاموا بقياس أبعاد ذلك المثلث قبل ساعة تقريبًا، فأضاؤوا مصابيحهم.

جاءت المروحية على علوٍّ منخفض، وصوتها يكاد يصم الآذان، لكن سامي استقبله ببهجة مطلقة وسعادة لا نظير لها. بدت الماكينة البيضاء كأنها تنزلق فوق قمم الأشجار حيث يقفون، فركضت الخيول وهي تصهل نحو الجانب الآخر من الحقل، وحاول الطيار ببطء إيجاد المكان الملائم فوق المصابيح الثلاثة، وبعد عدة ثوانٍ تمركزت المروحية في مكانها وهي تطوف في الهواء ثم حطت على الأرض.

تسببت موجات الهواء في حفيف الأشجار، وانحنت الأحراش على الأرض.

ارتدى سامي وإزرا قناعيهما كي لا تُكشَف هويتهما للطيار.

أطفأ جاك كلوغر المحرك فتوقفت الريَش عن الدوران، وقفز معلوف خارج المروحية محتضنًا نوردغرين وسامي، لكنهم لم يتبادلوا الكثير من الكلمات، فسوف يتوفر لهم الوقت لهذا لاحقًا.

أدركوا أن الوقت أزف، ولا يُستبعد أن يكون هناك من رأى أو سمع المروحية أثناء طريقهم من نورتاليي أو على شاشة رادار ما.

ركض معلوف ونوردغرين وإزرا نحو الغابة لالتقاط المعدات وتحميلها على متن المروحية، بينما تحرك جاك كلوغر نحو المروحية ليُطلع سامي على مكان التخزين الصغير. كان هناك مكان يكفي بالكاد لكيس بريد واحد، ويجب عليهم استخدام المقصورة الرئيسية بدلًا منه. ثبَّت ميشال ونيكلاس السلالم أسفل المروحية باستخدام أسلاك رابطة، وكان الأمر أسهل بكثير مما توقعوه، إذ لم يكن السلم القصير قصيرًا جدًّا، ولا السلم الطويل طويلًا جدًّا، وأثناء ذلك حمل سامي وإزرا باقي الأشياء نحو المقصورة.

حلَّقت المروحية بعد دقائق ، وكانت الأمور فوضوية فقرروا ترك بعض ما جلبوه معهم في فاستبيرغا كي تتوفر المساحة الكافية لوضع أكياس النقود.

جلس نوردغرين وسامي على الكراسي خلف كلوغر ومعلوف ، وكان الصوت داخل المقصورة مرتفعًا ومنتظمًا. أشارت الساعة إلى الخامسة وعشر دقائق صباحًا عندما شعروا بقوة الإقلاع. طارت المروحية في الهواء ، وبدت حركتها خفيفة وثقيلة بشكل لا يُصدَّق. انحرف بها كلوغر ، فاقتربت منهم حدود الغابة والجامعة من جانب واحد ، ثم صوَّب مسارها نحو الأعلى ثانيةً ، ومن أسفلهم تسارعت المساحة المعتمة من هاغا بارك ، ونحو الشمال تألقت سولنا مثل مدينة صغيرة ، أما في الجنوب فقد تعالت بناية وينرغرين سنتر فوق ما حولها من المباني كإشارة إلى أن ستوكهولم مدينة منبسطة. بدت مصابيح السيارات الحمراء والبيضاء عند أوبسالافاغين مثل قطرات من الماء تنساب من فوق الجسر.

عانى فرحان ومعلوف ونوردغرين بصمت من ضيق سُتراتهم المضادة للرصاص ، وقد وضعوا فوق قبعاتهم أقنعة مطاطية لتغطية وجوههم ، وعمد كلٌّ منهم قبل الصعود على متن المروحية إلى إغلاق أي فتحات في ملابسه بالشريط اللاصق ، وحول اليدين والحذاء كذلك ، للتأكد من عدم ترك آثار الحامض النووي خلفهم.

جعلتهم معداتهم أقل قدرة على الحركة. لم تكن لديهم أدنى فكرة عما سيكون في انتظارهم داخل البناية. كانت المتفجرات أمرًا خطرًا ، ولهذا السبب وضعوا مصابيح رأسية ، فإذا انقطعت الكهرباء لأي سبب وجدوا مصابيح خاصة بهم للتحرك بحرية. انعطف كلوغر فوق الماء بسرعة وعلى ارتفاع منخفض ، ثم تبع خط الطريق السريع جنوبًا مرورًا بجزيرة «إيسنغ» ، حيث غرقت المنازل الجميلة في العتمة على قمة الصخور ، وصُفَّت السيارات بشكل متراصٍ في تلك الشوارع الضيقة. اخترقوا غطاء السحب ، وبدت الرياح قوية عند تلك المرتفعات في ذلك الصباح ، لكنها أقل في الأسفل ، وليست أكثر من بضعة أمتار في الثانية.

تأكد نوردغرين من المتفجرات والأسلاك والبطاريات وعلب الكولا في حقيبة ظهره من

جديد ، وكان يحتفظ بالصاعق في أحد جيوب سترته.

تأكَّد سامي من سلاحه.

نظر معلوف إلى ساعته. لا يزال هناك الكثير من الوقت ، والأسئلة أيضًا: هل يتحركون بسرعة كبيرة ؟ هل سيتمكن زوران ميلكوفيتش من فعل ذلك ؟ هل يجب عليه أن يسأله برسالة نصية عندما يصل لكي يطمئن فقط ؟ لم يكن معلوف يعرف. انجرفت أفكاره نحو أليكساندرا سفينسون التي ستُصاب حتمًا بصدمة إذا رأته الآن مع قناعه الأسود ذاك. كانت تلك طريقته التي يتعامل بها مع الأمور. لم يشعر بالذنب لعدم إخبارها بكل شيء عن نفسه وترك بعض التفاصيل جانبًا. لم يكن ذلك مشابهًا للكذب ، فقد كانت له حياتان مختلفتان ، وكثيرًا ما تساءل إن كان يمكن مزجهما معًا ؟ هل تستطيع أليكساندرا أن تكون جزءًا دائمًا من حياته ؟ وبينما تناثر حجاب رقيق من الغيوم كأشباح قلقة خارج المروحية تساءل: هل يستطيع تخيلها جالسة في المطبخ مع والدته ووالده في فيتيا وهي تستمتع بوقتها هناك حقًّا ؟ كثيرًا ما تمنى ذلك ، وإذا سار كل شيء وفق الخطة المرسومة في الساعة المقبلة فسيمكنه أن يكون أكثر صراحة بخصوص نفسه في المستقبل ، عندما تكون النقود نظيفة والحياة أبسط. أومأ معلوف بشكل لاشعوري ، فكل ما يتوق إليه هو أن يجعل الحياة أكثر بساطة.

طافوا في السماء ، والمروحية تنحرف بشكل مفاجئ من حين إلى آخر ، وهم يتفاجأون من الأمر في كل مرَّة. إذا هبَّت عاصفة غير متوقعة عند الهبوط فهل يمكنها أن تقلب تلك الفقاعة الفولاذية جانبًا ؟ يعلم سامي أن ذلك لن يحدث ، حيث أجرى بحوثه الخاصة ، وتوصَّل إلى أن التحليق بالمروحية أمر آمن جدًّا ، لكن ذلك التأرجح المفاجئ يعني أنه لن يتمكن من الاسترخاء. بدا الأمر كأنهم عند طرف شريط مطاطي يقوم أحد ما بسحبه وسحبه بصورة مستمرة. انجرفت أفكاره نحو جون ، كم كان سيضحك من تلك المطبات الهوائية التي تجعلهم يترنحون جانبًا من حين إلى آخر.

لم يكن سامي يتخيل ما ينتظرهم عندما يصلون إلى هناك. كان يعرف فقط ما يجب عليه فعله ، بدءًا من الثانية التي تحطُّ فيها المروحية على السطح في فاستبيرغا ، وحتى

اللحظة التي يصعدون فيها إلى السيارات التي ستأخذهم بعيدًا عن نورسبورغ. دارت أفكاره الخاصة المتعلقة بالاستعدادات والهروب في ذهنه مرارًا وتكرارًا أثناء الأسبوع الماضي، إلى الدرجة التي شعر فيها أنه فعل ذلك مسبقًا، وأن عملية السطو حدثت بالفعل.

بدلًا من ذلك، وبينما يُحدِّق في الأضواء على الطريق السريع والمصابيح التي تحيط سوديرتاليي مثل قلادة من اللؤلؤ الأبيض، دارت أفكاره حول عائلتيه: والديه، وأخويه، وكارين، والصبيين. أدرك في أعماق ذاته أنه لن يتمكن من الفوز بالعائلتين معًا، فما سيخبر به أخويه غدًا سيستعيد به احترامهما وتقديرهما، لكنه قد يدفع كارين إلى أخذ الطفلين وتركه وحيدًا.

إنه لفخٌّ حقًّا. إذا لم يُخبر أحدًا عن مصدر تلك النقود فكيف سيعرف أخواه أن الأمر كان أكثر من مجرد كلام، وأكثر من مجرد وعود فارغة؟ وإذا أخبر بالحقيقة ثم انتشرت الشائعات بخصوص المسؤول عن السطو في المدينة فكيف سيوضِّح لكارين أنه لم يكن لديه خيار آخر من أجل مصلحتهم؟ انحرفت المروحية فجأة نحو اليمين، فسقط سامي جانبًا، وكانت تلك صيحة الاستيقاظ التي يحتاج إليها. أفرغ ذهنه وتجاهل الأفكار والفرضيات كلها.

إنه الآن هناك، وقد حان وقت العمل.

05:02

انحرف زوران ميلكوفيتش عن الطريق، وقاد السيارة نزولًا عبر منحدر الخروج من الطريق السريع بسرعة 150 كيلومترًا في الساعة. بواسطة المرآة الخلفية تمكَّن من رؤية سيارة الشرطة التي أصبحت أقرب إليه. أطفأ ميلكوفيتش المذياع وبدأ يستمع إلى صوت صافرات الشرطة.

لم تكن لديه أي خطة.

وعليه أن يرتجل.

أخذه المخرج نحو طريق ريفي صغير يؤدي إلى الغابة. ضغط على المكابح بقوة قبل أن يصل إلى مفترق الطرق، فمزَّق صوتها المفاجئ سكون العتمة، ورمى بنفسه خارج «البي إم دبليو». كانت سيارة الشرطة لا تزال على بُعد بضع مئات من الأمتار.

ركض ميلكوفيتش حول السيارة إلى حافة الطريق، ثم فتح حزامه وبنطاله، وأنزله مع سرواله الداخلي، ثم قرفص أرضًا، بينما الشرطة تتبعه.

لم يكن يتظاهر، بل حاول أن يتغوَّط بصوت مرتفع حقًّا.

قفز الشرطيان خارج سيارتهما، يحمل أحدهما مصباحًا يدويًّا ويتجه بشكل مباشر نحو اليوغسلافي الجاثم.

صرخ ضابط الشرطة: «ما الذي تُخطط له بحق الجحيم؟».

لكنه شاهد ما يفعله ميلكوفيتش، فاحتفظ بمسافة بينهما.

صاح ميلكوفيتش متوجعًا: «أعاني من مغص معوي لعين. وقد أُصبت بالذعر واضطررت إلى ذلك».

«لا يمكنك أن تجلس هناك و...».

قال الآخر: «يا لك من متشرد لعين».

قال الشرطي الأول بحزم: «كان يجب عليك أن تبحث عن مرحاض».

تذمَّر ميلكوفيتش وهو لا يزال مقرفصًا: «أعاني من حساسية ضد اللاكتوز».

سأل الشرطي الأول بلهجة فظة هذه المرَّة: «هل سمعتَ ما قلتُه؟ هذا إخلالٌ

بالنظام، ستذهب إلى السجن بسببه».

كان الشرطي متأكدًا من فاعلية هذا التهديد. ومع تنهيدة يأس أشبه بالنواح نهض ميلكوفيتش بصعوبة.

قال الشرطي الآخر بلا اكتراث وهو يحاول أن يكون مفيدًا: «هناك مرحاض في محطة ستاتويل».

حتى لو كان الرجل ذو البنطال المخلوع يعاني من حساسية ضد اللاكتوز فهو متشرد أيضًا.

اشتكى ميلكوفيتش: «اللعنة. كم يبعد عن هنا؟ لا أعرف إن كنت...».

قال الشرطي الأول: «اذهب حالًا، وتأكد من الالتزام بحدود السرعة المقررة حتى لو كنت تعاني من مغص معوي».

لم يرغب ميلكوفيتش في تحدي الأقدار، فقام بشد بنطاله، والتف حول السيارة، وصعد خلف المقود قبل أن يغيِّر رجلا الشرطة رأيهما. انطلق وهو ينظر إليهما في المرآة الخلفية.

يبدو أنهما وجدا كل تلك المفارقات مضحكة.

فور أن غاب ميلكوفيتش عن نظرهما، ضغط على البنزين ثانيةً عائدًا إلى سرعة 150 كيلومترًا في الساعة. ومض هاتفه على المقعد المجاور. كانت رسالة من زلاتان جي آر، وهو أحد الأسماء التي وضعها ميلكوفيتش لميشال معلوف، وبدون أن يرفع قدمه عن دواسة الوقود، التقط الهاتف وقرأ الرسالة.

05:13

اقتربوا من الشمال.

شقَّت ريَش المروحية الدوَّارة طريقها عبر الهواء الساكن، ومزَّق صوت المحرك المنتظم سكون الليل.

على مسافة خمسة وسبعين مترًا أسفلهم ركض الماء الأسود بسرعة مئات الكيلومترات في الساعة، وكذلك الجزيرة المغطاة بالغابة، حيث كانت الأضواء النابضة تُظهر مجموعة من المنازل أو مزرعة ما بين حين وآخر، وقد بدت حدود الجزيرة في هذه الليلة مثل نقطة حبر عملاقة.

تسمَّر الرجال الأربعة الصامتون الهادئون، المتشحون بالسواد في مقاعدهم داخل المروحية، وكلٌّ منهم يتطلَّع نحو الأمام، تائهًا مع نفسه وأفكاره.

التمعت على الأرض أضواء مصابيح الشوارع والسيارات وهي تنير واجهة المباني المنخفضة على طول حافة الطريق السريع، لكن الرجال الأربعة الذين تطلَّعت أعينهم نحو الأمام لم يروا أيًّا من ذلك.

كانت أكثر الأضواء سطوعًا، وانعكاسًا على نافذة المروحية المقوسة، تشع من سطح مستودع النقود «م4أ» في فاستبيرغا، وقد بدت مثل فنار يضيء ليرشد الآخرين.

التقدم نحو الأمام سيفصل دائمًا ما «قبل» تلك الثواني المعدودة في هذا الصباح في الثالث والعشرين من أيلول عما «بعدها».

شدَّد سامي قبضته على السلاح الآلي في حِجره.

أغلق نوردغرين عينيه للحظة.

التقطت عينا معلوف وميضًا من النجوم من خلال فجوة ظهرت سريعًا بين الغيوم، وكانت تلك علامة جيدة.

اتخذ كلوغر وضع التمركز فوق البناية، وسمح للمروحية بأن تتأرجح ببطء وروية مع الرياح.

حطَّ بخفة ريشة على السطح، ثم استدار نحو معلوف مع إيماءة وابتسامة.

إنها الخامسة والربع صباحًا، وقد استغرقت الرحلة الوقت المخطط لها.

يعرف كلٌّ منهم دوره الخاص به.

يدركون جيدًا أنه لا بد من العمل بسرعة.

خرج معلوف أولًا من المروحية، ثم بقي نوردغرين في الداخل ليناول المعدات إلى معلوف.

التقط سامي قبضة مطرقة ثقيلة، وقفز خارج المقصورة، ثم تبعه نوردغرين. ركض سامي نحو كوة مضيئة هرمية الشكل، وقام نوردغرين ومعلوف بفك السلالم من أسفل المروحية. كانوا يعملون مع صوت ريَش المروحية الهادر، وعندما انتهوا وحملوا السلالم بعيدًا حلَّق كلوغر.

اختفت المروحية البيضاء في سماء الليل المعتمة. عملت موجات الهواء التي خلَّفتها الريَش الدوَّارة على تمزيق وزحزحة أكياس البريد المليئة بالمعدات فوق السطح.

وصل سامي إلى النافذة الزجاجية، ووضع الطرف الثقيل من المطرقة على السطح، وأمسك بالقبضة الخشبية للمطرقة بإحكام، وجهَّز نفسه. أحنى ركبتيه في موقع منخفض وثابت، ورفع المطرقة، وبحركة انسيابية واحدة طوَّح بها عاليًا بشكل قوس فوق رأسه، وشعر بوزنها في كل أنحاء جسده، وشعر بقوة الحركة تستحوذ عليه وتدفعه للاستمرار.

هوت المطرقة بقوة على إحدى النوافذ المربعة التي يبلغ عرضها مترًا واحدًا. انتقل الاهتزاز من قبضة المطرقة نحو يد سامي، ولم يكن الأمر سيبدو مثاليًّا أكثر.

حدَّق نحو الزجاج.

لم يُصَب بخدش!

05:14

خلت الليلة من الأحداث حتى الآن.

كان كالي دالستورم هو الضابط المناوب في مركز اتصالات الشرطة الوطني. لم يجد شيئًا لفعله. مناوبته في هذه الليلة هي الثانية لهذا الأسبوع، فالجدول يُحدد له ثلاث مناوبات ليلية ثم يوم إجازة واحدًا، قبل أن يعود ثانيةً إلى دوام الساعات العادية. هدأت الهواتف من حوله، ونامت زميلته صوفي روساندير على أريكة غير مريحة، وضعها شخص سادي هناك كي يمنع الموظفين من الإخلاد إلى النوم، وعندما تستيقظ صوفي ستشعر بأن ظهرها متيبسٌ بشكل كلي.

استمر كالي في لعب أنغري بيردس على هاتفه، شاعرًا بالفخر لمهارته، لكنه لن يشارك النتيجة العالية التي حصل عليها مع أحد. فعلى الرغم من الساعات والأيام والأسابيع، التي قضاها مع تلك الطيور والخنازير الغبية، فلا يزال مجرد هاوٍ بالمقارنة مع المحترفين الحقيقيين.

قفز دالستورم عندما بدأ أحد الهواتف في الرنين فجأة. أرسل طائرًا أصفر للتحليق في الهواء، ثم أجاب على الهاتف بالضغط على زر أمامه، ولم يُكلِّف نفسه رَفْعَ نظره عن هاتفه.

كانت الخامسة وأربع عشرة دقيقة صباحًا، وكان الرجل على الطرف الآخر من الخط حارسًا أمنيًّا يتحدث لغة سويدية ركيكة غير مفهومة. استطاع دالستورم أخيرًا أن يفهم أنه يتحدث عن جريمة سطو في فاستبيرغا.

تُعد مركبات النقل المؤمَّنة في منزلة المصارف الحديثة، وكل ست من عشر عمليات سطو هذه الأيام تكون مرتبطة بالحرَّاس الذين يحملون أو ينقلون النقود. ما أثار دهشة دالستورم هو التوقيت، فمَن الذي سيذهب لتحصيل النقود في هذا الوقت من الليل؟

قال الحارس على الخط: «إنه مستودع «م4أ» للنقود. لقد جاؤوا بمروحية».

رفع دالستورم نظره عن طيوره الحمراء والخضراء، وحدَّق إلى شاشة حاسوبه الزرقاء كما لو كانت تمتلك أجوبة ما، ثم طلب من الحارس أن يعيد ما قاله.

أكَّد الحارس: «إنها مروحية».
قال دالستورم: «مروحية ؟».
«حلَّقت مرَّة أخرى. إنها تحوم فوقنا الآن».

لم يستطع دالستورم تصديق ما سمعه. أهي مروحية تهاجم مستودع النقود في فاستبيرغا ؟ إنه يعرف المنطقة ، ومركز شرطة سوديرورت في فاستبيرغا غاردزفاغ لا يبعد أكثر من مئات الأمتار عن مبنى الشركة الأمنية ، لقد كان بنفسه في ذلك المركز قبل شهر تقريبًا.

سأل: «أواثقٌ أنت من ذلك ؟».
أجاب الحارس: «هل أنت غبي ؟».

استيقظت صوفي روساندير ، وقد استمعت إلى المحادثة بعد أن أسرعت بصورة آلية إلى السماعات.

همست: «لا بد من الاتصال بشخص ما».
أمر دالستورم الحارس وهو ينهي المكالمة: «ابقَ على الخط».
كررت صوفي روساندير: «يجب رفع درجة الإنذار والاتصال بمفوض المقاطعة».

اعترض دالستورم وهو مرعوب من الفكرة: «لا أستطيع الاتصال بكايسا إيكبلاد وإيقاظها من النوم. سأتصل بكارلغرين بدلًا منها ، إنه المسؤول في سوديرورت وهي مشكلته».

تطلَّب الأمر وقتًا كي يجيب داك كارلغرين ، وقد بدا مستيقظًا للتوِّ ومشوشًا ومنزعجًا. عرَّف دالستورم بنفسه ، وأعاد المعلومات التي وصلته للتوِّ ، فتفاعل كارلغرين مع الخبر بالدهشة نفسها ، وقال: «مستودع النقود في فاستبيرغا ؟ لكنه إلى جوار مركز الشرطة مباشرة ؟».

اضطر دالستورم إلى إعادة المعلومات على سمعه عدة مرَّات ، قبل أن يفهم كارلغرين أن اللصوص حطُّوا بمروحية على سطح «م4أ».

قال: «أنا في طريقي. سأتصل بمفوض المقاطعة. رُفعت درجة الإنذار».

05:16

حلَّقت المروحية في الهواء على بُعد كافٍ فوق البناية مباشرة كي لا تُضايق الرجال الثلاثة فوق السطح.

ركض معلوف نحو سامي حين أدرك أن شيئًا ما يجري بصورة غير صائبة. قرفص الاثنان وتفحَّصا لوح النافذة الزجاجي عن كثب، وعاد الفضل إلى الأضواء أسفلهما إذ مكَّنتهما من رؤية صدع صغير طويل عليه.

أدرك معلوف أن ذلك الصدع كان موجودًا من قبل، لكنه قرر ألَّا يذكر ذلك.

قال: «استمر استمر».

عاد معلوف إلى نوردغرين الذي بدأ في فك السلالم المتحركة. بدا السلم الطويل طويلًا بشكل غير معقول، لكن يجب عليه أن يصل إلى الطابق الخامس.

قال لنوردغرين: «دعنا ننقل كل شيء عند النافذة».

كان ذلك نوعًا من الإلهاء وليس شيئًا آخر، يلهيان به نفسيهما حتى يُنهي سامي عمل المطرقة.

ضرب سامي الزجاج مرَّة ثانية، وأعاد ثالثةً. ذكَّرته تلك الحركة بالمساجين المُدانين الذين يقومون بتكسير الحجارة في أحد أفلام أوائل الستينيات. في كل مرَّة هوت فيها المطرقة على الزجاج كان يصحبها ذلك الصوت المكتوم نفسه، وخيبة الرجاء نفسها. بعد الضربة الخامسة أو السابعة أو الحادية عشرة كان نوردغرين ومعه معلوف قد نقلا كل الحقائب والحبال والسلالم والمعدات والمتفجرات إلى جوار النافذة. بدأ صبره ينفد، فقد خطط لهم معلوف بالبقاء هناك لربع ساعة فقط، خمس عشرة دقيقة، لا يمكنهم التأخر أكثر من ذلك على الإطلاق.

مرَّت ثلاث من تلك الدقائق الخمس عشرة، ولم ينتهوا من كسر النافذة بعد.

قال نوردغرين لمعلوف الذي أومأ برأسه: «سأُفجرها».

انحنى نيكلاس لتجهيز الشحنة، وعندئذ فقط سمعا صوت المطرقة وهي تحطم الزجاج إلى آلاف القطع الصغيرة.

رفع معلوف بمساعدة نوردغرين أحد طرفَي السلم الطويل فوق رأسه ، ثم حمله بصورة عمودية في الهواء ، ثم أنزله بحذر من خلال الفتحة في النافذة الزجاجية. كانت الشرفة في الطابق الخامس أسفلهم مباشرة ، وهي ليست أكثر من حافة ناتئة.

أنزلا السلم ببطء داخل البناية ، ويجب أن يكون طويلًا بالقدر الكافي.

سيستعيد معلوف هذه الدقائق القليلة لاحقًا ، متصورًا أنها أطول ما مرَّ عليه في ذلك الصباح ، فإذا اكتشفوا أن السلم قصير فسينتهي كل شيء ، ولن يكون هناك بديل سوى التلويح لطيار المروحية والرحيل بعيدًا.

مترٌ بعد مترٍ ، والسلم يغوص نحو الأسفل من خلال فتحة النافذة المكسورة ، وعندما شعرا بأنه قد تبقت لهما بضعة سنتيمترات فقط توقف عن الحركة. حدَّق معلوف إلى الأسفل ورأى حافة السلم مستقرة على الدرابزين حول الشرفة. دفعا السلم نحو حافة النافذة ثم استمرا في إنزاله.

لم يتبقَّ سوى ثلاثين سنتيمترًا من الاثني عشر مترًا ، لكن السلم فاجأهما واصطدم بالأرض. اختبر معلوف السلم ، ووجده ثابتًا بشكل جيد ، فانحنى نحو الأمام وحدَّق بدقة.

قال: «أعتقد أن الأمر سينجح».

استغرق وضع السلم في مكانه خمسًا وعشرين ثانية ، لكنها بدت خمسًا وعشرين دقيقة.

التقط نوردغرين السلم الأقصر ورفعه على كتفه اليمنى ، وأمسك بكيس المتفجرات في يده الأخرى.

سأل معلوف: «هل تتردد ؟».

وبدون انتظار إجابة بدأ في النزول.

تمسَّك معلوف بالسلم بكل قوته ، لكنه اهتز.

انحنى السلم كأنه مصنوع من البامبو ، بينما نيكلاس في منتصف الطريق نزولًا.

لكنه لم ينثنِ.

طلب معلوف من سامي أن يدعمه بأقوى ما يستطيعه ، بينما تمسَّك هو بكل قوته.

نزل سامي بعدهما والكلاشنكوف يتدلى من رقبته.

05:18

تساءل كلود تافيرنييه بكل ما يملكه من دبلوماسية، على الرغم من أنه يعرف مسبقًا أن الرد سيكون مطولًا وصعب الاحتمال: «هل يمكنكِ خفض صوت المذياع قليلًا؟».

تعودت آن ماري على تشغيل المذياع دائمًا في وقت العمل. عثرت على محطات ذات ترددات لم يصل إليها أحد غيرها. إنها تستمع الآن إلى مجموعة من أغاني الستينيات السويدية التي تُبَث بلا انقطاع، وبلا فواصل إعلانية. وضع خمسةٌ من العاملين الأربعة عشر في المناوبة سماعات الأذن لتجنب أغاني آن ماري، لكن الآخرين أُجبروا على تحمُّل تلك الأغاني السويدية القديمة لعدة ساعات.

مرَّت الأمور حتى هذا الوقت من الليلة بدون أي نزاع، لكن الصبر ينفد عند اقتراب الفجر كالعادة. يؤمن تافيرنييه بنظرية تتعلَّق بفساد الهواء، وقد رفع الأمر إلى الإدارة. تتشابه مناوباتهم الليلية عادةً، لكن في هذه الليلة، وفضلًا عن ضغط العمل العادي، وجب عليهم التعامل مع شحنتَي نقل أمنيتين من باناكسيا، فالشركة الأصغر لم تكن لديها القدرة اللازمة للعمل منذ انتقالها في الأسبوع الماضي.

يعني هذا أن الإجهاد سيكون أكبر من المتوقع.

بعد تسلُّم النقود يجري تسجيلها في القبو، ثم تُرسل إلى قسم الإحصاء بواسطة أنابيب توصيل داخلية في الطابق السادس. لا يجب على الموظفين أن يحصوا ويرزموا النقود، بل عليهم عزل العملات النقدية القديمة والممزقة وإعادتها إلى قسم التدوير، وعندما يتم ذلك يقومون بتسجيل الإيداعات وإرسال كل شيء إلى القبو مرَّة أخرى.

بدت الغرفة كبيرة وعلى شكل حرف «U»، مما يعني أن الأشخاص الذين يعملون في أحد أطرافها لا يستطيعون رؤية العاملين عند الطرف الآخر، وهذا يعني نظريًّا إمكانية العمل بعيدًا عن آن ماري ومذياعها، لكن لا يزال تافيرنييه يسألها خفض الصوت قليلًا، وكالعادة دائمًا قامت آن ماري، العضو في اتحاد العمال المحلي وصاحبة منصب ممثلة شؤون العاملين، بتوضيح الحقوق التي تمتلكها.

ومن بين تلك الحقوق الإصغاء إلى الموسيقى.

كان صبر كلود تافيرنييه في هذه الليلة أقل من المعتاد، وهو لا يعرف السبب تمامًا. رفع صوته وعارض آن ماري قبل أن يتسنى لها الوقت للاحتجاج.

صرخ: «أخفضي الصوت آن ماري، أو سأقوم أنا بذلك».

فوجئت آن ماري من تغيُّر طريقة تعامله، فمدت يدها إلى المذياع القديم وخفضت صوته. إنه ليس جهازها هي، بل جهاز الشركة.

بعد خفض صوت الأغاني، تمكَّن الجميع من سماع الحركة.

كان الصوت في الخارج.

لكز بعض الموظفين ساعدوا زملاءهم ممن يضعون السماعات كي يسمعوا بأنفسهم.

سأل أحدهم بصوت مرتفع: «ما هذا بحق الجحيم؟».

لم تكن هناك نوافذ في قسم الإحصاء في الطابق السادس، لكن من الواضح أن الصوت الهادر، الذي لم يستطع أحد تفسيره، آتٍ من الخارج.

«ذلك ليس صوت المكيف، أليس كذلك؟».

قالت آن ماري ساخرةً ومشيرةً نحو كلود تافيرنييه المذهول، الذي وقف في وسط الغرفة وأنظار الجميع مصوبة إليه: «يجب علينا أن نسأل مديرنا عما سنفعله».

امتلك تافيرنييه خبرة شخصية في موضوع السطو ذاك، مثل أي شخص قاد مركبة أمنية سابقًا أو عمل في شركة أمنية. ولهذا السبب اعتقد أنه لا بد أن يكون سطوًا. كان افتراضًا عفويًّا، لكن مع ارتفاع ستة طوابق في أحد أكثر المستودعات أمنًا، ومع وجود مركز للشرطة على مرمى حجر من المدخل، طرد كلود تلك الفكرة من خياله، إذ بدت غير مقبولة على الإطلاق.

قال: «استمروا في العمل. سأذهب وأتحقق».

غمغمت آن ماري: «يا له من بطل».

سرت قهقهة منخفضة عندما غادر كلود الغرفة.

خرج إلى الرواق، والمصاعد والسلالم إلى يمينه، ثم انعطف في الاتجاه الآخر نحو اليسار، ومرَّ من خلال عدد من الأبواب المغلقة بعد أن قام بفتحها بمفتاحه الخاص، ثم

توجه نحو غرفة الاستراحة حيث احتوت على شباك يطل على الردهة. اقتضت خطته إلقاء نظرة سريعة على الطوابق السفلى كي يرى إن كان هناك في الأسفل مَن انتبه إلى الصوت.

خطا نحو غرفة الاستراحة، وكان أول ما رآه رجلين يرتديان ملابس سوداء وينزلان السلالم من السطح والحقائب على ظهريهما.

تطلَّب الأمر بضع ثوانٍ من تافيرنييه كي يفسِّر ما رآه.

ركض عائدًا إلى قسمه، لكن ليس بالسرعة التي تمنعه من التأكد من إغلاق كل الأبواب خلفه تمامًا.

وُضِعت مهاراته القيادية على المِحك الآن، وحان الوقت كي يثبت أنه قادر وقوي.

عندما وصل إلى قسمه صمت الجميع واستداروا نحوه. بدا الرجل الذي خطا للتوِّ داخل الغرفة غير الرجل الذي غادرها قبل بضع دقائق. نمَّ وجه تافيرنييه الشاحب وعيناه المتسعتان عن شيء خطير يحدث، لم يحتج إلى لفت انتباههم، وقد انساب صوت رجولي يغني بهدوء من مذياع آن ماري.

قال كلود تافيرنييه: «أمِّنوا النقود».

لم يعترض أحدٌ أو يُبدِ سؤالًا، بمَن فيهم آن ماري. تدرَّبوا على هذه الخطة يومًا بعد آخر على مرِّ السنوات. إنها خطة نقل رزم النقود إلى حُجيرة مغلقة محاطة بالقضبان في وسط الغرفة بأسرع ما يمكن.

في ذلك الصباح كان هناك قرابة مائة مليون كورونور في قسم الإحصاء، معظمها من فئة أوراق الخمسمائة والباقي من فئات أصغر.

تعمَّد كلود التحرك بهدوء بقدر ما يستطيع. تدفَّق الأدرينالين في أوردته ففضَّل الركض بين مكاتب العمل ليتأكد من قيام كل شخص بعمله بسرعة وفائدة. علم أنه إذا أبدى أي إشارة توحي بالذعر فسيعم الهلع تلك الغرفة مثل الصدى. تحرك نحو مكتبه، وأخذ يبحث عن رقم سكوفدي. كانت التعليمات الموجهة إليه واضحة جدًّا، وهناك خطة مدروسة يجب عليه اتباعها كل أربعة أشهر، حيث كان بالي ليندال المدير الأمني لشركة «م4أ» يرتب خطة للتعامل مع هذه الأوضاع مع كل مديري الأقسام الوسطى في الشركة.

ما يجب أن يفعله أولًا في تلك المواقف أن يُخطر سكوفدي في مركز الإنذار.

لكن سكوفدي قام بتغيير رقمه قبل عدة أسابيع ، ولا يزال تافيرنييه يبحث عن الورقة التي تحتوي على تلك المعلومات الجديدة. إنه يعلم أنها فوق مكتبه في مكان ما. عمل الطاقم بصمت ومثابرة كي ينتهوا من تأمين النقود ، بينما شعر كلود تافيرنييه بذعر متزايد ، فليس لديه سوى عمل واحد ليقوم به ، لكنه لا يزال غير قادر على إتمامه.

قاوم رغبته الملحة في سحب أدراج مكتبه وإلقائها على الأرض ، واضطر أخيرًا إلى تقبُّل حقيقة ضياع رقم سكوفدي. التقط الهاتف واتصل بفالتر في الطابق الأرضي.

قال: «فالتر ، معك كلود من الإحصاء. هناك أشخاص في البناية».

لم يرغب في الإكثار من الكلام ، لأن الجميع من حوله أصاخوا السمع وأنصتوا إليه ، وحاول أن يتحدث بدون أي لكنة فرنسية.

أجاب فالتر: «علمتُ بذلك ، وقمت بالاتصال بسكوفدي».

05:18

قبل الخامسة والنصف صباحًا أيقظ صوت الهاتف المحموم مفوض المقاطعة كايسا إيكبلاد التي اعتادت على الاستيقاظ في منتصف الليل. وعند ردِّها على الهاتف بدا صوتها واضحًا وثابتًا كأنها جلست إلى جواره في انتظار تلك المكالمة. في الخريف الماضي كانت كايسا إيكبلاد زميلة لداغ كارلغرين، وهو واحد من المديرين المسؤولين عن ترشيحها ذاك.

قال كارلغرين وهو يلهث على الخط ويُسرع على السلالم في طريقه لمغادرة المنزل: «لدينا تقرير غير عادي. هناك محاولة سطو على فاستبيرغا. لدينا أخبار عن مروحية حطَّت على سطح مستودع «م4أ» للنقود».

كررت إيكبلاد: «مروحية؟».

وصل كارلغرين إلى موقف السيارات وصعد إلى سيارته.

كررت إيكبلاد حريصةً على عدم سوء الفهم: «وصل اللصوص على متن مروحية؟».

«من الواضح أنه ليس إنذارًا عاديًّا».

قالت مفوض شرطة المقاطعة وإحساسها الفطري يُخبرها بأن لصوص المروحية هؤلاء ليسوا مجرد هواة يمكن لقوة الشرطة المحلية أن تتعامل معهم: «سأتصل بأولسون».

قال كارلغرين: «افعلي ذلك».

قالت إيكبلاد: «سأعود للاتصال بكَ في أسرع وقت ممكن».

«سأفعل الشيء نفسه».

أنهى كارلغرين المكالمة وهو يندفع نحو طريق إيسنغيليدين السريع.

تعتمد العلاقة بين المفوض العام في مقاطعة ستوكهولم وبين مفوض الشرطة الوطنية على الظروف، حيث احتفظنا بمسافة بينهما. اثنتان من ضباط الشرطة في محيط ذكوري غالب، اثنتان من المحترفات محاطتان بمجموعة من البيروقراطيين، اثنتان من الضباط ذوي الخبرة وفي مراكز قيادية. كان هناك الكثير لدى الاثنتين كي تتبادلاه إحداهما مع الأخرى، لكنهما لم تتفقا معًا، حيث طغت حالة من الكيميائية الشخصية على علاقتهما

فبدت أكثر من منافسة بين امرأتين ، كما افترضت معظم الشائعات.

جاء الانطباع الأول لمفوض الشرطة الوطنية: «اللعنة».

انتبهت مفوض المقاطعة إلى خلو نبرة ثيريس أولسون من الدهشة ، واستشفَّت فيها الغضب فقط.

سألت: «هل كنتِ تعلمين بهذا ؟».

قالت أولسون وهي تتملَّص من الإجابة: «ذلك عملنا كايسا. سنتولى نحن الأمر من هنا. اطلبي من فريقك أن يقوم بقطع طريق الخروج ، وأرسلي بعض الدوريات إلى ذلك المكان ، ونحن سنتدبر الباقي».

«آسفة. لكني لا أعلم... هذا يحدث الآن ، ويحدث فعليًّا في مركز سوديرورت ، من الأسرع أن نتدبر نحن الأمر بدلًا من إشراككم فيه».

«كنا نعمل على هذا الأمر منذ أشهر كايسا. إنها مهمة كبيرة جدًّا عليكم».

أبدت مفوض المقاطعة اندهاشًا كبيرًا: «أشهر ؟ بدون إعلامي بذلك ؟».

التزمت أولسون الصمت لدقائق ، ثم قالت: «ليس للأمر علاقة بكِ».

انفجرت إيكبلاد بغضب مكتوم ، صارخةً كطفل في الخامسة: «قلتِ إن عملية سطو خُطط لها في ستوكهولم ليس لها علاقة بمفوض مقاطعة ستوكهولم ؟».

إذا لم تتمكن أولسون من تفهُّم ذلك فربما تدرك دائرة الشرطة في الاجتماع المقبل أن مفوضها مجرد امرأة جاهلة.

بدأت أولسون: «كايسا ، أنا...».

أنهت إيكبلاد المكالمة قبل أن تصغي إلى أعذار أولسون. كانت لا تزال في الفراش ، لكنها أزاحت الأغطية بغضب وتوجهت إلى الحمَّام ، وعندها سمعت هاتفها يرن مرَّة أخرى ، ثم تلاه اتصال آخر على هاتف المنزل. أثناء ذلك حظيت بحمَّام سريع ، ثم توجهت نحو المرآب وقد تلاشى الجزء الأسوأ من غضبها.

اتصلت بكارلغرين للوقوف على المستجدات ، فأكَّد ما ذكره الحارس ، أن اللصوص لا يزالون داخل المبنى ، وقد كلَّف وحدة متابعة ميدانية في سيارة للشرطة ، عند محطة

وقود ستاتويل مقابل «م4أ» ، بمتابعة الأمر.

تساءل كارلغرين: «لدينا بالفعل كثير من الأشخاص هنا ، هل نقتحم المكان ؟».

«هذا سؤالٌ جيد».

ومضت شاشة هاتفها مُعلنةً عن مكالمة واردة. أدركت إيكبلاد أن عليها الإجابة على ذلك.

قالت لكارلغرين: «انتظر».

إنها ثيريس أولسون.

قالت أولسون بشكل مباشر: «ارتكبنا خطأً كايسا. فشلنا في تقدير الموقف بالتأكيد. كان يجب علينا أن نُحيطك علمًا ، لكن هذا ما حدث ، ولن نجازف بخسارة المزيد من الوقت. هل تعرفين كارولاين ثورن من قسم التحقيقات الجنائية ؟ لقد عملت على هذا لمدة أشهر. إنها تعرف مَن يوجد داخل البناية في فاستبيرغا ، ولديها أفضل طريقة للتعامل مع الأمر».

تنهَّدت إيكبلاد ، ثم أجابت مستسلمةً: «حسنًا. كنت أتحدث إلى داغ كارلغرين ، إنه في وحدة متابعة ميدانية خارج المكان».

«سأطلب من ثورن أن تتواصل مع كارلغرين والأشخاص في الموقع».

تنهَّدت إيكبلاد ثانيةً ، ثم عادت إلى كارلغرين كي تخبره بالأنباء السيئة.

انتقل اهتزاز الهاتف عبر الأريكة الوثيرة. لم تسمع كارولاين ثورن شيئًا ، لكنها شعرت بذلك الاهتزاز. انتزعت سماعتيها فتوقفت ثرثرة زوران ميلكوفيتش. تطلَّعت للأسفل نحو الشاشة ، كانت مفوض الشرطة الوطنية ثيريس أولسون.

كانت الساعة تشير إلى الخامسة وعشرين دقيقة صباحًا ، وشعرت ثورن بالأدرينالين يتصاعد بداخلها عندما أجابت: «صباح الخير».

جاءها صوت ثيريس أولسون الغاضب: «أجِّلوا العملية لأسبوع واحد. إنها تتم ونحن نتحدث الآن».

فهمت ثورن الأمر مباشرة. كانت لا تزال تسمع صدى صوت ميلكوفيتش في أذنيها وهو

يقول: «إنه الخامس عشر من أيلول». لهذا السبب بالتحديد زلَّ لسانه، لهذا السبب بالتحديد كرَّر التاريخ عدة مرَّات، وكان ذلك هو الخطأ الوحيد الذي ارتكبه.

لكنه لم يكن خطأً.

لقد خدعهم.

كررت أولسون: «العملية تتم الآن. اذهبي إلى «م4أ» في فاستبيرغا، واتصلي بي من السيارة».

كانت كارولاين ثورن في طريقها إلى الخارج، فصرخت عبر الهاتف: «انتظري».

«ماذا؟».

سألت ثورن وهي تفتح الباب المؤدي إلى السلم: «هل حلَّقت مروحيتنا؟».

أجابها الصمت على الجانب الآخر.

فصرخت على رئيستها: «مُريها لتُحلِّق».

05:19-05:23

سار الأمر أفضل من المتوقع.

أثناء الطريق من فريسكاتي إلى فاستبيرغا مرَّت دقيقتان اضطر فيهما إلى أن يرمش بعينه ، وأن يُركز ويقاوم إحساس الذعر الذي بدأ يهجم عليه ، ويستعد للانتشار في جسده بسرعة وسهولة ، كما تفعل قطرة الدم في قدح الماء.

نجح في المرَّتين ، ومنذ ذلك الوقت بدا كل شيء هادئًا.

أخذ جاك كلوغر المروحية نحو الأعلى ثانيةً بعد أن أنزل اللصوص والمعدات. طافت آثار خفيفة من الغيوم الرقيقة في السماء من حوله ، وقد رُسمت أطرافها بدقة بواسطة ضوء القمر ، وإلى الأسفل نحو الشمال الغربي التمعت جزيرة إيسنغين وألفيك الجنوبي عند الحافة القصية من مياه بحيرة مالارين المعتمة ، ونحو الشمال الشرقي استطاع رؤية منطقة ليليهولمن الصناعية ومباني المكاتب المهجورة التي أحيطت بشعارات الشركات المضيئة.

لم يكن كلوغر يهتم بشيء سوى الاحتفاظ بالوقود. اتفقوا على أن يعودوا إلى السطح بعد عشر أو خمس عشرة دقيقة ، مما يعني أن لديه وقتًا كافيًا على الرغم من إقلاعه بنصف خزان من الوقود.

أنزل المروحية قليلًا ، فشاهد سيارة الشرطة الأولى وقد بدت مصابيحها الزرقاء تلتمع على الأرض.

توجَّهت السيارة ، كما توقع معلوف وسامي ، من مركز فاستبيرغا غاردزفاغ ، ثم انعطفت نحو زقاق فاستبيرغا تتبعها سيارة أخرى. راقبهم كلوغر من السماء ، بينما مصابيحهم الزرقاء تنير عتمة الليل. انحرفت السيارة الأولى عن مسارها ثم استدارت جانبًا وتوقفت ، وعندها علم كلوغر السبب ، فقد أخبره ميلكوفيتش عن السلاسل مع الكرات الفولاذية الشائكة المثبتة عليها. راقب الأمريكي السيارة الثانية وهي تبطئ من سرعتها ، لكنه لم يعرف إن كانت إطاراتها تمزقت أم لا.

أبصر طابورًا من الأضواء الزرقاء يقترب من الطريق السريع من ستوكهولم ،

سينعطفون نحو المخرج عند ميدسومركرانسين ، ثم يقودون بشكل مباشر نحو السلسلة الممتدة عبر فاستبيرغا آلي.

انخفض كلوغر بالمروحية أكثر بعد مرور ست دقائق على إنزالهم ، وهو الآن يحوم مباشرة بجانب المبنى. أعاقت السلاسل والكرات الفولاذية سيارتَي الشرطة ، لكن يبدو أن ذلك الطابور من السيارات الجديدة والأضواء الزرقاء التي تلتمع في الظلام قد تعامل مع المشكلة. أتت السيارات من الشمال ومن الجنوب وقد أضاع العد. احتفظوا بمسافة بينهم وبين المبنى ، وبدا لكلوغر أنهم يقومون بتشكيل قاعدة ما عند محطة الوقود أعلى التل ، بمسافة مائة متر تقريبًا عن مدخل البناية.

شعر بالراحة في المروحية خلف جهاز التحكم ، ولم يعرف لماذا كان متوترًا جدًّا من ذلك. يبدو الأمر الآن أشبه بركوب الدراجة ، ولم ينسَ شيئًا ، بل نسي القليل فقط في حقيقة الأمر. أشعره التحليق والسماء الداكنة من خلفه أنه لم يغادر أفغانستان ، ثم شعر بذلك الانقباض المفاجئ المألوف في معدته.

رمش كي يتخلص منه مرَّة بعد أخرى.

لم يرغب في التذكُّر.

دار حول المبنى فقط كي يشغل نفسه.

أحس بشعور غريب من عدم الراحة ، فربما تفتح الشرطة النار عليه. أدرك بعد عامين تقريبًا في السويد أن الأسلحة والعنف أمور استثنائية ، لكنه الآن هدف سهل ، ولهذا السبب بالتحديد بقي بالقرب من البناية ، مفترضًا أنهم لن يجرؤوا على إطلاق النار لخطورة أن تتحطم المروحية فوق مستودع النقود.

تطلَّع إلى ساعته مرَّة ثانية فوجدها 05:23 ، فشعر بالراحة لأن الأمر سينتهي قريبًا. حدَّق نحو السطح ، وتوقَّع أن يلمح أحدهم في أي دقيقة بدءًا من الآن. يدرك أنهم قالوا عشر إلى خمس عشرة دقيقة ، ولم تمر عشر دقائق بعد ، لكنه يرغب فقط في الرحيل ، فالأضواء الزرقاء النابضة على الأرض تصيبه بالتوتر ، والأفق الذي تطلَّع إليه يصيبه بالقلق المتزايد.

لا يعرف ماذا سيفعل إذا لمح مروحية الشرطة تقترب منه ، فالهبوط على السطح لالتقاط اللصوص سيكون بلا فائدة ، لأنه لن يتمكن من التحليق مرَّة أخرى ، ومروحية الشرطة تدرك ذلك جيدًا. لكن ليس هناك ما يمنعه من الطيران بعيدًا بكل بساطة ، ولذلك قرر أنه إذا رأى مروحية تقترب نحوه فسيهرب في الحال.

05:22-05:24

غادرت كارولاين ثورن المرآب في فابنارغاتان بسيارتها «الفولفو» والساعة تشير إلى الخامسة واثنتين وعشرين دقيقة بالتحديد. وجدت طبقة من الصقيع الأبيض تغطي الأرض في ستراندفاغين ، وبينما تقود نحو الأضواء في هامنغاتان التقطت هاتفها ووضعت السماعتين البيضاوين في أذنيها ، ثم طلبت رقم بيرغرين.

أجاب مباشرة.

«تأجلتْ أسبوعًا واحدًا».

لم تكن في حاجة إلى توضيح أكثر.

سألها: «أين أنتِ ؟».

«ليست بروما ، إنها فاستبيرغا».

سألها للمرَّة الثانية: «أين أنتِ ؟».

«العملية تتم الآن. اشتركت الشرطة المحلية. إنهم خارج المبنى مع سياراتهم ومصابيحهم الوامضة».

صرخ بيرغرين: «أين أنتِ بحق الجحيم كارولاين ؟».

وصلت ثورن في هذا الوقت إلى مركز تسوق غاليريان ، ثم استدارت فجأة نحو اليسار.

قالت: «عفوًا».

كانت على وشك أن تدهس امرأة مشردة تدفع عربة تسوُّق في الشارع.

«أنا في طريقي إلى فاستبيرغا ، خمس إلى عشر دقائق ، وقد أتمكن من الوصول قبل نهاية الأمر».

«ماذا ستفعلين هناك كارولاين بحق الجحيم ؟».

ليس لديها جواب جيد على ذلك السؤال ، إنها تطيع الأوامر فقط.

قالت: «ماتس ، اتصل بهيرتز ، وأخبره أن يتصل بالجيش».

لم يعرف بيرغرين ما يقول: الجيش ؟ السرقة تحدث الآن ؟ هل بروما لم تكن يومًا الهدف ؟ هل قاموا بتغيير خطتهم ؟

كرر: «الجيش؟».

قالت ثورن وهي تمر بجوار مبنى المحافظة: «عزموا على تعطيل مروحية الشرطة. لا أعرف إن كانوا ملتزمين بخطتهم الأساسية، لكن... الجيش يمتلك المروحيات في بيرغا، أليس كذلك؟ أو في أكاديمية التدريب على الطيران في أوبسالا؟».

«أوبسالا؟ ليست لديَّ أدنى فكرة...».

«اطلب من هيرتز أن يستدعي مروحيات الجيش، وتأكد أنهم حلَّقوا في الجو».

أنهت ثورن المكالمة قبل أن يتسنى لرفيقها الاعتراض. كان طريق نور مالارستراند ضيِّقًا، وهي تقود بسرعة مائة كيلومتر في الساعة، وإذا مرَّ أمامها صبي توزيع الجرائد أو متقاعد ما يُنزِّه كلبه فسوف تواجه مشكلة في تفادي الاصطدام بهما. تشبثت قبضتاها بالمقود بقوة مستعدةً للحركة التي قد تنقذ حياة ما.

وصلت إلى رالامبسهوفز باركين ولم تلتقِ بأي مخلوق، وفي رأسها دوَّت كلمات ميلكوفيتش وهو يقول إن لديه شيئًا كبيرًا مخططًا له في الخامس عشر من أيلول.

ذلك الوغد.

رن هاتفها عندما وصلت إلى الطريق السريع. إنها أولسون ثانيةً. استقبلت المكالمة بالضغط على الزر في سماعة الأذن التي يتدلى سلكها الأبيض بجوار وجهها. لم تكن هناك سيارات كثيرة من حولها الآن.

سألت ثيريس أولسون: «أين أنتِ بحق الجحيم؟».

«سأصل إلى فاستبيرغا في غضون أربع دقائق».

«ماذا تفعلين هناك بحق الجحيم؟ يجب أن تكوني هنا».

قالت: «أنتِ قلتِ...».

لم تُكمل الجملة.

نسيت أولسون أنها طلبت منها الذهاب إلى فاستبيرغا.

قالت كارولاين: «لا فائدة من وجودي في كونغزهولمين. أحتاج إلى التحدث مع طيار مروحيتنا، هل يمكنكِ أن تجعلي أحدًا يُحوِّل المكالمة إلى هاتفي؟ وأرغب كذلك في

التحدث إلى المسؤول في فاستبيرغا».

استغرقت أولسون بضع ثوانٍ للتفكير.

قالت قبل أن تُغلق لتجنب إضاعة المزيد من الوقت: «حسنًا».

تمكَّنت ثورن من رؤية المَخرج المؤدي إلى فاستبيرغا عندما رنَّ هاتفها ثانيةً. نظرت إلى الوقت ، لقد مرَّت ثماني دقائق منذ مغادرتها المنزل.

قالت من خلال السماعتين: «ثورن».

«مرحبًا».

«أنا كارولاين ثورن ، مَن أنت ؟».

«جاكوب الطيار. نحن في طريقنا إلى مايتنغ».

أوضحت ثورن: «لدينا عملية سطو تحدث الآن. تفيد المعلومات بأن مروحية بِل جت... تُستخدم في...».

صحَّح لها الطيار: «بِل 206 جت رينجر. نحن نعلم ، فقد سمعنا عن ذلك في الأسبوع الماضي».

احتارت ثورن ، هل عليها الشعور بالسعادة أم بالانزعاج. إنها على الخط مع شخص مجهول يعلم بعملية السطو منذ أسبوع ، هل هذه حالة أخرى من التسريب اللعين من مركز الشرطة أم أن الطيار واحد ممن كانوا في المناوبة في سولنا الأسبوع الماضي ؟

قالت: «إذا فهمتُ الأمر على نحو صحيح فإن السرقة تحدث الآن ، وهذا يوجب عليك الإسراع».

أجاب الطيار الذي بدا صوته مثل صوت صبي صغير: «تسلَّمنا الأوامر ، لكنها ليست بروما».

«فاستبيرغا».

استغرق الطيار دقيقة في التفكير.

«حسنًا. هذا أفضل. سنُحلِّق فوق متنزه أسترا ونكون في الجو خلال عشر دقائق».

تطلَّعت ثورن إلى الوقت ، إنها 05:30 ، وستكون المروحية في الجو بعد عشر دقائق.

أخبرته ثورن وهي تخفف من سرعتها لتنعطف نحو المنطقة الصناعية عبر فاستبيرغا آلي: «إذا وصلتَ وكانوا لا يزالون في الداخل فيجب عليك أن تمنعهم من الطيران، أما إذا كانوا قد أقلعوا فلا يجب عليك التدخل، اتبعهم فقط ودعنا نعرف أين سيهبطون».

كرَّر الطيار مع ضحكة صغيرة: «التدخل؟ هل تعتقدين أننا سنُحلِّق بمروحية مقاتلة؟».

«هل فهمتَ التعليمات؟».

غمغم الطيار بكلمة نعم، بينما ومض هاتف ثورن مُعلنًا عن مكالمة أخرى.

قالت وهي تُنهي حديثها معه: «اتصل بنا حينما تكون في الجو».

«كارلغرين؟».

سمعت ثورن فجأة صوتًا هادئًا عميقًا في أذنيها. لم يخبرها الصوت بأي شيء بخصوص قدرة ضابط الشرطة ذاك على اتخاذ القرارات، لكنه لا يزال مطمئنًا.

قالت: «قائدة فريق العمليات كارولاين ثورن. أعلمني بما استجد».

«حسنًا. لا يحدث شيء حاليًّا، ولهذا السبب ربما تكون المروحية قد حلَّقت».

«هل ذهبتْ؟».

بدت ثورن مشوشة، فقد افترضت دومًا أن اللصوص خططوا للهرب بالمروحية.

قال داغ كارلغرين: «ما زلنا نسمعها، لكننا لا نتمكن من رؤيتها... انتظري، هل هذه أنتِ؟».

في تلك اللحظة بالتحديد رأت ثورن سيارة شرطة «فان» تقف بجوار محطة الوقود، فأنهت المكالمة تاركةً السماعتين في أذنيها.

أوقفت سيارتها بجوار «الفان» وفتحت الباب.

سألت عند مغادرة السيارة: «مَن كارلغرين؟».

قفز من «الفان» ضابط شرطة طويل القامة متناسق الجسد يرتدي بزة رسمية، وتوجه للقائها.

عرَّف نفسه وهو يصافح ثورن: «داغ كارلغرين».

سألت: «هل طلبتَ الدعم؟».

كانت هناك أسراب من المصابيح الوامضة خارج مستودع «م4أ»، لكن ثورن رأت سيارات دورية عادية وليس قوات خاصة.

سأل كارلغرين: «دعم؟ ماذا تقصدين؟».

«هل وحدات مكافحة الشغب في طريقها؟ هل ستأتي قوات المهمات الوطنية؟».

أجاب كارلغرين بصوته العميق: «لا أعرف أي شيء عن هذا».

قالت ثورن: «حسنًا. حاول التأكد من الأمر».

غمغم كارلغرين بينه وبين نفسه وهو يبدو متضايقًا: «لم يكن لدينا وقت. كنا منشغلين بإزالة القذارة عن الطريق حتى تتمكني من الوصول إلى هنا بإطارات سليمة».

05:25

نُقِل كل شيء من السطح إلى الشرفة في الطابق الخامس، وانشغل نوردغرين بتثبيت السلم إلى الطابق الأعلى. ثبَّته على الزجاج المصفح، لكنه لم يعثر على زاوية مناسبة، حيث كانت الشرفة ضيقة جدًّا.

تسلَّق نحو الأعلى وهو يحمل أحد القوالب المتفجرة بيده، محاولًا التوازن على السلم، وقام بتثبيت القالب إلى الزجاج وملأه بالمواد المتفجرة، ثم أغلق غطاء المفجر وثبَّت سلك التفجير الطويل إليه.

عندما رأى معلوف وسامي أن نوردغرين وضع كل شيء في مكانه، شرعا في تسلُّق السلم الطويل عائدين إلى السطح. وكان نوردغرين قد نجح في العودة إلى الشرفة، فقام بتثبيت السلم لهما قبل أن يبدأ الصعود بنفسه.

لم يكونوا بحاجة إلى شحنة كبيرة لكسر الزجاج، لكن نظرًا للشظايا التي ستُمطر على الشرفة في الطابق الخامس لم يكن أمامهم سوى المغادرة.

فوق السطح بدأ نوردغرين في العمل على سلك التفجير وبطارية الدراجة النارية، ولهذا لم ينتبه إلى ما شاهده سامي.

رأى سامي في الشارع سيارة «فان» تعود إلى الشرطة، وأسرابًا من المصابيح الزرقاء الوامضة. كانوا هناك بالفعل. فقرر سامي عدم إخبارهما بالأمر، فليست هناك طريقة أخرى للتعامل مع ذلك.

بعد ثانية واحدة اندفع الانفجار داخل الردهة.

قال نوردغرين: «بسرعة الآن».

كان في طريقه نازلًا على السلم الطويل.

05:26

سمع الجميع في قسم الإحصاء صوت الانفجار، ولم تكن آن ماري الوحيدة التي تتطلَّع بتساؤل إلى تافيرنييه: «ماذا كان ذلك كلود؟».

عندما لم يحدث شيء بعد الانفجار الأول، عادوا إلى رزم وإخفاء النقود في تلك الأقفاص وسط الغرفة.

بقيت آن ماري فقط، تُحدِّق وتتأمل كلود تافيرنييه، مطالبةً بجواب السؤال: ماذا كان ذلك؟

قال تافيرنييه: «لا أدري».

طلب رقم غرفة الحارس في الطابق الثاني فأجابه فالتر مباشرة، وكان يتابع الأحداث من خلال شاشة كاميرات المراقبة.

سأل تافيرنييه: «هل وصلت الشرطة؟».

لم يكن فالتر يعرف، لكن لديه قرابة ثمانين كاميرا فيديو تراقب معظم المناطق داخل البناية، فأخبر تافيرنييه بما يعرفه: حطت المروحية على السطح، وحطم اللصوص النافذة الزجاجية، وهو لا يعرف مكانهم الآن، ولم يسمع أي انفجارات من مكانه في الطابق الثاني.

صمت فالتر، وجادل نفسه بسرعة ثم قرر أن يقول: «إنهم مسلحون».

ثم أضاف في محاولة منه للتقليل من صعوبة الموقف: «لكن من المحتمل أن تصل الشرطة إلى هنا في أي دقيقة».

أغلق كلود الهاتف.

أخبر آن ماري، وكان لقوله تأثير مُسكن مباشر عليها: «ستكون الشرطة هنا قريبًا».

تقلَّص الخوف في عينيها الواسعتين، ثم أومأت.

سألت: «دخلوا من السطح، أليس كذلك؟».

أومأ كلود، فذلك ما تداوله جميع العاملين في «م4أ» في فاستبيرغا. انتشرت تلك المعلومة الجديدة بسرعة البرق عبر الغرفة. عرفوا أن تلك الكوة الزجاجية اللعينة كانت

تعمل مثل منارة إرشاد لكل مجرمي البلد ليلًا.

عادوا إلى العمل ثانيةً.

قال كلود: «فليأتِ كل مَن ينتهي من عمله إلى هنا».

وقف في منطقة يمكن وصفها بوسط الغرفة ، إنه المكان المسمى «الموضع الآمن» ، حيث يجب عليهم التجمع هناك لانتظار الشرطة أو الحراس تنفيذًا لتعليمات المدير الأمني بالي ليندال. تلك التعليمات التي حصل عليها في أحد مؤتمرات «م4أ» الدولية التي يقيمها المديرون الأمنيون في كل عام. في تلك المناسبات تُجمع الخبرات المتراكمة لأكثر من مائة بلد معًا. كانت التعليمات هي: «ابقَ في الغرفة حتى تصلك المساعدة. لا تبدأ في الركض داخل البناية المليئة بالمجرمين المسلحين. إنهم يمشطون الردهات ولن يتوقعوا مفاجأتهم بالموظفين المشوشين الذين يحاولون إيجاد الطريق إلى الخارج».

يعرف الجميع تلك التعليمات.

أنهوا عملهم واحدًا تلو الآخر ، ثم تحركوا نحو كلود وآن ماري التي وقفت في الموضع المحدد.

كل ما تبقى الآن هو الانتظار حتى ينتهي كل ذلك.

بدا واضحًا لكلود أن اللصوص سيتخذون طريقهم نحو القبو في الطابق الثاني.

05:28

كانت الفتحة في الزجاج المصفح كبيرة بالقدر الكافي ليستطيع نوردغرين إدخال عتلة فيها لفتح فجوة أكبر يدخلون من خلالها.

على الجانب الآخر توجد غرفة تُستخدم كمخزن ما ، لكنها خالية الآن وبابها مفتوح ، ولا يفصلها سوى جدار عن قسم الإحصاء.

أشار معلوف نحو باب الحريق الذي توقعوا رؤيته ، فتوجَّه نحوه نوردغرين وتفحَّص هيكله. ثُبِّت الباب على عارضة معدنية ، مما يعني إمكانية تحريكه إلى أحد الجوانب بعد أن ينطلق جهاز إنذار الحريق. في أعلى الجانب الأيمن وتحت السقف مباشرة أبصر سلك التحكم في الباب هناك ، لم تكن لديه قاطعة للأسلاك ، لكنه أدرك أن سحبه بقوة يكفي لفصله ، ثم يعمدون إلى دفع الباب جانبًا. تحرك الباب بنعومة على عارضته كاشفًا عن الباب المدعم بالفولاذ الرابض خلفه.

إنه الحاجز الأخير بينهم وبين النقود.

أخرج نوردغرين من حقيبته علبة كولا مقسومة إلى نصفين ومملوءة بالمتفجرات ، ومثبتًا في قعرها مغناطيس. أغلق غطاء المفجر ، وثبت العلبة إلى الباب على مسافة بضعة سنتيمترات تحت المقبض ، وأشار إلى سامي ومعلوف بيد واحدة للعودة إلى غرفة المخزن بجوار الزجاج المصفح. ستعمل القاعدة المقعرة للعلبة على توجيه الانفجار نحو الداخل ، وهذا شيء سبق لنوردغرين فعله مرَّات لا تُحصى.

تعمَّد استخدام شحنة صغيرة ، إذ لم يكن يعلم الكمَّ الذي يحتاجه ، ولا يعلم ما يكون على الجانب الآخر من الباب ، وأين توضع النقود ، وأين أماكن العمل.

ثبَّت نوردغرين السلك الصاعق الطويل على الغطاء ، وتحرك بسرعة وثقة منضمًّا إلى معلوف وسامي في غرفة المخزن ، ثم لامس السلك مع قطبي البطارية فانفجرت الشحنة ، وركض عائدًا إلى الباب.

لكن الباب لم يُصَب بخدش واحد.

أومأ نوردغرين. علم ما يحتاج إليه. وضع شحنة جديدة في المكان نفسه ، وجاهد لمنع

التوتر من الوصول إليه. لم يشك للحظة واحدة في أنه سيتدبر الأمر. عمل بشكل منظم ثم عاد إلى غرفة المخزن مع زميليه في أقل من ثلاثين ثانية. انطلقت الشحنة الثانية ، وكان الانفجار أقوى من سابقه بشكل ملحوظ ، وملأت رائحة البارود أجواء الغرفة. ركض الثلاثة للتأكد من نجاح الأمر بعد استقرار الدخان والغبار.

لكن الباب لم يتحطم بعد.

همس سامي: «ماذا تفعل بحق الجحيم؟».

05:29

سمعوا الانفجار الثاني في الوقت نفسه الذي انتهوا فيه من حزم الرزمة الأخيرة. قفزوا من أماكنهم ، حيث كان الصوت أعلى من الأول وأقرب كذلك.

همست آن ماري: «لا يمكننا الوقوف هنا فقط كلود».

لم يكن واضحًا هل كان همسها تفاديًا لأن يسمعها اللصوص ، أم رغبةً في عدم بث الذعر بين زملائها.

قال كلود بنبرة صارمة غير ضرورية: «التعليمات واضحة لدينا».

كررت وهي تهزُّ رأسها: «لا يمكننا الوقوف هنا فقط».

قال كلود: «هلَّا أطفأ أحد ذلك المذياع اللعين».

لم يرَ الفاعل ، لكن بعد بضع ثوانٍ صمت الجهاز أخيرًا.

قال بصوت مرتفع: «لا تقلقوا. عندما يصل اللصوص إلى القبو سيدركون خيبة مسعاهم».

قبل أن يتسنى له الوقت ليُكمل ، سمعوا انفجارًا ثالثًا أسوأ من سابقيه.

سب كلود: «اللعنة!».

جاءه صوت شخص يقف عند نهاية الغرفة واستطاع إدراك ما لم يدركه كلود: «إنه الباب المصفح».

أمرهم كلود: «ليبقَ الجميع هنا».

لو كانت الظروف مختلفة، وكانوا جلوسًا حول طاولة المطبخ يتحدثون عن ذلك، لكان غضب سامي فرحان بلا حدود. سينهض واقفًا، ويدور حول الطاولة، ويتحدث بلا توقف وهو يشير بيديه، مُذكِّرًا الآخرين بما مرَّ به، وبالقصص التي سمعها عن التردد وعدم القدرة على اتخاذ القرار، وسيشير إلى نيكلاس نوردغرين قائلًا: «اللعنة، ماذا سيكون على الطرف الآخر من ذلك الباب؟ فجِّره لينتهي الأمر».

لكن ليس الآن.

ليس وهم في الطابق السادس من مستودع النقود، واقفون بمحاذاة الباب المدعم بالفولاذ، متطلعون إلى المروحية التي تحوم فوق رؤوسهم بقنوط.

لم يقل سامي شيئًا. كان يثق بنيكلاس نوردغرين لأنه يجب عليه ذلك، وقد افترض أن نوردغرين يعلم ما يجب فعله أكثر من أي شخص آخر.

قال خبير المتفجرات: «حسنًا. المرَّة الثالثة هي مرَّة الحظ».

قال ذلك بهدوء وبلا أي تردد وبدون اعتذار. عاد سامي ومعلوف طواعية إلى غرفة المخزن، فأخرج نيكلاس قالبًا متفجرًا بدلًا من تلك العلب، وقام بتثبيت القالب إلى الباب، وجهَّزه بطريقة مختلفة هذه المرَّة. كان يعلم أن هناك خطورة من انتزاع نصف الجدار معه، ويعلم أن هناك خطورة على النقود في الجانب الآخر، فقد تُطمر بالغبار المتطاير والشظايا، فضلًا عما قد يحدث للأشخاص العاملين هناك.

ليس أمامه خيار آخر. وعلى الرغم من أنه لم ينظر إلى ساعته منذ دخولهم إلى الطابق السادس، فقد أدرك أن وقتهم نفد، حيث استغرقت كل مرحلة أكثر مما خُطط لها، ويجب أن يتم ذلك الآن.

05:31

ذهب كلود مسرعًا لتفحص الباب الفولاذي، حيث إنه مخرج الطوارئ إلى الردهة، وتمكَّن على الرغم من بُعد المسافة من ملاحظة وجود انبعاج فيه تحت المقبض مباشرة كأن شخصًا ما وجَّه إليه ركلة من الجانب الآخر.

أخرج هاتفه واتصل بفالتر: «هل يمكنك رؤيتهم؟».

«كلا، لكن لا بد أنهم بجوارك في مكان ما في الأعلى، إذ لم يظهروا على أي كاميرا بالقرب من المصاعد أو السلالم».

قال كلود: «إنهم يحاولون تفجير الطريق إلى هنا».

لم يتوفر له الوقت ليقول المزيد.

كان الانفجار الرابع قويًّا جدًّا، شعروا معه كأن الجدران ستنهار عليهم، وامتلأ الهواء بالغبار والشظايا، فشرعت آن ماري بالصراخ ولم يحاول أحد إيقافها.

اكتفى تافيرنييه.

صاح وركض: «اتبعوني».

كان لا يزال يحمل هاتفه بجوار أذنه. ركض نحو الباب المعاكس المؤدي إلى السلالم.

أصبح أخيرًا القائد الذي أراد أن يكونه. تبعه الجميع بلا أدنى تردد، وفي اللحظة التي وصلوا فيها إلى بهو السلم اختفت الإشارة من هاتفه، لكن تافيرنييه استمر وتبعه الآخرون - ستأخذهم السلالم نحو الأسفل إلى الأبواب المصفحة خارج القبو.

حدَّث تافيرنييه نفسه: سأبتكر خطة أمنية جديدة، فالقادة يتخذون قرارات حكيمة في المواقف الصعبة.

05:33-05:39

تمترس سامي بجوار ميشال وترك الأمر يحدث.

هذه المرَّة كان الانفجار مختلفًا، وكان الصوت يصم الآذان، واهتزت الأرض، واحتاج الغبار إلى بعض الوقت ليستقر.

خرج ميشال من غرفة المخزن ولا يزال الطنين في أذنيه، لكنه شعر براحة لا تُوصف عندما شاهد الباب المحطم. كان الفراغ واسعًا جدًّا. تجاوزه نوردغرين حاملًا إحدى العتلتين، بينما التقط هو الأخرى.

تمكنوا باستخدام العتلة الأكبر من فتح الباب، فسقط إلى غرفة الإحصاء محدثًا دويًّا مرتفعًا. رفع سامي سلاحه ودخل الغرفة قبل الآخرين، فخدش الحائط نصف المحطم يده لكنه لم يلاحظ ذلك.

لم يكن يتوقع وجود أيٍّ من الموظفين داخل الغرفة، فمديرو المصارف غالبًا ما ينصحون موظفيهم بمغادرة المكان عندما يتمكنون من ذلك، ولكن ليس هناك ضمانات في هذا الأمر.

فتَّش الغرفة، وسلاحه الأتوماتيكي في مستوى وركه، وكانت فارغة.

كان معلوف قريبًا منه، فحدَّق في ساعته، إنها 05:34. تأخروا خمس دقائق ولم يروا النقود حتى الآن.

شغَّل المنشار الميكانيكي الذي يعمل يدويًّا بواسطة الوقود، ولهذا بدا نوعًا ما أشبه بماكينة جز العشب في زمن الستينيات. دار المحرك مع أزيز مرتفع، فتحرك نحو الأقفاص حيث خُزنت النقود، واستخدم المنشار لقطع الأقفال، فتطايرت الشرارات على الأرض بشكل خلَّاب، وامتلأت الغرفة كلها برائحة الوقود المحترق.

لاحظ نوردغرين أن الموظفين أخفوا كل شيء داخل الأقفاص، وهذا دليل آخر على الوقت الطويل الذي استغرقوه للدخول. أبعد تلك الفكرة عن ذهنه. لم يكن يرغب في التفكير في عدد ضباط الشرطة الذين ينتظرون في الخارج.

فتح معلوف الأقفاص، فالتقط نوردغرين وسامي أكياس البريد. كانت النقود محفوظة

في صناديق حمراء بلاستيكية. بحثوا عن فئة الخمسمائة كورونور وألقوا باقي الرزم على الأرض.

تحرك معلوف نحو القفص الثاني ، ووضع المنشار الميكانيكي أرضًا بدون أن يطفئه ، فأخذ يدور على الأرض كأنه يُعلن عن بقائه حيًّا. تفحَّص القفص ، وعلم أنه لن يُفتح بسهولة ، فالتقط المنشار الميكانيكي وقطعه أخيرًا ، وكان يحتوي على الفئات الكبيرة.

بدأوا العمل.

عندما امتلأت الحقيبة الأولى قاموا بسحبها نحو الغرفة المجاورة ، ثم إلى غرفة المخزن عند الزجاج المصفح ، وألقوا بها إلى الشرفة في الطابق الخامس.

استغرق كل هذا وقتًا.

يدرك كلٌّ منهم أنه لا يجب عليهم قضاء المزيد من الوقت داخل المبنى ، لكنهم واصلوا على أية حال. كانوا على عجلة من أمرهم منذ أن لامست أقدامهم سطح البناية ، لكنهم أدركوا الآن أن عليهم الاستعجال أكثر.

بدا الأمر كأنه لم يعد هناك من مكان لأكياس البريد على الشرفة الصغيرة في الطابق الخامس ، وعندها قرروا أنهم قد انتهوا.

05:37-05:39

صعدت قائدة فريق العمليات كارولاين ثورن إلى سيارة الشرطة «الفان» التي تعمل كمركز متابعة ميداني والمتمركزة خارج محطة ستاتويل على مسافة غير بعيدة من مستودع «م4أ» للنقود. تقع المحطة على مرتفع ، مما يعني أنها تمتلك إطلالة جيدة فوق المناطق المحيطة بها. أضفت الأضواء الزرقاء الوامضة الخاصة بسيارات الدورية من مكانها طبيعة سينمائية على المنظر ، وأضاف صوت مروحية اللصوص إلى ذلك أيضًا. لاحظتها ثورن مسبقًا ، لكن الآن كأنها اختفت في سماء الليل الداكنة.

كان لديها خياران: إما إرسال رجال الشرطة لاقتحام المبنى مباشرة والمخاطرة بإطلاق النار واحتجاز رهائن ، وإما الانتظار حتى يعود اللصوص إلى مروحيتهم لمحاولة الهرب. أخبرها حدسها أن لديها بضع دقائق فقط لاتخاذ القرار.

جلس اثنان من ضباط الشرطة بالزي الرسمي في مقدمة سيارة «الفان» ، بينما جلس بضعة أشخاص في الخلف ، أحدهم بملابس مدنية ولديه حاسوب محمول مفتوح أمامه. التقطت ثورن على الشاشة الصورة الخضراء المألوفة للنقل المباشر من كاميرات المراقبة.

سألت ثورن ضابط الشرطة الأقرب إليها: «مَن ذاك ؟».

«لا أعلم».

«ماذا يفعل ضابط بالملابس المدنية هنا ؟».

اقترح الشرطي وهو يرسلها إلى الضابط المسؤول: «اسألي كارلغرين».

تحركت ثورن نحو مؤخرة الحافلة في اتجاه الغريب صاحب الحاسوب. بدا الرجل في أواسط العمر ، وذا بشرة حمراء ونظارات سميكة.

قدَّمت نفسها: «أنا كارولاين ثورن ، المسؤولة عن الأمور هنا. مَن أنت ؟».

نظر الرجل نحو قائدة فريق العمليات الطويلة وأومأ: «بالي ليندال مدير «م4أ» الأمني».

أخرج ليندال بطاقة تعريف وسلَّمها إلى ثورن.

علَّقت ثورن: «وصلتَ إلى هنا بسرعة».

أجاب ليندال مشيرًا إلى خارج النافذة: «أسكن هناك».

ثم أكمل: «رفع مدير قسم الإحصاء كلود تافيرنييه درجة الإنذار مع الحارس المناوب، وكان ذلك...».

تأكَّد ليندال من الوقت على هاتفه: «قبل اثنتي عشرة دقيقة. يُدعى الحارس «سكوفدي». ومن هناك، حيث يوجد مركز التحكم، اتصل بي سكوفدي عندما بدأ الأمر، فارتديت بنطالي وأتيت، وكان الكثير منكم هنا أيضًا».

أومأت ثورن، وسألت عن شاغلها الوحيد: «هل هناك خطورة من أخذ رهائن؟».

أجاب المدير الأمني وهو يدير حاسوبه نحوها كي تتمكن من مشاهدة الشاشة: «ليست هناك ضرورة للتخمين».

على الشاشة كان هناك رجلان طويلان يرتديان ملابس سوداء ويقفان أمام ما يبدو كأنه قفصٌ مرتفعٌ مُسورٌ بالقضبان، ينقلان الرزم إلى خارج القفص ويضعانها داخل أكياس قماشية، وأحد الرجال يحمل سلاحًا أوتوماتيكيًّا يتدلى فوق كتفه، ربما يكون كلاشنكوف.

أعلن المدير الأمني: «لدينا قرابة ثمانين كاميرا مراقبة في المبنى. أستطيع أن آتي بها كلها على الشاشة».

وافقته ثورن: «مؤثرٌ جدًّا. لكن لسوء الحظ فإن ذلك لن يساعد».

رد بالي ليندال مُستشعرًا الإهانة: «لم تُصمَّم الكاميرات لمنع الجرائم. ولا يوجد عدد من الكاميرات أو الأقبية يمكنه إبقاء المجرمين المحترفين بعيدًا لفترة طويلة. منطقنا أن الحواجز الأمنية الأولية يجب أن تعمل خلال الدقائق الخمس عشرة الأولى، وذلك يجب أن يكون كافيًا».

تساءلت ثورن: «كافيًا لماذا؟».

«كافيًا كي تصل الشرطة إلى هناك. وقد مرَّت تلك الدقائق الخمس عشرة وأنتِ لا تزالين هنا. يمكنني أن أفتح الأبواب المغلقة والمصاعد في المبنى كله من حاسوبي هذا. لديكِ الكثير من الأشخاص هناك. أستطيع أن أوجِّهكِ نحو الأعلى إلى حيث اللصوص إذا

رغبتِ».

أومأت ثورن مفكرة، وحدَّقت خارج سيارة الشرطة «الفان».

وقف ضباط الشرطة بالملابس الرسمية خارج سياراتهم ذات الأضواء الزرقاء الوامضة، يتحدثون فيما بينهم، مُشكِّلين مجموعات صغيرة، ولم يبدُ أحد منهم متعجلًا أو منتظرًا الأوامر، لأنهم ببساطة لم يتدربوا على وضع كهذا.

يستطيع هؤلاء الرجال والنساء مطاردة المخرِّبين وقُطاع الطرق، وإبقاء السكارى بعيدًا عن الأماكن العامة، ومنع الرجال الأقوياء من الإساءة إلى زوجاتهم في الضواحي الجنوبية، وقد يتمكنون في أفضل الأحوال من إصابة الهدف أثناء تدرُّبهم على الرماية، لكنهم يفتقرون إلى الخبرة في التعامل مع الجريمة الدولية المنظمة.

لذا، يُشكِّل توجيه الأوامر إلى هؤلاء الرجال والنساء باقتحام مستودع النقود مخاطرة كبيرة. ومع وجود مدنيين داخل البناية فإنها ستكون مجازفة تعرض حياة الكثيرين للخطر.

تطلَّعت ثورن إلى شاشة الحاسوب، مأخوذةً بالهدوء الذي بدا على اللصوص أثناء عملهم. كانوا يملأون أكياس البريد بالنقود بطريقة منظَّمة، وعندما يمتلئ كيسٌ يطوحون به على أكتافهم أو يجرُّونه على الأرض إلى خارج الغرفة، وبينما يغدون ويعودون بالملابس نفسها بدا صعبًا معرفة عددهم. خمَّنت أنهم ربما يكونون أربعة، أو ثلاثة، أو خمسة ببساطة شديدة.

تساءلت: «أين هم؟ في القبو؟».

قال ليندال: «كلا كلا. لن يستطيع أحد الوصول إلى القبو حيث مركز النقود الأكبر. إنهم في الطابق السادس، ونسميه «قسم إحصاء النقود»، وهو المكان الذي تُرسل إليه النقود كي يتم إحصاؤها، ثم يُعاد إرسالها إلى القبو. ليس لدينا هناك أكثر من بضع مئات من الملايين».

كررت ثورن مندهشة: «بضع مئات من الملايين؟».

أشار ليندال: «حتى وقتنا هذا، هناك ما يقرب من البليون في ذلك المبنى».

سألت ثورن وهي تشير نحو الشاشة: «أليس هناك أحد آخر في الغرفة ؟».

أجاب ليندال أخيرًا: «بلى ، يجب أن تكون الغرفة مأهولة. لدينا اثنا عشر شخصًا تقريبًا يعملون في تلك الغرفة في هذا الوقت من اليوم ، ولديهم أوامر بالمكوث هناك ، لكن يبدو أنه قد حدث شيءٌ ما ، فأنا لا أتمكن من رؤيتهم ، ولا أعلم حقًّا...».

«إذًا ، على الرغم من كاميراتك الثمانين فأنت لا تستطيع أن تعرف إن كان موظفوك في خطر ؟».

هزَّ بالي ليندال رأسه ، وقال: «نعم. لا أستطيع».

قالت ثورن: «لا تستطيع ؟».

أكمل المدير الأمني بدون أي محاولة منه لإخفاء توتره: «لكن ما يمكنني قوله بثقة أنكِ إذا أمرتِ باقتحام تلك البناية وتوقيف اللصوص فإن موظفينا أينما كانوا سيصبحون بحال أفضل بالتأكيد».

بدأت السماعتان في أذنَي ثورن بالرنين ، فضغطت على الزر المتدلي عند عنقها. فكَّرت أنه ربما يكون الطيار قد حلَّق أخيرًا.

لم يكن صوت الطيار الشاب الذي سمعته ، بل صوت ماتس بيرغرين.

«تحدثتُ مع هيرتز للتوِّ ، وقال لن تكون هناك أي مروحيات من أوبسالا أو بيرغا».

«لن تكون هناك مروحيات منهما ؟».

«هيرتز في مركز الشرطة ، ولا علم لديَّ بما حدث ، لكن رسالة السلطات العسكرية قالت إنه يجب علينا التعامل مع ذلك بأنفسنا».

«السياسة».

«وعدوا بمراقبة الرادار. من الواضح أنهم لاحظوا مروحية اللصوص في المرَّتين ، عندما حلَّقت ، وعندما حطَّت على فاستبيرغا».

كررت ثورن: «السياسيون».

سأل بيرغرين: «ألم تُحلِّق مروحيتنا بعد ؟».

قالت ثورن وهي تُحدِّق في ساعتها: «نعم ، لم تُحلِّق. لكن يجب أن يكون الطيارون

في مايتنغ الآن».

أخبرها بيرغرين: «تستعد قوات المهمات الآن».

بدت ثورن مُحبَطة: «تستعد؟ عندما يصلون إلى هنا لن يجدوا أحدًا منا».

لاحظت ثورن شيئًا جعل مزاجها يتحسَّن، سيارتين لمكافحة الشغب تقتربان من محطة الوقود.

انخفضت مروحية اللصوص البيضاء للتوِّ إلى مستوى السطح، وحامت فوق مستودع النقود بالتحديد. لا شك أن الطيار رأى سيارتَي مكافحة الشغب أيضًا.

أومأت ثورن لنفسها.

يمكنها الآن بهؤلاء الضباط أن تقتحم المبنى.

قالت للمدير الأمني اليائس: «أخيرًا».

05:40

توجَّهت سيارتا مكافحة الشغب نحو محطة الوقود ، ثم توقفتا بجوار ثورن. ترجَّل ضابط شرطة يبلغ طوله مترين تقريبًا ، ضخم الجسد ، ذو تسريحة شعر عسكرية ، وكتفاه تشبهان أكتاف لاعبي كمال الأجسام. كان الضابط القائد.

سأل بصوت أجش: «مَن المسؤول هنا ؟».

أشارت ثورن إلى نفسها ، فأومأ الرجل بلا اهتمام ، وتطلَّع نحو المبنى والمروحية التي تحوم فوقه.

تساءل: «هل ترغبين في أن نسقطه ؟».

«تسقطه ؟».

قال الضابط ذو الزي الرسمي مع إيماءة واثقة: «يمكننا إطلاق النار على ذلك الوغد».

نظرت ثورن إلى الأعلى نحو المروحية. إنه لرجل مجنون ، فإسقاط المروحية وهي تحوم فوق السطح مباشرة قد يؤدي إلى انفجارها فوق البناية المليئة بالمدنيين ، ما هذا الذي يفكر فيه ؟

قبل أن يتسنى لثورن قول أي شيء آخر ، أخرج بالي ليندال رأسه من سيارة الشرطة صارخًا: «لقد تحرك اللصوص».

حمل حاسوبه في يده ، مستعدًّا لأن يبرهن لهم على صحة كلامه من خلال صور كاميرات المراقبة.

استدارت ثورن نحو قائد وحدة مكافحة الشغب ، وقالت: «اقتحم البناية الآن. اقبض عليهم قبل أن يمضي الوقت».

حان الوقت المناسب لبالي ليندال ليثبت أنه لم يكن يتفوَّه بالحماقات حول قدرته على فتح الأبواب من حاسوبه.

توجَّه قائد وحدة مكافحة الشغب مباشرة نحو سيارته. حدَّقت ثورن في ساعتها ، إنها 05: ، وعندما ركضت نحو ليندال وسيارة «الفان» تساءلت: لماذا لم يتصل طيار المروحية بعد ؟

ظل جاك كلوغر يلهث ويتنفس بسرعة، لأن جسده لا يحظى بقدر كافٍ من الأكسجين، وكانت يداه ترتعشان. مرَّ بهذا الموقف من قبل عدة مرَّات، وقد أدرك أنه يجب أن يهدأ. احتاج إلى التنفس بعمق وسحب الهواء إلى رئتيه، لكن ذلك بدا مستحيلًا.

لم يحدث شيء جديد. ظلت ساعة كلوغر تومض بقوة على رسغه. إنها 05:41. مرَّت عشرون دقيقة تقريبًا. عشرون دقيقة. لا بد أن أمرًا ما حدث. كم من الوقت يجب عليه أن ينتظر؟ هل يجب عليه البقاء في موقعه فوق السطح في انتظارهم؟ هل من الأفضل له أن يرحل؟

لم تكن لديه أي وسيلة اتصال مع المقتحمين في الداخل. ماذا ينتظرون؟

عندها بدأ ضوء تحذير الوقود يومض في العتمة داخل المروحية، وينبض بعناد لامتناهٍ. بدأ العد التنازلي الآن. كان الضوء النابض يشبه تدفق الدم في صدغي كلوغر، ومن تحته فوق الأرض المعتمة توهجت مصابيح الشرطة الزرقاء الوامضة مرسلةً إشعاعاتها فوق مستودع النقود الرابض بثقل وسكون، ذلك المبنى ذي الجدران الصلبة من الطابوق، والنوافذ قليلة الإضاءة التي لا تعطي أي إشارة عما يحدث في الداخل بالتحديد.

في الضوء الساطع على السطح لم يخاطر كلوغر بالقيام بأي خطأ، فانحرف بالمروحية جانبًا بشكل طفيف، ثم حدَّق إلى السلم الذي لا يزال يستند على النافذة المكسورة. لا حركة، لا ظلال، لا شيء.

سكن كل شيء فوق السطح سكون الأموات.

أضاء مصباح الوقود الأحمر وجهه، ولاحظت عيناه الزرقاوان الضوء الأزرق من سيارات الشرطة عند محطة الوقود، وتلك الفوضى التي تزداد شيئًا فشيئًا في الأسفل، والسيارات الجديدة التي تواصل القدوم.

لم ينتبه طيار المروحية إلى عرقه المتواصل، ولم يعد يفكر في تنفُّسه الذي أصبح سريعًا وسطحيًّا.

فجأة، حدث شيء جديد عند محطة ستاتويل، رآه كلوغر من زاوية عينه وهو يدير المروحية، إنهما سيارتا مكافحة الشغب اللتان وصلتا للتوِّ.

تعلَّم كلوغر أثناء قيامه ببعض الأعمال لصالح باليك في سوديرتاليي لمدة سنة تقريبًا، أن وجود سيارات مكافحة الشغب يُعد علامة سيئة، فهي مليئة بضباط الشرطة الذين يتذكرهم كلوغر من تكساس، وهم أناس لا يخشون إطلاق النار، ولا يكترثون لأحد.

تطلَّع إلى الأفق الجنوبي مرَّة بعد أخرى، حيث توقَّع رؤية مروحية الشرطة تقترب في أي لحظة، وقد اتخذ قراره بأن يُنهي كل شيء ويطير بعيدًا إذا رآها تقترب، وربما يحدث ذلك بعد قليل.

انطلقوا من نورتاليي بنصف خزان من الوقود لتجنب زيادة الحمولة، وقد أدرك الآن أنها كانت غلطة، فالمؤشر يستقر على القعر منذ دقيقة أو اثنتين.

سبَّ بصوت مرتفع.

تسارعت أنفاسه.

فكَّر: دقيقة واحدة ثم أُنهي.

05:39-05:42

كان جاكوب فالكر خلف مقود السيارة ، ملتزمًا بسرعة سبعين كيلومترًا في الساعة. لم يجرؤ على القيادة بسرعة أكبر عبر غابات فارمدو الكثيفة ، ولم يرغب في الاعتراف بتعبه ، حيث هبط عند الثانية ، وحظي بساعتين من النوم ، ثم اتصلوا به ثانيةً.

سلطت مصابيح سيارته شعاعًا أزرق على أشجار الصنوبر والراتينج. تجاوز السلاسل الصخرية المنخفضة ثم الحقول الفسيحة ، وقاد من المركز إلى الحظيرة مئات المرَّات من قبل ، لكن في الليل كان غالبًا ما يتفاجأ من كثرة المنعطفات الحادة فيه.

قال لارسون: «ربما يمكننا الإسراع قليلًا».

التفت جاكوب نحوه. لم يكن يعرف كوني لارسون جيدًا ، وكانا مختلفين جدًّا ، فلارسون رجل منعزل في الستين من العمر ومن أقصى شمال البلد ، بينما وُلِد هو وترعرع في ستوكهولم.

أجاب جاكوب: «من الأفضل أن نصل إلى هناك قطعة واحدة ، ولا ننتهي برأس آيل يدخل من نافذتنا».

صمت لارسون كما هو متوقَّع.

تمركزوا في الأسبوع الماضي في قاعدة قوة المهمات الوطنية في سولنا ، وكانوا يأخذون المروحية في جولة كل ساعة على الرغم من عدم حدوث أي شيء. لم يؤدِ جاكوب الخدمة العسكرية ، لكنه تصوَّر أن ليلته تلك في قسم الشرطة تشبه ما كان سيلاقيه في الخدمة العسكرية. تم إعلامهم بخطة اللصوص في الليلة المسبقة ، وكيف ستحط المروحية على سطح المبنى في مستودع باناكسيا للنقود في بروما ، وربما تُستخدم مرَّة أخرى للهروب. كانت ليلة مفعمة بالإثارة ، وكان الجو في غرفة الاجتماعات تلك متوترًا وجادًّا ، وبدا الرجال ذوو الفكوك القاسية الذين يحيطون به مستعدين للحرب.

اقتضت المهمة - كما افترض جاكوب ولا يزال - أن يعيق أو يتبع مروحية «بِل 206 جت رينجر» ، وهي الأولى من السلسلة ، ونوع من أنواع المروحيات التي صُممت في الأصل للأمريكان ، ثم قاموا بتسويقها بنجاح إلى المدنيين بعد أن قررت قوة الطيران

الأمريكية تغيير رأيها وعدم طلب المزيد.

استخدم الجيش والشرطة السويدية هذا النوع أو أنواعًا مختلفة منه على أية حال، وكانت «جت رينجر 2» هي التي قادها جاكوب للحصول على رخصة قيادة المروحية. وهم يُحلِّقون حاليًّا بمروحيات الإيرباص العادية التي تبدو للناظر غير مختلفة، بينما يكمن اختلافها الوحيد عن غيرها في الريَش الخلفية المغلقة والخيلاء الأوروبية والجودة العالمية.

أخيرًا، لمحوا على البُعد المصابيح التي تُضيء الحظيرة في مايتنغ. ضغط جاكوب على دواسة الوقود في المائة متر المتبقية، فتنهد كوني لارسون، وما عناه بذلك سيُعرف لاحقًا.

ناقشوا في الأسبوع الماضي خطورة قيام اللصوص بفتح النيران عليهم، لكنهم توصلوا إلى استنتاج أنهم إذا حلَّقوا فوق مروحية اللصوص فإن الأحمق فقط هو مَن سيجازف بإسقاط مروحية للشرطة تُحلِّق فوقه. وكما أدرك جاكوب فإن اللصوص ليسوا حمقى.

أزاح السياج في العتمة، وتحركا في ظلمة الليل في اتجاه البوابة. وعلى بُعد أمتار قليلة فقط، وبينما جاكوب يبحث عن المفتاح الخاص بالقفل، صرخ لارسون، وبعد ثانية واحدة رأى جاكوب الشيء نفسه.

على الطرف الآخر من السياج خارج البابين المؤديين إلى الحظيرة، كان هناك صندوقان أسودان مع ضوء أحمر وامض ينبعث منهما.

قنابل؟

صرخ لارسون: «توقف بحق الله».

وقف جاكوب ساكنًا.

«ما هذا؟».

حدَّق الطياران إلى القنابل. بدا وجودها غريبًا في ذلك المكان المألوف الذي يُشع بسكون مسالم، وبدا النظر إليها أشبه بفيلم إثارة أمريكي.

قال لارسون وهو يبتعد عن السياج ببطء: «هذا ما قصدوه».

«ماذا؟».

«لهذا السبب نُقلنا إلى سولنا في الأسبوع الماضي. هذه طريقة للتأكد من عدم تحليقنا في الجو. كل تلك الأشياء اللعينة قد يكون لها توقيتٌ محدَّد وستنفجر في أي لحظة».

استمر الطياران في التراجع إلى سيارتهما.

«ماذا سنفعل الآن بحق الجحيم؟».

05:43

«هل أنت في الجو؟».

وقفت ثورن إلى جوار محطة الوقود مع داغ كارلغرين وبالي ليندال مدير «م4أ» الأمني.

شقَّت وحدة مكافحة الشغب طريقها نحو مستودع النقود، فشعرت كارولاين للمرَّة الأولى، منذ صعودها إلى سيارتها في هذا الصباح، بأنها تسيطر على الموقف، فخلال دقيقتين فقط ستقتحم وحدة مكافحة الشغب المبنى، وستصل المروحية من مايتنغ لتقطع على اللصوص طريق الهروب.

لكن، ليس هذا ما أخبرها به جاكوب فالكر.

أصغت إلى الطيار من خلال سماعتَي الأذن بدون أن تفقه شيئًا: «لسنا في الجو. ما زلنا على الأرض».

سألت: «أيمكنك إعادة ذلك؟».

أكمل طيار المروحية: «هناك قنبلتان خارج بابَي الحظيرة. لا نعلم ما الذي يستحثهما على الانفجار. ننتظر عند البوابات حتى تصلنا المساعدة».

قالت ثورن: «قنابل؟ هل هي...؟».

قال جاكوب وهو يتطلَّع إلى لارسون الذي كان على الخط مع مركز القيادة: «زميلي يتصل بمركز القيادة الآن. يجب عليهم إرسال شخص يعرف كيفية التعامل مع هذا الأمر. يجب أن ننتظر حتى زوال الخطر. إذا حدث ذلك بسرعة فربما نتمكن من...».

انتزعت ثورن سماعتيها من أذنيها، وأطلقت ساقيها الطويلتين للريح. ركضت بأقصى سرعتها فوق الحشائش في اتجاه سيارتَي وحدة مكافحة الشغب ومستودع «م4أ». كانت يداها تقطعان الهواء كالسكاكين، وقدماها تسحقان الأرض.

صرخت.

لم تلاحظها وحدة مكافحة الشغب، لكن على مسافة بضعة أمتار فقط من المدخل التفت أحدهم من النافذة.

صرخت ثورن: «توقف. توقف. قد تكون البناية مفخَّخة».

05:43-05:47

تسلَّق نوردغرين السلم الأطول وفي يده حبل طويل يتدلى إلى الشرفة في الطابق الخامس.

كان أول ما رآه عندما خرج إلى ذلك الفجر المعتم هو تلك الأسراب من الأضواء الزرقاء النابضة على الأرض من تحته. وثاني ما رآه هو المروحية التي تحوم فوقه. بدا الأمر كأن ساعات مرَّت منذ أن كان جالسًا فيها.

قام معلوف بربط أكياس النقود بالحبل ، وبدأ نيكلاس بسحب الحبل شيئًا فشيئًا وهو يتراجع إلى الخلف. لم تكن ثقيلة كما تصورها ، وعندما توقف كي يلتقط أنفاسه واستدار ليرى مكانه ، فوجئ بأنه على مسافة سنتيمترين من حافة السطح. لم يكن هناك وقت للخوف أو حتى التفكير في الأمر.

استخدم أكياس البريد للتوازن ، وتحرك نحو النافذة الزجاجية المحطمة ، ثم قام بسحب المتبقي من الحبل.

من خلفه كانت المروحية تهبط.

أمسك معلوف بالسلم ، فتسلَّق سامي إلى السطح لمساعدة نوردغرين في رفع الأكياس. بقي معلوف في شرفة الطابق الخامس ليربط كيسين آخرين بالحبل كي يُسرِّع الأمر. شعر أنه مكشوف على تلك الحافة الضيقة ، لكنه يعلم أن الشرطة قد تقتحم المبنى في أي دقيقة ، هذا إن لم تكن اقتحمته بالفعل. كان مرئيًّا من كل الطوابق أسفله ، وطريقة فراره الوحيدة عن طريق السلم ، لكنها ستجعله هدفًا سهل المنال.

حدَّق إلى ساعته.

وجد أن الخمس عشرة دقيقة المُخطط لها ، قد استحالت إلى ثلاث وثلاثين دقيقة.

أدرك أنه لا يمكنهم استهلاك المزيد من الوقت ، فقرر أن يترك خلفه بعض الأكياس التي لم يتمكن من نقلها ، ثم شرع في تسلُّق السلم.

ركض سامي فوق السطح نحو المروحية ، كي يُلقي بالنقود إلى المقصورة ، وعندما فتح الباب اصطدم بالطيار الغاضب.

صرخِ جاك كلوغر بشدة، إلى الدرجة التي غطى فيها صوته على هدير المحرك: «قُلتَ خمس عشرة دقيقة. أين كنت بحق الجحيم؟ سينفد منا الوقود».

كان ضوء إنذار الوقود لا يزال يومض.

05:48

إذا قام اللصوص بوضع القنابل خارج حظيرة المروحيات في مايتنغ، فهناك احتمال لأن يفعلوا الشيء نفسه مع مستودع النقود في فاستبيرغا. لم تُرد كارولاين ثورن أن تكون مسؤولة عن إعطاء الأوامر لضباط الشرطة كي يقوموا بفتح الباب الذي قد ينفجر في وجوههم.

تمكَّنت عن طريق الصراخ والإشارات الجامحة من إيقاف وحدة مكافحة الشغب قبل وصولها إلى المدخل. خرج الضابط الضخم من السيارة الأولى، مرتديًا سترته المضادة للرصاص وخوذة فوق رأسه، واتجه نحو ثورن غاضبًا ومصعوقًا، ومن مسافة قريبة جدًّا منها حدَّق إليها وقد تقلَّصت عضلات رقبته، وهمس: «إنها أفضل طريقة منكِ لتقديم الدعم. نحن لن نرحل».

كان صوت المروحية وهي تحوم فوق رؤوسهم مرتفعًا جدًّا، مما دفعهم إلى الصراخ.

صرخت ثورن: «يُحتمَل أن تكون البناية مفخخة».

تخيَّلت أنها يمكنها أن تشمَّ رائحة الوقود، قد تكون قادمة من أي مكان، من المروحية أو من وحدة مكافحة الشغب أو من محطة الوقود.

بدا الضابط القائد المسلح مرتابًا، ثم التفت ناظرًا إلى المدخل.

جلس الحراس في الطابق الثاني في غرفة المراقبة أمام شاشاتهم، وهم يعرضون الصور نفسها التي أظهرها ليندال على حاسوبه. هل غفلوا عن رؤية شخص يقوم بوضع القنابل في المبنى؟

كرر الضابط القاسي وهو يبدو غير مُصدِّق: «مفخخة؟ لم أتمكن من رؤية شيء».

«لدينا سبب للاعتقاد بذلك».

تساءل وهو يبدو خائب الظن بشكل واضح: «حقًّا؟ هذا يعني أنه ليس علينا الدخول».

«نحتاج إلى التأكد من...».

وقبل أن يتسنى لثورن إكمال جملتها، أصبح صوت المروحية يصمُّ الآذان، وبعد

لحظة واحدة حلَّقت بعيدًا.

صرخت ثورن والذعر يجتاحها: «إنهم يرحلون. إنهم يهربون».

رمى اثنان من ضباط الشرطة نفسيهما من السيارة وهما يحملان أسلحة خفيفة غير مرتدة، وتوجَّها نحو الحشائش وقرفصا هناك، ووجَّها الأسلحة من فوق كتفيهما نحو المروحية.

حدَّق الضابط القائد إلى ثورن، وهمس: «أعطِهما الأوامر».

نظرت ثورن إلى المروحية.

صرخ قائد الوحدة: «الأوامر. أعطني الأوامر».

لم تكن لديها فكرة عمَّن يستقل تلك المروحية إضافةً إلى اللصوص، هل الطيار مُختطَف أم هو مشترك في السطو؟ هل لديهم رهائن على متنها؟

صرخ القائد: «أعطني الأوامر الآن».

احمرَّ وجهه، وانتفخت الأوردة حول عنقه، فحدَّقت ثورن إلى الضابطين المقرفصين مع أسلحتهما الجاهزة، ثم نظرت نحو الأعلى وأدركت أن الوقت تأخر لذلك، حيث ابتعدت المروحية بالفعل.

صرخ ضابط الشرطة عندما أدرك ذلك: «اللعنة».

وشرع في الركض عائدًا إلى مركبته، وتبعه الضابطان اللذان ركعا على ركبتيهما فوق الحشائش.

صرخت ثورن لقائد وحدة مكافحة الشغب: «اتبعوهم».

وبدأت في الركض في الاتجاه المعاكس عائدة إلى سيارتها عند محطة ستاتويل.

في منتصف الطريق إلى هناك رنَّ هاتفها، فأجابت على المكالمة بدون أن تخفف من سرعتها.

صرخ بيرغرين في أذنيها: «كارولاين، كارولاين. إنه أنا. اتصل هيرتز، ويقول إن الجيش أطلق مروحيتين مقاتلتين في الجو الآن، تقريبًا في مكان وجودك».

حاولت ثورن أن تستجمع أفكارها.

صرخت: «حلَّق اللصوص للتوِّ. جعلتُ وحدة مكافحة الشغب تتبعهم. هل تستطيع إبقائي على اتصال معهم ماتس؟ مروحيتان مقاتلتان؟ كيف يمكنهما المساعدة؟».

أجاب بيرغرين: «لا أعرف. ربما يمكنهما إسقاط المروحية».

وصلت ثورن إلى مكان السيارة، وبدون أن تعلم مَن الذي على متن المروحية بدا التفكير في إسقاطها مستحيلًا. هل سيكون الجواب موجودًا على كاميرات مراقبة ليندال؟ هل التقطت إحدى الكاميرات مَن يستقل المروحية؟

قالت: «أعطني دقيقة واحدة».

«ماذا أقول للمروحيتين المقاتلتين؟».

أجابت ثورن قبل أن تقطع الاتصال: «أخبرهم أن يستعدوا. ليستعدوا».

ركضت نحو سيارة الشرطة، وقبل أن تتمكن من التحدث إلى ليندال اتصل بها بيرغرين ثانيةً.

قال: «هناك أوامر مختلفة كارولاين».

«ماذا يعني ذلك؟».

«علمت أولسون بأمر المروحيتين المقاتلتين، إنه أمر غير قانوني».

«ماذا تعني بغير قانوني؟».

«لا يجب على الجيش التدخل في عمل الشرطة. هناك قانون... أعطت أولسون أوامر مختلفة، فعادت المروحيتان إلى مسارهما العادي».

قالت ثورن: «السياسيون».

انتابها شعور بالراحة لعدم اضطرارها إلى تحمُّل مسؤولية مهاجمة مروحية خاصة من قِبل طائرات مقاتلة في مجال العاصمة الجوي.

سألت: «هل تظهر المروحية على أحد الرادارات؟».

قال بيرغرين: «كلا، ولم تظهر حتى حين حلَّقت. الجيش يراقب، ونحن كذلك، ولم يتمكن أحدٌ من رصدها».

«إنهم يُحلِّقون على علوٍّ منخفض».

«إنهم بالفعل يُحلِّقون على علوٍّ منخفض، لكن هل يعني ذلك أن وحدة مكافحة الشغب ستتمكن من مراقبتهم عبر الطريق السريع؟».

أومأت ثورن. كان بيرغرين مصيبًا، فاللصوص لم يختاروا التحليق المنخفض فقط، بل قاموا بإطفاء كل أجهزة الاتصالات، وليس أمامهم خيار سوى التمسك بالطريق المُضاء بصورة جيدة لضمان الطيران. تمكَّنت ثورن من رؤية الفجر عند الأفق، لكنه لم يكن سوى خيط رفيع فوق السماء الداكنة، وأدركت بخبرتها الخاصة أن الرؤية من خلال نافذة المروحية ستكون أكثر عتمة.

يجب على اللصوص الطيران معتمدين على أنفسهم، وليس على نظام الملاحة. سيتبعون الطريق إذًا.

قالت لبيرغرين: «دعني أتحدث مع وحدة مكافحة الشغب. حوِّل المكالمة إليَّ فربما أتمكن من مساعدتهم».

05:49

استمر ضوء تحذير الوقود في وميضه ، وذلك هو كل ما تمكَّن كلوغر من رؤيته ، وكل ما كان موجودًا في تلك اللحظة. ملأ الضوء الأحمر المقصورة كالقدر المحتوم ، وكإشارة مستمرة إلى نفاد الوقود.

صرخ كلوغر وهو يوجِّه المروحية نحو الأمام سامحًا لتلك الفقاعة المعدنية أن تطوف في الهواء بعيدًا عن الهرم الزجاجي المضيء على قمة البناية في فاستبيرغا آلي 11: «أين كنتم بحق الجحيم ؟ قلنا خمس عشرة دقيقة فأصبحت ستًّا وثلاثين. هذا لن ينجح».

تصبَّب العرق من جبهته ، وتساقطت النقاط التي لم تقف عند حاجبيه على عينيه ، فحاول أن يرمش لإزالتها. لم يسمعه أحد ، حيث غطَّى صوت المحرك الهادر على كل شيء ، ولم يستطيعوا التواصل باستخدام سماعات الأذن لأنهم قرروا عدم فعل ذلك ، وقد أُطفئت كل الأجهزة الإلكترونية غير الضرورية ، تجنبًا لالتقاطهم من قِبل رادارات الشرطة أو الجيش. كانوا يُحلِّقون في العتمة مع الوميض الأحمر المخدر وهو يذكرهم بواقعهم.

صرخ كلوغر ثانيةً على الرغم من أن أحدًا لا يسمعه: «الحمقى الأغبياء».

كان معلوف جالسًا على المقعد خلف كلوغر ، وقد انحنى إلى الأمام وعيناه مغلقتان منتظرًا الدوي. حاول التشبث بفكرة أن الشرطة لو كانت لديها تعليمات بإسقاطهم فلا بد أن يكون ذلك قد حدث الآن. لكنه لا يزال في انتظار القذيفة ، وصوت الانفجار ، ثم الإحساس بالسقوط وانعدام الوزن ، ثم الفراغ.

لم يكن هناك دوي ، ولم يكن هناك انفجار. انتصب معلوف جالسًا بهدوء وفتح عينيه ، وكان نيكلاس نصف مستلقٍ على الكرسي بجواره ، وفي الزاوية أمامه استطاع رؤية وجه سامي تحت قناعه المطاطي. تدفق الدم في رقبة معلوف ، لكن الهدوء من حوله بدا غريبًا. هل انتهى كل شيء ؟ نظر خارج النافذة فرأى السماء سوداء رمادية بينما يطير هو.

هل انتهى كل شيء ؟

استلقى نيكلاس نوردغرين فوق أحد أكياس البريد ، وكان قد ألقى بنفسه إلى المروحية

على الكرسي خلف الطيار بجوار ميشال معلوف، والطريقة التي استلقى بها تعني أنه يتمكن من النظر عبر نافذة الباب نحو الأرض. رأى دوامة من المصابيح الزرقاء مستمرة في البحث عن فرصة سانحة، ومجموعة من المركبات عند فاستبيرغا آلي فريتينبورغزفاغين تتجمع في ثلاث مجموعات منفصلة.

بدا المنظر أشبه بحياة متوقفة. تخيَّل نوردغرين أن شخصًا ما قام بوضع تلك السيارات هناك لإضفاء بعض الحماس في موقف السيارات التجاري النائم.

على طول الشوارع التي تعبر منطقة فاستبيرغا الصناعية، توهج الضوء الحاد لمصابيح الشوارع، وبدا مثل كرات البولنغ على الأرض. وكان الطريق السريع ذو المعابر الستة لا يزال خاليًا نوعًا ما، ومع كل ثانية تمر تبتعد المروحية أكثر فأكثر عن ذلك البرج البارز ذي الهرم الزجاجي الساطع على السطح الذي تركوه خلفهم للتوِّ.

أطلق نوردغرين العنان لتفكيره: انتهى كل شيء، لكنه لا يستطيع استيعاب الأمر حتى الآن، ولا يزال يشعر بالمعدن البارد للسلالم تحت راحتيه وعلى قدميه، وكأن ذاكرته العضلية كانت أكثر حدة من باقي حواسه الأخرى.

هل فعلناها؟

نعم فعلناها.

التزم كلوغر، على الرغم من الضوء الوامض العنيد، بمسار الهروب المحدد، لكنه جعله أقصر بدقيقة تقريبًا. بدت عضلات فكه القوية كأنها تمضغ شيئًا ما، ربما قطعة من اللبان التي فقدت طعمها منذ فترة طويلة، وعلى الرغم من لعناته لم يوجِّه إلى مسافريه أكثر من نظرة واحدة.

قطع الطريق عبر متنزه أسترا، وكانوا على ارتفاع خمسين مترًا فوق الأرض، وقد شهقوا عندما تألقت أحياء ستوكهولم الجنوبية في الأفق أمامهم. شكَّلت غلوب أرينا المضاءة جيدًا - ملعب الغولف المهجور - نقطة ملاحة واضحة على الأرض، وأبصر كلوغر تحته مباشرة صف الحافلات الحمراء في غولمارسبلان في انتظار انطلاقها الأول في هذا الصباح. حلَّق فوق مرتفع جسر يوهانشوف الذي يسمح بمرور السيارات من فتحة نفق

سوديرليدين ، وفي الأعلى إلى اليسار بدا مجمع المستشفى الكبير مثل مجموعة من البنايات الداكنة الكئيبة. انعطف بالمروحية بحدَّة نحو اليمين فاختفت أضواء المدينة عن النظر ، ولم يبقَ تحتهم على طول الطريق نحو آلفسيو سوى الغابة.

حدَّق سامي عبر النافذة وهو إلى جوار كلوغر ، وكانت السماء لا تزال داكنة. ستمر نصف ساعة أخرى قبل أن يشرع ضوء الصباح في إنارة خيوط الغيوم الدقيقة ، التي تبدو الآن مثل ظلال رمادية عالية في السماء. تمكن سامي من أن يلمح وهجًا خافتًا في الأفق. حلَّقت المروحية فوق قمم الأشجار ، حيث كانت محمية غوماريسكوغين الطبيعية تمر تحتهم بصمت معتم. عالمٌ من الأشجار والطرق الملتوية والأحراش التي تخبئ خلفها الحيوانات المتوحشة والسيارات المهجورة.

فتح سامي هاتفه المغلق منذ دخولهم إلى البناية ، واتصل بالفريق 2 عند منجم الحصى في نورسبورغ. لم يستطع سماع شيء ، حيث غطَّى صخب المروحية على كل صوت. نظر إلى الشاشة فعلم أنه تم فتح الخط.

صرخ: «أضِئ المصابيح».

لا يعرف إن كان قد أجابه أحد. أنهى المكالمة ثم حاول مرَّة أخرى.

«أضِئ المصابيح».

إذا لم يضيئوا المصابيح الرأسية فسيكون من المستحيل عليهم الهبوط في نورسبورغ. ربما يكون المنجم كبيرًا جدًّا ، لكن الغابة حوله بالغة الكثافة.

صرخ: «أضِئ المصابيح».

أعطى التعليمات ثلاث مرَّات الآن ، وشعر بالرضا ، فهم ينتظرون مكالمته ، وقد علم أنهم استلموها ، وهذا كافٍ.

فتح سامي حزام مقعده واستدار إلى ميشال من خلفه ، وأومأ رافعًا القناع إلى مستوى أنفه ، ثم حكَّ ذقنه وابتسم.

التفت سامي ثانيةً نحو نيكلاس نوردغرين ، ولم يفصح قناعه الأسود عن أي انطباع ، لكنه أومأ أيضًا.

استدار سامي ونظر إلى الأمام.

لم يستطع سماع صوت الريَش الدوَّارة.

لقد فعلوها.

لقد فعلوها.

أسر ذهنه رد فعل إخوته وهو يُلقي أمامهم برزمة من النقود تسديدًا لدينه. تخيل نظرات الناس إليه حول المدينة، وقد علموا أنه وفى بعهده، يتقدمون لإلقاء التحية عليه والنظر في عينيه، وهو يتناول وجبة ما في أحد المطاعم الفاخرة، وكارين أمامه وبجوارها جون الذي يتمسك بإحدى ساقيها، بينما يجلس الرضيع على الأخرى، وهو ليس في حاجة إلى قول أي كلمة. ستلتقي أعينهما، وستعلم أن كل شيء قد انتهى، وما زال هو ذلك الرجل الذي يحتفظ بوعوده.

لا يزال جاك كلوغر يُحلِّق على علو منخفض، ليس أكثر من ثلاثين أو خمسة وثلاثين مترًا فوق قمم الأشجار، وقد افترض أن لديهم ست أو سبع دقائق حتى نفاد الوقود. عندما انتهت الغابة وبدأ الماء استُبدل الضوء الأحمر النابض بوميض مستمر، فحلَّق مباشرة فوق قمم الأشجار على الجانب الجنوبي من بحيرة «آلبي»، ثم واصل نحو الشمال إلى الأضواء اللامعة لطريق «إي 4».

05:51

قادت قائدة فريق العمليات سيارتها خارج المنطقة الصناعية في فاستبيرغا تاركةً أسراب الأضواء الزرقاء الوامضة خلفها. لم تكن مسؤولة عن الأوامر المركزية التي وجَّهت كل سيارات الشرطة في المقاطعة إلى «م4أ»، وقد أصبح موقفها بعدم إطلاق النار على المروحية الأمر الرسمي الأول الآن، مما يعني أن الشيء الوحيد الذي فعله رجال الشرطة الخمسون المحبَطون الضجرون في الموقع هو الوقوف والتفرج على اللصوص وهم يغادرون ويُحلِّقون بعيدًا.

لا تزال ثورن تشعر بالأدرينالين يتدفق في جسدها. وصلت إلى المخرج المؤدي إلى الطريق السريع، فخففت من سرعتها وترددت، لم تسمع شيئًا من وحدة مكافحة الشغب، وأصبح واجبًا عليها أن تخمِّن إلى أين تتجه المروحية. تساءلت: هل عليها التوجه نحو الشمال أم الجنوب؟ هناك العديد من المخارج والشوارع الفرعية حول فاستبيرغا، وحتى إذا اتخذت قرارها فيمكنها أن تغير رأيها بسرعة متى شاءت.

لم يمتلك أي ضابط شرطة سويدي خبرة في ملاحقة مروحية ليلًا، لكن بعد كل هذه السنوات التي قضتها كارولاين في مطاردة اللصوص فقد أصبح لديها حدس متميز، وقد أخبرها حدسها في اللحظة التي أمسكت فيها يدها بالمقود بقوة، وهي تنعطف إلى الطريق الفرعي نحو الشمال عائدة إلى ستوكهولم، أنها تأخرت كثيرًا، وكان ذلك مجرد شعور مبهم، حتى إنها لم تمعن التفكير فيه، وقد أصبحت غير قادرة على تجاهل الفراغ الذي اشتعل في معدتها.

سمعت صوتًا في أذنيها.

إنه بيرغرين يقول: «كارولاين، معي أولسون هنا، وهي تريد التحدث إليكِ».

قبل أن يتوفر لها الوقت للاعتراض ظهر صوت مفوض الشرطة الوطنية على الخط: «هل فقدنا أثرهم كارولاين؟».

لم تجب في بادئ الأمر.

ثم قالت أخيرًا: «لدينا وحدة لمكافحة الشغب تقوم بمطاردتهم».

ظل الصمت سيد الموقف حتى سمعت: «هل نمتلك وحدة مكافحة شغب طائرة كارولاين؟».

لطالما كرهت ثورن السخرية. فاتها المنعطف عند آرستا فاستمرت تقود بلا وعي عبر إيسنغيليدين. يُحتمل أن تكون المروحية المحملة باللصوص متجهة نحو سوديرتاليي.

«كارولاين، إيكبلاد تتصل بي كل ثلاث دقائق، وقد نشرت الصحف صورًا للمروحية، ليست صحفنا الوطنية اللعينة فقط هي التي تخيم خارج فاستبيرغا، هناك أناس من كل أنحاء العالم، «دير شبيغل» و«بي بي سي». لن نستطيع التخلص منها كارولاين، والتصريحات الرسمية والمؤتمرات الصحفية تفوح في الأرجاء».

تكره ثورن المؤتمرات الصحفية حتى أكثر من السخرية. لا تزال حركة السير نحو ستوكهولم خفيفة، لكن بعد عدة ساعات ستتوقف تمامًا.

أكملت أولسون: «ستوضح إيكبلاد أن الشرطة قامت بجهد استثنائي كالعادة، وهو شيء يجب عليهم تذكُّره عند طلبنا زيادة الدعم لسلطة الشرطة بشكل عام، وشرطة ستوكهولم بشكل خاص في الميزانية المقبلة. أنت تعرفين الأمر».

لم تكن ثورن تُصغي، إذ لم تكن غبية، فهي تعلم أن أولسون تريد الاستعداد للسؤال الذي لا مفرَّ منه: ما حجم المعلومات التي لديهم، وفي المقابل لماذا لم يتمكنوا من إيقاف ذلك؟

«كارولاين».

عاد بيرغرين مرَّة أخرى إلى الخط، فصمتت أولسون التي سمعته أيضًا.

«معي قائد وحدة مكافحة الشغب على الهاتف، هل أوصله بكِ؟».

انتهت مكالمة أولسون بعد ثانية واحدة، وملأت الحقيقة أذنَي كارولاين.

قالت: «معكَ ثورن. أعلمني بما استجد».

«أضعناها».

انحرفت ثورن نحو اليمين، وتوقفت خلف شاحنة بطيئة تحمل لوحة إستونيا، وقد فاتها المخرج نحو غروندال.

«ماذا حدث ؟».

أجاب الصوت: «كنا نتبعها نحو آرستا ، ثم انعطفت نحو المتنزه ولم نتمكن من اللحاق بها ، ولهذا أضعناها».

«في أي اتجاه ذهبت ؟».

«جنوبًا ، نحو آلفسيو».

أومأت ثورن ، ثم انعطفت عائدة إلى اليسار. ضغطت على دواسة الوقود ، ولم تكن بعيدة عن المخرج الثاني ، لكن عندما وصلت إلى سرعة 150 كيلومترًا في الساعة لم يعد يمكنها خداع نفسها لوقت أطول.

انتهى كل شيء.

عاد صوت ثيريس أولسون مرَّة أخرى إلى أذنيها: «كارولاين ، هل ما زلتِ هنا ؟».

«ماذا حدث ؟».

05:52

أشار كلوغر بإصبعه، قائلًا: «بقي أقل من دقيقة حتى مكان اللقاء الأول».

كانت لديه وحدة «جي بي إس» في يده.

دفع سامي تخيلاته جانبًا واستدار، وقد أنهى نوردغرين ومعلوف ربط الأكياس بالحبل. كان عددها خمسة أكياس، لكنهم لم يتمكنوا من معرفة مقدار النقود التي جمعوها. ألم يحملوا أكثر من خمسة أكياس خارج قسم الإحصاء؟

لم يُتَح لسامي الوقت الكافي للتفكير قبل أن يخفِّف الطيار من سرعته ويسمح للمروحية بالاقتراب من الأرض. إنهم يطيرون الآن منخفضين عن قمم الأشجار المحيطة بهم. كان هناك إلى الطرف الشمالي من بحيرة «آلبي» على طول شاطئ ماسموفاغين صفٌّ من الأكواخ الخشبية التي تبدو للبعض منازل صيفية، وللبعض الآخر مجرد أنقاض.

أوقف زوران ميلكوفيتش القارب بجوار الرصيف، كما هو متفق عليه قبل بضعة أيام.

لم يكن قاربًا استثنائيًّا، بل كان قاربًا معدنيًّا عاديًّا مع مقصورة في مقدمته، كبيرة بالقدر الكافي لإخفاء عشرة أكياس مملوءة بالنقود. تميز المحركان على سطحه بقدرتهما على إبقاء من يطاردهم على بُعد مسافة إذا أصبح ذلك ضروريًّا، حيث يمكن للقارب أن ينطلق بسرعة عشر عُقد لا أكثر، فيتمكن من المرور خلال مضيقين صغيرين، أولهما أسفل جسر بوتكيركاليدين، والثاني أسفل

«إي 4»، وهذا سيوصله إلى مضيق فاربيفياردين، ومن هناك يمكنه اختيار الذهاب نحو الشمال في اتجاه ستوكهولم، أو نحو الجنوب إلى سوديرتاليي، وهذا كله يعتمد على حركة الشرطة.

فتح معلوف الباب الجانبي للمروحية فاندفع تيار الهواء البارد إلى المقصورة، وكانت المروحية تحوم فوق القارب مباشرة.

تعاون معلوف ونوردغرين على إنزال أكياس البريد المربوطة بالحبل الذي استخدموه على سطح فاستبيرغا، وعندما رأوا الكيس الأول يلامس وسط القارب تركوا الحبل سامحين للمتبقي من الأكياس بالسقوط من السماء.

اندفع القارب من الرصيف قبل أن يُغلق معلوف باب المقصورة، وبدأ رحلته نحو الشمال، بينما وجَّه كلوغر المروحية إلى الأعلى مُكملًا طريقه نحو نورسبورغ.

05:54

تبلغ المسافة بين بحيرة «آلبي» ومنجم الحصى في نورسبورغ أقل من دقيقتين تقريبًا ، وما زالوا يُحلِّقون على ارتفاع منخفض ، والأمريكي ينظر إلى جهاز «الجي بي إس» كل عشر ثوانٍ تقريبًا. كان سامي إلى جواره ولم يكن في حاجة إلى سؤاله عن الضوء الأحمر المستمر.

بعد حوالي دقيقة ، أبصروا أضواء السيارات التي وقفت بشكل مثلث كما فعلت تمامًا عند الإقلاع من ستورا سكوغان قبل عدة ساعات.

أشار سامي ، وأومأ الأمريكي.

جرى الهبوط بسرعة وبدون أي عقبات.

جاء إزرا راكضًا من إحدى السيارات ، حاملًا بيديه صفيحتين من الوقود ، ووضعهما أرضًا إلى جوار المروحية التي أصبحت صامتة الآن.

ركض سامي عائدًا إلى السيارة مع إزرا ، وانطلقا بلا سلام أو كلام.

احتضن نوردغرين معلوف بسرعة ، وبدأ الإحساس بنجاحهم يتغلغل إلى جسده على الرغم من محاولته للمقاومة ، إذ لم يعد إلى ليدينغو ولم يغادر الغابة بعد.

لكنه أصبح قريبًا من ذلك.

ركض نحو السيارة حيث ينتظره يوناس والسون أحد أصدقاء طفولته. لم تكن تلك المرَّة الأولى التي يقود فيها والسون في مثل هذه المواقف.

تُرك معلوف وكلوغر وحدهما بالقرب من المروحية. انشغل الأمريكي بإعادة تعبئة الخزان بالوقود ، وأومأ لمعلوف وهو أكثر هدوءًا.

قال: «كان من الرائع أن أُحلِّق في الجو ثانيةً».

أومأ معلوف ، وهو لا يفهم قصد الطيار ولا يهتم لذلك ، فعندما سيُحلِّق بالمروحية البيضاء بعد عدة دقائق ويختفي في الأفق ، الذي يستحيل الآن ببطء إلى اللون الأزرق ، لن يراه معلوف أو يسمع عنه مرَّة أخرى.

ذهب معلوف إلى السيارة الوحيدة المتبقية عند منجم الحصى في نورسبورغ ، ونظر

إلى ساعته التي تشير إلى السادسة. لقد تأخروا نصف ساعة عن الوقت المخطط لهم، وربما سيعلُق في الزحام الصباحي في اتجاهه نحو سوديرتاليي.

فتح باب الراكب الأمامي لسيارة «البي إم دبليو» وصعد إليها.

عقدت الدهشة لسانه.

إنه ميلكوفيتش جالسًا خلف المقود.

تلعثم معلوف: «لكن... ما هذا بحق الجحيم؟ ماذا تفعل هنا؟».

أجابه ميلكوفيتش والانزعاج بادٍ عليه: «أرسلت لي رسالة نصية وأخبرتني أن آتي إلى هنا».

بدا ميلكوفيتش مشوشًا عند استلام الرسالة بعد تخلُّصه من الشرطة في شمال تابي، وقبل تلك الرسالة كانت الخطة بالنسبة إليه هي قيادة المركب مع النقود.

سأل معلوف: «راسلتك؟».

استخدم ذلك الهاتف مرَّة واحدة في تلك الليلة، وذلك عندما اتصل بسامي لإعطائه الضوء الأخضر قبل أن ينطلقوا إلى حظيرة مروحيات روسلاغين ويسرقوا المروحية.

لم يُصدِّق ما يحدث.

سأل: «انتظر، مَن الذي يقود القارب بحق الجحيم؟».

نظر ميلكوفيتش إليه، ولم يبدُ أنه يفهم شيئًا في البداية.

«ماذا؟».

كرر معلوف: «ما دمتَ هنا، فمَن الذي يقود القارب؟ انطلق أحدٌ ما مع النقود، إذا لم يكن أنت...؟».

23-25 أيلول

ستنتهي ساعات عمل ستينسون بعد ساعة واحدة من نشر صور المروحية البيضاء وهي تُحلِّق من فاستبيرغا. بدأ الآخرون في التدفق إلى المكتب عند السابعة، وقد أدرك ستينسون أن عليه التوجه إلى المنزل بعد مناوبته الطويلة، لكن ذلك بدا مستحيلًا. انتشر شعور متزايد في الجو بأن شيئًا تاريخيًّا يحدث، وتلك كانت قصته حتى لو لم يقتنع مديروه بذلك. كانت الصحف الشعبية وصحف الصباح وخدمات السويد العامة كلها في الموقع عند فاستبيرغا مع عدد كبير من نظرائهم الأجانب المتعطشين للأخبار العالمية من وراء البحار الإسكندنافية. بدا موقع التجمع عند فاستبيرغا آلي وفريتين بورغزفاغين فوضويًّا تمامًا، وقد تحدَّد موعد انعقاد المؤتمر الصحفي في دائرة الشرطة في كونغزهولمن في وقت لاحق من ذلك الصباح.

تجوَّل ستينسون بين المكاتب وليس لديه غير القليل ليقوم به. تابع وكالات النشر العالمية وهي تغطي عملية السطو مع باقي زملائه. سبق الأوروبيون في نقل الأخبار عند الثامنة، لكن الأمر استغرق بضع ساعات قبل أن يصحو الأمريكيون.

في أخبار «السي بي إس» انصب التركيز على عدم إصابة أحد، ودار حديث عن سطوٍ مشابه لما في الأفلام الهوليودية، وعندما وصفوا اللصوص المحترفين استخدموا صورة لتوم كروز في أحد أفلام الإثارة.

وذكرت «السي إن إن» أن الواقع فاق الخيال مرَّة أخرى.

وحفلت عناوين الجرائد الإنجليزية على الإنترنت بالسخرية كالعادة.

وكتبت «السَن»: «السطو بالمروحية أمرٌ سويدي بحق».

وكتبت «التايمز»: «جريمة سطو ستستحوذ على خيال مُنتجي هوليوود».

ركَّزت التغطية بشكل كبير على استعادة خطة اللصوص ومقارنتها بعالم الأفلام، أكثر من مجرد تقديم تقرير عن جريمة ما. أو كما كتبت جريدة «ديلي نيوز»: «اللصوص في السويد يستحوذون على ملايين الدولارات. إنها عملية سطو مع القنابل والمروحيات، وبراعة أفلام بوند».

علم ستينسون أنه لن يتم تكليفه لحضور المؤتمر الصحفي في قسم الشرطة بعد الغداء ، حيث كان مجرد موظف مؤقت ، وعند الحادية عشرة والنصف أتى المراسلُ النجم في الجريدة إلى مكتبه ، وقد حازَ شرف نقل الخبر من قِبل مساعد رئيس التحرير.

قال: «يمكنك القدوم إذا رغبتَ ستينسون. لقد كنتَ الأول بعد كل شيء».

أومأ ستينسون وابتلع كبرياءه مثل إسفنجة في حوض استحمام.

لم تكن الخطوط الجوية الأمريكية في الحسبان، فمع سجل سامي الإجرامي فإن إجراءات الحصول على التأشيرة ستمنعه من الطيران على متنها. تتبقى الخطوط الجوية الإنجليزية والفرنسية، وكلاهما تطيران من أرلاندا إلى جمهورية الدومينيكان عبر لندن وباريس. ولكن تلك الرحلات تنطلق عند السادسة والنصف صباحًا، وذلك الوقت الضيق لم يكن كافيًا، فإذا سار كل شيء وفقًا للخطة فسوف يصل إلى نورسبورغ عند الخامسة والنصف، وستكون لديه ساعة واحدة فقط للوصول إلى أرلاندا، وهو ما يعني أن الوقت المتاح حرج جدًّا.

لم يكن أمامه بديل سوى الخطوط الجوية السويسرية. ستغادر الرحلة الأولى عند العاشرة صباحًا، وستحط بعد التوقف في زيوريخ في بونتا كانا عند أوائل ذلك المساء مع الامتنان لفرق التوقيت.

شعر سامي بعد نزوله من السيارة في أرلاندا والتوجه نحو صالة المغادرة ومكتب التأشيرات كأن ضوء كشاف قوي من السقف يتبع كل خطواته خلال القاعة. بدا الأمر كأن الجميع يحدِّق إليه، وكأن ضباط الشرطة الذين يتحدثون خارج نقطة التفتيش يستعدون للانقضاض عليه.

في الوقت الذي سلَّم فيه جواز سفره وتسلَّم تذكرته أصبح يمشي بالكاد، وفمه جافٌّ كالرمل، ساحبًا ياقة كنزته عدة مرَّات حتى تمددت. وبعد عدة دقائق على وقوفه في الصف الأمني ارتعشت ساقاه، ومن بعدهما ارتجف جسده بأكمله.

لم تبلغ الساعة السابعة بعد.

قبل ساعة تقريبًا كان هناك على سطح فاستبيرغا وهو على وشك الصعود إلى المروحية. لم يُصدِّق حين سمحوا له بالمرور، وعندما جلس لينتظر قرب البوابة الخالية لم يستطع مقاومة شعوره بأنه في فخ، وأنهم يمنحونه أملًا زائفًا ولن يسمحوا له بمغادرة البلاد.

مرَّت لحظات لم يتمكن فيها من السيطرة على توتره، وتصاعد بداخله نوعان من

المشاعر:

أولهما الشعور الغامر بالفرح الذي يشبه السماح لكرة مطاطية صغيرة تحت الضغط بالتحرر إلى قعر حوض الاستحمام. لقد فعلوا ذلك. اللعنة. لقد تمكنوا من فعل ذلك.

ثانيهما الشعور بالقلق عند التفكير في كارين والصبيين في المنزل في هوغبيرغسغاتان، وهو ما أعاد إليه شعوره بالشك.

تطلَّع حوله متوترًا. هل الرجال الذين يشربون الجعة عند المشرب على الرغم من أنها لم تبلغ السابعة والنصف صباحًا هم ضباط شرطة متخفون بملابس مدنية ينتظرون الأوامر للقبض عليه؟ اهتزت ساقاه بصورة آلية، وكان كعب قدمه يضرب الأرض بقوة مما جعل عائلة كاملة تستدير وتنظر نحوه، على الرغم من أنه حذاء رياضي. أجبر نفسه على البقاء ساكنًا، وحاول تجنُّب النظر إلى الرجال عند المشرب، والعرق ينزُّ على ظهره. أقنع نفسه أخيرًا بأن ضباط الشرطة المتخفين لن يثملوا أثناء العمل، ثم شاهد امرأتين مكثتا كثيرًا من الوقت عند طاولة العطور في السوق الحرة، إحداهما قصيرة والأخرى طويلة، ترتديان ملابس عادية بلا علامات مميزة، بقيتا هناك خمس دقائق تقريبًا أو ربما عشرًا وهما تتطلعان إلى المنتجات المختلفة وتتحدثان إلى البائعة. هل هما من الشرطة وتنتظران اللحظة المناسبة؟ تطلَّع سامي حوله بيأس. ما أفضل خطة للهرب؟ هل يحاول التوجه نحو المدرج؟ فرك عينيه الجافتين نتيجة عدم طرفهما منذ عدة دقائق. هل يذهب في الاتجاه المعاكس عائدًا إلى نقطة الأمن؟ سيجد هناك حراسًا وضباط شرطة في انتظاره. إذًا يجب أن يكون المدرج.

مرَّت ساعتان كأنهما دهر قبل أن يحين وقت الصعود إلى الطائرة، سيتطلع بعد ذلك إلى الخلف ويتذكر أنهما لم تكونا سوى دقائق معدودة. خطا داخل النفق الخالي من النوافذ بين الصالة النهائية والطائرة وهو لا يستطيع تصديق الأمر.

لقد فعلوها.

استنزف القلق آخر قوة في جسده في اللحظة التي جلس فيها على مقعده وربط الحزام، فغفا وفمه مفتوح قبل أن تصل الطائرة إلى المدرج.

47

أساءت قوات الشرطة تقدير الاهتمام الذي يعطيه الآخرون لجريمة المروحية ، فبدت الغرفة التي وُضعت تحت تصرفهم من أجل المؤتمر الصحفي صغيرة جدًّا ، وفي مقدمتها وبجوار الشاشة التي تحمل شعار الشرطة وقف نجوم اليوم: المتحدث الرسمي باسم الشرطة كريستر أدي ، ومن خلفه قائدة فريق العمليات كارولاين ثورن من وحدة الشرطة الجنائية ، ومفوض شرطة المقاطعة كايسا إيكبلاد ، ومفوض الشرطة الوطنية ثيريس أولسون ، وجميعهم مندهشون من عدد الإعلاميين الموجودين أمامهم.

لوَّح كريستر أدي بذراعيه ، ورفع صوته باللغة السويدية والإنجليزية مطالبًا بالتزام النظام. بشكل عام بدا الصحفيون سيئين جدًّا في إطاعة الأوامر ، وقد استغرق الأمر بعض الوقت حتى اتخذ الأشخاص والكاميرات مواضعهم الصحيحة وتوقفوا عن الكلام. أعطتهم اللغات العديدة التي تحدثوا بها في الغرفة انطباعًا بأن أنظار العالم أجمع باتت موجَّهة نحو قسم الشرطة في كونغزهولمين في أوائل مساء الثالث والعشرين من أيلول. بدا كأن الأكسجين سينفد قبل أن تبدأ الأسئلة. طلب أدي من أحد مراسلي «البي بي سي» أن يفتح النافذة للسماح للهواء النقي بالتدفق إلى الغرفة ، لكن أصوات المدينة اقتحمت ميكرفونات الإعلام وأجهزة التسجيل والهواتف المحمولة ، فأغلقوا النوافذ ثانيةً ، وفضَّلوا الاختناق حتى الموت في سبيل أداء عملهم.

انخفضت الضجة في الغرفة ، واعتقد أدي أنهم يمكنهم سماعه ، فتنحنح وبدأ في توضيح ما جرى. لم يكن ما قاله جديدًا على الموجودين في الغرفة: «كانت عملية السطو منظمة ، ومخططًا لها جيدًا ، وقد استُخدمت فيها المعدات الملائمة ، وكل ذلك أفضى إلى العديد من الفرضيات حول المشتركين في الأمر ، وخلال هذا المساء والليلة...».

قاطعه مراسل «أفتونبلادِت» إحدى أكبر الصحف المحلية ، وهو يلوح بمكبر صوت أصفر في الهواء: «هل قمتم بأي اعتقالات ؟».

أدرك أدي أنه لا فائدة من إكمال تصريحه المعد مُسبقًا ، فأجاب عن سؤال مراسل «أفتونبلادت» بنوع من السطوة التي كان يمكن التدرب عليها بالعديد من الدورات

التدريبية الإعلامية: «كلا. سألنا بعض الأشخاص الذين يُستجوبون عادةً في مثل هذه المواقف، لكن، كلا كلا، لم يُحتجز حتى الوقت الحالي أحد بدافع السرقة في فاستبيرغا».

سأل مراسل «النيويورك تايمز» بلكنة أمريكية واضحة جعلت الجميع يلتفت إليه: «كم سرقوا؟».

لم يكن لدى الصحفي الأمريكي جهاز تسجيل أو مكبر صوت، وكان يحمل دفتر ملاحظات صغيرًا وقلمًا في يده كأنه لا يزال في الثمانينيات.

تحول أدي إلى اللغة الإنجليزية: «طبقًا لما يقوله «م4أ» فقد سرق اللصوص مبلغًا كبيرًا من النقود غير معلوم، وليس لدينا معلومات أخرى حتى الوقت الحالي».

قال أحد كُتاب المقالات في جريدة «داغينز نايهيتير» السويدية، بينما وقف المراسل منزعجًا لأنه لم يفكر في طرح ذلك السؤال: «لماذا لم تقتحم الشرطة المبنى؟».

تطلَّع كريستر أدي نحو مفوض الشرطة الوطنية التي هزَّت رأسها بطريقة لاشعورية، وتنحى جانبًا في إشارة إلى أنه من المناسب أن يجيب عن السؤال أحد المعنيين بالأمر بصورة مباشرة.

تقدَّمت كايسا إيكبلاد خطوة نحو الأمام وقالت بالإنجليزية: «كانت هناك دلائل تشير إلى أن اللصوص مسلحون بقوة. يبدو أننا كنا نتعامل مع أشخاص يمتلكون خبرة ومعدات عسكرية هنا، وقد أردنا انتظار التعزيزات المناسبة».

انفجرت الغرفة من الإثارة إثر كلماتها.

صاح مراسل «الواشنطن بوست»: «هل كانوا مرتزقة؟».

قال مراسل القناة الفرنسية الأولى: «لدينا معلومات عن تفجير مروحية ما، وعلمنا أن سيارات الشرطة تم إيقافها بسلاسل مُدَّت على طول الشوارع المؤدية إلى الموقع؟».

أخذت ثيريس أولسون خطوة نحو الأمام، وأبدت سطوة في حركاتها أجبرت الغرفة على الصمت، ثم أجابت أولًا باللغة السويدية ثم بلغة إنجليزية جيدة: «نُعرِّف هذه الجريمة بأنها حدث استثنائي، ومعنى هذا أن قوات الشرطة من كل البلاد ستشترك في

هذا الأمر. كان رئيس شرطة نورمالم هو القائد في هذا الصباح، وهو يعمل مع مركزين للعمليات، أحدهما في فاستبيرغا والآخر في أرنينغي، والعمليات تجري الآن بمشاركة وحدة الشرطة الجنائية الوطنية ووحدة الجريمة المنظمة، مما يعني أننا في حالة تأهب قصوى في كل البلاد».

أحبوا ذلك.

وقفت كارولاين ثورن في الظل خلف مفوض المقاطعة إيكبلاد، وقد أدركت أنها ستُنهي ذلك المؤتمر الصحفي بسلام. لم ترغب أولسون أو إيكبلاد في تسليم الأمر إلى ثورن عند هذه النقطة حتى لا تبدوَا كأنهما تتملصان من مسؤوليتهما.

شعرت كارولاين من موقعها الجانبي أن أجواء الغرفة مختلفة عن المعتاد، ليس فقط بسبب عدد الصحفيين واختلاف جنسياتهم، ولكن أيضًا بسبب توجيه الأسئلة بنبرة مغايرة، مع ذلك الإحساس المختلف تمامًا من الترقب والحدة. افترضت في البداية أن السبب يرجع إلى تميُّز تلك الجريمة، حيث انتشرت عبر الإنترنت صور المروحية وهي تغادر، ولم يتضرر أحد، وقد تسللوا من السطح، وذلك نوع من أنواع الاقتحامات التي يهوى الناس سماعها. لكن بعد الإصغاء إلى المفوض لبرهة أدركت أن المراسلين لم يوجهوا أي سؤال حول الإجراءات التالية، فبدت متشككة متسائلة إن كانت ترى الأمور كما يراها الإعلام نفسه.

وجَّه فريق من اليابان وآخر من تايوان كاميراتهم نحو ثيريس أولسون، وسألوها معًا: «هل يُحتمل أن يكون اللصوص قد غادروا البلاد؟».

أجابت أولسون بثقة: «نحن نراقب حدودنا ومجالنا الجوي بدقة».

فكرت ثورن: بما أن الشرطة لا تمتلك فكرة عن منفذي الجريمة، ولم تُذكر حتى مشاركة زوران ميلكوفيتش، فإن مراقبة المجال الجوي الوطني لن تساعد.

بدا المراسلون اليابانيون راضين، ولم يتقدموا بأي اعتراض بعدها.

شعرت كارولاين في هذه اللحظة أن هذا المؤتمر الصحفي متميز، فالإعجاب الواضح بخطة اللصوص ومهاراتهم، الذي سيطر عليها في أروقة مركز الشرطة أثناء الأسابيع

الماضية، أصبح يهيمن الآن على أسئلة وموقف الإعلام. من الواضح أن الإعلام يبحث عن رمز ما، وإلا فسيصرف اهتمامه نحو الضحايا، وهم موظفو مستودع النقود الذين مروا بصباح قاسٍ بلا شك، على الرغم من أنه لم يُصَب أحد منهم بأذى جسدي، ولم يتعرض أحدهم إلى تهديد مباشر.

أدركت كارولاين أن هؤلاء الصحفيين والمصورين ورجال الكاميرات موجودون هنا من أجل صناعة الأبطال.

فكرت ثورن: ستتسرب أخبار معرفة الشرطة المسبقة بالسرقة، ربما خلال أيام أو أسبوع أو شهر، وليس من الصعب تصوُّر العناوين عند ذلك: «علمت قوة الشرطة بكل شيء مُسبقًا، ومع ذلك هرب اللصوص».

تطلَّعت حول الغرفة، فبدت العيون التي تبرق، والأصوات العالية، هي مجرد بداية فقط.

تنحنح ستينسون، بينما يوشك المؤتمر الصحفي على نهايته، وكانت تلك فرصته الأخيرة، كان يود أن يسأل عن شيء لم يفكر فيه الصحفيون الآخرون، كما يود التأكد من تسليط الكاميرات عليه، فعمله على المحك هنا، إذ كانت ليلة طويلة ويومًا شاقًّا، والإرهاق يداهمه على شكل موجات، وفجأة خطر له السؤال.

تقدَّم ستينسون بضعة أمتار إلى الأمام ملوِّحًا بمكبر الصوت، وأومأت له ثيريس أولسون، فقال: «اسمي تور ستينسون. كنتُ أول مَن نشر صور لصوص المروحية في هذا الصباح، سؤالي هو: أين كانت مروحيات الشرطة وقت وقوع الجريمة؟».

استطاع أن يُخمِّن من تعبيرات وجه أولسون أنها تعرف الجواب ولا ترغب في قوله. تطلَّع إلى الكاميرات حول الغرفة، وكانت تعمل. تنفَّس ستينسون الصعداء، فقد وجب عليه فعل ذلك.

لم يكن ماتس بيرغرين مُحبطًا فقط ، بل كان يتميَّز غيظًا. وعلى عكس كارولاين ثورن وباقي رجال ونساء الشرطة في غرفة المؤتمرات لم يتمكن بيرغرين من إخفاء شعوره. لم يكن دبلوماسيًّا ولا سياسيًّا في تلك اللحظات ، كان مجرد رجل شرطة بدين منزعج ، مُنع لأسباب لا يفهمها من احتجاز المتهم الرئيسي في القضية.

كرَّر: «هذا جنون محض. حدث كل شيء كما قاله الصربيون تمامًا. لماذا كل هذا التفكير ؟ نحن نحتاج إلى احتجاز ميلكوفيتش فقط».

تسرَّبت أشعة شمس المساء المنخفضة من نوافذ البناية في بيرغزغاتان ، وكشف الضوء بقسوة عن آثار أكواب القهوة وبعض الشحم الحديث على المائدة المستطيلة. لم يكن أمام هؤلاء الذين لم يحالفهم الحظ ، الجالسين وظهورهم إلى الرواق ، سوى أن يحولوا أعينهم ، إذ لم تكن هناك ستائر للنوافذ العالية وكان التنفس ثقيلًا. استدار بيرغرين نحو كارولاين ثورن التي جلست على مسافة بضعة مقاعد بجواره.

قال: «أليس كذلك كارولاين ؟».

أجابت كارولاين لأن إخلاصها في تلك الغرفة كان لشريكها: «ماتس على حق».

لكنها أضافت أيضًا: «السؤال هو: متى سنفعل ذلك ؟».

بدت ثورن بعد المؤتمر الصحفي مرهقة الأعصاب على الرغم من بقائها في الظل. كثيرًا ما كرهت تسليط الأضواء ، كما كرهت الاجتماعات ، خصوصًا اجتماعًا مثل هذا. فأن تُحتجز في غرفة ذات أربعة جدران وبضع نوافذ لتناقش ما يجب عليك فعله ، هو أمر معاكس للذهاب إلى الخارج وفعله في الحقيقة. كل ما فعلته هو عضُّ شفتيها ومواصلة ذلك ، وكانت ماهرة فيه.

فكرت ثورن في تلك المسرحية الدائرة حولها الآن ، فالأشخاص حول الطاولة يحاولون إثبات أنفسهم ، وتضخيم قدراتهم ، والتأكد من امتلاكهم فرصة للتراجع وفقًا لتحفظاتهم واهتماماتهم ، ثم تذكير الجميع لاحقًا بإنجازاتهم إذا تطلَّب الأمر. ستواصل مئات مكبرات الصوت التابعة للسويد وللإعلام الأجنبي الالتفاف حول كل ضابط شرطة يصادف مروره

بالخارج، وسيُذكِّرون باستمرار بألَّا أحد يمكنه الإفلات. كانت تلك عملية للشرطة، ولا بد لكل شخص فيها عاجلًا أم آجلًا أن يوضح كيف ولماذا تصرف بهذا الشكل، وسيفضح الإعلام المعركة الدائرة بين المقاطعة وبين قوة الشرطة الوطنية.

استمر بيرغرين في شكواه، حيث كان يرغب في احتجاز ميلكوفيتش، وشعرت كارولاين بالتعاطف مع رغبته تلك بالذهاب إلى الخارج وفعل شيء ما، ولكن لم يكن الوقت قد حان بعد.

وقف المدعي العام لارس هيرتز في مقدمة الغرفة بجوار اللوح الأبيض الكبير، مرتديًا ملابس خفيفة مكوية جيدًا، وهو ما ميَّزه عن باقي ضباط الشرطة المنهَكين ذوي الملابس المجعدة حول الطاولة. قاد الاجتماع وهو متشوق لهذا الدور، وعيناه الزرقاوان تلتمعان، واللوح من خلفه مليء بالملاحظات والأسماء والتواريخ على شكل أسهم مرسومة بالقلم الأحمر والأخضر، بقي أثر طفيف منها على الرغم من محوها بممسحة خاصة لاحقًا في نهاية اليوم.

نهض بيرغرين، وأخذ يذرع الغرفة جيئة وذهابًا بأنفاس متقطعة مسببًا التوتر للجميع.

قالت كارولاين: «ربما يجب عليك الجلوس ماتس. أتفهم إحباطك».

بدا يوم الأربعاء الثالث والعشرون من أيلول طويلًا وبلا نهاية، منذ أن رُفع الإنذار الأول عند الخامسة والربع صباحًا. توقفت كارولاين عند شقتها للاستحمام وتغيير ملابسها في بداية هذا اليوم، وقد ربطت شعرها على شكل كعكة تجلس على مؤخرة عنقها.

في الصباح كان من السهل القيام بإحصاء ضباط شرطة ستوكهولم الذين لا يعملون على عملية السطو بدلًا من فعل العكس. تجمَّع الآن ممثلون عن كل الوحدات والأقسام في قوة الشرطة الجنائية الوطنية حول طاولة الاجتماعات في مركز الشرطة، ولأن مفوض الشرطة الوطنية أُجبرت على البقاء في وزارة العدل كي توضح للعديد من الوزراء سبب وقوف المئات من ضباط الشرطة خارج «م4أ» بينما يسطو اللصوص ثم يُحلِّقون بعيدًا مع غنيمتهم، فقد أدار هيرتز الاجتماع.

تأوَّه بيرغرين بعناد على الرغم من أنه فعل ما نصحته به كارولاين وجلس: «لكننا

نعرف مَن يكون».

في الصباح الباكر من هذا اليوم رُوجعت المعلومات التي حصلوا عليها منذ اليوم الخامس عشر من أيلول ، ربما لم يعلم زملاؤها بالتحديد عدد المرَّات التي استمعت فيه كارولاين إلى تلك الأشرطة ، لكن بدا واضحًا للجميع أنها تعرف محتواها أكثر من أي شخص آخر ، وأنها الوحيدة التي تعرف وبشكل مؤكد أنه لا توجد إشارة مباشرة لعملية السطو بالمروحية بداخل تلك الأشرطة.

تحدث هيرتز عن صربيا والمنظمات الإرهابية والشبكات الإجرامية في أوروبا.

قاطعه بيرغرين للمرَّة الثالثة أو الرابعة: «أيُّ شبكات لعينة ؟ نحن نعلم مَن يكون».

قال هيرتز: «إذا قمنا باحتجاز ميلكوفيتش الآن ، فسيختفي كل شخص نريد استجوابه خلال ساعات قليلة ، هكذا يجري الأمر ، ونحن لا نريد تسهيل الأمور عليهم إلى هذه الدرجة».

لو كان هيرتز أكثر خبرة لأومأ ضباط الشرطة حول الطاولة بالموافقة.

قالت كارولاين أخيرًا: «إنه مُحق».

أكمل هيرتز مع ابتسامة تعاطف: «إذا حظينا باسم مشتبهٍ به رئيسي خلال اثنتي عشرة ساعة ، فأنا أقترح أن نستمر في العمل لاثنتي عشرة ساعة أخرى ليتسنى الوقت لإيجادهم جميعًا».

انفض الاجتماع ، واختفى الأشخاص في اتجاهات مختلفة ، فهناك جبال من الأدلة يجب العمل عليها. عادت ثورن إلى مكتبها ، واستمرت ومعها بيرغرين في مراجعة دلائل عملية المراقبة الأولى ، وركزا على العدد الكبير من الأسماء والأشخاص الذين كان ميلكوفيتش على اتصال معهم.

كتبا قائمتين منفصلتين: ضمَّت الأولى المجرمين المعروفين ، وضمَّت الثانية مَن ليس لديهم سجل إجرامي. لكن كل تلك الأسماء البديلة اللعينة والكُنى جعلت القائمة صعبة جدًّا ، حيث أصبح هناك قرابة مائة شخص في كل قائمة.

وجدا صعوبة في عملهما مع تلك المقاطعات المستمرة من قِبل أشخاص من أقسام

أخرى يرغبون في مناقشة ما وجدوه مع ثورن ، التي تُعد نوعًا ما خبيرة في ميلكوفيتش. لم ترغب في شيء أكثر من طردهم خارجًا وإتمام العمل على القائمتين ، لكن كالعادة لم تستطع أن تكون فظَّة ، فوهبت الوقت بصبر لكل شخص مد رأسه من الباب سائلًا المساعدة.

أخيرًا ، وفي منتصف حوارها مع زميل شاب يعمل في وحدة بيانات المتهمين ، نهضت ثورن من فوق كرسيها ، والتقطت السترة الخفيفة المُعلَّقة على ظهره ثم غادرت المكتب. غادرت فقط ، حيث اكتفت من العمل المكتبي ، وكانت الساعة بعد الثامنة بقليل وقد بدأ الظلام يزحف فوق كونغزهولمين.

صاحت أنيكا سكوت من الردهة: «كيف كان المؤتمر ؟».

سُمع صوت الباب الأمامي وهو يُغلق بعد ذلك بدقيقة ، ثم لاحظت الرائحة.

صرخت: «مرحبًا. ماذا تفعل ؟».

بعد عدة ثوانٍ جاءت إلى المطبخ ، فوجدت نيكلاس عند الموقد ، والقدر الكبيرة التي تغلي فوقه تفوح منها رائحة الثوم وأوراق الغار. كانت الساعة بعد السابعة مساءً بقليل ، لكن الشمس لا تزال تشعُّ من النوافذ.

أوضح: «انتهينا عند الغداء ، ولم أرَ ضرورة للعودة إلى العمل ، فتوقفت عند أوسترمالمشالين واشتريت بعض اللحم».

لم يذكر شيئًا عن مشيه طوال اليوم عائدًا إلى ليدينغو من أوسترمالم ، وهي مسافة تُقدَّر بعشرة كيلومترات ، وتُشكِّل خُمس ما مشاه إجمالًا في ذلك اليوم.

رفض هرمون الإندورفين أن يغادر جسده ، ولم يستطع التوقف عن الابتسام ، وفي محاولته للرجوع إلى ما كان عليه نيكلاس نوردغرين العادي الهادئ المتجهم قليلًا ، الذي يرغب في إبقاء نفسه منشغلًا دائمًا ، ظهر العكس تمامًا ، حيث شعر بالإثارة أكثر مما كان عليه في صبيحة هذا اليوم.

قالت أنيكا: «هذه الرائحة مذهلة. يا إلهي. أنا جائعةٌ جدًّا. سأُغيِّر ملابسي ثم تخبرني بكل شيء».

اختفت في غرفة النوم كالعادة كي تخلع ملابس الموظفة الضريبية التي ترتديها ، وترتدي شيئًا مريحًا أكثر.

استمر نيكلاس في تقليب القدر.

وجد صعوبة في إخبارها عن المؤتمر الذي كان من المفترض أن يحضره ، وهو في حقيقة الأمر كان يقضي الأيام نائمًا في ذلك السرير القصير في رونمارو. لم يكن يجيد الكذب ليبدأ بذلك الآن ، لكن مؤتمر التقنيين - كما تخيل نوردغرين - هو أمر ممل حقًّا.

تمثَّلت المشكلة الحقيقية في أن جسده كان لا يزال يغني.

ذلك ما شعر به ، وكأن عضلاته وعُقده العصبية وأنسجته الرابطة ، تحتفل سرًّا.

لقد فعلوها.

عادت أنيكا إلى المطبخ مرتديةً بنطالًا رياضيًّا مريحًا وقميصًا وردي اللون كالسلمون.

قالت لتبدو مهذبة: «حسنًا. يمكنك إخباري الآن».

وهو يغرف مرق اللحم المتألق ، قدَّم أيضًا بعض القصص القابلة للتصديق حول ما حدث في مؤتمر التقنيين في كالمار.

قالت: «لا يبدو ذلك ممتعًا جدًّا ، ومع هذا تبدو مفعمًا بالحيوية».

أجاب وهو يمنع نفسه من قول المزيد: «نعم».

قاموا بفعلها حقًّا.

50

استقلت ثورن المصعد إلى موقف السيارات ، وعندما صعدت إلى سيارتها «الفولفو» الجديدة علمت أنها لن تعود إلى المنزل.

لا تزال غير متأكدة ، ولم تعد تستطيع تجنب الأسئلة التي أزعجتها طوال اليوم:

كيف يستطيع شخص يخطط لعملية سطو تشمل ثلاثين شخصًا على الأقل ، وتتطلب آلاف الساعات من التخطيط الدقيق ، ألَّا يتفوَّه بأي شيء طوال شهر كامل ، خصوصًا شخصًا مثل ميلكوفيتش ، الذي كشف عن الكثير من الأمور الأخرى ، مع الأخذ في الاعتبار أنه ربما لم يكن منتبهًا إلى أجهزة التنصت حتى النهاية ؟

كيف توصَّل زملاؤها في مركز الشرطة إلى هذا اليقين بأن ميلكوفيتش هو العقل المدبر خلف عملية السطو بالمروحية المتميزة ؟

لم يبدُ ذلك مقنعًا.

انعطفت يسارًا ، وعبرت فليمينغاتان ، وقادت فوق جسر بارنهوس ، ثم استدارت يسارًا ثانيةً. كان زوران ميلكوفيتش يقطن على مسافة خمس دقائق من مركز الشرطة.

لم تقابله كارولاين ثورن شخصيًّا ، لكنها تعلم أين يسكن. أوقفت سيارتها خارج بابه عند الثامنة والنصف مساءً ، حيث لا بد لها أن تراه.

فهي لن تعرف حتى تراه.

قضت ليالي عديدة معه ، بصوته المستمر في أذنيها ، وتلك النبرة الواثقة ، والطريقة التي يضع فيها نفسه في مركز الكون. لم تستطع إنكار حقيقة أنها معجبة به ومنزعجة منه على حد سواء ، لكنها تحتاج إلى مطابقة كل ما تعرفه بنظرة واحدة إلى الشخص الحقيقي ، وحركاته وحضوره. كانت تلك هي الطريقة الوحيدة للتأكد.

انتظرت لنصف ساعة ، حتى خرجت امرأة من المبنى أخيرًا ، وأُتيحت لكارولاين الفرصة لكي تتسلل إلى الداخل. صعدت السلالم نحو شقة ميلكوفيتش ، ثم ضغطت على الجرس وهي لا تعلم ما ستقوله إذا فتح لها. لكن ميلكوفيتش لم يكن في المنزل ، وعندما رفعت القفل ودلفت إلى الداخل لم تشاهد شيئًا يمنحها إحساسًا ما.

عادت إلى الشارع وهي تتنهد ، وانتظرت عند الرصيف.

بعد العاشرة بقليل أقبل ماشيًا عبر أبلاندسغاتان ، مرتديًا سترة قصيرة. رأته من مسافة وعرفت مباشرة أنه ذاك الطويل النحيل مثل صارية. خطت خطوة إلى وسط الرصيف بينما اقترب هو من الباب ، ولم يكن هناك خيار أمامه سوى التوقف.

قالت: «آسفة ، هل تعرف ما الوقت الآن ؟».

تطلَّع إليها زوران ميلكوفيتش بابتسامة مفتعلة ، وسمحت له كارولاين بأن يتفحصها من الأعلى إلى الأسفل كي يُقيِّمها ويحكم عليها. أدركت أن هناك نوعًا من التواضع لديه ، لكن بعد عدة ثوانٍ وضعه جانبًا وتوقَّف بشكل منتصب قائلًا: «ليس الوقت متأخرًا لاحتساء مشروب ما».

لا بد أنها نجحت في اختباره الأول ، لكنها لم تشعر بأي إدانة واضحة خلف دعوته تلك ، وعلى الرغم من الابتسامة الساخرة التي افترضت أن الغرض منها هو الاستحواذ على اهتمامها فقد بدا متعبًا.

ابتسمت ، وقالت: «شكرًا ، لكني لا أعتقد ذلك».

نظرت بعمق في عينيه غير مكترثة لظنه بها.

أجابها وقد شعرت كارولاين أنه ارتاح لسماع ذلك: «حسنًا. هذا جيد. كان يومًا طويلًا ، لكن ستعقبه أيام أخرى. هل تعيشين بالقرب من هنا ؟».

ابتسمت ، وتفحَّصت ذلك الوميض المتردد في عينيه وهي تجيب بابتسامة: «أعمل قريبًا من هنا».

استدارت ، ثم رحلت بعيدًا.

راقبها ميلكوفيتش وهزَّ رأسه ، وفي منتصف الطريق إلى شقته كان قد نسيها تمامًا ، فما أكثر النساء في الخارج.

قادت كارولاين نحو المنزل ، وقد شعرت بتحسن هذه المرَّة.

تأكدت.

إنه هو.

51

بدا العمل في مركز الشرطة معقَّدًا في يوم الخميس ، وذلك بسبب عدد مواقع الجريمة التي تحتاج إلى المعاينة. كانت الإمكانات الشرعية الجنائية التي وُضعت تحت تصرفهم غير كافية. في البداية يجب عليهم الذهاب لتفحُّص مكان دخول اللصوص إلى مستودع النقود في فاستبيرغا من السطح حتى شرفة الطابق الخامس ، ثم نحو الأعلى إلى قسم الإحصاء في الطابق السادس. وُجِدت المروحية في بداية يوم الأربعاء ومعها عدد لا بأس به من المعدات المتروكة ، والتي قد تحتوي على آثار حامض نووي عليها. وعند وقت الغداء بجوار محطة الحافلات على بُعد بضعة كيلومترات من مكان هبوط المروحية في فارمدو وجدوا زوجين من القفازات وقبعة في سلة نفايات ، وأُرسلت للتحليل مع جهازَي التفجير اللذين وُجِدا خارج الحظيرة.

جرت التحقيقات في نتائج تفحص تلك المواقع في وقت واحد تقريبًا ، مما يعني أنه في صبيحة يوم الخميس لم تكن لدى المدعي العام أو وحدة الشرطة الجنائية الوطنية معلومات كافية عما حدث أو ما يُتوقع حدوثه ، وفي الوقت نفسه كانت المعلومات تتسرب خارج مركز الشرطة مثل نهر ربيعي متدفق ، حيث بدا الإعلام السويدي مُطلعًا تمامًا على نتائج التحقيقات ، وأدرك هيرتز أثناء فترة ما بعد الظهر أنه من الأسرع لهم أن يقوموا بقراءة الشريط الإخباري للجرائد المسائية على الإنترنت بدلًا من انتظار التقارير الداخلية ، حيث كان المحتوى واحدًا.

في صبيحة يوم الجمعة الخامس والعشرين من أيلول استُدعيت قائدة فريق العمليات كارولاين ثورن إلى اجتماع في دائرة المدعي العام في فليمينغاتان ، ولأن جدران مركز الشرطة كان لها آذان فقد توقفوا عن إجراء الاجتماعات هناك.

كانت ثيريس أولسون تنتظر هناك عندما وصلت ثورن مع بيرغرين وبضعة رفاق آخرين. بدا إحساس ملموس بالإثارة داخل الغرفة.

وُجِدت آثار دماء في «م4أ» في اليوم الماضي ، في عدة أماكن وليس في مكان واحد ، ومن الواضح أن سببها هو الباب المحطَّم المؤدي إلى قسم الإحصاء. وبينما تسابقت

الحواسيب في القاعدة لإيجاد مطابقة مع مركز مجرمي السويد، وُضع العديد من الرهانات.

تطايرت الأسماء الواردة في التحقيقات في أرجاء الغرفة.

«مائة على زوران ميلكوفيتش».

قال بيرغرين: «أراهن بمائتين عليه».

قال الشاب من وحدة بيانات المتهمين: «ثلاثمائة وخمسون على ميشال معلوف».

كان معلوف واحدًا من مئات الأسماء الموجودة في قائمة ثورن وبيرغرين للمجرمين الذين كانوا على تواصل مع ميلكوفيتش في شهر آب.

لم تشارك ثورن في الرهانات، لأنها لا تعتقد أن عمل الشرطة يجري بهذا الشكل.

قضوا بضع دقائق في مناقشة اختياراتهم للمراقبة، وفي كيفية قضاء الأمسية، وفجأة صمت الجميع عندما رن الهاتف في مكتب هيرتز. حدَّقوا بأنفاس منقطعة إلى المدعي العام وهو يصغي باهتمام ويدوِّن شيئًا ما ثم يومئ.

أغلق الخط، ثم قال: «سامي فرحان؟».

كان ذلك سؤالًا.

كررت كارولاين مندهشة: «سامي فرحان. إنه الأخ الأوسط».

تساءل هيرتز وقد بدا متفاجئًا: «هل تعرفين مَن يكون؟».

كان المدعي العام هيرتز الشخص الوحيد في الغرفة الذي ليس لديه أدنى فكرة عمَّن يكون الإخوة فرحان.

قالت ثيريس أولسون: «فرحان. لكن ليست له أي علاقة بزوران ميلكوفيتش، أليس كذلك؟».

أكَّد لها بيرغرين: «لم يأتِ ذكره في تقارير التحقيقات أو الأشرطة. إنه ليس في قائمتنا».

سأل هيرتز بقنوط: «مَن يكون فرحان؟».

أجاب بيرغرين: «هل تتذكَّر عملية السطو على المتحف الوطني؟ سرقة اللوحات قبل أعياد الميلاد قبل عدة سنوات؟».

قالت ثورن: «تلك كانت لسامي فرحان وإخوته مع آخرين غيرهم».

أضاف بيرغرين: «ولهذا السبب بالتحديد لدينا حامضه النووي».

تساءل هيرتز: «لكن لم يأتِ ذكره في أيٍّ من تحقيقاتنا؟».

نهض بيرغرين قائلًا: «حسنًا. لنذهب ونعتقل فرحان».

قال هيرتز: «كلا».

«كلا؟».

«كلا».

بدا بيرغرين يائسًا.

قال هيرتز: «أريد العثور على النقود أولًا».

اجتاح الصمت أرجاء الغرفة.

«لا بد من العثور على النقود، ثم احتجازهم جميعًا، فبدونها سينهشنا الإعلام».

قال بيرغرين: «تأخر الأمر قليلًا».

دعمت كارولاين زميلها: «أخشى أنك لن تتمكن من العثور على النقود لارس. أتفق مع ماتس. من الأفضل أن تتخلى عن تلك الفكرة».

أصرَّ هيرتز: «أربع وعشرون ساعة. لنُعط أنفسنا أربعًا وعشرين ساعة، وإذا لم نصل إلى أي شيء في صباح الغد فسنتوجه لإلقاء القبض على فرحان وميلكوفيتش وكل من يرتبط بهما. حسنًا؟».

سأل بيرغرين: «هل أعتبر هذا وعدًا؟».

أجاب هيرتز: «نعم. وعد».

قالت كارولاين: «أود اعتقال ميلكوفيتش بنفسي».

استدار زملاء ثورن ناظرين إليها، ولم يسألها أحد عن السبب، فالجميع يعلمون أن الجواب سيكون مهذبًا لكنْ مبهم.

52

قضى ميشال معلوف يوم الأربعاء مع زوران ميلكوفيتش في محاولة لاكتشاف ما حدث بالتحديد: مَن الذي أرسل الرسالة النصية إلى هاتف ميلكوفيتش أثناء الساعات الأولى من الصباح؟ هل كان خلف المقود على القارب؟ أين ذهب؟ أين كان التسريب؟ مَن الذي قام بخداعهم؟

حلَّ المساء ولم يتوصل إلى شيء، سوى أنه إذا كان شخصًا يعرف رقم هاتفه فإنه يستطيع بسهولة استخدام شبكة الهاتف لجعله يظهر على شاشة ميلكوفيتش.

كان ميشال غارقًا في تعبه مما جعله ينام طوال الليل حتى يوم الخميس، وعندما استيقظ في آخر النهار شعر أنه وحيد وبائس.

لقد فعلوها. هذا أكيد.

لكن النقود اختفت.

لم يكن لدى سامي ونيكلاس أي فكرة عن الأمر، وفي عالمهم الافتراضي سار كل شيء كما يجب، وفاستبيرغا عمل مثالي. شعر ميشال بالتعاسة أكثر عندما فكَّر فيهما وفي فكرة إخبارهما، وأدرك ما سيقوله سامي. سوف يشير إلى ميلكوفيتش اليوغسلافي مُلقيًا باللوم عليه، وكان ذلك أبسط تفسير، لكنه لم يشاهد الدهشة في عينَي ميلكوفيتش عندما صعد معلوف إلى السيارة في نورسبورغ في الصباح الفائت.

أيًّا كان مَن خدعهم، فقد خدع ميلكوفيتش أيضًا.

اتصل ميشال بأليكساندرا سفينسون عند الثامنة في ذلك المساء، حيث لم يحتمل بقاءه وحيدًا لفترة أطول، وكان في حاجة إلى اهتمام كامل من امرأة حنون، وبشرة دافئة إلى جواره ليلًا.

لكن أليكساندرا لم ترد، وقد رنَّ هاتفها، وليس هناك ردٌّ آليٌّ مرتبطٌ بذلك الهاتف لا الآن ولا من قبل. حاول عدة مرَّات في ذلك المساء، وباءت جميع محاولاته بالفشل. لا بد أن شيئًا ما قد حدث لها، لكنه لم يمتلك الطاقة الكافية ليقلق بشأنها، فلا تزال الأفكار المتعلقة بالنقود والقارب والهواتف تدور في رأسه، ولا تترك مجالًا لأي شيء آخر. أخلد إلى

النوم بعد منتصف الليل ، وحلم أنه كان يُحلِّق على ارتفاع منخفض في الهواء.

أول شيء فعله ميشال في يوم الجمعة هو الاتصال بأليكساندرا سفينسون ، حتى قبل أن يغادر سريره عند الثامنة ، وما زالت لا تجيب. بدأ القلق يساوره ، فقرر أن يعرف ما حدث. سبق أن أخبرته أنها تسكن في هاماربي سيوستاد ، لكنه لم يستطع تذكُّر العنوان بالتحديد ، حيث لم يذهب إلى شقتها المستأجرة قَطُّ.

هل فعلت ذلك ؟ لقد كان يتذكر العناوين دائمًا.

بعد كوب من القهوة السوداء ، اتصل بشركة «م4أ» وطلب من عامل الاتصالات أن يوصله بالمدير المسؤول ، فأخبره بأن إنغيلا بلانستروم لن تصل قبل التاسعة ، ولهذا اتصل مرَّة أخرى عند التاسعة.

أجابت: «بلانستروم».

قال معلوف: «أتصل بخصوص والد أليكساندرا سفينسون. من المهم جدًّا أن نتواصل مع أليكساندرا في أسرع وقت ممكن ، لكنها لا ترد على هاتفها ، هل لديكِ عنوان يمكننا إيجادها فيه ؟».

قالت المديرة بتوتر: «والدها ؟ هل هو مريض ؟ لحظة واحدة معي ، إنه سيكلا كانالغاتا 6».

قال معلوف قبل أن يُغلق الخط: «شكرًا جزيلًا».

بعد عشرين دقيقة ترجَّل من سيارته «السيات» في هاماربي سيوستاد ، وكان هناك جهاز اتصال داخلي عند مدخل سيكلا كانالغاتا 6. ضغط الجرس ، ثم سمع همهمة على الجانب الآخر ، وقبل أن يُتاح له الوقت ليقول شيئًا فُتح الباب ودلف معلوف إلى الداخل. وجد قائمة بأسماء السكان عند المدخل ، وعلم منها أن شقة أليكساندرا في الطابق الثاني. صعد السلالم ودقَّ الباب.

فتحت الباب امرأة شابة لم يرها مسبقًا ، امرأة ضئيلة شقراء ترتدي بنطال جينز وقميصًا.

قال ميشال: «لم أعرف. أنا أبحث عن أليكساندرا».

قالت المرأة عند المدخل: «نعم؟».

أوضح ميشال: «أليكساندرا سفينسون».

«نعم. هذه أنا».

قال ميشال: «كلا. أليكساندرا سفينسون الأخرى، التي تسكن هنا؟».

تطلَّعت أليكساندرا سفينسون إليه، وهزَّت رأسها وهي لا تفهم ما يقول، ثم قالت: «أنا أعيش هنا. أنا أليكساندرا سفينسون، ماذا تقصد؟».

53

كان هناك ما يقرب من مائة ألف جزيرة في أرخبيل ستوكهولم، وعدد مماثل من الخلجان والقنوات.

قضت «لينا هول» الصيف في طفولتها على الجزيرة في أوتو، وقد اعتادت كثيرًا على تلك الجزر، حتى إنها لم تغفل عن خطورة الصخور التي لم تكن موجودة على خرائط الإبحار. تعلَّمت أن تُبحر، قبل أن تبلغ العاشرة، في قارب صغير بمحرك خارجي قوته خمسة أحصنة، وتصطاد الأسماك في الأنهار، أو تلتقط السمك بالحربة عندما بلغت الثانية عشرة.

إنها الآن خلف المقود في قارب مزوَّد بمحرك، متجهةً نحو الجنوب خلال هارسفغاردن بسرعة ثلاثين عُقدة، في الصباح البارد ليوم الجمعة الخامس والعشرين من أيلول. سكن الماء بهدوء على جانبي القارب، وشقَّت مقدمته عُباب الماء مثل سكِّينة في قالب زبدة دافئ، وكانت الرياح في شعرها باردة مثل الثلج، حيث حلَّ الخريف.

خففت لينا من سرعتها عندما اقتربت من اليابسة، ثم توجهت نحو الشاطئ.

إنه واحد من تلك الخلجان، لكنها لم تكن تعرف أي واحد هو. كثيرًا ما سبَّبت لها تلك الخلجان العديدة تشوشًا، لكنه حذَّرها من وضع أي إشارة دالة.

التقطت منظارًا، وقبل أن يتسنى لها الوقت لترفعه إلى عينيها، لاحظت حركة على الجزيرة.

إنه كلب أسود.

وقف على صخرة ومخالبه في الماء ناظرًا نحو البحر. خففت لينا من سرعتها ثانيةً، ثم توجهت نحو الشاطئ الصخري والكلب، وعندما دققت النظر لمحت كلبين آخرين عند حافة الغابة، فابتسمت، وعلمت أنها وجدت المكان الصحيح.

انجرفت نحو الجزيرة، فرأتها الكلاب، وتجمَّع الثمانية حول القارب بينما تسحبه على الحصى.

لم يظهر الرجل العجوز وعصاه حتى قفزت لينا نحو الشاطئ، وأثناء قيامها بإنزال

أكياس البريد ظهر من خلفها مباشرة.

علَّق: «إنه مجال تخصُّصكِ كما أرى».

قالت: «ليس لديك أدنى فكرة. قضيتُ كل العطلات الصيفية في الأرخبيل، ليس بعيدًا عن هنا حقًّا».

هزَّ رأسه، إذ لم يكن يعلم.

غرق في الحب أثناء السبعينيات مع المرأة التي ستصبح فيما بعد والدة لينا هول، وعندما اختفى والد لينا البيولوجي من الصورة قبل عقد من الزمان أصبح من الطبيعي له أن يعرض المساعدة التي يستطيعها.

من بعيد بالتأكيد.

والآن ساعدته هي.

اختفت لينا في مقصورة القارب المكتظة، وعادت حاملة آخر الأكياس، ثم رمته بالقرب من الدرابزين.

قال وهو يُحدِّق بلامبالاة: «كم المبلغ هنا؟».

قالت: «ليست لديَّ فكرة. لم أحصِها. أخذتُ ما يعود إليَّ فقط».

طلب منها: «هل يمكنكِ تحريكها نحو الغابة؟ سأُكمل الأمر من هناك».

فعلت كما طلب منها، وتطلَّب الأمر خمس دقائق، وكادت أن تتعثر بالكلب الذي اقترب محاولًا المساعدة.

بعدما انتهت لم تستطع منع نفسها من التساؤل: «ماذا عن ميشال؟».

سوف تفتقد لينا هول ميشال، وقد بدأت تميل إليه، لكنها لن تفتقد أليكساندرا سفينسون على أية حال، ستتصور خيبة أمل أليكساندرا في الثلاثاء عندما لا تقابلها في درسهما المعتاد في فريسكيس وسفيتيس، ولن تكون مضطرة للإصغاء إلى قصص أليكساندرا سفينسون المطولة عن عملها أو وحدتها مرَّة أخرى.

أجاب الرجل العجوز: «ميشال فتى جيد».

ابتسمت لينا ووافقته.

قالت: «أقصد بخصوص النقود. هل سيحصل على أيٍّ منها؟».

أجاب العجوز: «سنرى كيف تسير الأمور».

أومأت لينا وهي لا تعلم إن كان يعني ذلك حقًّا، أم يقول ذلك فقط لأنه أدرك أنها تودُّ سماعه. دفعت القارب ثانيةً بعيدًا عن الشاطئ وقفزت إليه قبل أن ينجرف بعيدًا إلى الخليج، وبعد أن ابتعد بمسافة كافية أدارت المحرك.

استغرق الأمر من الرجل العجوز ساعة كاملة لنقل الأكياس الخمسة إلى المنزل، مستخدمًا عربة يدوية، لكن جذور الأشجار الغليظة التي نمت على الطريق والصخور الناتئة على كلا الجانبين هددت بتمزيق العجلة، وفوق ذلك كان ظهره. ودَّت الكلاب أن تلعب وتلهو، وأجبرته على التوقف والانعطاف بالعربة جانبًا عندما تكون في طريقه.

عادةً ما يأتي الأشخاص الباحثون عن التوت البري أو الفطر بالقرب من كوخه مرَّتين في السنة تقريبًا، لكن لم يكن الأمر يستحق المخاطرة. سوف يعمد إلى تخزين النقود في قبوه الأرضي. عمد إلى إخراج النقود من أكياس البريد ووضعها في أكياس بلاستيكية، كل فئة على حدة، ثم قام بوضع الأكياس البلاستيكية داخل صندوق كارتوني يحتفظ به مطويًّا لهذا الغرض، وأخيرًا وضع صندوقه الجديد فوق الصناديق القديمة. عندما انتهى من رزم أربعة أكياس قرر أن هذا كافٍ، فتمطَّى وتنهَّد بعمق.

أخذ الكيس الخامس معه إلى الكوخ، ووضعه على الأرض بجوار الأحذية عند المدخل.

كانت الحادية عشرة صباحًا، مما يعني أنه وقت كوب من القهوة. ملأ الآلة بالماء ووضع القهوة في المرشح، لكنَّ عينيه كانتا مثبتتين على شرخ صغير طوال الوقت، وقد حدث ذلك سابقًا، وهو لا يعرف من أين جاء ذلك الصدع. حدث الأمر نفسه قبل عدة سنوات، ولم ينتبه إليه، وعندما انكسر الوعاء سالت القهوة الساخنة منه وأحرقت فخذه.

سيضطر إلى الذهاب إلى هاندين لشراء واحد جديد، مع أنه يكره استقلال الحافلة إلى هاندين.

تنهَّد، ثم قرر القيام بالأمر في الأسبوع المقبل.

أثناء المحاكمة التي تلتْ ذلك، أُشير إلى زوران ميلكوفيتش باعتباره العقل المدبر لعملية السطو بالمروحية، مع أنه لم يكن هناك إثبات دامغ على أن ميلكوفيتش كان في مستودع النقود في فاستبيرغا في صبيحة يوم السرقة. وفي الحقيقة لم يكن هناك إثبات نهائيًا. أنكر ميلكوفيتش أن تكون له أي علاقة بالسرقة، ومع ذلك حُكم عليه بالسجن لمدة أربع سنوات بسبب مساعدته في عملية سطو مسلح. وقد أدى التنصت على سيارته إلى ربطه أيضًا بجريمة مختلفة كليًا، نال فيها حُكمًا بأربع سنوات إضافية للمساعدة والتحريض على حريق مفتعل.

كان سامي فرحان في جمهورية الدومينيكان عندما سحبوا منه جوازه السويدي، ونتيجة لهذا جرى اعتقاله من قِبل الشرطة بسبب وجوده في البلاد بدون جواز سفر فعَّال، وأُرسل إلى السويد كي يواجه التهم الموجهة ضده. تمكَّن الادعاء العام، باستخدام الحامض النووي الذي وُجد في مسرح الجريمة، من إثبات وجود سامي فرحان داخل مستودع النقود، وقد اعترف بالذنب في محاولة منه لتخفيف الحُكم. اعترف سامي بذنبه في السرقة، ومع ذلك حُكم عليه بالسجن لمدة ثماني سنوات بسبب السطو المسلح.

بدت الأدلة ضد ميشال معلوف قليلة جدًّا، أو مبنية بشكل جزئي على علاقته بميلكوفيتش، واكتشاف مجموعة إيصالات تربطه بالهواتف المستخدمة في العملية. أنكر معلوف علاقته بعملية السطو بالمروحية، ومع ذلك حُكم عليه بالسجن لمدة خمس سنوات بسبب مساعدته في عملية سطو مسلح. استأنف معلوف على الحُكم، لكنه تراجع عن دعواه في منتصف الطريق نحو الاستئناف، وقبِل بقرار المحكمة.

حُوكم نيكلاس نوردغرين بعد إدانته بأدلة ظرفية وشكوك عامة. أنكر جميع التهم الموجهة إليه واعتبرته المحكمة طرفًا جانبيًّا في عملية السطو، إذ لم يتمكنوا من إثبات وجوده داخل مستودع النقود في فاستبيرغا في صبيحة يوم السرقة، ومع هذا حُكم عليه بالسجن لمدة خمس سنوات لمساعدته في عملية سطو مسلح.

لم يظهر اسم أليكساندرا سفينسون أو لينا هول في استجواب الشرطة للصوص، كما

لم يرد اسمهما في أي موضع في تحقيقات الشرطة بخصوص عملية السطو.

وفقًا لتقارير «م4أ» ، بلغت كمية النقود المسروقة في عملية السطو بالمروحية ، تسعة وثلاثين مليون كورونور ، ولم يُعثر على النقود.

شكر

أتقدَّم أولًا، وبشكل رئيسي، بخالص الشكر إلى نيكلاس سالومونسون، فالأمر ببساطة: بغير نيكلاس ما كانت هناك رواية. أود أيضًا أن أشكر كل مَن عمل في هذا المشروع في وكالة سالومونسون، بدون ذكر أسماء وبلا استثناء. وأشكر أيضًا مَن قاموا بالاطلاع على المخطوطات الأولية المختلفة للرواية: من خلال أفكاركم وآرائكم أصبحت الرواية أفضل.

بالإضافة إلى نيكلاس أود أن أشكر على وجه الخصوص هيلينا ودانيال.

وأشكر كذلك المؤلفين والصحفيين الذين قاموا بتلخيص صور المحاكمة والمقابلات والأحداث التي أدت إلى «سطو بمروحية» منذ 2009، وجعلوا تلك الليلة المؤثرة من أيلول أكثر يسرًا. وكذلك العديد من الصحفيين المرتبطين بالسطو والمحاكمة الذين زوَّدوني بالتوقيت الصحيح المفصَّل، وبالشائعات والحقائق، وأخص راديو سفيريغيز وب3 دوكيومانتر، حيث أدى أنتون بيرغ عملًا رائعًا، ومكَّن موظفي «م4أ» وقائد المهمات هانز كُنَتسين-أوي في وحدة الشرطة الجنائية الوطنية من أن يقولوا كلمتهم. وكان كتاب هاكان لاغير الدقيق المكتوب بصورة جيدة «هليوكبتر بايلوتين» ذا فائدة جديرة بالذكر.

فوق كل شيء، وبالتأكيد، أود أن أشكر غوران بوجوفيتش، وشربل شارو، وصفاء كاظم، ومايكل سوديرغران، على قضائهم ساعاتٍ وأيامًا معي ومع دفتر ملاحظاتي ومع الآلاف من أسئلتي.